الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة حسيبة بن بوعلي– الشلف –
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة العربية وآدابها

مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الدراسات الأسلوبية

الموسومة بـ

أسلوبية النص القرآني
"قراءة في أعمال تمام حسان"

إعداد الطالبة:
بختـة بلهاشمي

إشراف الدكتور:
أحمد عـزوز

أعضاء لجنة المناقشة:السادة الأساتذة

الاسم واللقب	الرتبـــة	الجامعة الأصلية
عبد القادر شارف	أستاذ محاضر قسم أ.....رئيسا	جـامعة الشلف
أحمـد عـزوز	أستاذ التعليم العالي .... مشرفا ومناقشا	جـامعة وهران
محمـد زيـوش	أستاذ محاضر قسم أ. .....مناقشا	جـامعة الشلف
محمد خـايـن	أستاذ محاضر قسم ب..... مناقشا	جـامعة الشلف
عبد القادر توزان	أستاذ محاضر قسم أ..... مناقشا	جـامعة الشلف

السنة الجامعية: 2014م/2015م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ

وَالمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ

وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾

التوبة، 105.

"إني رأيت أنه لا يكتب أحدًا كتابا في يومه إلا قال في غده:

لو غُير هذا لكان أحسن، ولوِ زيد كذا لكان يُستحسن، ولو قُدم هذا لكان

أفضل، ولو تُرك هذا لكان أجمل

وهذا من أعظم العِبر وهو دليل على استيلاء النقص على جُملة البشر".

العماد الأصفهاني

إهـــــداء

إلى من علمني معنى الإتقـان والإخلاص والإحسان

إلى من تقرحت قدماه لأجلنا وذرفت دموعه شوقا للقائنا

إلى من نذوب شوقا للقائه ونحلم بالقرب منه يوما

نعم.إليك أنت يا حبيب القلوب ونور العيون

أهديك ثمرة جدي واجتهادي

يا رسول الله صلى الله عليه وسلم

شكر وعرفان

بعد أن استوى هذا البحث على سوقه، أشعر أن هناك من يطوق عنقي بأفضاله، فأوقن أن الواجب يفرض علي أن أعترف لكل ذي فضل بفضله ،وأول من أتوجه إليه بشكري وامتناني وتقديري-بعد الله ذي الفضل والجود والإحسان-هو أستاذي الفاضل **الدكتور أحمد عزوز** الذي تفضل بالإشراف على هذه الرسالة ، وأمدني بكل ملاحظاته ، ولم يبخل لحظة في أن يؤدي إلي بالنصح والإرشاد ، فكان بذلك نعم الموجه والمشرف الحفي بطلابه، وإني إذ يعجز لساني عن شكر أفضاله ، أسأل الله أن يجزل له المثوبة ، وأن يبلغه أرفع الدرجات إنه سميع مجيب.

كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى الأساتذة الأفاضل أعضاء لجنة المناقشة وهم : **الدكتور شارف عبد القادر والدكتور زيوش محمد والدكتور خاين محمد والدكتور توزان عبد القادر** الذين تفضلوا بقبول مناقشة هذه الرسالة ، لتقويم اعوجاجها،وسد ثلومها،وتشذيب نتوئها فجزاهم الله خير الجزاء،وحفظهم ذخرا لدارسي العربية .وأتوجه بالشكر موصولا إلى أساتذتي الذين تعلمت على أيديهم كيف يكون البحث بحثا،والعلم علما، فجزاهم الله خير ما يجزي به عباده الصالحين العاملين .

ولا يفوتني أن أشكر والدي وإخوتي وأخواتي وصديقاتي ، وكل من قدم لي العون والمساعدة مكثرا أو مقلا ، وأعانني على إنجاز هذه الرسالة بالقول أو العمل .

مقدمة:

شغل القرآن الكريم بسياقه المتفرد العديد من الدارسين,حيث امتاز بنظم متميز وببيان أعجز البلغاء.فقضية أسلوب القرآن الكريم وإعجازه نالت حظا وافرا من الدراسة من القدماء والمحدثين,إذ تعددت الآليات والمناهج التي تناولت أسلوب القرآن الكريم,ومن بين هذه المناهج الأسلوبية.حيث حققت قدرا من الموضوعية والكشف عن مواطن الجمالية في النص الأدبي.و اتسعت دائرة التطبيق لتشمل النص القرآني,الذي يعد النموذج الأمثل للغة الإبداعية ومحاولة مقاربته بالاعتماد على المناهج الحديثة باعتبار القرآن الكريم مجالا خصبا للدراسات.إذ سارع الدارسون العرب إلى تطبيق المنهج الأسلوبي على النص القرآني,محاولة منهم لسبر أغواره وفتح مغاليقه والنفاذ إلى عمقه لرصد جمالياته.

وهذه الدراسات والمحاولات أسالت حبر العديد من الباحثين,حول مدى سلامة وصلاحية تطبيق المنهج الأسلوبي الغربي على النص القرآني.وذلك مع أخذ قضية مهمة بعين الاعتبار وهي أن المنهج الأسلوبي في دراسة الأدب كغيره من المناهج والمدارس النقدية الغربية,نبت في تربة ثقافية لها خصوصياتها ومزاجها الفكري والخلقي والعقائدي،فهو منهج نقدي نابع من استقراء مجموعة من النماذج الأدبية البشرية الراقية،ولذا يقارب النص على أنه في غالب الأحيان انعكاس لشخصية قائله،فالأسلوب صورة لفظية تعكس السمات النفسية والشخصية لكاتبه أو مؤلفه,ومن ناحية أخرى تبرز قضية لا تقل أهمية وهي التطبيق الحرفي للمنهج دونما دراسة واعية لما يتناسب مع خصوصية الأدب العربي,هذا على الأدب العربي الذي هو من إنتاج البشر فما بالك بالقرآن الكريم الذي يمتاز بالقدسية والتنزيه ويمثل أخص خصوصياتنا.ومن هذا التجاذب الفكري ظهرت أصوات تدعو إلى ضرورة وجود أسلوبية عربية خاصة بالنص القرآني.ومن بين الدراسات العربية الحديثة لأسلوب النص القرآني ما قدمه تمام حسان في العديد من مؤلفاته,خاصة في مؤلفه الشهير **البيان في روائع القرآن.**

وقد تتولد عدة إشكالات مهمة انطلاقا مما سبق من أهمها : كيف أسقط المنهج الأسلوبي الغربي على النص القرآني ؟ أم أنه كيّف المنهج حسب خصوصية النص القرآني ؟ وهل كان أقرب

إلى الموروث العربي؟أم إلى الدرس الأسلوبي الغربي أم العكس؟ما هي أهم الأسس التي اعتمد عليها تمام حسان في تحليله للنص القرآني وكيفية تطبيقه للمنهج الغربي؟و في أي مجال تصنف دراسات تمام حسان؟ وهل تعد دراسة تمام دراسة أسلوبية أم أنها دراسة بلاغية في ثوب جديد؟ وهل أضاف تمام حسان,أم أنه تسلل ليصاحب اتجاهات من نفس الجنس ونقصد تحديدا لسانيات النص؟أضف إلى تساؤل لا يقل أهمية وهو: وإذا كانت الدراسة الأسلوبية تركز على لغة النص ولا تلتفت إلى ملابسات النص الخارجية،فهل يمكن أن ندرس النص القرآني دراسة أسلوبية منطلقين من هذا المبدأ الأسلوبي؟ أو هل يمكننا أن ندرسها دون الوقوف على معرفة المكي والمدني، وأسباب النزول،والمحكم والمتشابه وأساسيات العقيدة الإسلامية الصحيحة، وهي كلها أمور تقع خارج النص القرآني؟

أما أسباب اختيار الموضوع **أسلوبية النص القرآني** فقد كان سعيا منا إلى رصد مدى نجاعة الدرس الأسلوبي الحديث في تحليل النص القرآني ورصد جمالياته مع مراعاة خصوصية النص القرآني.واختيارنا **لأعمال تمام حسان** تحديدا لتكون مؤلفاته مدونة البحث تبرره جهوده التي يقدمها لخدمة العربية ومناهج البحث فيها,فالدراسة الأسلوبية تعتمد على اللغة كمدخل لدراسة ملامح النص من أصوات,وصيغ صرفية وتراكيب وصور.ويعد تمام حسان أحسن من طبق المناهج الغربية في الدراسات العربية,كما يمثل كتابه **البيان في روائع القرآن** الموجة الجديدة,التي تحاول تحريك الدراسات القرآنية نحو آفاق مستقبلية جديدة,كما حمل الكتاب مقابلات عديدة بين القديم والحديث ثمنت البحث.كما أن الكتاب اشتمل على منهج لدراسات لغوية قرآنية حديثة، وجمع الكتاب الكثير من مبادئ اللغة وأسرارها واستطاع الكشف عن جلال القرآن وجماله تركيبيا وألفاظا ومعنى ومبنى مع تفاعل هذه النواحي جميعا.

ومن الدراسات السابقة لهذا الموضوع نذكر منها:الأسلوبية الوظيفية وموقعها في كتاب البيان في روائع القرآن، بداش حنيفة، رسالة ماجستير،جامعة قسنطينة، الجزائر. 2008.

- الفكر النحوي عند تمام حسان " **دراسة وصفية تحليلية في ضوء علم اللغة القديم والحديث**" عبد الله محمد الدبيس ، رسالة ماجستير ، جامعة مؤتة، الأردن، 2008 .

- مفهوم النظام اللغوي عند تمام حسان ، قراءة في كتابي " **مناهج البحث** " واللغة العربية معناها ومبناها " ، محمد بودية ، جامعة محمد خيضر ، بسكرة ، ديسمبر 2013.

- التفكير المورفولوجي عند تمام حسان ، حيدر محمد ، مجلة كلية الآداب ، العدد 102 .

وقد اقتضى موضوع البحث أن يكون المنهج المتبع هو المنهج الوصفي الاستقرائي الذي يفرض نموذجا تطبيقيا قابلا للوصف انطلاقا من " **البيان في روائع القرآن** " وربط هذا الإنجاز بما سبق من إنجازات ودراسات حتى نخرج بنتيجة هدفها توضيح صلة الدراسات القديمة البلاغية خاصة بالدراسات اللغوية الحديثة ومعرفة أوجه التفرد والتماثل.

وانطلاقا من الإشكالات السابقة كانت خطة البحث كالآتي:

الفصل التمهيدي وقد تطرقت فيه إلى ماهية الأسلوب والأسلوبية ثم الانتقال إلى نشأة الأسلوبية وعرض أهم اتجاهاتها وإشكالاتها ومرورا بأهم مناهج التحليل الأسلوبي، ورصد أهم تعالقاتها مع العلوم المختلفة اللسانيات والنقد والبلاغة، وختمنا الفصل التمهيدي بتتبع ملامح الدراسة الأسلوبية في مؤلفات العرب القدماء وبخاصة تلك التي عنت بدراسة القرآن الكريم ، ثم انطلقنا إلى رصد أهم الدراسات الحديثة التي حملت بذورا أسلوبية في طياتها .

أما الفصل الأول فقد عرضنا فيه أهم القيم و التلوينات الصوتية وأثرها في بناء النص وعلاقة الصوت بالمعنى وقسمنا الفصل إلى خمسة مباحث هي: الإيقاع في القرآن الكريم الذي جعله تمام حسان مدخلا للدراسة الصوتية ، ثم انتقلنا في المبحث الثاني للتعرف على ماهية الفاصلة القرآنية التي خصت القرآن الكريم عن سائر أصناف الكلام البشري ، وتحديد جمالية الفاصلة وعلاقتها بالمعنى أما المبحث الثالث فخصصناه لدراسة المناسبة الصوتية وأثرها في المعنى . في حين جعلنا المبحث الرابع للحكاية الصوتية وختمنا بالمبحث الخامس الذي خصصناه لحسن التأليف وعلاقته بالمعنى .

أما الفصل الثاني فقد تناولنا فيه البعد التركيبي وأثره في المعنى فاستهلينا الفصل بالحديث عن النمط التركيبي في النص القرآني والجملة وأثرها في التركيب ثم انتقلنا إلى نظرية تضافر القرائن وأثرها في المعنى أما المبحث الثالث فقد تناولنا فيه العدول أو الانزياح في النمط التركيبي وتحديد المنبهات الأسلوبية وتحولات الرتبة وغيرها من صور الانحراف. التي تعد من أهم ركائز الدراسة الأسلوبية في تناولها للنصوص الأدبية والكشف عن التحولات المختلفة للبنى التركيبية في توترها الدائم بين البنية السطحية والبنية العميقة، ومن تظهر أهمية دراسة العدول من خلال الوقوف على أبرز صور العدول في النص القرآني وبيان جمالياتها ودورها الدلالي والبلاغي في التعبير القرآني.

أما الفصل الثالث فقد عرضنا فيه المستوى البلاغي والدلالي والجمالي في النص القرآني بدء بتحديد أهم المقاصد الأسلوبية للنص القرآني ، ثم انتقلنا إلى الحديث عن مستويات الاختيار في النص القرآني ، وختمنا الفصل بالحديث عن التصوير الفني المعتمد على المجاز فالتخييل ثم ضرب الأمثال والنظر في جماليات القصة القرآنية. أما الخاتمة فجاء ت متنوعة جمعنا فيها نتائج عامة حول أعمال تمام حسان.

وقد أفادت الدراسة من مجموعة من المصادر والمراجع نذكر منها أمهات الكتب في العلوم القرآنية منها:كتب التفاسير الزمخشري والطبري وابن عاشور وغيرهم,وأيضا الرجوع إلى مصادر قديمة مثل كتب الإعجاز أبو عبيدة و الباقلاني و الجرجاني و الحديثة مثل سيد قطب وعائشة بنت الشاطبي.أما المراجع الأسلوبية فتنوعت بين المسدي ويوسف أبو العدوس محمد عبد المطلب وصلاح فضل وغيرهما من الدارسين المحدثين الذين لا يسعنا المقام لذكرهم.

ومن الصعوبات التي واجهتني في هذا البحث: ثراء المادة اللغوية الأسلوبية في الكتاب وكثافتها مما يصعب الإلمام بها.أضف إلى صعوبة الفصل بين الظواهر اللغوية والأسلوبية.كما أن فكرة الجمع بين التراث والحداثة هي من الصعوبة بمكان إذ تستلزم سعة إطلاع في المجالين.

1- ماهية الأسلوب والأسلوبية :

إنّ كلمة "**أسلوب**" يراد بها في المعاجم العربية الطريق أو الفن أو المذهب أو الوجه[1]. أما إذا انتقلنا إلى المعاجم الغربية فهي مأخوذة من الجذر اللاتيني" Stilus" الذي يدل على مثقب يستعمل في الكتابة أو الريشة.[2]

أمّا في الاصطلاح النّقدي فيعرف بأنه "**طريقة يستعملها الكاتب في التعبير عن موقف ما وتتم الإبانة عن شخصيته الأدبية المتميزة عن سواها، لاسيما في اختيار المفردات، وصياغة العبارات، والتشابه والإيقاع، وذلك قصد التعبير بهذه الطريقة عن قناعاته ووجدانيته، والقصد من إيراد الكلام في نسق معيّن هو التّأثير في المتلقي الذي يشارك المرسل أفكاره بعد اقتناعه بالفكرة والأسلوب**".[3] أو يمكن تعريفه بأنه "**الطريقة المتميزة للتعبير اللّغوي**".[4]

ومازال مفهوم الأسلوب غامضًا ملتبسًا ليس بسبب نقص ما كتب عنه وإنما لكثرة تداوله بين النقاد والدارسين، فلقد تعددت وتنوعت مقاصد الباحثين في إيراده، وذلك يعود إلى امتزاجه في أحيان كثيرة بمفاهيم متعددة في البلاغة والنّحو وسائر العلوم اللّغوية الأخرى فكل باحث يحمل إلى مرجعيته ويعرفه اعتمادا على الحقل الذي ينوي التعرض له. إذ " **لا يمكن أن يعرف بشكل مرضٍ نظرًا لرحابة الميادين التي صارت هذه الكلمة تطلق عليها**".[5]

ويخلص إلى أن للأسلوب في الاصطلاح دلالات مختلفة يصعب تحديد دلالته دلالة محددة، لأن دلالته تختلف من دارس إلى آخر، فمن الدارسين من يخص به أسلوب كاتب بعينه، ومنهم

---

[1]- ينظر: لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، لبنان، (د ط)، (د ت) مادة سلب، مج2، ص176

[2] - علم الأسلوب، مبادئه وإجراءاته، صلاح فضل، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1988، ص03

[3]- الأسلوب (دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الإنشائية) ،أحمد الشايب، مكتبة النهضة المصرية، ط6، 1966، ص40.

[4]- الأسلوبية وتحليل الخطاب، نور الدين السّد، دار هومة، الجزائر، ط1، 1426، ج1، ص135

[5]- الأسلوبية (الرؤية والتطبيق)، يوسف أبو العدوس، دار المسيرة، ط1، عمان، 2007، ص 35

من يخص به طريقة التعبير، أو نمط الكتابة، إلى غير ذلك من التعريفات تجعل حصر هذا المصطلح في تعريف واحد أمرًا صعبًا، فالمعنى المحسوس لكلمة أسلوب متشعب فمنه ما يفيد في اللّغة الكتابة، وقد يعني طريقة التعبير عن الفكر باللّغة إلى جانب دلالته على الطريقة الخاصة في الكتابة لكاتب من الكتاب، وقد يعني طريقة للتعبير عند مجموعة من الأدباء، وقد يعني الاختيار الجيد، وقد يدل على أسلوب محادثة الآخرين وخطابهم، ولذلك من الصعوبة تحديد مفهوم الأسلوب وخصوصًا عند الغرب. والسبب مساحة الدرس الأسلوبي واتساعه، فضلاً عن تعريفات الأسلوب التي قد تصل في مقدمات بعض الكتب إلى ثلاثين تعريفًا.[1]

أمّا الأسلوبية فتقابل المصطلح الأجنبي Stylistique هو دال مركب جذره الأسلوب "Style" ولا حقته "ique" ودلالة الأسلوب نسبية، فهو ذو بعد إنساني ذاتي وأمّا اللاحقة فتتصل بالبعد العلماني العقلي، وبالتالي الموضوعي، ويمكن فك الدال الاصطلاحي إلى مدلوله عمّا يوافق عبارة علم الأسلوب "Science de styles " وبذلك تعرف الأسلوبية بداهة "**بالبحث عن الأسس الموضوعية لإرساء الأسلوب**".[2]

وتعرف الأسلوبية في الدراسات اللّسانية والأسلوبية بأنها "**بحث عمّا يتميز به الكلام الفني عن بقية مستويات الخطاب أولاً، وعن سائر أصناف الفنون الإنسانية ثانيًا**"[3]. أو بصورة أخرى إنّها "**علم وصفي يعنى بالبحث عن الخصائص والسّمات التي تميز النّص الأدبي بطريق التحليل الموضوعي للأثر الأدبي.**"[4]

وقد اختلف تلقي هذا المصطلح في الدرس اللّساني العربي وحتى النقدي، فيؤثر **عبد العزيز**

---

[1]- ينظر:الأسلوب والأسلوبية والنص الحديث، محمد أحمد قضاة، مجلة الدراسات العلوم الإنسانية، مج25، ع2، 1988، ص247.

[2]- الأسلوب والأسلوبية ، المسدي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بنغازي، ليبيا، ط 2005، ص31-32

[3]- الأسلوبية(منهجًا نقديًا) محمد عزام، دار الأفاق، بيروت، لبنان، ط1، 1989، ص35

[4]- الأسلوبية (مدخل نظري)، فتح الله أحمد سليمان، الدار الفنية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1993، ص35

سعد مصلوح ترجمة هذا المصطلح إلى الأسلوبيات، لأنّها الأطوع في التصريف وسيرًا على سنة السلف، ويميل **صلاح فضل** إلى "علم الأسلوب" أو جزء من علم اللغة. وأمّا مصطلح "**الأسلوبية**" في العربية فقد عمل على ترويجه الدارس" **عبد السلام المسدي**" وهو عنده مقابل لمصطلح "Stylistique " بالفرنسية و"Stylisties" بالإنجليزية وتبعه في ذلك –**محمد عزام– منذر عياشي– عدنان بن ذريل– فتح الله أحمد سليمان** وغيرهم. وعلى الرغم من هذا الاختلاف إلى أنّها مصطلحات تشير في مجملها إلى الدرس العلمي الأدبي. [1] و يميل **تمام حسان** إلى استعمال مصطلح الأسلوبيات ، وهو يعني به الدراسة اللّغوية الحديثة وهو ما سنتعرف عليه من خلال الطرح القادم .

أما **محمد بلوحي** فيراها"**العلم الذي يكشف عن القيم الجمالية في الأعمال الأدبية انطلاقًا من تحليل الظواهر اللّغوية والبلاغية للنّص فتركز على دراسة الخصائص اللّغوية التي بها يتحوّل الخطاب عن سياقه الإخباري إلى وظيفة تأثيرية وجمالية، فهي تبحث عن ما يتميز به الكلام الفني عن بقية مستويات الخطاب الأدبي**". [2] والأسلوبية عنده هي البحث عن القيم الجمالية في النص من خلال الارتكاز على الظواهر اللغوية .

في حين يرى **رجاء عيد**: "**أن مصطلح الأسلوبية يتجاوز الأسلوب، وإن كان مجالها يظل دائرته، وهي في الوقت ذاته تفتح لها مجالات أرحب وأفسح، فمنها الإمكانات اللّغوية التي تولد تأثيرات جمالية ودراسة الركائز النّي يعتمد عليها هذا التأثير الجمالي.**[3] فالأسلوبية عند **رجاء عيد** أوسع من الأسلوب .

2– نشأة الأسلوبية: لقد ارتبطت نشأة الأسلوبية في بداية القرن العشرين بالتّطور الذي لحق الدراسات اللّسانية على يدّ **فرديناند دي سوسير(Ferdinand De Saussure)**

[1] – ينظر: الأسلوبية في التفكير العربي، نعيمة سعدية (مقال) جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، ص03

[2] – بين التراث البلاغي العربي والأسلوبية الحديثة، محمد بلوحي، مجلة التراث العربي، ع 95، أيلول 2004.

[3] – البحث الأسلوبي (معاصرة وتراث)، رجاء عيد، منشأة المعارف، مصر، (د ط)، 1993، ص 22– 23.

الذي استطاع وضع معالم علّم اللّغة الحديث، ونجح في التفريق بدقة بين اللّغة والكلام بمعادلته الشهيرة "**اللّسان في نظرنا هو اللّغة ناقص الكلام** ". وأوضح أنّ اللّسان هو نتاج اجتماعي لملكة اللّغة، فهو مجموعة من الأعوان الضرورية التي يستخدمها المجتمع لمزاولة هذه الكلّمة عند الأفراد، وأنّه نتيجة لعمليات متواصلة للكلام عبر الزمن، أمّا الكلام فهو تطبيق صوتي، وتركيبي ومعجمي واللّسان هو الذي ينتجه".[1]

وبذلك فتح المجال أمام تلامذته ليكون **شارل بالي** (Charles Bally) التلميذ المجتهد الذي استطاع استثمار جهود أستاذه ليؤسس منهج الأسلوبية كجزء من المدرسة الألسنية.[2]

يعد شارل بالي (1865-1949) مؤسس علم الأسلوب معتمدًا على ما تركه أستاذه، لكن بالي استطاع تجاوز أستاذه من خلال تركيزه على الجانب التأثيري العاطفي في اللّغة، وجعل ذلك يشكل جوهر الأسلوب ومحتواه[3].

وعكف على دراسة الأسلوب فكان أوّل من أرسى قواعد الأسلوبية المعاصرة منذ 1902. فمنذ 1902 كدنا نجزم مع شارل بالي بأن علم الأسلوب قد تأسست قواعده النهائية أرس أستاذه **فرديناند دي سوسير** أصول اللّسانيات الحديثة ولكن لم يستطع بالي استثمار علم الأسلوب في دراسة الخطاب الأدبي وهذا ما تلفقه أتباع بالي فإن ذلك لم يظل غائبا عن أتباع بالي والمنشغلين بعلم الأسلوب الذين سرعان ما عزلوا الأسلوبية عن الخطاب الإخباري الصّرف وقصروا عليها الخطاب الفنّي فأعادوا لقيصر ما لقيصر[4].

ويظهر جليا أن **شارل بالي** لم يستثمر علم الأسلوب في دراسة الخطاب الأدبي بل قصره على دراسة اليومي الإخباري ، وهذا ما عيب على دراسة **بالي** .

---

[1]- ينظر : اللغة العربية معناها مبناها ، تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط6، 2009، ص34

[2]- ينظر : البلاغة والأسلوبية، محمد عبد المطلب، لونجمان، القاهرة، (د ط)، 1994، ص172

[3]- ينظر : الأسلوبية (مفاهيمها وتجلياتها)، موسى سامح ربابعة، دار الكندي، الأردن، ط1، 2003، ص10

[4]- ينظر : المرجع نفسه، ص11

وتطورت النظرة إلى علم الأسلوب وإمكانية الاستفادة منه في دراسة النصوص الأدبية، وبخاصة تلك الدراسات التي قدمها **ليو سبيتزر** (L. Spitzer)- 1960/1887- الذي أقام جسرًا بين دراسة اللّغة ودراسة الأدب، وأحدث تحولاً أساسيًا في الإفادة من اللّغة في دراسة النصوص الأدبية ودراسة الأسلوب الفردي للأديب من خلال اعتماده على الكشف عن ملمح أو ملامح لغوية تشكل ظاهرة أسلوبية.[1]

وكادت الدراسات الأسلوبية التي وضعها **بالي** تتلاشى على يد المدرسة الفرنسية حتى مجيء **ياكبسون** (Jacobson) الذي استطاع سنة1960 في ندوة بجامعة أنديانا بأمريكا ألقى فيها محاضرته حول الألسنية والإنشائية، ودعا إلى ضرورة إقامة جسر تواصل بين الألسنية والأدب[2] مركزًا على قضية الاتصال. [3]

وإذا كانت أدوات الاتصال غير اللّغوية لا تقوم إلاّ بوظيفة فعل الخبر فإن اللّغة تقوم بست وظائف: انفعالية ومرجعية وشعرية وانتباهية وانعكاسية وإدراكية.[4]

وفي عام 1965 اطمئن الألسنيون إلى ثراء البحوث الأسلوبية والاقتناع بمستقبل حصيلتها للموضوعية عندما **أصدرت. تودوروف** (**Tzveton Toodorov**) أعمال الشكلانيين الروس مترجمة إلى الفرنسية. [5]

وفي سنة 1969 استقرت الأسلوبية كعلم لساني نقدي مع **الألماني س. أولمان** (**S.Ullmann**) إذ يقول:" **إن الأسلوبية اليوم هي أكثر أفنان اللّسانيات صرامة على ما يعتري غائيات هذا العلم الوليد ومناهجه ومصطلحاته من تردد ولنا ان نتنبأ بما سيكون**

[1]- الأسلوب والأسلوبية، عبد السلام المسدي، ص10

[2]- المرجع نفسه، ص10

[3]- ينظر : الأسلوبية (مفاهيمها وتجلياتها)، موسى ربابعة، ص12

[4]- ينظر : المرجع نفسه ، ص 13

[5]- الأسلوبية (مفاهيمها وتجلياتها)، موسى ربابعة، ص240

للبحث الأسلوبي من فضل على النقد الأدبي. [1] يؤكد في مقولته هذه أنه رغم التردد إلا أن هناك مستقبلا واعدا ينتظر الدراسة الأسلوبية .

ومع مجي **ريفاتير**(Michael Riffater) بدأت الأسلوبية البنيوية مسارًا مهما في تناول الأسلوب الأدبي من خلال كتابه "**محاولات في الأسلوبية البنيوية**" الذي صدر سنة 1971. ويبدو مما سبق أن **ريفاتير** استطاع أن يتجاوز أسلوبية **بالي** و**سبيتزر** على الرغم من أنه أفاد منهما، فإذا كان **بالي** يرى أن هناك أهمية كبيرة تكمن في الطاقات التعبيرية القارة في صميم اللّغة فإن **سبيتزر** ربط الأسلوبية بذات صاحبه، في حين أن أسلوبية **ريفاتير** وهي الأسلوبية البنيوية لم تعن إلا بالخطاب موضوعًا للدراسة، هذا إلى جانب رفض الأحكام الاعتباطية والانطباعات الذوقية. [2]

3–مناهج التحليل الأسلوبي:

للكشف عن بنية النّص الكبير تتخذ الأسلوبية في عملها مناهج متعددة لعلّ أهمّها:

أ– المنهج الوصفي:

اتكأت الأسلوبية الوصفية على معطيات لغوية عديدة، كان النّحو في طليعتها، بالإضافة إلى الأشكال البلاغية التقليدية، وتناولت الدراسات الوصفية الأسلوبية وصف ظواهر اللغوي عن طريق دراسة المستويات اللغوية كلها، ودرست النصوص الأدبية من الخارج، باعتبار أن السلوك اللّغوي المظهر الأساسي الذي يمكن الوقوف عليه لمعرفة المكنون العاطفي والتعبيري الذي ينطوي عليه النّص[3]. ومن هنا جاء المنهج الوصفي لدراسة العلاقة بين الفكر واللّغة، والاهتمام بالأبنية اللّغوية ووظائفها المختلفة. [4]

---

[1]– الأسلوب والأسلوبية، عبد السلام المسدي، ص25 – 26.

[2]– ينظر : الأسلوبية (مفاهيمها وتجلياتها)، موسى ربابعة، ص19

[3] – ينظر : الأسلوبية (الرؤية والتطبيق)، يوسف أبو العدوس، ص92

[4] – ينظر : المرجع نفسه، ص 91 .

وتحتل الأسلوبية الوصفية بوصفها منهجًا من مناهج التحليل الأسلوبي موقعًا متميزًا ومتقدمًا في الدراسات الأسلوبية، وذلك لأنها أولى المناهج التي نظرت للأسلوبية كمنهج تحليلي وساهمت في انبثاق مدارس أخرى.[1]

ب- الكلّمات المفاتيح:

لقد تشبث بعض الأسلوبيين بفكرة الكلّمات المفاتيح لتخطي صعوبة الكشف والنّبش عن الحالات النّائمة تحت التراكيب اللّغوية للشعر، فهذه الكلّمات تكون بمثابة مصابيح تنير العوالم الداخلية لفنانين أو لافتات تشير إلى اتجاههم، ومؤشرًا على نوعية اهتمامات الكاتب، ولكنّها تظل دومًا عاجزة عن الكشف والبحث عن البنيات النفسية والذهنية للمبدعين، وتعود هذه الفكرة إلى" **دي سوسير** "ومن بعده "**ريفاتير**" لأن نواة المرجع النّصي أو هوية الجهاز عند "**دي سوسير**" تنحصر في كلمة واحدة يعاد اكتشافها متفرقة في مواطن مختلفة من النّص، وموزعة على طول الجمل، في حين يرى **ريفاتير**" أن المرجع النّصي كامن في التحويلات المعجمية التي تطرأ على معطى دلالي ما، ذلك أن النواة الدلالية كعلامة المرض العصيب يضغط عليها الكبت فيجعلها تنفجر في مواطن أخرى من النّص كانفجار البركان فتخرج في أشكال علامات أخرى، أي في أشكال مرادفات أو ما كان من قبيلها. وقد اتخذ كلّ من الباحثين الأسلوبين فكرة الكلّمات المفاتيح" **وسيلة من الوسائل للوصول إلى مركز الإبداع والنواة الدلالية فيه"**[2].

ومنهج الكلمات المفاتيح هو منهج تجريبي لتحليل الأسلوب ، إذ يعتمد على دراسة المؤلف من خلال كلمات النص البارزة (المتكررة) ويطلق عليها الكلمات المفاتيح ، والكلمة المفتاح هي الكلمة التي يصل معدل تكرارها في عمل أدبي معين ، ولدى مؤلف معين إلى نسبة أعلى مما هي عليه في اللغة العادية .

---

[1] – الأسلوبية ، يوسف أبو العدوس ، ص 109 .

[2] -ينظر:نظرية التحليل الأسلوبي للنص الشعري، مفاتيح ومداخل أساسية، أسامية راجع، مجلة الأثر، العدد13، مارس2012، جامعة بسكرة الجزائر، ص217.

ج- المنهج الإحصائي:

يهتم بتتبع معدلات تكرار الظواهر الأسلوبية في النص، لتقييم تحليلاته بالاعتماد على ذلك التكرار كثرة أو قلة[1].

يفيد الإحصاء البحوث الأسلوبية في تحليلاتها للخطاب الأدبي حيث يمد التحليل الأسلوبي بالدقة والموضوعية في تشخيص الأساليب وتميز الفروق بينها، ويكاد ينفرد من بين المعايير بقابليته لأن يستخدم في قياس الخصائص الأسلوبية[2]. إذ يرى **محمد العمري** أن "**توظيف الطريقة الإحصائية يوصلنا إلى تحديد تراكم العناصر المترددة في الخطاب الشعري وخاصة منها الظواهر الصوتية والدلالية.** [3]

ومع ذلك فللمنهج الإحصائي مزايا عديدة أشار إليها غير واحد من الباحثين فهي "**تعمل على تخليص ظاهرة الأسلوب من الحدس الخالص لتوكل أمرها إلى حدس منهجي موجه، ومن هذه الزاوية يمكن للإحصاء أن يكمل مناهج أسلوبية أخرى بصورة فعّالة**". [4]

وتجدر الإشارة إلى بعض الاعتراضات التي تطال المنهج الإحصائي منها أن المنهج الإحصائي بدائي وعاجز عن التقاط الظلال الأسلوبية المرهفة والإيقاعات العاطفية والتأثيرات الموسيقية في النصوص، إذ الدراسة الأسلوبية الإحصائية لا تقيم وزنًا للسياق، كما أنّ الحسابات العددية تضفي على البحث نوعًا من الدقة الزائفة. [5]

رغم كل ما يوجه إلى المنهج الإحصائي من انتقادات إلا أنه أداة مهمة ومساعدة في التحليل

---

[1]- ينظر: الأسلوبية، يوسف أبو العدوس، ص91

[2]- ينظر: مقدمة الأسلوبية، رابح ابن خوية، مطبعة نير، سكيكدة، الجزائر، ط1، 2013، ص 83

[3]- ينظر: تحليل الخطاب الشعري (البنية الصوتية في الشعر)، محمد العمري، الدار العالمية للكتاب، الدار البيضاء، المغرب ط1، 1990، ص141

[4]- البلاغة والأسلوبية (نحو نموذج لساني سيميائي لتحليل النص)، هنريش بليث، تر، محمد العمري، إفريقيا الشرق، بيروت لبنان، (د ط)، 1999، ص59.

[5]- ينظر: الأسلوبية، محمد عزام، ص 71

الأسلوبي .

د- الدائرة الفيلولوجية:

يهتم هذا المنهج بدراسة علاقة التغيير بالمفرد أو الجماعة التي تبدعه، وه مرتبط بالنقد الأدبي، وهي عملية تتألف من ثلاث مراحل:

* في المرحلة الأولى يقوم الناقد التي توفرت فيه التجربة والإخلاص بقراءة النّص مرّة بعد مرّة، حتى بعثر على سمة معينة في الأسلوب تتكرر بصفة مستمرة.

* وفي المرحلة الثانية عليه أن يحاول اكتشاف الخاصية السيكولوجية التي تنشر هذه السمة.

*وفي المرحلة الثالثة والأخيرة عليه أن يقوم برحلة العودة إلى المحيط وينقب عن مظاهر أخرى لبعض الخصائص العقلية. [1]

4- اتجاهات الأسلوبية :

4-1 الأسلوبية التعبيرية:

يحدد **شارل بالي** الأسلوبية على أنها العلم الذي يدرس "**عناصر اللّغة المنظمة، من وجهة نظر محتواها التعبيري والتأثيري**"[2]. ويرى مهمتها في تتبع بصمات الشخص في الخطاب. ولذلك صنف الواقع اللّغوي أو الخطاب إلى نوعين: منه ما هو حامل ذاته وغير مشحون بشيء ومنه ما هو حامل للعواطف والانفعالات وتعنى الأسلوبية بجانب العاطفي في الخطاب فستقصى الكثافة الشعورية التي يشحن بها المتكلم خطابه في استعماله النوعي.[3]

فالأسلوبية عند **بالي** تعنى أساسًا: "**برصد الطاقات التعبيرية الكامنة في اللغة لا في الفرد" فيكون موضوع الأسلوبية هو دراسة "القيمة العاطفية للغة"**. أو دراسة "**وقائع التعبير**

[1]- ينظر: الأسلوبية، يوسف أبو العدوس، ص111، ينظر: الاتجاه الأسلوبي في النقد، د. شفيع السيد، دار الفكر العربي (د. ط)، (د. ت)، ص117.

[2]- الأسلوب و الأسلوبية، بييرجيرو، تر، منذر عياشي، دار الحاسوب، حلب، ط2، (د ت)، ص54

[3]- الأسلوبية مدخل نظري، ودراسة تطبيقية، فتح الله أحمد سليمان: ص36 .

اللغوي من ناحية مضامينها الوجدانية "[1]. إذن لقد كان اهتمام الأسلوبية التعبيرية محصورًا في الشحنات العاطفية التي يصدرها المنشئ، ويضمنها في خطابه، بغض النظر عما إذا كان ذلك الخطاب عاديًا أو أدبيًا[2]، وبذلك "**ظلت أسلوبية بالي هي أسلوبية اللّغة وليست أسلوبية الأدب**"[3].

4-2 الأسلوبية التكوينية: أسلوبية الكاتب:

أسلوبية الفرد أو الأسلوبية التكوينية ظهرت على يد النمساوي **ليوسبيتزر** (**Léo spitzer**) كرد فعل على أسلوبية **بالي**، وبتأثير مباشر من أستاذه الألماني **كار فوسلير**(**K.Vossler**). ويرى **سبيتزر** أن الفرد مستعمل اللغة غير ملزم بالتقيد بقواعد اللغة المتعارف عليها، بل بإمكانه أن يتملص منها، ويبدع تركيبًا لغويًا جديدًا يميزه عن غيره ويكون بمثابة أسلوب خاص به وحده[4] . ويهتم **سبيتزر** بالذات المبدعة وخصوصية أسلوبها انطلاقًا من تفردها في الكتابة، حيث يتميز باحتفاله بخصوصية الذات الكاتبة... وأثر ذلك على خصوصية استعمالاتها الأسلوبية، ... ويكاد **سبيتزر** "**يجنح إلى تلامس واضح بين الجانب النفسي، لتلك الذات المنتجة. وبين ما أنتجته من كتابة معينة**"[5]. وينظر **سبيتزر** إلى الأسلوب من خلال الذات المبدعة، وخصوصيتها الفردية في إطار سياق اجتماعي تاريخي يساهم وسم الأسلوب بميزات خاصة تبعًا لما تمليه الظروف المختلفة[6]. فالأسلوبية خصوصية شخصية في التعبير والتي من خلالها تتعرف على الكاتب. وذلك من خلال عناصر متعددة تعمل على تكوين هذه الشخصية الذاتية.[7]

---

[1]- البحث الأسلوبي، رجاء عيد (معاصرة وتراث)، ص 31.

[2]- ينظر : محاضرات في الأسلوبية، محمد بن يحي، مطبعة مزوار، الوادي، الجزائر، ط1، 2010، ص34.

[3]- الأسلوبية (مفاهيمها وتجلياتها)، موسى ربابعة، ص 11

[4]- البنى الأسلوبية، حسن ناظم، المركز الثقافي، ط1، المغرب، 2002، ص34

[5]- الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية، أحمد محمد ويس دار مجد، بيروت، ط1، 2005، ص 88

[6]- ينظر : المرجع نفسه ، ص 88

[7]- ينظر: البحث الأسلوبي، رجاء عيد، ص 52-35

ونافذة القول أن الأسلوبية التكوينية جنحت إلى الانطباعية، والإغراق في ذوات المبدعين يظهر ذلك جليا ما دامت تهتم بالجوانب النفسية في إطار الجماعة بكل ظروفها التي تحيى ضمنها جاعلة من أسلوب الكاتب في انحرافه عن السائر والمألوف حقلا للدراسة والبحث والتقصي.

4 – 3 الأسلوبية البنيوية:

ارتكزت البنائية في تطورها على مذهب **فرديناند دي سوسير** إذ تنطلق في دراستها من النّص بوصفه بنية مغلقة، وتركز هذه الأسلوبية على تناسق أجراء النّص اللّغوية.[1] وهي تهتم في تحليل النّص الأدبي بعلاقات التكامل بين العناصر اللّغوية في النّص، وبالدلالات والإيحاءات التي تحقق تلك الوحدات اللّغوية.[2]

ولقد كان لأعمال الشكلانيين الروس أثر بالغ في إرساء وتدعيم هذا الاتجاه ومن ذلك تناولهم للنثر الأدبي تناولاً لسانيًا صرفًا.[3]

ومن أعلام هذه الأسلوبية **ريفايتر** الذي يؤمن بوجود بنية في النص، وبوجوب البحث فيها، ويضيف إلى ذلك أهمية المتلقي في تحديد الأسلوب والأسلوبية، فهو يزعم أن هذه الأخيرة تدرس في الملفوظ اللساني تلك العناصر التي تستعمل لإلزام المرسل إليه أو متلقي الشفرة ومفسرها بطريقة تفكير مرسل هذه الشفرة.[4] ويخلص إلى أن الأسلوبية البنيوية ترى أن أساس الظاهرة الأسلوبية ليس في اللّغة فحسب وإنما أيضًا في علاقاتها ووظائفها، وأنه لا يمكن تعريف الأسلوبية خارجًا عن الخطاب اللّغوي كرسالة أي كنص بوظائف بلاغية وأشهر ممثليها **جاكسبون وريفايتر**.[5]

واعتماد الأسلوبية البنيوية على الطابع الموضوعي المفرط في المحايثة، لم يسلم من الانتقاد المنهجي من بعض الدارسين الذين عابوا عليها الانغماس في الطابع اللّغوي الجاف متناسية الجانب

[1] – ينظر : الأسلوب بين التراث العربي والأسلوبية الحديثة، محمد بلوحي، ع 95

[2] – الأسلوبية وتحليل الخطاب، نور الدين السد، ج1، ص82

[3] – ينظر: البنيات الأسلوبية في مرثية بلقيس لنزار قباني، رشيد بديدة، رسالة ماجستير، باتنة، 2010، ص12

[4] – ينظر: الأسلوبية، يوسف أبو العدوس، ص141

[5] – ينظر: الأسلوبية، بيير جيرو، ص97

المضموني في العمل الأدبي. وهذا ما دفع إلى بروز اتجاه آخر في الأسلوبية يركز على المناحي الانطباعية ويحاول ملامسة الجوانب الإنسانية في الأعمال الأدبية. وقد عرف بالأسلوبية الأدبية ولقي رواجًا في الدراسات الألمانية التي تستند في كثير من أطروحاتها إلى الفلسفة المثالية.

4 – 4 الأسلوبية الإحصائية:

تعتمد الأسلوبية الإحصائية على الإحصاء الرياضي مطية للتحول إلى عوالم النصوص الأدبية دلالة منها على خصائص الخطاب الأدبي في أدواته البلاغية والجمالية إذ "**يهدف التشخيص الأسلوبي الإحصائي إلى تحقيق الوصف الإحصائي الأسلوبي للنص لبيان ما يميزه من خصائص أسلوبية عن باقي النصوص الأخرى.** [1]

ويفيد الإحصاء البحوث الأسلوبية في تحليلاتها للخطاب الأدبي حيث يمد التحليل الأسلوبي بالدقة والموضوعية في تشخيص الأساليب وتمييز الفروق بينهما، ويكاد ينفرد من بين المعايير بقابليته لأن يستخدم في قياس الخصائص الأسلوبية. [2]

وعلى الرغم من أهمية الإحصاء في التحليل الأسلوبي إلا أنه ثمة خطر في هذه الطريقة لتقديمها الكم على الكيف، وحشر عناصر شديدة التباين على صعيد واحد بناء على متشابه سطحي بينها.

5 – الأسلوبية وتعالقاتها :

5 –1 علاقة الأسلوبية باللّسانيات :

ارتبطت الأسلوبية باللّسانيات ارتباطا وثيقا على حد تعبير المسدي "**فمن حقائق المعرفة ترتبط باللّسانيات ارتباط الناشئ بعلة نشوئه فقد تفاعل مع مناهج النقد الأدبي الحديث حتى أخصبه فأرسى معه قواعد علم الأسلوب**". [3]

---

[1]– حول الأسلوبية الإحصائية، محمد عبد العزيز الوافي، مجلة علامات، ج42، مج11، ديسمبر2001، ص122.

[2]– ينظر: مقدمة في الأسلوبية، رابح بن خوية، ص83

[3]– الأسلوب والأسلوبية، عبد السلام المسدي، ص34

وتعد الأسلوبية من المناهج التي اعتمدت على الدراسات اللغوية في دراسة النصوص ويمكن القول أنّ علاقة الأسلوبية بعلم اللغة علاقة منشأ ومنبت[1]. وبذلك تتحدد الأسلوبية بكونها أحد فروع علم اللغة تهتم بعناصرها اللغوية وإمكانياتها التعبيرية، ولذا "**يكون لعلم الأسلوب الأقسام نفسها التي لعلم اللغة نفسها**"[2].

ومن هؤلاء من انطلق إلى صياغة مفهوم الأسلوبية انطلاقًا من اعتبارها فرعًا من فروع اللّسانيات على حدّ تعبير **رومان ياكوسبن**: " **إن الأسلوبية فن من أفنان شجرة اللّسانيات**"[3]. وقد ضم **ياكوبسن** الأسلوبية إلى اللسانيات وعدها فرعا من فروعها .

ولذا عدّت في أوّل الأمر سوى منهج من مناهج اللّغوية المستخدمة في دراسة النصوص الأدبية، ولا يزال هناك الكثير من الباحثين ينظرون إلى الأسلوبية باعتبارها منهجًا مستوحى من المناهج اللغوية كما لو كان مجرد وصف لغوي للنصوص الأدبية ولهذا السبب يعدها بعض هؤلاء الباحثين فرعًا من علوم اللغة العام.[4]

واعتماد الأسلوبية على الدراسات اللّغوية أساسًا في تحليل النّصوص، أثار عدّة تساؤلات حول حقيقة الأسلوبية هل هي علم أم منهج؟ وهذا أمر يصعب تحديده بشكل دقيق ، لأن النقاد العرب اختلفوا فيه، فمنهم من اعتبرها علمًا كعلم اللغة، أو كعلم الكلام باعتبارها منضوية تحت علم اللّسانيات ومنهم من عدها نوعا من فروع اللغة.[5]

بينما رفض بعضهم وصف الأسلوبية بالعلم لعدة أسباب أولها نابع من الدراسة الأسلوبية نفسها على حدّ قول **كمال أبو ديب**: " **لا أستطيع أن أوحد بين شيئين، الشيء الأول هو القول بعملية الأسلوبية، والثاني هو أن الأسلوبية محاولة لاستكشاف الفردية في كل كيان**

[1] – يوسف أبو العدوس، الأسلوبية، ص40

[2] – المرجع نفسه، ص 40.

[3] – الأسلوب والأسلوبية، المسدي، ص 40

[4] – ينظر: الأسلوبية الحديثة(معادلة تعريف)، محمود عياد، مجلة فصول، مج 1، ع 2، يناير 1981، ص124

[5] – ينظر: الأسلوبية، سعد مصطلح، ضمن مهرجان شوقي وحافظ، مجلة فصول، مج5، ع1، أكتوبر 1984، ص217

لغوي متشكل، كالخطاب الأدبي، ومن هنا لا يبدو لي سهلاً أن توحد بين اكتشاف الخصائص الفردية المكونة، التي لا يمكن في النّهاية أن تؤدي إلى مجموعة من القوانين التي تحكم العقل المعرفي الذي تتحدث عنه، ويبدو لي أن محاولة الجمع بين صنفين للأسلوبية أمر صعب، لأننا حين نتحدث عن العلم نتحدث عن مجال محدد لنشاط ما، يؤدي إلى اكتشاف القوانين التي تحكم المجال الذي يكون موضوعًا لهذا العلم. والعلم يكاد أن يكون في النهاية منهجية معينة تقود إلى استكشاف سلسلة من القوانين التي تحكم المادة موضوع العلم.[1] ويعترض **كمال أبو ديب** على وصف الأسلوبية بالعلم القائم بذاته . ولذا يرى إذ كانت الأسلوبية تتحرك في مجال اكتشاف الخصائص الفردية المكونة للنّص، فلا يبدو لي سهلاً بل هو مستحيل أن تتشكل من مجموعة الخصائص الفردية المكونة للنص، ومن النصوص منظومة من القوانين التي يمكن أن تسمح لي في النهاية بتشكيل مجال عمل يمكن تسميته علمًا.[2]

ومنهم من يرى أن الأسلوبية لم تنجح في إثبات أنها علم قائم بذاته مع قدرتها الواضحة في التعامل مع النّص الأدبي، وبذلك تفهم الأسلوبية على أنّها مجرد وسيلة للتعبير عن الظاهرة اللغوية فلم "**تنجح حتى الآن في أن تثبت أنّها علم قائم بذاته، ولا أن تؤسس منطلقات واضحة الهوية، ومستقلة الذات، ولكنها إلى جانب ذلك توصلت إلى إثبات أنها قادرة على التعامل مع النّص الأدبي من وجهات نظر مختلفة**".[3]

والحديث عن علمية الأسلوبية مصطلح لم يحسم عند الدارسين ، لسبب واضح وهو أن الأسلوبية نشأت مرتبطة بالدراسات اللغوية، ثم استفاد منها النقاد في دراسة النص وتحليله. وبناء على هذا فالأسلوبية تجمع بين المنهج العلمي، والمنهج النقدي في دراسة النص الأدبي أي أنها تجمع بين العلم والمنهج.

[1] – الأسلوبية، كمال أبو ديب، مجلة فصول، مج، ع1، أكتوبر، نوفمبر 1984، ص219

[2] – ينظر : المرجع نفسه ، ص 219

[3] – الأسلوبية، الهادي الطرابلسي، مجلة فصول، مج 6، ع 1، أكتوبر – نوفمبر 1984، ص 219

واستطاعت الأسلوبية التفوق على علم اللغة، لأنها اعتمدت على اللغة الأدبية المكتوبة بينما يركز علم اللغة على اللغة المنطوقة وآلية نطقها،وما لها من تأثير في الأداء الاجتماعي للغة ووظائفها الإعلامية متجاوزًا بذلك شيئًا في غاية الأهمية، وهو تلك اللغة التي تتميز عن الكلام المحكي بالدقة النحوية، والسلامة، وحسن التنظيم والبناء، وهذه أمور تتجلى بوضوح في الكلام المكتوب لا في الكلام الشفوي. [1]

ويخلص إلى أن الأسلوبية قد اعتمدت على علم اللغة في بعض الجوانب، وتفوقت عليه في جوانب أخرى فالأسلوبية علم متشعب يلتقط من كل زاوية ما يفيده ويفيد النّص، ويبتعد عن كلّ يجمد النّص ويجعله دون فائدة،فأصبحت الأسلوبية تملك أبوابًا عديدة لاختراق النص وتحليله. وبذلك فتحت مجالاً واسعًا أمام الدارسين تتناول قضايا عدة تتعلق بالنص الأدبي بحيث ترتبط هذه الظواهر المشتركة لتكون رؤية واضحة تعبر عن روح المبدع، ومع ذلك تبقى هناك بعض الآراء الخاطئة التي تنسب الأسلوبية إلى الدراسات اللغوية فقط. [2]

ونافذة القول أن استقلال الأسلوبية الذي ترسخ في ما بعد، لا يعني القطيعة التامة مع اللسانيات بل إنه يعنى بدرجة أولى اتصالاً منهجيًا واستقلالاً غائيًا، حيث لا يمكن للدارس الأسلوبي أن يتجاهل المناهج اللّسانية وصفية كانت أم تاريخية، كما لا يمكنه أن يغفل عمّا تقدمه البحوث اللّسانية في جانبها النظري والتطبيقي لأنه لابد أن تتقاطع مع جانب من جوانب دراسته النصية وبالمقابل يمكن أن تفيد اللّسانيات من البحوث الأسلوبية خاصة في جانبها التطبيقي. [3]

ومع ذلك فإن الالتقاء في الأدوات والتاريخ لا يعني أن يكون هناك التقاء في مجالات العمل بل لعلم اللغة حدوده ومعالمه، كما لعلم الأسلوب حدوده ومعالمه "فعلم اللّغة هو الذي يدرس ما يقال في حين أن الأسلوبية تدرس كيفية ما يقال مستخدمة الوصف والتحليل في آن واحدٍ". [4]

---

[1]- الأسلوبية ونظرية النص، إبراهيم خليل، المؤسسة العربية للنشر والدراسات، بيروت، ط1، 1997، ص378-379

[2]- ينظر : الأسلوبية الحديثة، محاولة تعريف، محمود عياد، ص124

[3]- ينظر : الأسلوبية، يوسف أبو العدوس، ص48

[4]- المرجع نفسه، ص40

ويخلص إلى أن الأسلوبية استطاعت أن تشق طريقها وسط المناهج النقدية المعاصرة في مقاربتها للنص الأدبي، ويعود الفضل إلى جهود العديد من الدارسين العاملين على استقرارها كعلم يدرس الخطاب الأدبي بموضوعية ومنهج علمي، بعدما حامت حولها العديد من الشكوك، فغدت اليوم الأسلوبية طريقة تستكشف الخطاب الأدبي من خلال حياده اللّغوي. ساعية بفضل أدواتها إلى استخراج ما يكتنزه هذا الجسد من قيم جمالية وفنية.[1]

5 –2 العلاقة بين الأسلوبية وعلم البلاغة:

مع تطور علم اللّغة في العصر الحديث ونشأة علم الأسلوب في الدراسات اللغوية، سعى الباحثون إلى الجمع بين البلاغة القديمة والأسلوبية الغربية. والسؤال ما العلاقة بين علم الأسلوبية والبلاغة؟.

لقد اهتم العرب منذ القديم بعلم البلاغة الذي يعد من أبرز وأشرف العلوم لأنها كانت من الأدوات المهمة لفهم القرآن الكريم وإدراك إعجازه، وهذا ما دفع إلى الاهتمام بها ودرسها، وحتى أصبحت فنًا مستقلاً ذات قواعد وأصول: " **فإن البلاغة التي ترى بين أيدينا الآن علم مستقل مميز عن العلوم الأخرى لم توجد دفعة واحدة ولم تكن ثمرة لجهد عالم معين من العلماء أو فترة من الزمان، ولكن هذا العلم كان ثمرة لجهود كثير من العلماء على مرّ العصور تعددت مناهجهم واختلفت ثقافتهم وشاركوا جميعًا في بناء هذا الصرح البلاغي الكبير**[2].

أما في العصر الحديث فقد اهتم مجموعة من الدارسين المعروفين بالبلاغيين الجدد بإعادة مفهوم البلاغة وميدانها ووظيفتها من خلال تحديدهم لمفاهيم الصور الأسلوبية. وهم في الغالب لم يتم صدفة بل إنّ الأسلوبية قد تكونت مع نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرون.[3]

---

[1]– ينظر : البنيات الأسلوبية في الشعر الخطابي عند أبي ماضي– قرفي السعيد– مذكرة ماجستير جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، 2009–2010 (المقدمة).

[2]– العلاقة بين الأسلوبية والبلاغة بين القديم والحديث، دراسة وصفية تطبيقية، آفرين زارع، مجلة الدراسات اللغوية والأدبية، ع 2، إيران، ديسمبر 2012، ص219.

[3]– إستراتجية الدرس الأسلوبي، محمد حجيج، دار هدى للطباعة، عين ميلة (د ط)، (د ت)، ص 22

وظهرت الأسلوبية على أنقاض البلاغة كعلم جديد نسبيًا حاولت تجنب المزالق التي وضعت فيها البلاغة القديمة من حيث إغراقها في الشكلية، ومن حيث اقتصارها على الدراسة الجزئية بتناول اللفظة المنفردة، ثم الصعود إلى الجملة الواحدة أو ما هو في حكم الجملة الواحدة، وهذه الدراسة البلاغية كانت يومًا ما أداة النقد في تقييم الأعمال الأدبية.[1] وفي الجهة الأخرى يرى **المسدي** أن علاقة الأسلوبية بالبلاغة هي علاقة تنافر وتباين حيث انه أتاحا للأسلوبية والألسنية أن تتواجدا، فإنّ الأسلوبية والبلاغة كمتصورين فكريين يمثلان شحنتين متنافرتين متصادمتين لا يستقيم لهما وجود في تفكير أصولي واحدٍ. ويرى **محمد عبد المطلب** أنّ "**المزالق التي وقعت فيها البلاغة أتاحت للأسلوبية أن تكون الوريث الشرعي لها** ".[2]

فمن المعلوم أن هناك صلة وثيقة بين الأسلوبية الحديثة والبلاغة القديمة وهذه الصلة سوغت لكثير من الباحثين أن يعقدوا أوجهًا للمقارنة بين البلاغة والأسلوبية. والذي ينظر في كلام علماء الأسلوب يجد أن حديثهم في هذا الباب يدور حول محاور رئيسية هي:

أ-أوجه الاختلاف:

1- علم البلاغة علم لغوي قديم أما الأسلوبية فعلم حديث.

2- البلاغة تدرس مسائلها بعيدًا عن الزمن والبنية أما الأسلوبية فإنّها تدرس مسائلها بطريقتين: **طريقة أفقية:** أي علاقة الظواهر بعضها ببعض في زمن واحد. **وطريقة رأسية:** أي تطور الظاهرة الواحدة على مرّ العصور.[3]

3- عندما تدرس البلاغة قيمة النص الفنية فإنها تحاول أن تكشف مدى نجاح النص المدروس في تحقيق القيمة المنشودة، وترمي إلى إيجاد الإبداع بوصاياها التقنية وأما الأسلوبية فإنها تعلل الظاهرة بعد وجودها ، ولا تحول تطبيق أحكام مسبقة على النص . أي أنها تحول إبراز خواص

[1] - ينظر: البلاغة والأسلوبية، محمد عبد المطلب، ص 252 – 253

[2] - المرجع نفسه، ص 259

[3] - الأسلوب والأسلوبية ، المسدي ، ص 48- 49

النص المميزة له.[1]

– البلاغة علم معياري يرسل الأحكام التقييمية، ويرمي إلى تعليم مادته، وموضوعه، بلاغة البيان بينما تنفي الأسلوبية عن نفسها كل معيارية وتعزف عن إرسال الأحكام التقييمية بالمدح أو التهجين ولا تسعى إلى غاية تعليمية. اعتمدت الأسلوبية على الفصل بين الشكل والمضمون في الخطاب الأدبي، في حين ترفض الأسلوبية مبدأ الفصل بين الدال والمدلول، حيث لا يوجد كليهما إلا متقاطعين ومكونين للدلالة. [2]

ب– **أوجه التوافق:** 1– كل من البلاغة والأسلوبية انبثقا من علم اللغة وارتبطا به .

2– مجال كل منهما واحد هو اللغة والأدب.[3]

أما على الصعيد المعرفي فإن كلا منهما يسعى إلى وعي الأسلوب الأدبي من خلال علائقه اللغوية ومن ذلك فإن الأسلوبية هي الوريث المعاصر للبلاغة القديمة .[4]

3– استفاد علم الأسلوب من مباحث البلاغة (المعاني والمجاز والبديع) ولذلك يرى النقاد أن الأسلوبية وريثة البلاغة وهي أصل لها.

4– تلتقي الأسلوبية مع البلاغة في نظرية النظم، حيث لا فصل بين الشكل والمضمون كما أن النص لا يتجزأ.

5– تقوم البلاغة على "**مراعاة مقتضى الحال**" والأسلوبية تعتمد على "**الموقف**" وواضح ما بين المصطلحين من تقارب.[5]

ويخلص إلى ما ذهب إليه **عبد المالك مرتاض:** "**فالأسلوبية بالرغم أنّها فرع من اللّسانيات لا يمكن لأي كان أن ينكر قيامها على أنقاض البلاغة بفروعها الثلاثة المعاني**

[1] – الأسلوب والأسلوبية ، المسدي ،ص 48-49

[2] – ينظر : المرجع نفسه، ص 48 – 49

[3] – البلاغة والأسلوبية –الاتفاق والاختلاف– عماد علي أحمد الخطيب، رسالة ماجستير السعودية (ملخص).

[4] – ينظر : المرجع نفسه.

[5] – الأسلوبية والأسلوب ، المسدي ، ص 48 – 49

والبيان والبديع." [1]

5 – 3 العلاقة بين الأسلوبية والنقد الأدبي:

تطرح مسألة العلاقة بين الأسلوبية والنقد الأدبي وجهات نظر مختلفة تضع المسالة في معرض جدل مستمر بين الاتفاق تارة والاختلاف تارة أخرى. لقد حاول معظم الدارسين التماس العلاقة بين الأسلوبية والنقد الأدبي، فانقسموا إلى فريقين: فريق يقر بوجود العلاقة وفريق ينفي هذه العلاقة. ويمكن أن نجمل العلاقة بين الأسلوبية والنقد الأدبي في رأيين هما:

الرأي الأول: إن الأسلوبية تعتمد اعتمادًا كبيرًا على اللّغة، مما يجعل لها مجالها ضيقًا بينما النقد يتخذ من الدراسة اللغوية دراسة ثانوية، مما يجعل العلاقة بين الأسلوبية والنقد علاقة سطحية وهذا الرأي يشير إلى أن "**الأسلوبية أضحت مغايرة للنقد الأدبي ولكنّها ليست هادفة له أو وريثة له، وعلة ذلك أنّ اهتمامها لا يتجاوز لعبة النّص، فوجهتها في المقام الأول، وجهة لغوية، أمّا النقد فاللّغة عنده هي أحد العناصر المكونّة للأثر الأدبي**".[2]

ويقود هذا الاتجاه إلى الذي اقتصرت مقارباته في دراسة النص الأدبي على جانبه اللّغوي، ومن هنا فإن الجانب اللّغوي هو مجال الباحث الأسلوبي أمّا ما يتصل بالأثر الجمالي ، أو تحليل عمل الشاعر أو الروائي، أو المسرحي وجدانيًا، وجماليًا وموقفًا أو سواه فكل ذلك يكون مهمة الناقد الأدبي بعد ذلك بصفة أكثر شمولية وذلك ما يطلع به النقد بشتى اتجاهاته. [3]

وتلتقي الدراسة الأسلوبية مع النقد الأدبي من حيث أن مجال دراسته هو الأدب (النّص الأدبي) لكن الأسلوبية تدرس الأثر الأدبي بمعزل عمّا يحيط به من ظروف سياسية أو تاريخية أو اجتماعية أو غيرها، فمجال عملها النّص فحسب، أمّا الدراسة النقدية فلا تغفل الأوضاع المحيطة به، بالإضافة إلى أنّ الأسلوبية بحكم ارتباط نشأتها بعلم اللغة تعنى أساسًا بدراسة الكيان اللّغوي

[1] – التحليل السيميائي في الخطاب الشعري، عبد المالك مرتاض، دار الكتاب العربي، الجزائر، (د ط)، 2001، ص11.

[2]– ينظر : الأسلوبية، سليمان فتح الله أحمد، ص37-38.

[3]– ينظر: البحث الأسلوبي، رجاء عيد، ص130

للأثر الأدبي، فعملها يبدأ من لغة النّص وينتهي إليها، بينما يرى النقد أن العمل الأدبي وحدة متكاملة وأنه ينبغي أن يدرس بكل عناصره الفنية، كما أن اللغة حينئذٍ ليست إلا أحد تلك العناصر. [1]

ويقول **أندرسون** في هذا الصدد: "**لا يجب أن نخلط بين الأسلوبيتين وتوجد مصادر وفيرة العدد عن مشكلات الاختلاف بين أسلوبية اللّغويين وأسلوبية النّقاد.**" [2]

الرأي الثاني: يعد النقد أحد الفروع الأساسية لعلم الأسلوب، وعمل المسدي على مناقشة هذه القضية بنوع من التفصيل، وأشار في البداية إلى:"**أن الأسلوبية من حيث هي للأسلوب، ثم من حيث هي متصور مقترن بمعطى الظاهرة الأدبية، تستوجب بالضرورة علاقة ما بالنقد الأدبي،سواء كانت علاقة إجراء أم علاقة إذعان وسواء كانت علاقة إثبات أم علاقة انتقاء. فالأسلوبية والنقد الأدبي مقولتان لا يخلو أمرهما أصوليًا من إحدى وقائع ثلاث: إمّا أن تتواجدا، وإمّا أن تتطابقا، وإمّا أن تنفي إحداهما الأخرى**"[3].

ويؤكد **عبد السلام المسدي** أنّ الأسلوبية هي جسر يصل النقد الأدبي باللسانيات، "**إن الأسلوبية منهج علمي في طرق الأسلوب الأدبي، فهي إذن نظرية شمولية فيه من حيث أنّها تحدده وتضبط السبل العلمية لتحليله اختياريًا ، كما أنّ الذي لا ينازعنا فيه أحد هو أن كلّ نظرية نقدية الأدبي، وهذا المعطى هو صورة لحتمية حضور الظاهرة اللسانية في الحدث الأدبي.** [4] ويؤكد **محمد الدغمومي** في تتبعه للعلاقة بين علم اللغة والنقد الأدبي " **مظهر اكتسبته علاقة النقد الأدبي بعلم اللغة كان مقرونًا بعلم الأسلوبية**"[5].

---

[1]- ينظر: الأسلوبية، سليمان فتح الله أحمد، ص36

[2]- مناهج النقد الأدبي ،انريك أندرسون أميرت، تر: الطاهر أحمد مكي، مكتبة الأدب، القاهرة 1991، ص186

[3]- الأسلوب والأسلوبية، عبد السلام المسدي، ص10

[4]- ينظر : المرجع نفسه، ص109- 110.

[5]- نقد النقد وتنظير النقد المعاصر، محمد الدغمومي، مطبعة النجاح الجديدة، ط1، الدار البيضاء، 1999، ص201

ويرى أيضًا "**أنها تحتل موقع النقد في الصورة بديل أو في صورة رديف**"[1]. ولذا فالنقد الأدبي في علاقته بالأسلوبية على حدّ تعبير **الدغمومي** أصبح موضوع نقاش فتارة يكون شاملاً للأسلوبية وتارة مانعًا من الدخول فيها، أو مانعًا من اقتحام مجاله، واتسعت أمامه اختيارات ارتسمت نتيجة لها أفق آخر للنقد والنص الأدبي يحتم على الناقد وعيه والعمل به. ويخلص **الدغمومي** إلى أن "**مفهوم النقد يتأثر بعلاقته بالأسلوبية، فهو تارة يتحدد معها خلافيًا، وتارة يكسب منها خاصيات تعريف وتارة ثالثة ينسب إليها، وتارة أخرى يحتويها، ومعنى ذلك فإن النقد من خلال هذه العلاقة لا يجد صيغة تعريف واحدة، وخاصة إذا ما أخذنا بعين الاعتبار وضع التفسير والحكم والذوق في صياغة هذا التعريف. ولعل الاختلاف الذي يحده علاقة النقد بالأسلوبية يقضي إلى القول بأن وضع تلك العناصر يضل غير واضح، ويتزاوج بين الغياب والإثبات وبين التبرير والإنكار**".[2]

ورغم ما عليه حالة العلاقة بين الأسلوبية والنقد الأدبي، فإنه يجب أن لا ننكر أن علم الأسلوب والنقد الأدبي يتعاونان ويتكاملان. وإذا كان علم الأسلوب قد اشتد عوده اليوم وأصبح أقرب إلى الموضوعية من شقيقه الأكبر "النقد الأدبي" فإنه يسيء إلى نفسه. إنّ النقد الأدبي في طريقه إلى أن يصبح بدوره علمًا، وهو قادر على أن يستعين بعلم الأسلوب دون أن يتنازل عن حقه في الوجود.[3]

وأقصى ما يمكن أن تصل إليه الأسلوبية في علاقتها بالنقد الأدبي وتعاونها هو "**أن تكون رافدا موضوعيًا يغذي النقد فيمده ببديل اختياري يحل محل الارتسام والانطباع حتى تسلم أسس البناء النقدي، فالأسلوبية إذن دعامة آنية حضورية في كل ممارسة نقدية**".[4]

---

[1]- نقد النقد وتنظير النقد المعاصر، محمد الدغمومي ، ص: 201

[2]- المرجع نفسه، ص206-207

[3]- ينظر : مدخل إلى علم الأسلوب، شكري محمد عياد، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، ط1، 1982، ص7.

[4]- الأسلوبية والأسلوب، عبد السلام المسدي، ص119

ويتضح مما سبق أن حد الأسلوبية لا يقف عند نقطة معينة. وهذا يعكس دون شك وقوعها تحت تعالقات فرضت عليها الخضوع لشروط معينة، والعمل بطريقة معينة أيضًا.

ونافذة القول أن الأسلوبية قد جاءت "**نتيجة الإحساس بضرورة تطوير الدراسات النقدية والبلاغية واللغوية التي سبقت النشأة الحقيقة لها**"[1].

ويخلص في الأخير أن الأسلوبية في جملة علاقاتها تتركز في ثلاثة نواح وهي:

- العلاقة مع اللغة (علاقة نشأة)
- العلاقة مع البلاغة (علاقة توأمة وأصالة)
- العلاقة مع النقد (علاقة أدوات عمل).

6 – الدراسة الأسلوبية العربية للقرآن الكريم بين القديم والحديث :

6 – 1 الملامح الأسلوبية في الدراسة العربية القديمة:

يصر كثير من الدارسين العرب على أن للأسلوبية الغربية جذورًا وأصولاً في الموروث العربي البلاغي والنحوي والأدبي والنقدي وفي كتب الإعجاز التي تناولت النص القرآني وإعجازه[2]. منذ القرن الثاني بدءً بمجاز القرآن **لأبي عبيدة** (ت210هـ) ومعاني القرآن (ت207هـ).

إذ تجد فيها حديثًا عن التشبيه والكناية والإشارة والتأكيد والمجاز والاستعارة والالتفات وموسيقى الألفاظ واثر ذلك النفوس، مما شكل الأساس الذي بنا عليه العلماء اللاحقون كثيرًا من قضايا الإعجاز، ويمكن القول أن الدراسة القرآنية كانت في القرن الثاني دراسة لغوية أي تتعلق بالألفاظ والمعاني وأثرهما في النّفس[3]. وأيضًا تزخر كتب اللغة والبيان والبلاغة والنقد فكان **المقفع** و**الجاحظ** و**المبرد** و**ابن المعتز** و**عبد القاهر وقدامة بن جعفر** و**الآمدي** و**القاضي الجرجاني**

---

[1]– الاتجاهات الأسلوبية في النقد العربي الحديث، إبراهيم عبد الجواد، وزارة الثقافة، عمان الأردن، (د ط)، (دت)، ص15

[2]– ينظر :الأسلوبية والبيان العربي، عبد العزيز شرف، الدار المصرية اللبنانية، مصر، ط 1، 1992، ص27

[3]– الدراسات الأدبية لأسلوب القرآن الكريم في العصر الحديث، محمد أحمد الأشقر، دار وائل للنشر والتوزيع، ط1، عمان الأردن، 2003، ص13

وابن **طباطبا العلوي** و**السكاكي** و**ابن خلدون** و**السبكي** و**التفتزاني** وغيرهم بالحديث عن ملامح أسلوبية."**فعلم الأسلوب ليس غريبًا عن البيئة العربية ولاسيما القرنين الثالث والرابع الهجريين**". [1]

ويقول باحث آخر في هذا الصدد "**نظرت في البلاغة العربية عند القدماء فوجدت أن قضايا كثيرة عرضوا إليها بأسماء مختلفة عن قواعد الأسلوبية الحديثة ونظرية السياق في العصر الحديث.**" [2]

والحق أن أوضح جهود القدامى يمكن عدّها أسلوبية تنسجم مع دراسة النص العربي يمكن تسميتها بالأسلوبية الإسلامية ولاسيما لدى علماء إعجاز القرآن فقد استعمل مصطلح الأسلوب في بحوثهم حول إعجاز القرآن ويدل لديهم على الطرق المختلفة في استعمال اللغة على وجه يقصد به التأثير لدى **الخطابي** و**الباقلاني** و**ابن قتيبة** و**عبد القاهر الجرجاني** وغيرهم.[3] ولقد عنى القدماء بالأسلوب ما يخرج عن اللغة المألوفة، وما سموه بطرائق العرب ومجازاتهم وأساليبهم في الكلام.

لقد أسهمت ثقافة **أبي عبيدة** في تشكيل رؤيته النقدية، وهي رؤية تعتمد على الكشف عن خصوصية النّص الجمالية والفنية، وهي التي وجهت طريقة تحليل هذا التركيب المقدس، بالإضافة إلى استغلاق هذا النص على إفهام الكثير من الناس ولاسيما الأعاجم منهم، وظهور قضية اللحن في نطق القرآن الكريم. لقد حارب هؤلاء العلماء هذه الظاهرة فـ"**كانوا وهم يلحظون هذا التطور في اللّغة لا يهمهم أن يسجلوه ويقارنوا بينه وبيان أصله، بقدر ما كان يعنيهم أن يقفوا في وجهه، ويعيبونه ويحاولون إرجاع الناس إلى القديم**"[4]. وألفوا كتبًا في ذلك ككتاب الفصيح

[1] – ينظر : اللغة والأسلوب، (دراسة)، عدنان بن ذريل، دار مجدلاوي، ط2، 2006 ص15

[2] – البلاغة في ضوء الأسلوبية ونظرية السياق، أبو علي محمد بركات حمدي، دار وائل، عمان، (د ط)، 2003 . ص07.

[3] – ينظر : لحن العامة والتطور اللغوي، رمضان عبد التواب، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1967، ص32

[4] – المرجع نفسه ، ص 32 .

لثعلب[1] الذي يدرس الخطأ في الأصوات والأبنية والإعراب متناسين أن اللّحن في جوهره. ما هو إلا شكل من أشكال التطور الدلالي في عصر من العصور،ومن هنا نجد أن هؤلاء الدارسين وبخاصة المفسرين قد تجاوزوا التعامل العاطفي مع النص إلى التعامل الفعلي الذي يقوم على معالجة النص من زاوية التركيب والوقوف عند المستويات الدلالية للألفاظ في سياقها الجديد، وعلاقة كل ذلك بالكلام العربي، كما خاضوا في مباحث بلاغية وأسلوبية، وإذ كانت الدراسات الأسلوبية المعاصرة لا تفصل بين اللغة والبلاغة وتدخل في صميم عملها جنبًا إلى جنبٍ دراسة: موقع اللّفظ، التكرار، الوسائل الإيقاعية والموسيقية، والاستعارة والرمز والصورة. [2]

وربط **أبو عبيدة** النحو بالأساليب والتراكيب والنحو بالمعنى الذي عناه المتقدمون هو الذي عنى مثله **أبو عبيدة معمر بن المثنى** بالمجاز عندما سمى كتابه "**المجاز في القرآن**". وهو طريق العرب في التعبير عن مقاصدهم وأغراضهم وبيّان ما قد طرأ على الجملة العربية من تقديم وتأخير أو حذف أو نحو ذلك. وهو يسعى إلى التأكيد على صواب العبارة القرآنية انطلاقا من هذا الأساس، ليكشف عن الدلالة الدقيقة لصيغ القرآن الكريم.[3]

من ذلك أنه وقف عند الآية الكريمة:﴿ **كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ (29) فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ** ﴾[4].ليقول: " نصبها جميعًا على إعمال الفعل فيهما أي هدى فريقًا ثم أشرك الآخر في نصب الأول، وإن لم يدخل في معناه، والعرب تدخل الآخر المشترك بنصب ما قبله على الجوار، وإن لم يكن في معناه، وفي آية أخرى:﴿ **يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا**﴾ . [5]

ويرى أبو عبيدة أن القرآن أخرج فعل الضلالة مذكرًا والعرب تفعل ذلك إذا فرقوا بين المؤنثة

[1] – الفصيح، ثعلب أبو العباس، صبحي التميمي، دار الشهاب، الجزائر (د. ط)، 1985، ص 100

[2] – ينظر : الاتجاه العقلي في التفسير، نصر حامد أبو زيد، دار التنوير، بيروت، ط1، ص100.

[3] – ينظر : تاريخ علوم البلاغة العربية ، أحمد مصطفى المراغي ، مصطفى البلبي الحلبي ، ط1، 1950، ص 49

[4] – الأعراف: 29-30

[5] – الإنسان :31

لقولهم مضى من الشهر ليلة.[1]

ويسعى **أبو عبيدة** إلى إخراج النّص مخرجًا لا يتعارض مع المنطق القرآني، وهو يوظف لذلك طريقة العرب في التعبير، وهو حريص على تبيان معاني الآيات، ولذا يعد الدارسين مجاز القرآن قراءة متميزة للنص القرآني، وفق القراءة الجديدة التي تتماشى والطرق التعبيرية لهذا النص، لم يعن أب عبيدة بالمجاز ما هو قسيم الحقيق، وإنما عنى بمجاز الآية ما يعبر به عن الآية. ولخدمة هذا الهدف حرص على التنويع في وقفاته عند نماذج من النص القرآني من استعارة وتشبيه وكناية وتقديم وتأخير وحذف وتكرار وإضمار للوصول إلى الخصائص الأسلوبية للقرآن الكريم. ولابد أن من الإشارة إلى أن أبو عبيدة اهتم بتجديد أهم الانحرافات المميزة للنص المقدس، وقد كان في تتبعه دقيقًا للكشف عن أسلوبية الانزياح في هذا النص، والتي تقيم على أساس المعيار النحوي (الذي هو على المهم اللغة المعيار Standard أو اليومية)، نحوا ثانويًا مكونًا من صورة الانزياح. ويمكن أن تكون هذه الصورة من طبعين: فهي خرق للمعيار النّحوي، من جهة، وتقييد لهذا المعيار بالاستعانة بقواعد إضافية من جهة ثانية[2].

ولعلّ "**مجاز القرآن**" جاء ليجسد هذه الخاصية الأسلوبية المهمة وليقف عند مستويات هذه السمة في نماذج متعددة، ولعل هذا الموقف هو الذي فتح أفاق هذه المعالجة ونبه الدارسين الذين تلقفوها وخاصة البلاغيين فلقد "**أدرك البلاغيون ما في هذه المغايرات من انحراف عن القواعد المثالية عند النحاة قصدًا لغايات أسلوبية، ونبهوا إلى انتشارها وكثرتها.**[3]

واهتم أبو عبيدة بمظاهر انحراف أخرى تتعلق بعلاقة الدال بالمدلول في الاستخدام الأدبي والفني متمثلة في ظواهر المجاز والاستعارة والتشبيه، وهي من ظواهر الانحراف بالدلالة الحقيقية إلى دلالات أخرى مجازية،[4] ويمثل هذا الجانب قمة العدول، وتمكن اللغة وطواعية الاستعمال، كما يعد

[1] – ينظر : مجاز القرآن، أبو عبيدة:، تحقيق: د.محمد فؤاد سزكين، مؤسسة الرسالة، ط(2)، بيروت، 1981م، ص300

[2] – البلاغة والأسلوبية، هنريش بليث، ترجمة العمري، منشورات مجلة الدار البيضاء، ط1، 1989، ص36.

[3] – ينظر: اللغة والإبداع ، محمد العيد، دار الفكر، القاهرة، ط 1، 1989، ص 16

[4] – المرجع نفسه، ص 14.

معيارًا للتمييز بين الوضع والاستعمال، أو بين اللغة اليومية، واللغة الإبداعية العالية، والواقع أنه كان للغويين إشارات مبكرة تعد بذورًا للبحث في هذه المسألة، ومن هؤلاء **أبو عبيدة وابن فارس اللذان** بحثا مسألة المجاز من باب الإسناد والتقدير، وباعتبار المجاز كما يفهم من كلام **أبي عبيدة** أسلوبًا استخداميا مختلفًا عن المألوف من كلامهم.[1]

لقد أشار الناقد **أبو عبيدة** في مواضع عديدة في كتابه إلى هذا الاستخدام، فقال عن الآية الكريمة:﴿ **وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا** ﴾.[2] "مجاز القرآن هاهنا مجاز المطر، يقال مازلنا في سماء، أي في مطر، وما زلنا نطأ السّماء، أي اثر المطر، وأنى أخذتكم هذه السّماء؟ مجاز، "**أرسلنا أنزلنا وأمطرنا**"، وبذلك كشف لنا عن عدول في الاستعمال من خلال نقل المعنى وتوسيعه ليشمل المعنى الذي أرادته الآية الكريمة.[3]

ولقد تخير **أبو عبيدة** هذه المستويات لأنها تمثل أعلى مستويات البناء اللغوي، وفي الوقف عليها كشف للقدرات التعبيرية لهذا البناء، ثم إنّ دراسة اللغة المجازية "**هي أعلى مرتبة لاستخراج قدرات البناء اللغوي من تغيير المعنى ونقله، أو تحريكه في اتجاهات يتسع في بعض منها ويضيق في بعض آخر**"[4] ويعكس هذا التغيير العلاقة الحميمة بين الفكر واللغة التي تتسع وتتطور وتنحرف لتشمل مساحات الفكر، وقد تعطي لذلك عدّة تفسيرات قد تكون نفسية أو أسلوبية فنية جمالية.

والاستعمال المجازي هو شكل من أشكال التطور الدلالي للغة، والذي يأتي عن طريق توسيع المعنى أو تضييقه أو نقله[5]، "ولا شك أن تضييق المعنى أو توسعه يعد ضربًا من المجاز"،[6] وقد أرجع

---

[1] -ينظر: اللغة والإبداع، محمد العيد، ص 15

[2] - الأنعام : 06

[3] - مجاز القرآن، أبو عبيدة بن المثنى، ص 186

[4] - علم الدلالة العربي، فايز الدالة، دار الفكر، دمشق، ط1، (د. ت)، ص378.

[5] - ينظر:اللغة، فندريس، تر محمد القصاص عبد الحميد الدواخلي، مكتبة الأنجلو مصرية، 1950، ص256-258.

[6] - ينظر:علم الدلالة، أحمد مختار عمر، معالم الكتب، القاهرة، ط11، 1988، 126.

أرجع العرب القدماء أساليب العدول عن الحقيقة إلى الاتساع والتوكيد والتشبيه وأمكن لهم هذا الحصر، لأنهم تعاملوا مع نصوص محدودة مقيدة بزمان ومكان معينين، وكذا فعل **أبو عبيدة**، إذ تعامل مع النص القرآني ضمن غطاء زماني ومكاني لم يتعده، كاشفًا عن الجواب الخفية لهذا النّص. كقوله تعالى:﴿ **مِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ**﴾.[1] فقال فيه:" **فهذا من التشبيه، لأن المشي لا يكون على البطن إنما يكون له قوائم، فإذا خلطوا ماله قوائم بما لا قوائم له جاز ذلك، كما يقولون: أكلت خبزًا ولبنًا، ولا يقال: أكلت لبنًا، ولكن يقال أكلت الخبز...**"[2]

فالمجازات التي درسها **أبو عبيد**، وأشار إليها في المقدمة تبلغ تسعًا وثلاثين حالة تتنوع على علوم البلاغة، المعاني والبيّان والبديع وعلم النّحو[3]. إنّ هذا الناقد وهو يبحث في هذه التبديلات كان يؤسس لنمط إجرائي، ويقنن لتناول النص القرآني بالدراسة والتحليل، لقد كان يتجه نحو التعقيد ووضع الأسس، مع هذا كله لقي كتابه" **معارضات شديدة**" لأنه وضع تصورات المجاز في القرآن الكريم واتسم بالجرأة على التأويل فاعتبره العلماء من قبيل التفسير بالرأي.[4]

ويخلص إلى أن **لأبي عبيدة** رؤية واضحة في معالجة النص القرآني وقراءته وتحليله من مستوى فني جمالي يعتمد على التأويل، وقدرة كبيرة على التخريج، ولعل هذا هو الذي أزعج بعض العلماء ؛لأنه قد تجاوز حسب زعمهم حدودًا لا يمكن تجاوزها. فأظهره هؤلاء في صورة شخصية غريبة في أصلها ومعتقدها وثقافتها وعطائها العلمي، مدخول الدين، مدخول النّسب،[5] بل أكثر من ذلك فقد نسب إليه التعصيب الشعوبي، واللحن المتعمد في اللغة ، وأكثر من ذلك فقد نسب

[1]- النور:35.

[2]- مجاز القرآن، ابو عبيدة المثنى، ج2، ص68

[3]- مجاز القرآن علوم البلاغة، حسن عباس نصر الله، مجلة الفكر العربي، عدد خاص، "بالبلاغة العربية والبلاغيين"، العدد46، يونيو1987، ص141

[4]- المرجع نفسه، ص139

[5]- الفهرست، ابن النديم، مكتبة خياط، بيروت، (د ط)، (د ت)، ص79-80

إليه كسر أوزان الشعر، وكذا الخطأ في قراءة القرآن نظرًا.[1]

يشكل ما قدّمه **أبو عبيدة** نظرة تطورية تكشف عن المدّ الدلالي للنص القرآني، ويكشف في الوقت نفسه عن مستوى من التحليل يتعامل مع النص تعاملاً واقعيًا يبتعد فيه التعامل العاطفي ولذا كانت دراسته فتحًا جديدًا في مجال الدراسة العربية للنص، لأنها قدمت تصورًا عامًا للخصائص التعبيرية لدلالة اللفظ في مجالات الاستعمال المتعددة، والتي يمثل القرآن الكريم أرقى هذه المستويات.

وثمة ناقد آخر هو **الخطابي** (ت377هـ) الذي تحدث في إعجاز بيان القرآن وأورد مصطلح الأسلوب في سياق حديثه عن الشعر، وقد ربط هذا الحديث بين الأسلوب والعرض الشعري، إذ يقول في حديثه عن الموازنة بين الشاعرين: وهو أن يجري أحد الشاعرين في أسلوب من أساليب الكلام وواد من أوديته، فيكون أحدهما أبلغ من وصف ما كان من باله من الآخر في نعت ما هو بإزائه، وذلك مثل أن يتأمل شعر أبي **داؤد الإيادي** و**النابغة الجعدي** في صفة الخيل وشعر **الأعشى والأخطل** في نعت الخمر[2]. فطبيعة استخدامه للمصطلح تشير إلى أنه كان يقصد به المنهج والطريقة في الكلام، وإن لم يوضح مقصوده من المصطلح بشكل دقيق.[3] لقد تنبه **الخطابي** لوجه آخر في الإعجاز القرآني وهو التأثير النفسي الذي يتأتى عند سماع آيات من القرآن الكريم. ومن ذلك فإن إعجاز القرآن يمكن في روعة لفظ وحسن معناه ودقة نظمه وتأثيره في النفوس وسريانه إلى القلوب، وهي كلها ملامح أدبية في رسالة **الخطابي**. [4]

أما **الرّماني**(ت386هـ)فقد حدد موقفه من قضية الإعجاز في كتابه النكت في إعجاز القرآن

[1]- الفهرست، ابن النديم، ص79

[2]- بيان اعجاز القرآن، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، الخطابي، تح: محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، (د. ت)، ص60

[3]- التفكير الأسلوبي، رؤية معاصرة في التراث النقدي والبلاغي، في ضوء علم الأسلوب الحديث، سامي محمد عبابنة، علم الكتب الحديث، ط1، 2007، ص39.

[4] - الدراسات الأدبية لأسلوب القرآن، في العصر الحديث، محمد أحمد أشقر، ص18.

فيرى أن **وجوه إعجاز القرآن تظهر من سبع جهات: ترك المعارضة مع توفر الدواعي وشدة الحاجة والتحدي للكافة والصرفة البلاغة والأخبار الصادقة عن الأمور المستقبلة، ونقض العادة وقياسه بكل معجزة وعلى الرغم من ترتيبه لوجوه الإعجاز بالصورة الآنفة. على أنه يبدو أبعد ذلك بالكلام عن الجانب البلاغي، ولعله يريد بذلك أن يؤكد الناحية البلاغية في تقرير إعجاز القرآن.**"[1] حاول **الرماني** التأكيد على الناحية البلاغية في إعجاز القرآن الكريم .

أمّا **ابن قتيبة** فقد تناول العدد من الظواهر الأسلوبية وهي دلالة قاطعة على وجود الأسلوبية في الدراسات العربية القديمة، إذ انطلق **ابن قتيبة** من رصد بعض الظواهر الأسلوبية عند العرب عامة، وفي القرآن خاصة ليؤسس بها فرادة الكلام المدرس ضمت الظاهرة اللغوية. وهو إذ يفعل هذا، فإنما يريد لأن يبين أن للكلام سمات بها يتميز عن غيره، وأنه من غيرها يفقد خصوصيته التي بها صار مميزًا، ولتعزيز مذهبه في رصد فرادة الكلام، فإنه يركن إلى الترجمة ليتخذ منها دليلا. فهو يتكلم عن صعوبتها أولاً، ثم يؤكد استحالتها في نقل القرآن الكريم إلى اللغة أخرى، كما تمّ ذلك بالنسبة إلى الإنجيل والتوراة والزابور، ونحن نعلم أن الترجمة بالإضافة إلى كونها عملاً لغويًا، فإنها أيضًا رؤية للعالم يتموضع فيها خطاب جديد استقل من خطاب سابق، وليس عبثًا أن قيل: (الترجمة خيانة).[2]

ويستهل **ابن قتيبة** كلامه بإشارات عامة فيقول:" **وللعرب المجازات في الكلام، ومعناها طرق الكلام ومآخذه.ففيها الاستعارة،والتمثيل،والقلب،والتقديم، والتأخير، والحذف والتكرار، والإخفاء والإظهار، والتعريض، والإفصاح، والكتابة، والإيضاح، ومخاطبة الواحد ومخاطبة الجميع، والجمع خطاب الواحد، والواحد والجمع خطاب الاثنين، بلفظ الخصوص لمعنى العموم، وبلفظ العموم لمعنى الخصوص**"[3].

[1]- الدراسات الأدبية لأسلوب القرآن، في العصر الحديث، محمد أحمد أشقر، ص 15 – 16.

[2]- ينظر: مقالات في الأسلوبية ، منذر عياشي، منشورات إتحاد الكتاب العرب، (د ط)، 1990، ص: 192

[3]- تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة، ص80

ولذا لا يقدر احد من التراجم أن ينقل إلى شيء من الأسنة كما نقل الإنجيل عن السريانية إلى الحبشية والرومية، وترجمت التوراة والزابور وسائر كتب الله بالعربية.[1]

ويقدم **ابن قتيبة** أمثلة تدل على مذهبه وحجته ومن هذه الأمثلة قوله: ألا ترى أنك لو أردت أن تنقل قوله تعالى:﴿ **الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ** ﴾[2].

لن تستطيع أن تأتي بهذه الألفاظ مؤدية عن المعنى الذي أودعته حتى تبسط مجموعها وتصل مقطوعها، وتظهر مستورها، فتقول:" **إن كان بينك وبين قوم هدنة وعهد، فخفت منهم خيانة ونقضًا، فأعلمهم أنك نقضت ما شرطت لهم، وآذنهم بالحرب؛ لتكون أنت وهم في العلم بالنقض على استواء؟!**[3]

وأيضًا من الأمثلة التي ساقها قوله تعالى:﴿ **فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا**﴾[4].

إنه يقول: " **إن أردت أن تنقله بلفظه لم يفهم المنقول إليه، فإن قلت: أنمناهم سنين عددًا لكنت مترجمًا للمعنى دون اللفظ.**" ولعل السرّ في قوله: "**فضربنا على آذانهم**". **وعدم قوله فضربنا على أبصارهم؛ لأن الأذن لا تنام بخلاف العين.**[5]

ويعقب **منذر عياشي** على الأمثلة التي أوردها **ابن قتيبة** بقوله: " **إن مثل هذه الملاحظات وأخرى وغيرها، كانت بمثابة الخطوة الأولى للدرس العلمي الذي يبدأ بملاحظة الظواهر فيعدّدها ويبوبها، ثم يقوم بعد ذلك بوصفها، يدلي في مرحلة ثالثة ببعض الفرضيات، ثم**

[1]- ينظر: تأويل مشكل القرآن ، ابن قتيبة، ص: 81

[2]- الأنفال: 56

[3]- تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة، ص81

[4]- الكهف: 11

[5] - تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة، ص81

يقوم أخيرًا بشرح الظواهر وإعطائها ما يناسبها من الحلول، معتمدًا على ما قدمه من فرضيات."[1] والنظم القرآني لا يقتصر على مجال الحقيقة وإنّما يشمل الحقيقة والمجاز، إذ القرآن الكريم هو الحجة البالغة، والمعجزة الخالدة للأسلوب العربي في فصاحته وبلاغته، وقد زخر بالحقائق اللفظية، وعبّر بها في كثير من الآيات، واشتمال القرآن على الحقيقة لم ينكرها أو يختلف فيها أحد من العلماء الذين تناولوا القرآن بالدراسة من نواحيه كافة؛ وإنما اختلفوا في المجاز ووقوعه في القرآن.

ولو كان التعبير بالحقيقة أقل بلاغة من التعبير بالمجاز لخلا القرآن كلمة من الحقيقة، وفضل التعبير بالمجاز في جميع المواقف والأحوال في تشريعه وتعليمه، كما في ترهيبه وترغيبه، ولسار على خط واحد من التخييل والتأويل لكي يترك أثره الذي لا يتركه التعبير المجد الدقيق، ولكن ذلك فاد عن الصواب فآيات القرآن العديدة أمام الأبصار، واستخراج الآيات التي عبّر فيها بالحقيقة ولم يتجاوز فيها ولم يحصرها حدّ، وتفتقر إلى جهد كبير فوق الطاقة والاحتمال. ونصل من ذلك إلى أن الحقيقة لا تقل في قيمتها البلاغية عن المجاز.[2]

وتوصل العلماء إلى تفرد القرآن بأسلوبه الخاص، "**وإذا كان القرآن الكريم هو كلام الله الذي ليس كمثله شيء تبيّن أن أسلوب القرآن ليس كمثله شيء من بين جميع أنواع الأساليب المعروفة.**"[3]

أمّا **الباقلاني** فقد أكد في كتابه" **إعجاز القرآن**" أن الأسلوب القرآني مغاير لكافة الأساليب على الرغم من استعماله لألفاظ البشر وحروفهم وتراكيبهم وبلاغتهم من مجاز واستعارة وتشبيه، ومن إيجاز ومساواة ومن تصريف وتصريح، وتوشيح، ومن تفنن وابتداع، و**الباقلاني** في كتابه (إعجاز القرآن) "حريص على نفي التشبيه عن الله سبحانه وتعالى بنفي التشبيه عن كلامه والإصرار على تفرّد قرآنه بأسلوب ليس من كلام الناس، وبجنس ليس من جنس كلام العرب، وقد

[1]- مقالات في الأسلوبية، منذر عياشي، ص 193

[2]- مع القرآن في بلاغته وإعجازه، عبد القادر حسين، مطبعة الأمانة، القاهرة، ط 1975، ص161-162

[3]- لغة القرآن الكريم، عبد الجليل عبد الرحيم، مكتبة الرسالة الحديثة، عمان، الأردن، ط1، 1981، ص 50

اهتدى في تعليل هذا الرأي إلى القول بالأسلوب، واستخدم هذا اللفظ عانيا به الطريقة التي ينظم فيها الكلام نظمًا يجعله على نمط واحدٍ، ومن جنس واحدٍ كيفما تصرف في الموضوعات واختلف من موقع إلى آخر[1].

واهتم **الباقلاني** بإيضاح فكرة الأسلوب من خلال الشعر والنشر، ثم انطلق إلى أسلوب القرآن الذي يعد دليلاً قاطعًا على إعجازه، فالأسلوب تختلف من شاعر إلى شاعر، ومن كاتب إلى كاتب، وهذا معناه أن "**الأسلوب الشخصي للكتاب أو الشاعر يعكس صفاته الذاتية مثلما تعكس الخطوط مهاراته التي لا يشاكله فيها أحد**".[2]

ولذا تتباين الأساليب بين الشعراء على حد قول **الباقلاني**: "**فإنه لا تخفى على أحد أن تميز سبك أبي نواس، ولا نسج ابن الرومي من نسج البحتري... وكذلك تميّز بين شعر الأشعري في التصرف، وبين شعر امرئ القيس... وكلّ له منهج معروف، وطريق مألوف.**[3]

و يحمل القول السابق **للباقلاني** في طياته ملامح الأسلوبية، ومما لاشك فيه أن ما قاله **الباقلاني** في القرن الرابع من وصف لطريقة الشاعر والناثر مقارب لما يقال في وصف الأسلوب.

وإكثار **الباقلاني** من الحديث عن الأسلوب الشخصي له مزية، وهو أن يصل أن لكل إنسان أسلوب يميزه عن غيره، وأن أسلوبه يختلف ويتغير وفقًا للموضوع الذي يتناوله، فإذا صح هذا كله من خلال الأمثلة والشواهد فإن إعجاز القرآن يتحلى في خروجه على هذه المواصفات التي تميز أساليب البشر، فالقرآن منفرد بأسلوبه، وهو أسلوب يشهد بأنه كلام ليس من جنس كلام العرب، وإن كان يستخدم ألفاظهم وحروفهم التي يستخدمونها في شعرهم، ونثرهم وخطبهم وكلامهم العادي.

وهذا الاختلاف ينشأ من كون صاحب الكلام هو الذي قال عز وجل:﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ**

---

[1] – الأسلوبية ونظرية النص، إبراهيم خليل، المؤسسة العربية، ط1، 1997، ص22 – 23

[2] – الدراسات الأدبية لأسلوب القرآن، في العصر الحديث، محمد أحمد أشقر، ص 24

[3] – إعجاز القرآن، الباقلاني، ص 112

شَيْءٌ ﴾.[1] ولذا يورد قائلاً : "**وأسلوبه مباين لسائر كلامهم ثم بما يتضمن من تجاوزه في البلاغة الحد الذي يقدر عليه البشر**".[2]

ويقر **الباقلاني** حقيقة لا يمكن إنكارها وهي: "**مباينة أسلوب نظم القرآن جميع الأساليب، ومزيته عليها في النظم والترتيب، وتقدمه عليها في كل حكمة وبراعة**".[3]

ويخلص إلى أن الأسلوب الذي عناه **الباقلاني** من خلال استشهاده بكثير من النصوص كمعلقة **امرئ القيس،** وقصيدة **البحتري،** تناولها تناولاً قائمًا على دراسة الجانب اللفظي والتركيبي، وما يعرض للكلام من فنون التركيب والاتساق والتناسب. وهذا تقريبًا ما يجري التركيز عليه الآن في معظم الدراسات الأسلوبية.[4]

وهي دراسات تعتمد على معرفة الأسلوب الشخصي، الأسلوب العصري والملائمة بين الألفاظ والتناسب والوحدة في النص، ويحرص **الباقلاني** على درس المظهر اللفظي وذلك بالتركيز على اختيار اللفظ وإحلاله الموقع المناسب في السياق، على حدّ قول **الباقلاني**: "**إن إحدى اللفظتين قد تنقل في موضع، وتزل عن مكان لا تزل عنه اللفظة الأخرى، بل تتمكن فيه وتضرب بجرانها، وتراها في مظانّها، وتجدها فيه غير منازعة إلى أوطانها، وتجد الأخرى لو وضعت موضعها، في محل نفار، ومرمى شراد، ونابية عن استقرار**[5].

إن التعبيرات التي استخدمها **الباقلاني** منذ القرن الرابع هي نفسها يكررها الأسلوبيين من أن دارس الأسلوب يحتاج إلى مقاييس غاية في الضبط والإتقان، فالبيان مرهون بأن يأتي كلّ شيء على قياس دقيق دون زيادة أو نقصان، وعذوبة الشعر تذهب بزيادة حرف أو نقصان حرف

[1] – الشورى : 11.

[2] – إعجاز القرآن، الباقلاني، ص 300

[3] – المصدر نفسه، ص 216

[4] – الأسلوبية ونظرية النص، إبراهيم خليل، ص 27

[5] – اعجاز القرآن، الباقلاني، ص22

فيصير إلى الكزازة، وتعود ملاحته بذلك ملوحة، وفصاحته عيًا وبراعته تكلفًا، وسلاسته تعسفًا وملاسته تلويًا وتعقدًا[1].

ولذا فالأسلوبية في القرآن الكريم تنفرد بمزايا لا تكاد نجدها في أدب من الآداب، ويشير **الباقلاني** في غير موقع إلى ما يميز القرآن عن غيره من الكلام من أنه: لو أفرد جزء منه أو عشر أو آية أو كلمة لاحتفظ هذا المتفرد بمزاياه الأسلوبية، ولو أعيد إلى ما يسبقه أو يلحقه من أجزاء لكان على ما هو من غاية الحسن وعظم الإعجاز، فهو وصف يطلق على القرآن كاملاً ومجزءا وكان التحدي للمشركين أن يأتوا بسورة ثم آية منه.

ونختم حديثنا أن أراء **الباقلاني** أدلة قاطعة على وجود الأسلوبية في التراث العربي. والواقع أن فكرة التفرد الأسلوبي، والربط بين أسلوب الكلام، والسمات الشخصية والذاتية للمتكلم من الأمور التي جاءت وليدة الفكر الكلامي لدى **الباقلاني**.[2]

ويقودنا التاريخ إلى **عبد القاهر الجرجاني**(ت474هـ) الذي يعد نموذجًا آخر تثبت أطروحاته وجود جذور للأسلوبية في التراث العربي، إذ "**يتطابق الكثير من أراء عبد القاهر الجرجاني وأنظاره في وجوه النظم والأسلوب علاقة ذلك باللغة، والنّحو والبلاغة مع أراء البنيويين المعاصرين، والأسلوبيين المجددين في النقد الأدبي والبلاغي. ولو لم يكن لعبد القاهر من مأثرة غير اهتدائه لمرتكزات نظرية الأسلوب الأساسية– قبل تسعة قرون– لكفاه ذلك فخرًا، فكيف إذا أدركنا أنه وضع علم البيان، والنظم في الموضع الصحيح بعد أن كان السابقون قد وضعوه في المسار الخاطئ**"[3].

وقضية إدراك الصلة بين الاجتماعي والفردي في اللغة والتي تناولها **الجرجاني** أصبحت دربًا سار فيه الأسلوبيين فيما بعد، و"**حديث عبد القاهر عن أثر قواعد النّحو في تشخيص**

[1]– اعجاز القرآن، الباقلاني ، ص22

[2]– ينظر : الأسلوبية ونظرية النص، إبراهيم خليل، ص29

[3]– المرجع نفسه، ص49

المعنى، والخروج بالألفاظ عن مجرد الأصوات إلى أن تكون ألفاظًا متحدة بالمعاني، ردّده أيضًا علماء اللغة المعاصرون، والأسلوبيين الذين يتوكئون على هذا العلم الجديد، فقد ذكر جيرو(Guirouol) في كتابه (مقالات عن الأسلوبية) أن علم النحو يخترق النص مضيفًا بعدًا ثالثًا إلى بعدي المعنى واللفظ، وهو العمق، مستقطبًا عناية الأسلوبية على نحو ما."[1]

ويتفق أكثر في بحثه مع أهداف الأسلوبية على أن الأسلوب " **يتحدد في النص بالعالم الأصغر للأدب ويعني به النص، وهذا العالم الأصغر يحدّده جهاز الروابط القائمة بين العناصر اللغوية المتفاعلة مع قوانين انتظامها**"[2].

وتتوحد أفكار **الجرجاني** مع أراء الشكلانيين وأراء الأسلوبيين المعاصرين الذين يدعون إلى "**قصر التفكير الأسلوبي نفسه على النص الأدبي في حدّ ذاته بعزل كلّ ما يتجاوزه من مقاييس تاريخية أو نفسية**".[3]

والمتصفح لمؤلفات العرب القدامى يدرك تشابها كبيرًا بين ما نادى به **الجرجاني** وما تطرحه المؤلفات الغربية تحت مسميات حديثة.

ومن الأدلة التي استند إليها الأسلوبين في نظرتهم إلى النّص وقوف **عبد القاهر الجرجاني** عند كلمة "اقلعي" في قوله تعالى:﴿ **وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ** ﴾[4]. فهي كلمّة ماهرة، ، وإنما اكتسبت هذه المزية من تعلقها بالألفاظ التي سبقتها، وبالكلمة اللاحقة "غيض" وبعد أن يحلّل هذه الآية تحليلاً دقيقًا يكرر ما سبق وأن أكده من وجود حقيقة ثابتة وهي أنّ الألفاظ لا تتفاضل

[1] – الأسلوب والأسلوبية، عبد السلام المسدي، ص51

[2] – المرجع نفسه ، ص 59

[3] – المرجع نفسه ، ص 35

[4] – هود : 44

من حيث هي ألفاظ مجردة، ولا من حيث هي كلمات مفردة. بدليل أن اللّفظة قد تروق لك في موضع، وتثقل عليك في موضع آخر، وهذا الدليل الذي استند إليه **عبد القاهر** في الرد على من اعتبر الألفاظ قيمة في ذاتها – علاوة على أنه دليل عقلي لا يقبل الدحض– فإنه من الأدلة التي استند إليها الأسلوبيين في نظرتهم إلى النصّ.[1] ومما استند عليه الأسلوبيين أيضا– توقف **الجرجاني** –عند قوله تعالى:﴿**قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا** ﴾.[2] وبين خطأ الاعتقاد بأن مزية الآية تظهر في الاستعارة باستعمال " اشتعل " بينما الفضل– في رأيه– نابع من السياق الذي وضعت فيه كإسناد الاستعمال للرأس، وتأخير "شقيًا" لتصب في آخر الجملة على التمييز ولو أننا غيرنا ترتيب الألفاظ لتغيير المعنى.[3] وهذا الذي ذكره الجرجاني لا يختلف عما ذكره **كولردج** في حديثه عن لغة الشعر، أو ما ذكره عند الحديث عن البنية العميقة في الجملة الواحدة.[4] ومن الأدلة أيضا ما أكده **مارسيل كروز Crossot** في كتابه (الأسلوب والتقنيات) على ما أكده **الجرجاني** من "**أن العناصر الجمالية التي يصطنعها الأديب في عمله الفني كالمجاز والاستعارة– لا قيمة لها في ذاتها، ولا تعدو أن تكون جزءًا من الفحوى وقد عمق عبد القاهر الجرجاني هذه الفكرة بأن تطرق إلى دلالات الألفاظ اللغوية، ودلالتها في الأدب.**[5] ويعد عبد القاهر الجرجاني مؤسس الأسلوبية العربية في نظر العديد من الدارسين العرب، الذين تناولوا البلاغة القديمة بأسماء جديدة، من خلال مشابهة شكلية وتناول تقليدي أو خلط بين المصطلحات القديمة والحديثة".[6] وقارنوا بين **عبد القاهر الجرجاني**

[1] – دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تع محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط1، 1994، ص45

[2]– مريم، 4

[3]– المصدر السابق، ص100-393

[4]– الأسلوبية ونظرية النص، إبراهيم خليل، ص43-44

[5]– دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص206

[6]– الأسلوبية والبيان العربي، عبد المنعم الخفاجي، محمد السعدي فرهود، عبد العزيز شرف، الدار المصرية اللبنانية، ط 1، 1993، ص27

وسوسير وتشومسكي وبالي وكروتشيه وغيرهم وعدوه السباق عليهم.[1] وفي الجهة الأخرى يرى **لطفي عبد البديع** ذلك تلفيقا إذ يقول ساخرًا "**يضع قبعة هذا على رأس ذلك ويثبت عمامة ذاك على رأس هذا، ويقول للأول كن كروتشيه وللثاني أنت عبد القاهر.**[2]

وخير من وظف مباحث إعجاز القرآن وعلم المعاني وطبقها على النص القرآن كلّه **الزمخشري** (538هـ) فقد ابتكر طريقة جديدة في تفسير النص القرآني لم يسبق إليها.[3]

أسسها على علمي المعاني والبيّان وتبعه مفسرون كثيرون ومازال المعاصرون يحذون حذوها في الدراسة الأسلوبية القرآنية.[4]

6 – 2 الدراسات الأسلوبية الحديثة في القرآن الكريم:

تعد دراسة **مصطفى صادق الرافعي** إعجاز القرآن الكريم البلاغة النبوية حلقة وصل بين عصرنا والدراسات القديمة لذا تعتبر الدعامة التي ارتكز عليها الباحثون المعاصرون لأنهم وجدوا في هذا الكتاب عرضا لخلاصة آراء القدماء في هذا المجال، وقد عرضت عليهم بأسلوب عصري شجعهم للعودة إلى أمهات الكتب.[5]

إذ يرى الرافعي أن الوجه الأساسي لإعجاز القرآن الكريم هو نظم القرآن ومظاهر الإعجاز عنده ثلاثة:

1- المظهر الأول: وقد أشار إلى الإعجاز النظم القرآني في حروفه

2- المظهر الثاني: إذ بين أن القرآن الكريم ميز بين أصوات ثلاث هي صوت النفس و إيقاع الألفاظ الموسيقي والمناسبة بين الكلمة ومدلولها.[6]

---

[1] –ينظر: قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني، محمد عبد المطلب، لونجمان، ط1، 1995، ص2-7

[2]- التركيب اللغوي للأدب (فلسفة اللغة والأستطيقا)، لطفي عبد البديع، مكتبة النهضة المصرية، ط1، 1970، ص7

[3]- الكشاف، الزمخشري، مطبعة دار الاستعانة، مج1، ط1، 1365 هـ – 1946 م، ص03.

[4]- منهج الزمخشري في تفسير القرآن وبيان إعجازه، مصطفى الصاوي الجويني، دار المعارف، مصر، ط 2، 1968، ص77

[5]- ينظر: الدراسات الأدبية للأسلوب القرآن الكريم، محمد أحمد الأشقر، ص 18.

[6]- اعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، مكتبة رحاب، الجزائر، (د ط)، (د ت)، ص235

3- المظهر الثالث: الجمل وكلماتها وتحدث عن التنسيق في انتظام الجمل والكلمات. يعد ما قدمه **الرافعي** هو أساس الدراسة الأسلوبية وهو دراسة الإيقاع والموسيقى داخل النص لأن التحليل الأسلوبي لهذه النصوص يساعد كثيرا في يفهم الجوانب الجمالية فيها بالإضافة إلى ما فيه من كشف من الانفعالات النفسية والعواطف التي تحكم مبدعها، والتي تدفعه إلى اختيار أصوات وإيقاعات بعينها.[1]

أما **سيد قطب** فقد عالج في مؤلفيه "**التصوير الفني في القرآن الكريم** "و**مشاهد القيامة** في القرآن "العديد من القضايا الأسلوبية انطلاقا من التصوير الذي اعتبره الأداة المفضلة لأسلوب **القرآن الكريم**. وعرض العديد من المسائل منها الإيقاع والتناسق وهي قضايا أسلوبية في أساسها.[2]

أما **مالك بن النبي** فقد أشار في كتابه الظاهرة القرآنية إلى أن القرآن الكريم نزل بلغة عربية مخالفة لما كان عند عرب الجاهلية واستعمل طريقة جديدة في استعمال اللغة يخرج بها كثيرا عن ما هي عليه عندهم فهي كما يقول: **طريقة فجائية وغريبة تقتضيها طبيعة الرسالة. لقد كان حتما على القرآن إذا ما أراد أن يدخل في اللغة العربية فكرته الدينية ومفاهيمه التوحيدية أن يتجاوز الحدود التقليدية للأدب الجاهلي، والحق أنه قد أحدث انقلاب هائلا بتغيره الأداة الفنية في التعبير**". ويظهر لنا من قول **مالك ابن النبي** أن انزياح القرآني كان في الأداة اللغوية وكذا في الفكرة الجديدة وبهذا أحدث الانقلاب الهائل في الأدب العربي الذي كان الشعر عماده. فإذا أجاز اعتبار الشعر في عمومه انزياحا عن لغة الحديث فإن القرآن الكريم انزياح على الانزياح.[3]

---

[1]– اعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي ، ص 235.

[2]–ينظر: التصوير الفني في القرآن الكريم، سيد قطب، دار الشروق، لبنان، (د ط)، (د. ت)، ص32

[3]– ينظر : الظاهرة القرآنية، مالك بن النبي، تر: عبد الصبور شاهين، تق: محمد عبد الله دراز ومحمود شاكر، دار الفكر، دمشق، ط4، 1987، ص191-192

وتعد دراسات **عائشة عبد الرحمان(بنت الشاطبي)** التفسير البياني للقرآن الكريم من أبرز الدراسات الأدبية للقرآن الكريم في العصر الحديث فقد جاءت هذه الدراسات خير التطبيق على المنهج الأدبي الذي أرسى قواعده أمين الخوالي في كتابه مناهج تجديد.[4] إذ تقول بنت الشاطبي: "**من أن الدارسة الأدبية لأثر عظيم كهذا القرآن، هي ما يجب أن تتقيد كل دراسة أخرى فيه، له كتاب العربية الأكثر فحسب، ولكن لأن الذين يعنون بدراسة نواح أخرى فيه والتماس مقاصد بعينها منه لا يستطيعون أن يبلغوا من تلك المقاصد شيئًا دون أن يفقهوا أسلوبه القد ويهتدوا إلى أسراره البيانية. لكي لا يختلط عليهم الأمر أو يغيب عنهم شيء من مدلول اللفظ القرآني وإيحاء التعبير**".[1]

وتعد دراسة **عائشة** هي الأبرز في ميدان الدراسات الأدبية الحديثة لأسلوب القرآن الكريم، فقد أطلقت تفسيرها على عنوان التفسير البياني، وتناولت قضايا أسلوبية كفواتح السور، والزيادة والحذف والتعاقب والترادف والتكرار وغيرها، وفق المنهج الذي يرى أن القرآن يفسر بعضه بعضًا. فقد أكدت **عائشة الشاطبي** أهمية النظر في القرآن نفسه عند تفسير الآيات وحثت على ذكر الغاية من استعمال الفنون البلاغية في الآيات القرآنية.[2]

ويخلص إلى أن الدراسات القديمة والحديثة للنص القرآني حملت ملامح بعض من الدراسة الأسلوبية الحديثة ، ومن هذا المنطلق يطرح التساؤل كيف عالج **تمام حسان** النص القرآني ؟ وما هي آليات تطبيقه للمنهج الأسلوبي ؟ وما الجديد الذي حملته الدراسة الأسلوبية التمامية ؟ والإجابة عن هذه التساؤلات سيتم التطرق في أوراق البحث القادمة .

[4]- الدراسات الأدبية الأسلوب القرآن الكريم، أحمد الأشقر، ص113

[1]- التفسير البياني للقرآن الكريم، عائشة بنت الشاطبي، ج1، دار المعارف، (د ط)، 1962، ص07

[2]-ينظر: الدراسات الأسلوبية القرآن الكريم في العصر الحديث، أحمد الأشقر، ص170

تمهيد:

إنّ سرّ الإعجاز في موسيقى القرآن الكريم هو أنّها غير خاضعة لوزن وغير دارجة على قافية كما في سائر المطربات من المسموعات، كالشعر بأنواعه، والغناء بأشكاله لها قانون داخلي، ونظم يضبط لحونها وأوزانها، كالبحور والمقامات والتفعيلات والأوزان. أمّا القرآن الكريم فإنّك تنتقل خلال النص القرآني بين آية وافقت بحرًا من البحورِ، وأخرى وافقت مقامًا من المقامات، دون أن تشعر بهذا الانتقال، والنظام الصوتي في النّص القرآني معجز باتساق حركاته وسكناته، مداته وغناته واتصالاته،ولسكناته اتساقًا رائعًا يسترعي الأسماع، ويستهوي النّفوسَ،ويبهر العقولَ ويستولي على الأحاسيس والمشاعر بطريقة عجيبة تفوق كلّ كلام منثور ومنظوم. "[1]

فالقرآن الكريم جمع بين مزايا الشعر والنثر، وأعفى التعبير من قيود القافية الموحدة فنال بذلك حرية التعبير عن أغراضه .

وينسب **تمام حسان** إلى القرآن الكريم مجموعة من القيم الصوتية التي تميزه عن غيره من النصوص ويعرّفها بقوله:" **هي الخصائص التي تتمايز بواسطتها الأصوات ويتعلق بها نوع من المعاني يسمى المعاني الطبيعية، التي لا توصف أثارها بأنها عرفية ولا ذهنية،لأنّها في الواقع مؤشرات سمعية انطباعية ذات وقع على الوجدان."**[2]

فاللّغة في عرف اللسانيات الحديثة اعتباطية على أساس العلاقة التي تربط بين الدال والمدلول، والكلمات عند اللّسانيين تخصص حسب التعارف-اصطلاح المجتمع- لا حسب الطبيعة وهذه الاعتباطية تضم العلاقة غير المسببة بين الدوال (الكلمات) والمدلولات (المعاني)[3].ويدعم **تمام حسان** فكرته هذه بقوله من خلال الاستدلال :"**فكيف يصل كل مجتمع إلى اختيار كلمة ليدل بها على المعنى؟ الجواب:بالتعارف،فما هو أساس التعارف؟**

---

[1]- ينظر: التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، ص: 87

[2]- البيان في روائع القران، تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة ،ط3، 1430هـ- 2009م، ج1، ص: 175

[3]- ينظر: مناهج البحث في اللغة ، تمام حسان ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ط 1990ص : 29

الجواب:الاعتباط والمنطق لا الطبيعة".[1] ويرتكز **تمام حسان** على التراث ويبرز أن أشهر أنواع التأثير التي رصدها السلف تتعلق بالدلالات الطبيعية التي " **تحيط بها المعرفة ولا تدركها الصفة".** فمثل تأثيرها في غموضه كمثل تأثير الموسيقى؛ لأنها جميعا مؤثرات صوتية"**تشم ولا تفك".**وذلك كحكاية الصوت للمعنى ؛ والإيقاع والتنغيم ... ويرى **تمام حسان** أن علم أن علم الأسلوب الحديث يجعل من هذه المؤثرات جميعا تحت عنوان واحد"**المؤشرات الأسلوبية**"ويراها انحرافا، إن لم يكن عن قياس لغوي فهو انحراف عن توقعات السامع.ويعود **تمام حسان** لينتصر للتراث ويؤكد أن تفسير علم الأسلوب الحديث ليس أسعد حالا مما جاء من تعبير السلف عن المؤثرات بعبارات مجازية لا يستعان بها على إدراك ماهية الأشياء؛ ويؤكد **تمام حسان** على تأصيل دراسته من خلال الاستشهاد بقول الجرجاني بخصوص الاعتباط حول الأسلوب بأنه جيد السبك ، لطيف العبارة،حسن الديباجة ، له ماء ورونق .[2]

ولقد أصاب **تمام حسان** في اهتمامه بالجانب الصوتي باعتبار الدراسة الصوتية في صميم دراسة النّص، والتحليل الأسلوبي إذ تساعد كثيرًا في فهم طبيعته.وفي الكشف عن الجوانب الجمالية فيه، بالإضافة إلى ما فيه من كشف الانفعالات النفسية والعواطف التي تحكم مبدعها، والتي تدفعه إلى اختيار أصوات وإيقاعات بعينها."**وليس يخفى أن مادة الصّوت هي المظهر الانفعال النّفسي، وأن هذا الانفعال بطبيعة إنّما هو سبب في تنويع الصوتِ...**" [3]، وترتبط مستويات اللغة ببعضها البعض، وتعد دراسة المستوى الصوتي الخطوة الأولى لدراسة المستويات الأخرى، فعلى سبيل المثال لا يمكن دراسة الصرف دراسة صحيحة إلاّ بالاعتماد على الوصف الصوتي[4]. ولا ينكر عاقل أثر الموسيقى والنغم في شدِّ المتلقي وجعله أكثر انتباها وأشدّ إصغاء. بل إنّ

[1]- ينظر: مناهج البحث في اللغة ، تمام حسان ،ص : 29

[2] - ينظر: مقالات في اللغة والأدب ، تمام حسان ،عالم الكتب ، القاهرة ، ط1، 1427- 2006،ج2 ،ص :174

[3]- ينظر : إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، ص:169

[4]- ينظر: أصوات اللغة العربية، هلال عبد الغفار حامد، مكتبة وهبة، القاهرة، ط3، 1997م، ص:15

موسيقى الشعر هي أجمل ما فيه من عناصر وللشعر نواح عدّة للجمال، أسرعها إلى نفوسنا ما فيه من جرس الألفاظ... . أما بالنسبة إلى القرآن الكريم فلن نجد نصوصًا توافرت فيها الاتفاقات، بين جميع مستويات اللّغة كنصوص القرآن الكريم، وسوره وآياته، حيث تركت طريقة التعبير في القرآن الكريم على المتلقين تأثيرها وأثارت انتباههم.[1] حتّى لم يكن لمن يسمعه بد من الاسترسال إليه والتوفر على الإصغاء... فإنّه إنّما يسمع ضربًا خاصًا من الموسيقى اللّغوية في انسجامه، واطراد نسقه، واتزانه على أجزاء النّفس، مقطعًا مقطعًا، ونبرة نبرةً كأنّها توقعه توقيعًا ولا تتلوه تلاوةً.[2]

ويعود هذا النغم الخاص في القرآن الكريم إلى القيم الصوتية التي يرى **تمام حسان** أنه يمكن نسب عدد من هذه القيم الصوتية إلى الأسلوب القرآني وهي كالآتي:

*الإيقاع

* الفاصلة

* الحكاية

* المناسبة

* حسن التأليف[3].

المبحث الأول: الإيقاع في النّص القرآني:

لقد حظي مصطلح الإيقاع بحظ وافر من الدراسات الفنيّة عمومًا وفي الدراسات الأدبية لما له من صلة وثيقة بالشّعر والموسيقى. فقد ورد في **لسان العرب** "**الإيقاع من إيقاع اللّحن والغنّاء، وهو أن يوقع الألحان ويبّينها، وسمّى الخليل رحمه الله كتابًا من كتبه في ذلك المعنى، كتاب الإيقاع**"[4]. أمّا في الاصطلاح فعرّفه **ابن سينا: "الإيقاع تقدير ما لزمن النقرات، فإن اتفق أن**

[1]- دراسة أسلوبية في سورة "ص"، نصر الله شاملي، مجلة آفاق الحضارة الإسلامية، عدد1، 1432، ص:25

[2]- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، الرافعي، ص:167

[3]- ينظر: البيان في روائع القرآن، تمام حسان ، ج 1 ،ص:257

[4]- لسان العرب، ابن منظور، دار صادر بيوت، لبنان، ج15، مادة وقع، ص:263

كانت النقرات منغمة، كما أن الإيقاع لحنيًا، وإن اتفق أن كانت النقرات محدثة للحروف المنتظم منها كلام كان الإيقاع شعريًا".[1] والإيقاع المتميّز عند **ابن سينا** هو الزمن الفاصل بين النقرات.

أما في العصر الحديث فالإيقاع لا يرتبط بالشعر والموسيقى بل بسائر الفنون الأخرى لإشراكها في صفة المتعة الجمالية يقول **سوريو**: "**الإيقاع تنظيم متوال لعناصر متغيّرة كيفيًا في خط واضح بصرف النّظر عن اختلافها الصوتي**".[2]

أما **تمام حسان** فإنه ينفي أن يكون مصطلح الإيقاع من مصطلحات البلاغة ، واعتبره حقيقة أسلوبية صوتية من منطلق ما جاء به السلف حول مفهوم الأسلوب الماء والرونق؛ أي أن البلاغيين أحسوا به ولم يعبروا عنه . فلقد عرّف السلف وزن الشعر وفصلوا القول فيه بما لا مزيد عليه من بيان، وخرجوا من دراستهم له بنظرية عروضية متكاملة (الخليل رحمه الله). غير أنهم عندما أحسوا وجود الإيقاع خارج وزن الشعر لم يمنحوه نظرة فاحصة كالتي منحوها عروض الشعر، بل ذهبوا يصفونه بعبارات هي بذاتها تحتاج إلى الشرح والإيضاح .والإيقاع في الكلام العادي " توازن" وليس"وزنا".[3] أما إذا انتقلنا إلى القرآن الكريم فالإيقاع الموسيقي واضح في نصوصه، ولكن لهذا الإيقاع طريقته الخاصة التي تختلف عن الشعر المقيّد بالأوزان والقوافي، فهو خاص بالقرآن الكريم وحده، والتوازن في الإيقاع متوازن لا موزون".[4] يفرق **تمام حسان** بين إيقاع الشعر وإيقاع القرآن الكريم ، ويجعل لكل منهما طريقته الخاصة في لفت الانتباه .

وهكذا تحرر الإيقاع في النّص القرآني من كلّ قيد يقيد المعنى، أو يحدّ من النّظام الصوتي، ممّا أدى إلى امتلاك آفاق رحبة من التآلف والانسجام والتلازم وهكذا "**يكون النّسق القرآني قد**

[1]- مفهوم الشعر، جابر عصفور، مطبوعات فرح، قبرص، ط4، 1990، ص:247

[2]- الأسس الجمالية في النقد العربي، عرض وتفسير ومقارنة، إسماعيل عز الدّين، دار الفكر العربية، ط3، 1984، ص:120

[3] - ينظر : مقالات في اللغة والأدب ، تمام حسان ، ج 2 ، ص : 174- 175

[4]- ينظر: البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج 1 ، ص:186- 187

جمع بين مزايا النثر والشّعر جميعًا، فقد أعفى التعبير عن قيود القافية الموحدة والتفعيلات التّامة، فنال بذلك حرية التعبير الكاملة عن جميع أغراضه العامة. وأخذ في الوقت ذاته من الشعر الموسيقى الداخلية، والفواصل المتقاربة في الوزن، والتي تغني عن القوافي".[1]

وللإيقاع القرآني جمال يستجيش المشاعر، فلا تخلو آية من آياته من هذا السحر، فكلما قرأت آياته ازدادت عذوبة في فمّك، وحلاوة في ذهنك، وليس الأمر قصرًا على آية دون أخرى. بل إنّه يشمل أدق التفاصيل في الآية الواحدة.[2]

وتتعدد أنواع الموسيقى والإيقاع كما أشار **سيد قطب:" إن في القرآن إيقاعًا موسيقيا متعدد الأنواع، يتناسق مع الجوّ، ويؤدي وظيفة أساسية في البيان".**[3]

ورغم أهمية الإيقاع الموسيقي في القرآن لم يوليه القدماء اهتماما كبيرًا **"فحديثهم عنها لم يتجاوز ذلك الإيقاع الظاهري، ولم يرق، إلى إدراك التعدي في الأساليب الموسيقية، وتناسق ذلك كله مع الجّو الذي تطلق فيه هذه الموسيقى".**[4]

واستثمر القرآن الكريم اللغة العربية بما فيها من طاقات فنيّة في تشكيل بنية إيقاعية منظمة وهادفة، ومصطلح الإيقاعية يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالجانب الصوتي في القرآن الكريم، ممّا جعل النّص القرآني يكتسب خصوصيته دون سائر النصوص الأدبية الأخرى، فأصبح طيعًا للترتيل**"متلو لا يمل على طول التّلاوة، ومسموعًا لا تمجه الآذان، وغضًا لا يختلق من كثرة الترداد"**[5].

ويمكن عدُّ الإيقاع في القرآن عنصر من عناصر البيان المنتج للمعنى القرآني في قلب المتلقي،لا يقل عن أيِّ عنصر آخر أثرًا وقيمة، بل هو أظهر عناصر ذلك البيان وأقربها إلى الإدراك

[1]- التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، ص: 102

[2]- جملة الخاتمة في الآيات الكونية والإنسانية- دراسة أسلوبية- نورهان محمد سمحان، رسالة ماجستير ،نابلس، فلسطين، 2009، ص:130

[3]- المرجع نفسه، ص:79

[4]- المرجع نفسه، ص :87

[5]- النكت في إعجاز القرآن، الرّماني، ص:89

إجمالاً، وإن لم يكن إدراكه على التفصيل والتحليل والتفسير غير قريب، ولا يسير في كثير من صوره مما يجعل المرء يحتاج في إدراكه إلى لقانية وحسن مرهف وأذن واعية.[1]

وقد استمر البيان القرآني بظهور القيم الصوتية من الجرس والإيقاع في تكوين وتشكيل صورة المعنى،لما يملكه الجرس والإيقاع من قدرة على النفوذ في خبايا القلوب، وذلك مرده إلى الميل الفطري للإنسان، فقد جبلت النفوس الناطقة على إدراكه، والارتياح والطرب بإدراكه. [2]

ويمكن أن نصنّف مستويات الإيقاع في العربية إلى ثلاثة مستويات وهي:

الأول: ويظهر فيه الإيقاع معتمدًا على توزيع المقاطع اللّغوية ويسمّى **الإيقاع الكمّي**[3].

الثاني: ويعتمد فيه الإيقاع على **التنغيم** أي من صعود وانحدار وغير ذلك[4].

الثالث: ويعتمد الإيقاع فيه **النّبر**، إذ تنتظم المقاطع تبعًا لانتظام النّبر، فالإيقاع يغطي نوعًا من المقاطع المنبورة، ويمكن عدّه في اللّغة العربية تبادلاً بين المقاطع المنبورة وغير المنبورة داخل انتظامات إحصائية محددة.[5]

ويستهل **تمام حسان** الحديث عن الإيقاع برفض الفكرة التقليدية القائلة بالربط بين مصطلح الإيقاع "الشعر الموزون". ويرى أنّه من الصواب القول "**ايقاع الشعر**" ويقصد به "**وزن الشعر**". ويؤكد **تمام حسان** أن التقاليد الفكرية العربية لم تدرك ايقاع الشعر وكان مغلفا بالمجاز منذ قول " **إنّ له لحلاوة وإنّ عليه لطلاوة** "، إذ أن الطلاوة تأتيه ممّا تحسه الأذن [الذوق أو الحكم

[1]- العزف على أنوار الذكر، معالم الطريق إلى فقه المعنى القرآني في سياق السورة، محمود توفيق محمد سعد، الموسوعة الشاملة، ج 1، ص : /214.

[2]- المرجع نفسه ، ص /214

[3]- أنتروبولوجيا الإيقاع في العربية، ليلى الشربيني وسيد البحراوي، مجلة فصول، القاهرة، مج15، ع4، 1997، ص:270

[4]- ينظر: اللغة العربية، معناها ومبناها، تمام حسان، دار الثقافة ، الدار البيضاء ،المغرب ، ط 1994 ، ص:230

[5]- في البنية الإيقاعية في الشعر العبير الحديث، كما أبو ديب، دار العلم، بيروت، (د ط)، 1970، ص297- 298

المعياري]. [1] ويقترح **تمام حسان** بديلاً آخر هو الكشف العلمي لهذه الظاهرة من خلال نوع من الوصف ليكون الكلام عنها من قبيل الحقيقة (ماهو كائن) لا من قبيل المجاز[2].

ومدخل الدراسة الإيقاعية عند **تمام حسان** هو معرفة المقاطع اللّغوية العربية المختلفة الكميات وما يتصل بذلك من قواعد النثر في الكلام.

1- الإيقاع الكمّي: المعتمد على المقطع:

تتكوّن السلسة الكلامية من تتابع مجموعات صوتية يمكن تمييز الواحدة من الأخرى، وكلّ مجموعة من هذه المجموعات يطلق عليها اسم "**المقطع**".

والمقطع في اللّغة مأخوذ من القطع: **وهو إبانة بعض أجزاء الشيء من بعض، يقال قطعه يقطعه قطعًا، وقطعه واقتطعه فانقطع، وتقطّع بتشديد الطاء للكثرة، فالمقطع (مفعل) اسم مكان من قطع، ومقطع كلّ شيء و منقطعه آخره حيث ينقطع، ومقطعات الشيء، طرائقه التي يتحلّل إليها ويتركب عنها** ".[3] أمّا في الاصطلاح فالمقطع "**حركة قصيرة أو طويلة، مكتنفة بصوت أو أكثر من الأصوات الساكنة**".[4]

أما عند **تمام حسان** فهو:"**تعبيرات عن نسق منظم من الجزئيات التحليلية أو خفقات صدرية أثناء الكلام أو وحدات تركيبية أو أشكال وكميات معينّة**".[5] ويعرّفه في موقع آخر بأنه "**الوحدة الساذجة التي لا يمكن تحليلها إلى أقل منها**".[6] والمقطع عنده هو وحدة صوتية . وأخذ الباحثون العرب المقاطع الصوتية للألفاظ العربية من المستشرقين ولاسيما الدارسين المحدثين الذين ارتكزوا في دراستهم على ما أخذوه من الدراسات الغربية ، وخاصة **جان كانتين Jean**

---

[1]- ينظر: البيان في روائع القرآن، تمام حسان،ج 1، ص175

[2]- ينظر: المصدر نفسه، ص175

[3]- لسان العرب، ابن منظور، مادة قطع، ص 625

[4]- موسيقى الشعر، إبراهيم أنيس، دار القلم، بيروت، ط4، 1972، ص:147

[5]- اللغة العربية معناها ومبناها ، تمام حسان، ص: 235 .ينظر : مناهج البحث في اللغة ، تمام حسان ، ص:162

[6]- اللغة العربية معناها ومبناها ، تمام حسان ، ص: 235 .

Cantineau) **وهنريش بليث** (**H.Bleath**).[1]واختلفوا في ترجمة أنواع المقاطع لكنّهم اتفقوا على وجود خمسة أنواع. في حين انفرد **تمام حسان** حين ابتدع مقطعًا قصيرًا مقفلاً ليقابل القصير المفتوح. وتكلف فجعل مثاله أداة التعريف (أل)، وبعد ذلك عدّه مقطعًا تشكيليًا غير موجود في النطق الفعلي للكلام، ولم يسوغ إضافته إلى مقاطع الأصوات العربية إلاّ بأنه ضرورة من ضرورات التعقيد الناتج من النظر إلى التطريز والتّنويع اللّغوي[2].

وللمقطع أهمية كبيرة في الكلام، لأنّ المتكلّمين لا يستطيعون نطق أصوات الفونيمات كاملة ،أو هم لا يفعلون ذلك إن استطاعوا، وإنّما ينطقون الأصوات في شكل تجمعات هي المقاطع[3].

ورفض **تمام حسان** ما قام به البلاغيون في دراسة أجزاء التفعيلات وكيف صاغوا العبارة الشهيرة "**لم أر على ظهر جبل سمكة**". لأنّهم لم يحددوا مقاطع اللغة العربية كلّها فأغلب ألفاظ العبارة مكوّن من مقطع واحدٍ ويقترح تقطيعًا بحسب مقاطع اللّغة على النّحو الآتي: [4]

لم – أ – ر- ع – لا – ظه -ر – ج – ب – لن – سـ – م – ك – تن

ويعرض **تمام حسان** الشروط اللازمة لدراسة المقاطع في العربية:

1- كلّ حرف متحرك هو بداية مقطع .

2- كلّ حرف ساكن، بعد حركة أو مدّ فهو نهاية مقطع، وقد يشدد الساكن عند الوقف.

3- هناك مقطع بحسب الأصل ومقطع بحسب الاستعمال، ويتصل هذا التفريق في الغالب بهمزة الوصل.

4- تعنى هذه الدراسة بالمقاطع الاستعمالية لا التنظيمية باعتبار موضوع الدراسة هو الإيقاع باعتباره ظاهرة استعمالية، ولذا ركز تمام على المنطوق(الاستعمال) دون النظام (اللغة). لأنه يوجد

---

[1] – دروس في علم أصوات اللغة، جان كانتينو، ترجمة صالح القرمادي ، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية ، تونس ، (د ط) ، 1977 ، ص:191- 194

[2] – مناهج البحث في اللّغة، تمام حسان، دار الثقافة، مصر، ط 1986، ص:141- 145

[3] – ينظر: دراسة الصوت اللغوي، عمر أحمد مختار، عالم الكتب، القاهرة، 1976، (د. ط)، ص238

[4] – ينظر: البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ص 176 .

في الكلام المسموع ما ليس في المكتوب من إظهار للتعبيرات المصاحبة للكلام ولهذا كانت دراسة الكلام المنطوق المسموع مقدمة لابدّ منها لدراسة الأنظمة اللّغوية أو بعبارة أخرى لدراسة اللغة نفسها[1]. وذلك لأنّ "**اللّغة المحكية هي التي تمثل انعكاسات الأصوات**"[2]. ولا يكفي النظر إلى آيات القرآن مكتوبة بل لابدّ من تلاوتها حتّى نقف على روعة بنائها الصوتي. ويظهر جليا نزوع **تمام حسان** إلى الاستعمال الوظيفي باعتباره من أنصار الاتجاه الوظيفي[3].

ويعود **تمام** ليحدد طبيعة اتصال التفريق بين الإيقاع وبين نوعي المقاطع:

أ- يعترف نظام اللغة بإمكان افتتاح الكلّمة العربية بحرف ساكن ولكنّه لا يجيز الابتداء به (ففي العربية الفصحى مثلاً، لا يجوز الابتداء بحركة ولذلك يبدأ كلّ مقطع فيها بصوت من الأصوات الصامتة) ففي كلّمة "**انطلقوا**" فأوّل حرف في الكلّمة هي النون وليست الألف أكثر من وسيلة كتابية تشير إلى مقطع "**الوصل**" وهي ليست من أصل الكلّمة.[4]

وتصبح المقاطع الصوتية الاستعمالية لا الكتابية والتشكيلية على الشكل التالي:ء ن– ط – ل – قو، أمّا إذا كانت النون في وسط الكلّمة فيحمل الحرف ما قبل النون الساكنة الحركة التي كانت للألف، ويكوّن هذا الحرف مع النّون مقطعًا واحدًا، وقد انطلق **تمام** من دراسة المقطع "**انطلقوا**" من كونه وحدة تركيبية داخل السّيّاق تحكمه علاقة المجاورة ، ومن ذلك واو الجماعة في "**انطلقوا**" فالألف بعد الواو تشير إلى أن الواو الأولى للجماعة، وليست للجمع، وتظهر أهمية هذه الأخيرة في التفريق بين "**قاتلوا زيدًا**" و"**قاتلو زيدًا** "فالأولى للجماعة، والثانية للجمع.

ب–ويركز تمام على الحديث عن الاستعمال الذي يأتي بمقاطع صوتية،ويعد المقاطع الصوتية

---

[1]– اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، ص:38 .

[2]– الألسنية العربية، ريمون طحان، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1981، ص:64

[3]– الأسلوبية الوظيفية وموقعها من كتاب البيان في روائع القرآن لتمام حسان، رسالة ماجستير بداش حنيفة، جامعة منتوري، قسنطينة، 2008، ص:196

[4] – ينظر: البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج 1، ص:176- 177

أساس الدراسة ، ولذا يرى أن الحديث عن التأصيل النظري بحسب نظام اللغة لا الاستعمال في ضوء الشرط الثاني:كلّ صوت ساكن بعد حركة أو مدّ فهو نهاية[1].فالنون في كلّمة **"انطلقوا"** ساكنة وهي نهاية مقطع، وإذن أين بداية هذا المقطع بحسب أصول نظام اللغة؟ يجيب **تمام** أنه من حيث التأصيل لا بداية له في الاستعمال على هذا النّحو فالنون مقطع تأصيلي بدأ وانتهى به المقطع، ويحسن أن يسمى مقطع **"الوصل"**[2]. وهو ما انتبه إليه **مالك بني النّبي** وأشار إلى ذلك **تمام حسان** في عرضه مناهج اللّغة **"ومن الضروري أن نعترف بنوعين من أنواع المقاطع:أولها المقطع التشكيلي والآخر المقطع الأصواتي،أولهما تجريدي مكوّن من حروف وثانيهما أصواتي محسوس مسموع مكوّن من أصوات،وهذه الثنائية في التناول نتيجة حتمية للاعتراف بالحقيقة القائلة"إنّ ما هو تقعيدي لا يتحقق دائما في النطق بالضرورة."**[3]ويرمي **تمام حسان** إلى التفريق بين المنهج الصوتي (الفونيتيك) ومنهج التشكيل الصوتي (الفونولوجيا).وجاء تفريق **تمام حسان** بين المنهج الصوتي ومنهج التشكيل الصوتي نتيجة لما أحرزه الدرس الصوتي من تقدم بفضل الجهود المتواصلة واستعمال الأجهزة والآلات التي مكنت العلماء من أن يتحصلوا على حقائق صوتية لم تكن معروفة لديهم من قبل**"واكتشفوا أن للصوت جوانب يقتضي كل جانب منها النظر بأسلوب يختلف عما يتبع مع الجانب الآخر ، ووجدوا أنه من الأوفق والأنسب أن يخصص فرع من العلم أو منهج الدرس لكل من هذه الجوانب أو لكل مجموعة منها"**[4]. كما ركز **تمام حسان** في شرح المنهج الصوتي على الجانب العضوي أو بمعنى أدق جهاز النطق بكل مكوناته ، وما تحدثه هذه المكونات من تغيير صوتي.ولقد كان تمييز

[1]- البيان في روائع القرآن، تمام حسان،ج 1، ص177

[2]- ينظر: المصدر نفسه، ص 177 .

[3]- مناهج البحث في اللغة، تمام حسان، ص. 173

- ينظر : مفهوم النظام اللغوي عند تمام حسان – قراءة في كتابي "مناهج البحث في اللّغة " و"اللغة العربية معناها ومبناها "،

[4] حوليات المخبر ، محمد بودية ، جامعة محمد خيضر ، بسكرة ، ع 1، ديسمبر 2013، ص: 176 .

تمام حسان بين المنهج الصوتي ، ومنهج التشكيل الصوتي (الفونولوجيا) قائم على أساس وظيفي،وهو يصرح بذلك ناقلا قول أحد اللسانيين الغربيين وهو **كانتينو** (Cantineau) إذ يقول:"**إن الأصوات دراسة للظواهر الصوتية والتشكيل الصوتي دراسة لوظائف الأصوات.**"[1]

كما أفاض **تمام حسان** في شرح الأسس التي يتم من خلالها التفريق بين الحروف ، إضافة إلى الأسس الفسيولوجية والفيزيائية ، وهي أسس تنتمي إلى المنهج الصوتي ، أمّا ما يدخل ضمن منهج التشكيل الصوتي (الفونولوجيا) ، فهما أساسان اثنان حددهما **تمام حسان** بقوله: "**ويجب في تحديد الحروف أن نعني باعتبارين هامين :**

1. **التطريز اللّغوي (أو التوزيع) .**
2. **الوظيفة.**"[2]

ويوجد في العربية أشكال متعددة من المقاطع الصوتية والتي من خلالها نتمكن من معرفة أنواع النسيج المستعملة في اللّغة العربية وهو ما يسهل معرفة ما هو نسيج عربي وما هو ليس كذلك، إذ أن المقطع العربي خصائص بنيوية متميزة يجب أن تتوفر فيه ليصبح مستساغًا في اللّغة، بدايته بساكن عكفغااغتن بحركة، وما خرج عن القاعدة عدّ مرفوضًا.

على الرغم من القدرة على تحديد المقاطع في أيّ لغة ما إلاّ أنّه "**لم ينجح الأصواتيون في إعطاء وصف دقيق وشامل للمقطع، ووجدوا أن تعريف المقطع أمر عسير**".[3]

وتجدر الإشارة في البداية إلى أن مفهوم المقطع الصوتي حديث النشأة في الدراسات اللغوية العربية ، أما القدماء فلم يكونوا على علم به، حيث كانوا ينظرون في نظام الحركات والسكنات . وقد قام الخليل بتسمية العناصر الإيقاعية للشعر بالأسباب والأوتاد والفواصل .[4]

---

[1]– مناهج البحث في اللغة ، تمام حسان ، ص: 111

[2] – المصدر نفسه ، ص: 121

[3]– اللغة، فندريس، تعريب عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة، (د ط) ،1950،ص:85

[4] – ينظر : التناسب البياني في القرآن ، أحمد أبو زيد ، مطبعة النجاح ، الدار البيضاء،(د ط) ، (د ت) ، ص: 311

وسار العلماء المحدثون في اتجاهات مختلفة في تحديد ماهية المقطع كل حسب نظرته وحدوده:

***الاتجاه الفونيتيكي (النطقي)**: ويعرف أصحاب هذا الاتجاه المقطع بأنّه "**قمة إسماع تقع بين حدين أدنيين من الأسماع** ".[1] أو "**أنه مجموعة أصوات تنتج بنبضة أو حفقة صدرية واحدة**".[2]

***الاتجاه الفونولوجي (الوظيفي)**: وأصحاب هذا الاتجاه يعرفون المقطع " **سلسلة تعبيرية تشمل على نبر واحد بالضبط**".[3]

ومن اللافت للنظر أنه لا يمكن الوقوف على تعريف واحد متفق عليه ، لأن الدارسين منهم اعتمد على الجانب الصوتي المحض وآخرون على الجانب الفونولوجي أي الوظيفي ودوره في بناء الكلمة في اللغة العربية. والمقطعية ليست صفة ملازمة للصوت، بل هي تنشأ من مجاورة الأصوات لبعضها البعض، ومقارنتها بأصوات أخرى داخل البنية اللغوية ، ولذلك تختلف المقاطع باختلاف اللّغات وفكرة التتابع هذه هي ما اصطلح عليها **تمام حسان** " **بالمجاورة في السياق** " إذ يقول :"**فليس كل حرف صالحا أن يجاور كل حرف في المقطع ، وشكل المقطع ومخرج الحرف المجاور وصفاته، والملحقات الصرفية وغير ذلك هي العوامل التي تحدد ورود حرف بعينه ،موقعا بعينه أو عدم وروده** ....[4] وباعتبار **تمام حسان** ذا توجه وظيفي فقد بدأ من الأصوات إلى التركيب.

أنواع المقاطع: لكل لغة نظامها الخاص في تشكيل المقاطع تبعا لنظامها اللغوي الذي تسير عليه تلك اللغة، ويعرض **تمام حسان** المقاطع الصوتية الست الاستعمالية كما يلي:

---

[1]- أصوات اللغة، عبد الرحمان أيوب، مطبعة دار التأليف، القاهرة، ط1، 1963، ص:139

[2]- ينظر: دراسة الصوت اللغوي، أحمد عمر مختار، عالم الكتب، القاهرة، (د ط)، 1976، ص: 242 .

[3]- النظام المقطعي ودلالته في سورة البقرة، دراسة صوتية وصفية تحليلية، عادل عبد الرحمان عبد الله إبراهيم، رسالة ماجستير، جامعة غزة، 2006، ص:26.

[4] - مناهج البحث في اللغة ، تمام حسان ، ص : 13

المقطع الأول: ص ح : صوت متحرك وليس بعد حركته صوت ساكن مثل المقاطع الثلاثة في لفظ **ضرب** مبنيا على الفتح ، فكل مقطع منها صوت متحرك ليس بعده سكون، ويرمز لهذا المقطع بالرمز **ص ح**.[1] ويسمى أيضا **المقطع المفتوح والمقطع الحر** أو **المحرك**.[2] وعن تسميته يقول **إبراهيم أنيس**: "**لهذا نرى أن يتفق العلماء على اسم موحد لهذا حتى لا يقع الدارسون في لغط وخطأ كبير فارتضينا أن نسميه المقطع القصير كما سبقنا من العلماء**.[3]

و يتكون المقطع القصير من صامت + حركة قصيرة مثل: ضرب الكتابة المقطعية: ض–َ، ر–َ، ب–َ الرموز: ص ح ص ح ص ح.

المقطع الثاني: ص ح ص: يتألف المقطع المتوسط المقفل من صوت متحرك بعد حركته صوت ساكن، ومن أمثلة هذا المقطع (لم) فاللام متحركة بعدها ميم ساكنة ومثلها الياء (تب) ويرمز لهذا المقطع ب: ص ح ص.[4]

الكتابة المقطعية: لم: ل —َ م: ص ح ص

تب: ت–ُ ب:ص ح ص.

المقطع الثالث:ص م: ويتألف هذا المقطع من صوت صحيح يتلوه مدّ ، وليس بعد المدّ سكون مثل:"**وَافَانِي**" فكل من الواو والفاء والنون جاء بعده مدّ وليس المدّ سكون، والرمز الدال هو ص م ويسمى **مقطع متوسط مفتوح**.[5]

الكتابة المقطعية:

لاَ: ل —َ —َ ص م (ص ح ح) على التوالي.

---

[1]– ينظر: البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج 1،ص:177– 178 .

[2]– ينظر: الأصوات اللغوية، عبد القادر عبد الجليل، دار الصفاء، عمان، الأردن، ط 1998، ص: 20 .

[3]– الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، مكتبة نهضة مصر، مصر، (د ط)، (د ت)، ص: 164 .

[4]– ينظر: البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج 1،ص :178 .

[5]– ينظر: المصدر نفسه، ص :178.

المقطع الرابع: ص م ص: هو مقطع يتألف من صوت يتلوه المدّ وبعد المدّ سكون كما في سكون كما في **"ضالين"**و**"طامة"** فالمقطعان من هاتين الكلمتين هما : ضَال وطام ويسمى **مقطعًا طويل المدِ** ويرمز له بـ **ص م ص.**[1]

الكتابة الصوتية المقطعية:

ضَالْ: ض-َ —َ ل

ص م ص

المقطع الخامس:" ص ح ص ص": ويتألف من صوت متحرك وبعد الحركة صوتان ساكنان كما في الوقف. وهذا المقطع والذي سبقه "**فقليلا الشيوع ولا يكونان إلاّ في أواخر الكلّمات وحين الوقف**".[2] مثل، (قبْلْ) (بعْدْ) ويرمز له بالرمز ص ح ص ص ويسمى **طويل السكين** .[3]

الكتابة الصوتية المقطعية:

قَبْلْ: ق -َ ب ل/ بَعْدْ: ب-َ ع د

الرموز: ص ح ص ص/ ص ح ص ص

المقطع السادس: "ص م ص ص: وهو صوت يتلوه مد وبعد المدّ صوتان ساكنان ولا يريد هذا المقطع إلاّ عند الوقف على ألفاظ مثل: حاجُ – خاصُ – ضَالُ . فهو مقطع مرهون بموقع معين ويرمز إليه ص م ص ص ويسمى مقطع الوقف.[4]

الكتابة الصوتية المقطعية:

حَاجُ: ح —َ —َ ج —ُ.

---

[1]- ينظر: البيان في روائع القرآن، تمام حسان،ج1، ص :178

[2]- الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، ص166.

[3]- المرجع نفسه ، ص 260 .

[4] - ينظر: البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج1،ص :178 .

الرموز: ص م ص ص.

ومن الملاحظ من خلال أنواع المقاطع التي قدمها **تمام حسان** أنه استبعد المقطع التأصيلي التجريدي والذي لا يتحقق في الاستعمال.ويمكن أن نرى الفرق في صورة المتوسط المقفل (ص ح ص) فالساكن الموصول بالهمزة خاتمة المقطع الصوتي " لم "، تكون على النحو التالي:

ص = همزة الوصل أو آخر الحروف من الكلمة السابقة.

ح = الحركة (اللام).

ص = الساكن الذي توصلنا إلى النطق به بواسطة الهمزة (آخر الكلمة السابقة فالمعول عليه هو المستعمل فعلا (الصوت) الوظيفي منه لا التشكيلي .فهو مجرد وسيلة كتابية، وإذا كان في وسط الكلمة لا تعترف به اللّغة.[1]

2 – الإيقاع القائم على التنغيم في النص القرآني :

الأصل في اللّغة أن تكون منطوقة،فهي كما يقول **ابن جني:"أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم."**[2]وما الكتابة إلا صدى ومحاولة لنقل المنطوق وتصويره ؛ لذا ابتكرت اللّغات من الوسائل ما يجعل المكتوب مقاربا للمنطوق ؛ فاستعانت أحيانا بوضع علامات ورموز تساعد على توضيح المراد وبيان المطلوب[3].

من المعروف أن اللغة تتألف من عناصر صوتية متنوعة، ومن المعلوم أيضًا أن الموسيقى تصدر عن أصوات ذات نغمات متنوعة، وبهذا فإنّ اللغة تشترك مع الموسيقى في الوحدات الجزئية المكونة لكلّ منهما، وهذه الوحدات المشتركة هي الأصوات لذلك يمكننا القول إنّ كلّ لغة تحمل صفة تنغيمية أو موسيقية خاصة بها، وربما تتفوق لغة من اللّغات في هذه الصّفة التنغيمية كما هو

[1] – ينظر : البيان في روائع القرآن ، تمام حسان ، ج1، ص : 179

[2] – الخصائص ، ابن جني ، تحقيق : محمد علي النجار دار الشؤون الثقافية ، ط4، بغداد ، 1990،ج1، ص: 34 .

- ينظر: الأداءات المصاحبة للكلام وأثرهافي المعنى، حمدان رضوان أبو عاصي،مجلة الجامعة

[3]الإسلامية،مج17،عد2،يونيو2009،ص:66

الحال في اللّغة العربية عندما تنتظم كلماتها بطريقة خاصة يقصد منها التأثير في السامعين وليس الإفهام فحسب. [1]

والتنغيم في اللّغة مأخوذ من مصدر" **نغم – الكلام المخفي، وسكت فلان فما نغم بحرف وما تنغّم مثله وما نغم بكلمة، والنغمة جرس الكلام وفلان حسن النغمة إذا كان حسن الصوت في القراءة**"[2]. وأما في الاصطلاح فهو **من مصطلحات الدرس اللّساني الحديث يقابله مصطلح Intonation وهو يشير إلى التغييرات في الدرجات الصوتية التي تحدث في صوت المتكلّم أثناء الحديث المتواصل. وهو نتاج طبيعي عن تذبذب الأوتار الصوتية إذ إنّه يقتصر على التراكيب المسموعة دون التراكيب المقروءة، ويندر أن تخلو منه لغة من لغات البشر**[3].

وبما أن المصطلح قد نقل من لغة أخرى، فإن الاختلاف في ترجمته متوقع، إذ بقي متأرجحًا عند الباحثين العرب بين (موسيقى الكلام) و(النّبر الموسيقي) و (النغمة الصوتية) وهي ترجمات مختلفة لمفهوم واحدٍ. [4]

وما دام الأمر كذلك فلابد من استقراء هذا المفهوم عند علماء الغرب أولاً : يعرفون التنغيم بأنه:"**عبارة عن تتابع النغمات الموسيقية أو الإيقاعات في حدث كلامي معيّن**". [5] ويروا أن من فوائد دراسة هذا الملمح أنّه يعين على تمييز أصوات الأشخاص.

---

[1]- التنغيم في القرآن الكريم، دراسة صوتية، سناء حميد البياتي، مركز إحياء التراث العلمي العربي، جامعة بغداد، العراق، 2007، ص02

[2]- لسان العرب، ابن منظور، مادة نغم، مجلد 12، ص590

[3]- أثر التنغيم في توجيه الأغراض البلاغية لعلم المعاني، الاستفهام أنموذجًا، مزاحم مطر حسين مجلة القادسية، ع3، 4- المجلد6-2007. ص39

[4]- أثر التنغيم في توجيه الأغراض البلاغية لعلم المعاني. الاستفهام أنموذجًا. د. مزاحم مطر حسين ، ص39

[5]- أسس علم اللغة. ماريوباي، ترجمة وتعليق أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط8،1998،ص93

ويعرف في موضع آخر "**تتابعات مطردة من الدرجات الصوتية المختلفة**"،[1] في حين يعرف **أيضا** :"**التنغيم ربما يعرف بأنّه التغييرات التي تحدث في درجة نغمة الصوت في الكلام والحديث المتواصل، هذا الاختلاف في النغمة يحدث نتيجة لتذبذب الأوتار الصوتية**".[2] رغم الاختلاف في التعريفات إلا أنها تصب في معنى واحد وهو اقتران التنغيم بالكلام المنطوق دون المكتوب ،وهو الميدان الذي يمارس فيه الوصفي إجراءاته ويعمل فيه أدواته .

والتنغيم مرتبط بالاهتزازات التي تحدثها الأوتار الصوتية، فكلما زادت عدد الاهتزازات وكانت ذات سرعة كان عدد التغييرات في التنغيمات أوضح. أما فيما يخص العربية فيعد **إبراهيم أنيس** أوّل من ادخل مصطلح التنغيم في الدراسات اللّغوية المعاصرة وأطلق عليه اسم "**موسيقى الكلام**" إذ يقول: "**أن الإنسان حين ينطق بلغته لا يتبع درجة صوتية واحدة في النطق بجميع الأصوات،فالأصوات التي يتكون منها المقطع الواحد،درجات الصوت بالنغمة الموسيقية.**[3] ويعد التنغيم من أكثر طرق الأداء اتساعا وشمولية ، وأنه يقتصر على التراكيب المسموعة ، وأن له أثرا كبيرا في نفوس السامعين،ومتابعتهم،وحسن إصغائهم،وإزالة اللبس عن معنى الجملة،وإدراك الفرق بين المعاني المتعددة،وفهم المراد.وذلك لا يتأتى إلا بإتّباع سنن أهل اللّغة في النطق،والاهتمام بالجانب التطبيقي،والتعود على مجاراة الفصحاء.فالمتكلم قد يهدف بحديثه وتتابع نغمات كلامه العتابَ،أو الاستحثاث،أو لفت النظرِ،أو الامتعاضَ إلى غير ذلك من المعاني التي لا يمكن إدراكها إلا بمعرفة التنغيم.[4]

ويذهب **تمام حسان** في وصفه للتنغيم بأنه"**ارتفاع الصوت وانخفاضه أثناء الكلام**.[5]

---

[1]- أسس علم اللغة. ماريو باي، ترجمة وتعليق أحمد مختار عمر ، ص:39

[2]- المرجع نفسه، ص39- 40

[3]- ينظر: الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، القاهرة، ص:176

[4]- ينظر: الأداءات المصاحبة للكلام وأثرها في المعنى،حمدان أبو عاصي، ص:67

[5]- مناهج البحث في اللغة، تمام حسان، ص164

ويقول في موضع آخر أيضا: "**إنّ الكلام لا يجري على طبيعة صوتية واحدة بل يرتفع الصوت عند بعض مقاطع الكلام أكثر مما يرتفع عند غيره وذلك ما يعرف باسم التنغيم**".[1] ومعنى هذا فالتنغيم عند **تمام حسان** صفة صوتية تلف المنطوق كله،وألوان موسيقية تكسو الكلام عند إلقائه،وتظهر في صورة ارتفاعات وانخفاضات أو تنويعات صوتية؛ وهذه الارتفاعات والانخفاضات في الصوت أو تتابع النغمات الموسيقية أثناء النطق إنما يكون لمقاصد تعبيرية ومقتضيات معنوية وغايات دلالية؛ولذلك قال **تمام حسان** إن التنغيم:"**تغيير في الأداء الكلامي بارتفاع الصوت وانخفاضه في أثناء الكلام العادي للدلالة على المعاني المتنوعة في الجملة الواحدة.**" [2]

لذا فكل جملة أو كلمة ينطق بها لابد أن تشتمل على درجات مختلفة من درجة الصوت، ما بين عالية، ومنخفضة، ومستوية، ومنحدرة تتناسق وتتناغم لتؤدي الكلّمة والجملة.فاختلاف درجة الصوت في الكلّمة وتباينها من مقطع إلى مقطع آخر قاعدة عامّة تخضع لها جميع اللّغات. إذ أنّه من المستحيل أن نجد لغة تستعمل نغمة واحدة في الكلّمة أو الجملة وتجعلها سائدة في كلّ أجزاء الجملة، فلا بد أن تكون هناك عدّة نغمات متآلفة مناسبة في الكلّمة وقد أشار العلماء إلى أنواع النغمات مابين هابطة إلى أسفل وصاعدة إلى أعلى وثابتة مستوية[3].

وجعل **تمام حسان** الأنماط التنغيمية بالنظر إلى شكل النغمة المنبورة الأخيرة، أي بالنسبة إلى نهاية النغمة وصفتها من الارتفاع والانخفاض فإنها تنقسم على قسمين: [4]

1- النغمة الهابطة :وهي تتصف بالهبوط في نهايتها. ومثال النغمة الهابطة قوله تعالى : ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا (42) فِيمَا أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا (43)** ﴾ [5].

---

[1]- البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج 1،ص179

[2]- مقالات في اللغة والأدب ، تمام حسان، ج1، ص:333

[3]- ينظر: مناهج البحث في اللغة، تمام حسان، ص166

[4]- ينظر:المصدر نفسه، ص198- 199 .

[5] - المرسلات :42- 43

2- النغمة الصاعدة:الثابتة:وهي تتصف بالصعود في نهايتها. ومثال النغمة الصاعدة قوله تعالى: ﴿**قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسَفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ (89) قَالُوا أَإِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا (90)** ﴾[1].إذ كشف الاستفهام والتوكيد المتجاورين في الآية (90) عن حقيقة نفسية عميقة في طبيعة الإنسان،ورسما صورة بارعة في موقف إنساني في مثل هذه الحالة (قالوا أإنك لأنت يوسف) لأنهم استرجعوا الصورة التي مر عليها أعوام كثيرة في لحظة واحدة ولكنهم مازالوا مبهوتين مترددين،وهذه الآية وضحت أثر التنغيم في الدهشة التي تنطق بها.[2]وقد تكون النغمة هابطة أو صاعدة وثابتة في التقرير والطلب والاستفهام غير المبدوء بهل والهمزة، وصاعدة وثابتة في الاستفهام المبدوء بهل والهمزة، وفي المجموعة الكلامية التي يتم بها المعنى.[3]

وقد يؤدي الانحراف عن النطق (المتعارف عليه عند أصحاب اللغة) غالبا إلى اختلاف المعاني وتباين المقاصد.ناهيك عن عدم وضوح المعنى. فمعرفة طرق الأداء والنطق الصحيح، لا يقل في أهميته عن معرفة علم النحو؛لذا فالتنغيم بهذا الوصف المتقدم وظائف متعددة في عملية الاتصال بين المتكلمين، يأتي في مقدمتها وظيفتان إلى جانب الوظيفة الصوتية على نحو ما قرره **تمام حسان**:

الأولى: وظيفة أدائية: ويتم بها نطق الجملة في اللّغة حسب نظم الأداء فيها، وحسب ما يقتضيه العرف عند أهلها من حيث الالتزام بطرق أدائها ؛ لأنه لو لم يلتزم بها يصبح نطقه وكلامه غير واضحين. إذ يقوم التنغيم ببيان اكتمال الجمل أو عدمه، كما يقوم بوظيفة أخرى هي تصنيف الجمل أو عدمه ، كما يقوم بوظيفة أخرى هي تصنيف الجمل إلى أنماطها المختلفة فمنها تقريرية

[1] - يوسف: 89- 90

[2] - ينظر :السياق أنماطه وتطبيقاته في التعبير القرآني ،خليل خلف بشير العامري، مجلة القادسية في الأدب والعلوم التربوية،المجلد9، ع2 ،2010 ،ص45

[3] - ينظر:مناهج البحث ،تمام حسان، ص:202

واستفهامية وتعجبية، لأن من المعلوم أن لكلّ جملة نمط خاص من التنغيم في نهايتها.[1]

الثانية:وظيفة دلالية سياقية: حيث ينبئ اختلاف النغمات، وفقًا لاختلاف المواقف الاجتماعية عن وجهات النظر الشخصية من رضا وقبول وزجر وتهكم وغضب وتعجب ودهشة ودعاء... إلخ.حيث يقوم التنغيم بأداء هذه المعاني بمعونة السّياق العام المتعلّق بالظروف والمناسبات التي يلقى فيها الكلام. وفي ذلك يقول **تمام حسان**":وللنغمة دلالة وظيفية على معاني الجمل تتضح في صلاحية الجمل التأثيرية (exclamatory) المختصرةنحو:(لا!)،و(نعم!)،و(ياسلام!) و(الله!) الخ.لأن تقال بنغمات متعددة، ويتغير معناها النحوي والدلالي مع كل نغمة بين الاستفهام،والتوكيد،والإثبات لمعان مثل :الحزن والفرح والشك،والتأنيب،والاعتراض، والتحقير،وهلم جرّا،حيث تكون النغمة هي العنصر الوحيد الذي تسبب عن تباين هذه المعاني.[2] ولا تقتصر وظيفة التنغيم على ما سبق بل تتعداه إلى وظائف متعددة تركيبية وصرفية ودلالية[3].

وتعد دراسة التنغيم : "**من أدق جوانب الدراسة اللّغوية وأكثرها خطورة، بسبب تعدد النغمات في البيئة اللّغوية أو اللّهجة الواحدة،وارتباط هذه النغمات بالمواقف النفسية، وارتباطها بالثقافة والتراث والمستوى الاجتماعي**".[4]

ولذا فقد تعارف الناس على تنغيم كل نمط تركيبي على حدة؛فنغمة جملة الإثبات غير نغمة جملة الاستفهام بهل والهمزة؛ونغمة الجملة المبدوءة بهل والهمزة تختلف عن نغمة الجملة المبدوءة بالأدوات المنقولة،إما عن الموصولية، أو عن الظرفية،أو عن الأسماء المبهمة. فالجملة المبدوءة بواحدة من هذه الأدوات تنتهي بنغمة هابطة ويتضح ذلك عند مقارنة "هل جاء محمد؟" و "اين محمد؟" كذلك عند مقارنة"هل جاء محمد؟"و"اين محمد؟"كذلك تختلف النغمة في نهاية الكلام التام عن نغمة

[1] – ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها ،تمام حسان ، ص:228

[2]– ينظر: المصدر نفسه ، ص:228

[3]– ينظر: التنغيم وأثره في اختلاف المعنى ودلالة السياق، أسهل ليلى، ص8

[4]– مناهج البحث في اللّغة، تمام حسان، ص 228 .

نهاية الكلام غير التام.[1]

وقد تحذف علامة الاستفهام فتستقل نغمة الكلام بالدلالة على المعنى،ومن قول موسى لفرعون: ﴿**وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ** ﴾[2].وقول إبراهيم: ﴿ **قَالَ وَمِنْ ذُرِيَتِي** ﴾[3] والمعنى "**أو تلك نعمة**"وقال" **ومن ذريتي** ". ويستشهد **تمام حسان** بقول **الكميت**:[4]

طَرِبْتُ شوقا وما شوقا إلى البيض أطرب ولا لعبا مني وذو الشيب يلعب

ويعني "أو ذو الشيب يلعب؟"

ويضيف قول عمر بن أبي ربيعة :[5]

أبرزوها مثل المهاد تهادى بين خمس كواعب أتراب

ثم قالوا تحبها قلت بهرا عدد النجم والحصى والتراب

ويعني "أتحبها؟."

فحذف الأداة في ذلك ألقى على نغمة الكلام عبء أداء المعنى .ويرى **تمام حسان** أن قرينة السياق تلعب دورا مهما لتعويض غياب التنغيم حين يكون النص مكتوبا،ويعد حذف الأداة في كل ذلك مؤشرا أسلوبيا،لأن السامع يتوقع أن يتم الاستفهام بواسطة الأداة،فإذا لم تذكر الأداة فالناس حيال حذفها فريقان:

- فريق يستطيع إدراك قرينة السياق فيدرك معها وجود المؤشر الأسلوبي .
- وفريق يستطيع ذلك فيفطن إلى الكلام إثباتا ، وينسب إلى ذي الشيب أنه قد يلعب أحيانا ، وذلك عكس مراد الشاعر الذي يوضحه أنه ينفي عن نفسه طرب الشوق إلى البيض

[1] – ينظر : مقالات في اللغة والأدب ، تمام حسان ،ج2،ص:177

[2] – الشعراء:21

[3] – البقرة: 123

[4] –البيان في روائع القرآن ، تمام حسان ، ج1، ص 12

[5] – مقالات في اللغة والأدب ، تمام حسان ، ج1 ،ص 373

كما ينفي عن نفسه اللعب.[1]

ويعد التنغيم قيمة استبدالية عن الغرض القصدي للمتكلّم،وهذا ما يلاحظ في قوله تعالى:

﴿ **قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ (74) قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ** ﴾.[2] فتقرأ الآية بصورتين تنغيميتين:

الأولى (قالوا جزاؤه) بتنغيم الاستفهام.

والثانية (من وجد في رحله فهو جزاؤه) بتنغيم التقرير.

ولذا **فتمام حسان** يقرن التنغيم في الكلام المنطوق ويماثله من حيث الأهمية بالترقيم في الكلام المكتوب، قائلاً:"**غير أن التنغيم أوضح من الترقيم في الدلالة على المعنى الوظيفي للجملة.**"[3]غير أن أهمية التنغيم أكثر من الترقيم فبالإمكان متابعة الكلام المكتوب دون ترقيم، ولكن مع الكلام المنطوق تبرز أهمية التنغيم في إبراز القيم الدلالية في الفعل الكلامي، فالتنغيم تنويع في درجات الصوت خفضا وارتفاعًا في الوحدة الدلالة مهما تنوعت مقاطعها وظهورها ضمن سياق الكلام.[4]

ويستخدم **تمام حسان**، في كتابه "**اللغة العربية معناها ومبناها**" أسلوب النفي الجازم لوجود ظاهرة التنغيم في التراث العربي، حيث ذهب إلى أن التنغيم في اللغة العربية الفصحى غير مسجل وغير مدروس، ومن ثم تخضع دراستنا إياه في الوقت الحاضر لضرورة الاعتماد على العادات النطقية في اللهجات العامية[5].و المتطلع على كتب اللّغة والأصوات وخاصة الحديث منها، يلحظ أنّه لا يخلو كتاب واحدٌ منها دون أن يتعرض ولو بيسير من الكلام.[6].

---

[1] – ينظر: مقالات في اللغة والأدب ، تمام حسان ،ج2 ، ص: 177-178

[2]– يوسف، 74-75.

[3]– اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، ص226

[4]– المصدر السابق، ص12- 13

[5]– اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، ص228

[6]– التنغيم وأثره في اختلاف المعنى ودلالة السّياق ،سهل ليلى، ص:14

إذ نجد **ابن جني** قد* فطن إلى هذه الظاهرة وإن لم يصرح بها وأشار إلى دور التنغيم في تحديد الدلالة وتوضيح الإعراب في كتابه **الخصائص** عندما تعرض لقضية حذف الصفة في قولهم (سيرَ عليه ليلٌ) يقول:"**وقد حذفت الصفة،ودلت الحال عليها،وذلك فيما حكاه صاحب الكتاب من قولهم:"سيرَ عليه ليلٌ"،وهم يريدون:ليلٌ طويلٌ.وكأن هذا إنما حذفت فيه الصفة لِمَا دل على الحال على موضعها.وذلك أنك تحس في كلام القائل لذلك من التطويح والتطريح والتفخيم والتعظيم ما يقوم مقام قوله:طويل،أو نحو ذلك.**"[1]ومن ذلك أيضا قوله:"**وذلك أن تكون في مدح إنسان والثناء عليه،فتقول:"كان والله رجلا!" فتزيد في قوة اللفظ ب(الله) هذه الكلمة،ولتمكّن في تمطيط اللام، وإطالة الصوت بها وعليها،أي رجلا فاضلا أو شجاعا أو كريما أو نحو ذلك .وكذلك نقول:سألناه فوجدناه إنسانا!وتمكن الصوت بإنسان وتفخمه،فتستغني بذلك عن وصفه بقولك:إنسانًا سمحًا أو جوادًا أو نحو ذلك.وكذلك إن ذممته ووصفته بالضيق قلت:سألناه وكان إنسانا! وتزوي وجهك وتقطّبه، فيغني ذلك عن قولك:إنسانًا لئيمًا...الخ.**"[2] ولعل أوضح الأدلة على إدراك النحاة لظاهرة التنغيم ودورها في تحديد المعنى حديثهم عن "**الترنم**"،وهو ظاهرة تنغيمية تعني مد الصوت وإطالته.يقول **سيبويه** في كتابه:"**اعلم أن المندوب مدعّو،ولكنه متفجّع عليه،فإن شئت ألحقت في آخر الاسم الألف، لأنّ الندبة،كأنهم يترنمون فيها**"[3].ويقول **ابن يعيش:"اعلم أن المندوب مدعو...**"ويقول:"**ولما كان مدعوا مذهب التطريب زادوا الألف آخرا للترنم.**"[4]

---

*لم يستعمل ابن جني مصطلح التنغيم إلاّ انّ كلامه يتضمن مفهومه .

[1] – الخصائص، ابن جني،أبو الفتح عثمان، تحقيق علي النجار،دار الشويق –دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد،1990،ج2، ص:372 –373

[2] – المصدر نفسه: ص 372 – 373

[3] – الكتاب ، سيبويه ، أبو بشر عمر بن عثمان،مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت،لبنان،ط1998،2،ج1،ص375.

[4] – شرح المفصل ،ابن يعيش النحوي،عالم الكتب، بيروت،(د ط)،(د ت)، ج2،ص:13

وهذا دليل على إدراك النحاة أهمية التنغيم، فالواو خصصت للندبة لما فيها من التفجع والحزن إذ "**المراد رفع الصوت ومده لإسماع جميع الحاضرين**".[1]

ويرى **السيوطي** أن التنغيم حقيقة صوتية نطقية في تأويل المعنى،إذ يقول حدثنا **المرزباني عن ابراهيم بن إسماعيل الكاتب**، قال سأل **اليزيديّ الكسائي** بحضرة **الرشيد**، فقال: انظر أفي هذا الشعر عيب؟ وأنشده :

مَا رَأَيْنَا خَرْبَا نَفَرُّ عَنْهُ البيضُ صُفْـــرُ

لايكونُ العيرُ مُهْرًا لايكونُ المهرُ مهرُ

فقال **الكسائي**: "**قد أقوى الشاعر،فقال له اليزيدي :انظر فيه،فقال: أقوى لابد أن ينصب (المهر) الثاني على أنه خبر لـ(يكون)، فضرب اليزيدي بقلنسوته الأرض، وقال:أنا أبو محمد..الشعر صواب،إنّما ابتدأ فقال:"المهرُ مهرُ...** "[2] لم يفطن **الكسائي** لما رآه **اليزيديّ** الذي استخدم شيئا جديدا في تفسير البيت،وهو (الوقف)،أو التنغيم الذي جعل جملة لايكون – التي ضغط عليها حين النّطق،وأخذت مطًا صوتيا– لاصلة بينهما وبين ما بعدهما، فهي توكيد لما قبلها من حديث.[3]

وقد أشار **بالي** إلى أن الأصوات، والنغم، والإيقاع، والفواصل تتضمن طاقة تعبيرية قوية لكنّها تظل في طور الكمون، وهي إشارة دقيقة، ويحسب أن هذه الطاقة لا تبقى في طور الكمون بل تظهر عند استثارتها وتوظيفها في المكان المناسب[4]. وهذه الإشارات التي ذكرها علماء العربية تدل على أنهم أدركوا دور التنغيم وأهميته في إيضاح المعاني.فالفرق بين كم الاستفهامية وكم الخبرية

[1] – شرح المفصل ،ابن يعيش النحوي،:ص 13 .

[2] – الأشباه والنظائر ، السيوطي، جلال الدين ، تح محمد عبد الله ،منشورات مجمع اللغة ،1996،ج3،ص:245 .

[3] –ينظر: الأداءات المصاحبة للكلام وأثرها في المعنى، حمدان أبو عاصي، ص:69 .

[4] –ينظر: التشكيل اللّغوي وأثره في بناء النّص،دراسة تطبيقية، زيد خليل القرالة، مجلة الجامعة الإسلامية، مج17، ع1،جانفي2009، ص:225

إنما يتأتى بكون كل واحدة منهما تحتوي على أداء معين بها تتميز.والنحاة عند استنباطهم واستخراجهم قواعد اللغة اعتمدوا على سماع كلام العرب، ففرقوا بينهما على أساس ما تشتمل عليه من تنغيم.ومن ذلك ما يقع في صيغ التعجب وأساليبه القياسية والسماعية.فالنغمة كذلك تفرق بين الإغراء والتحذير في القول(الرجلَ الرجلَ) فإذا كانت النغمة مرتفعة فإنها تحذرك من الرجل، وأما إذا نطقت بنغمة مستوية فإنها تدل على الإغراء.[1]

وأما بالنسبة لدور التنغيم في تحديد المعنى المقصود من وراء الاستفهام، فأمثلته في العربية الفصحى كثيرة ، منها قول **الرّجاز**:

حتَّى إِذَا جَنَّ الظّلامُ واختلط جاؤوا بمذق!هل رَأيتَ الذئبَ قط [2]

فجملة، هل رأيت الذئب قط،خبرية تقريرية،تعني جاؤوا بمذق[3] يشبه لون الذئب،وذلك لأن النغمة الصوتية تشير إلى معنى الإخبار،وليس إلى معنى الاستفهام.ومن أمثلته في القرآن الكريم قوله تعالى:﴿**يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ(1)** ﴾.[4]فجملة (تبغي مرضات أزواجك) يمكن أن تكون استفهامية ، وليس فيها أداة استفهام، وإنّما طريقة نطقها بصورة تناسب الأنماط التنغيمية للجمل الاستفهامية تدل على أنّها كذلك.[5]

وأما بالنسبة لأهية التنغيم وأثره في قراءة القرآن وتجويده ، فإننا نجد الإمام الزركشي يذكر في كتابه (البرهان في علوم القرآن) أن الخطاب القرآني، يأتي على نحو من أربعين وجها. إذ يشير القرآن بكمال الترتيل فليقرأه على منازله ، فإن كان يقرأ تهديدا لفظ به المتهدد،صراحة إلى أهمية التنغيم في توضيح معاني الأساليب الواردة في القرآن فيقول: "**فمن أراد أن يقرأ وإن كان يقرأ لفظ به**

---

[1] – ينظر: الأداءات المصاحبة للكلام وأثرها في المعنى، حمدان أبو علي ،ص:69 .

[2] – خزانة الأدب ، عبد القادر البغدادي ،مطبعة بولاق، مصر(د ط) ،1299هـ،ج1،ص275 .

[3] – مذق: اللبن المزوج بالماء.

[4] – التحريم :1

[5] – ينظر: الأداءات المصاحبة للكلام وأثرها في المعنى، حمدان أبو علي ،ص:70

على التعظيم ".[1]

ويشير **الزركشي** إلى وجوب مواءمة التنغيم للمعنى المطلوب؛ **مما** يجعل المقروء مستقرًّا في ذهن السامع وقلبه.فاللين غير الشدّة، والأمر والنهي غير الدعاء،والالتماس والخبر غير الاستفهام،والوعد غير الوعيد؛ ولذا اهتم العلماء بطرق الأداء في قراءة القرآن الكريم. ولعلماء القراءات إسهامات متميزة في هذا المجال، فاللحون التي نسمعها من القراء المجودين لقراءات القرآن الكريم هي التنغيم. فقراءة التحقيق هي:"**إعطاء كل حرف حقه من إشباع المد، وتحقيق الهمز،وإتمام الحركات،واعتماد الإظهار والتشديدات، وتوفية الغنات، وتفكيك الحروف، وهو بيانها وإخراج بعضها من بعض بالسكت والترسل واليسر**[2]."**أما التجويد فهو"الإتيان بالقراءة مجودة الألفاظ بريئة من الرداءة في النطق، ومعناه انتهاء الغاية في التصحيح وبلوغ النهاية في التحسين**".[3]

فإشباع الفتحة في آخر الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿**وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا**﴾.[4]وفي آخر قوله تعالى: ﴿**يَالَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَالرَّسُولَا**﴾.[5] وفي آخر قوله تعالى: ﴿**فَأَضَلُونَا السَّبِيلاَ**﴾،[6] نوع من التنغيم يؤدي إلى البيان والوضوح والتأكيد على تأصل الكفر.

بل إن (هاء السكت) التي تلحق الكلمات المنتهية بياء المتكلم في "**كتابيه ، حسابيه ، سلطانيه**" هي نوع من التنغيم الذي يشير إلى استراحة النفس؛ وذلك بالوقف على (هاء السكت)، ومن ثم

---

[1] – البرهان في علوم القرآن ،الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، تح محمد أبي الفضل ،دار إحياء الكتب العربية، منشورات عيسى البابي الحلبي، مصر، 1975، ج1، ص450

[2] – النشر في القراءات العشر،ابن الجزري، محمد بن محمد علي بن يوسف، تح محمد سالم محيسن ، مكتبة القاهرة، مصر ،(د ت)، ج1، ص:293

[3] – المصدر نفسه ، ص: 292

[4] – الأحزاب: 10

[5] – الأحزاب: 66

[6] – الأحزاب :67

يعدل عن الإعراب وبيانه.[1]

3 – الإيقاع القائم على النّبر:

النبر لغة هو الهمز*، ونبر الحرف أي همزه عند العرب هو ارتفاع الصوت"**كل شيء نبر شيئا فقد رفعه. نبر الحرف شيئا فقد رفعه . نبر الحرف بنبره نبرا: همزه. فمن معانيه شدة الصياح وارتفاع الصوت**"[2] .

أما في الاصطلاح فلم يخرج عن تعريفات اللّغويين، إذا يقول عنه **إبراهيم أنيس**:"**والمرء حين ينطق بلغته، يميل عادة إلى الضغط على مقطع خاص من كل كلمة ليجعله بارزا أوضح السمع من غيره من مقاطع الكلمة، وهذا الضغط هو الذي نسميه بالنبر**"[3].

في حين يعرفه **أحمد مختار عمر**" **الضغط على مقطع معين من كلمة، ليصبح أوضح في النطق من غيره لدى السامع**".[4]

في حين عرّفه **تمام حسان** بأنه:" **وضوح نسبي لصوت أو مقطع إذا قورن ببقية الأصوات والمقاطع في الكلام**".[5] أو هو " **ازدياد وضوح جزء من أجزاء الكلمة في السمع عن بقية ما حوله من أجزائها** "[6] . ويتفق **تمام** مع اللغويين على أن النّبر هو الوضوح لصوت أو مقطع عن بقية الأصوات و المقاطع .و يرى **تمام حسان** أن العوامل المؤدية إلى للنّبر هي:"**الكمية**

---

[1] – ينظر : الأداءات المصاحبة للكلام وأثرها في المعنى،حمدان أبو عاصي ، ص:69-70

* ولقد عبر عن النبر في العربية بمسميات مختلفة "كالهمز، العلو، الرفع، مط الحركات، الارتكاز، الإشباع، المد،التوتر، التضعيف، وكلها تفضي إلي مستوي دلالي واحد بوظائف متباينة تبعا للسياق .

[2]– لسان العرب، ابن منظور، مادة نبر.

[3]– الأصوات اللغوية، كمال بشر، دار غريب، القاهرة، ط 1، 2000، ص: 30 .

[4]– دراسة الصوت اللغوي، أحمد مختار عمر،عالم الكتب، ط1، القاهرة، 1981، ص: 261

[5]– ينظر: مناهج البحث في اللغة العربية، تمام حسان، ص: 160

[6]– ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، ص :304

والضغط والتنغيم".[1] سواء بإنفراد أحد هذه العوامل أو إتحاد أكثر من عامل، لقد تعددت تعريفات العلماء لهذه الظاهرة والعامل المشترك بين هذه التعريفات هو أن النّبر يمثل بروزا لأحد مقاطع الكلمة فيميزه من غيره سمعيا .

و يحدث النبر عندما " **نبرز بعض أعضاء سلسلة الأصوات على حساب الأجزاء الأخرى، وهي غالبا المقاطع التي يعارض بعضها بعضا**".[2] ولذا يفرق **عبد الصبور شاهين** بين الإيقاع والنّبر بقوله:" **فالإيقاع عنصر يختص بالجمل ولا يرتكز على مقطع أو مجموعة معينة، عل حين أن النّبر يختص بالكلمة أي المجموعة الأصواتية، ويرتكز على مقطع بذاته منها، طبقا لنظام خاص بكل لغة على حدة**".[3]

ويعتبر النّبر أشيع في اللّغات الغربية منه العربية بحيث يمكن أن يتغير معنى الكلمة في تلك اللّغات بتغير موقع النّبر فيها، ولذلك يهتم اللّغويون بتحديده في قواميس تلك اللغة، أمّا في العربية فإن النّبر لا يغير المعنى، لكنّه قد يساعد السامع على الفهم[4].

ولذا يرى جل الدارسين أن العرب القدامى لم يهتموا بهذا النوع من الدراسة، وأن اللغة العربية غير المنبورة .[5]

أمّا في العصر الحديث فقد زاد الاهتمام بظاهرة النبر في العربية بعد **تمام حسان** صوتيا لا تشكيليا ، وعلى هذا الأساس فهو ازدياد وضوح جزء من أجزاء الكلمة في السمع، عن بقية ما حولها من أجزاءها،نحو اختلاف بين نطق الصيغ الصرفية التالية من حيث موقع الوضوح السمعي:

---

[1]- مناهج البحث في اللغة العربية، تمام حسان، ص: 180-181

[2]- علم الأصوات، كمال بشر، ص: 187

[3]- المرجع نفسه، ص: 200

[4]- العربية الفصحى نحو بناء لغوي جديد، فليش هنري بدون تر: عبد الصابور شاهين، منشورات دار المشرق، بيروت، لبنان، ص: 49

[5]- التطور النحوي للغة العربية، برجشتراسر، إخراج وتصحيح رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي القاهرة ودار الخانجي الرياض، ص: 73

فَعَلَ- فَاعِل— فَعِيل [1] فأوضح الأصوات في الصيغة الأولى وكل ما يأتي على مثالها فتح الفاء، وفي الثانية ألف المد وفي الثالثة ياء المد. وفي حالة الثتنيه تصبح فِعْلاَن، فَاعِلاَن، فَعِيلاَن. فقد انتقل النّبر في جميع ذلك إلى المقطع الأخير (أي ألف التثنيه) مما يدل علي أن مواقع النّبر في كلمات تخضع للتبديل بحسب التجرد والزيادة والاختلاف في البنية المقطعية للكلمة، ويري **تمام** أن الفرق ما بين النّبر في الكلام هو فرق ما بين مقررات القاعدة ومطالب السّياق . ولذا يصبح النّبر في الكلام هو ظاهرة موقعية لأنه نبر الجمل المستعملة فعلا، أما النبر في نظام الصرف فهي نبر كلمة المفردة، وهو نبر صامت صمت القاعدة نفسها، وصمت اللغة، فنسب إلى كلمات خارج السياق، ولذا لا يمكن إدعاء وضوح سمعي في كلمات وصيغ صامتة. [2]

ولذا يختلف النّبر في الافراد عن النبر في السياق لأنه تحكمه مطالب أخرى هي مطالب "**الإيقاع**"في السياق المتصل. ولذا فوصف الأصوات تركيبا غير كاف،فلا بد من دراسة مقاطع ما فوق التركيب.[3] ولذا يرى **تمام حسان** أن الدرس الوصفي غير كافي ، فلابد من إلحاق الدراسة الصوتية للأصوات بالصوت ووظيفته والحرف ووظيفته، والموقع ووظيفته والمقطع ووظيفته ،ويصدق على مجموع المعاني التي يؤديها كل من (الصوت الحرف، الموقع، المقطع)اصطلاح المعنى الوظيفي، لأن لكل واحد وظيفة منوطة به ويساهم بأدائها في بيان المعنى العام ووضوحه.[4]وللنّبر صور على الرغم من قلتها في العربية إلا أنها أثبتت اطرادها، وقواعد النّبر قليلة لأنها تدور حول احتمالات توالي العدد القليل من مقاطع الكلمة أو السياق على حد تعبير **تمام حسان** فالنبر ظاهرة صوتية سمعية عائمة متفلتة لا يمكن تلقفه.[5]

على الرغم من اطرادها فقد أورد **تمام حسان** قواعدها كالآتي:

---

[1] – ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، ص: 170

[2] – ينظر: البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج 1، ص: 180

[3] – ينظر : الأسلوبية الوظيفية، بداش حفيظة، ص:200

[4] – ينظر: اللغة بين المعيارية والوصفية، تمام حسان، عالم الكتب ، القاهرة ، ط4،2001 ص: 120

[5] – ينظر: البيان في روائع القرآن ، تمام حسان ، ج 1،ص: 180

1- يقع النّبر على مقطع الأخير من كلمة المفردة إذا كان المقطع الأخير طويلاً، سواء أكان من نوع الرابع (ص م ص)أو الخامس (ص ح ص ص) أو السادس(ص م ص ص) من الأنواع الستة السابقة نحو ما تلاحظه موقع النبر في نحو: مفعولْ- يفعلانْ- فعلتْ البارْ بإسكان الآخر في كل ذلك.

2- يقع النّبر في الكلمات ذات المقطع الواحد على هذا المقطع الواحد أيا كانت كميته نحو: ق- قم- ما- قال-حاج.[1]

3- يقع النبر على المقطع الذي قبل الأخير في الحالات الآتية:

أ: إذا كان ما قبل الأخير قصيرًا والأخر متوسطًا أو قصيرًا في كلمة ذات مقطعين أو مبدوءة بهمزة وصل قبلهما كما في: كتب–أنطلق– أخرجي- أرعَوِ.

ب: إذا كان ما قبل الأخر متوسطا وكان الأخر متوسطا أو قصيرا كما في: علم- قاتل- معلم- مقاتل- استوثق- أستلق- حذار.

ج: إذا كان ما قبل الآخر طويلا وأغتفر فيه التقاء الساكنين والآخر غير طويل كما يلي في: ضالة- طامة- دويّة – حويقّة.

- يقع النبر على المقطع الذي يسبق ما قبل الأخر إذا كان هذا المقطع قصيرا أو متوسطا بعده قصيران أو قصير ومتوسط نحو: علمك- علمكم- بينكم- بيتك- نظرة – ابتسامة.

- يقع النبر على الثالث مما قبل الآخر إذا كان الآخر قصيرا أو متوسطا قبله ثلاثة قصار نحو: ضربك- بقرة- يرثني- تعدهم- وجدك- نكرهم.[2]

- لا يقع النبر على مقطع قبل ذلك المذكور أخيرا (نحو الثراء في ضربات) كل هذه الأنواع من نوع في الكلمة مفردة (إملائيا) ولكن الاستعمال اللّغوي لا يتم من خلال إفراد الكلمات لأن الكلمة المفردة ذات معنى مفرد والمعنى المفرد لا يتصف بالإفادة. فإذا كانت الإفادة هي مطلب

[1]- ينظر : البيان في روائع القرآن ، تمام حسان ، ج 1،ص:181

[2]- ينظر: المصدر نفسه ، ص : 181 .

الاتصال اللّغوي فأولى بهذا الاتصال أن يتم من خلال سياق لغوي مركب ذي علاقات نحوية ومعان دلالية وقرائن من كّل نوع يتوصل بالإفهام والفهم. ولذا حين تتجاور الكلّمات في السّيّاق اللّغوي تنشأ من تجاورها ظروف الظروف الجديدة هي مقتضيات الإيقاع الذي ينسب إلى السّيّاق ولا ينسب إلى المفردات[1].

فالنّبر الذي يقصده **تمام حسان** هو"**النّبر السياقي**"لا "**النّبر الافرادي**".وينقسم النّبر عنده إلى:[2]

1- نبر صرفي.

2- نبر دلالي.

وينقسم النّبر الصرفي بدوره إلى قسمين:

1- **نبر أولي**: مطلب صرفي مسرحه الكلّمة.

2- **نبر ثانوي**: عندما تتعدد مقاطع كلمة(فتصبح توازي كلمتين قصيرتين مثل: مستقيم= جاء أمس. ومن هنا يأتي النّبر الثانوي قبل النبر الأوّلي ليوجد توازنًا بين أجزاء الكلّمة. وتظهر أهمية النّبر الثانوي في إيضاح مقاطع من الكلّمة ما لولاه لخفي السمع، ويوجد من التوازن بين جزئي الكلّمة ما يجعلها أكثر قبولاً في الذوق وراحة للأذن وهذا القبول على مستوى الكلّمة المفردة.[3]

فما هي وظيفة النّبر في السّياق؟

إذا تعددت مقاطع الكلّمة المفردة صارت من حيث مطلق حركاتها وسكنتاتها بوزان كلمتين قصيرتين لم تقنع بالنّبر الأولي، وتضع على النّبر الأوّل نبرًا آخر يسمّى **النّبر الثانوي** إذ تصبح الكلّمة الواحدة بوزن كلمتين قصيرتين نحو: صافّات: قال ساكنة اللام مرتين، يستبتون= ليس

[1]- البيان في روائع القرآن ، تمام حسان ، ج1، ص:182

[2]- المصدر نفسه، ص: 183

[3] - المصدر نفسه، ص: 183

يهون ويسبق النّبر الثانوي الأولي ليوجد توازنًا أجزاء الكلّمة [1] ويخضع النّبر الثانوي بدوره إلى قواعد أيضًا وهي:

1- يقع النّبر الثانوي على المقطع السابق للنّبر الأولى مباشرة إذا كان هذا السابق طويلاً نحو: الصّافات – الضالين – أتحاجوني.

2- يقع على المقطع الثاني مما يسبق النّبر الأولي إذا كان هذا الثاني متوسطًا والذي بينه وبين النّبر الأولي قصيرًا أو متوسطًا نحو: مستبقين- عاشرناهم – مستعد.

3- يقع النبّر الثانوي على المقطع الثالث مما قبل النّبر الأولي فيما يلي:

أ- إذا كان هذا الثالث قصيرًا وبين النّبر الأولي قصيران نحو: بقرتان –كلمتان

ب- أو كان متوسطًا بينه وبين النّبر الأولي قصيران نحو: يستبقون – محترمان أو قصيرًا فمتوسطًا نحو: يستقيمون – مستطيلان – مستطيعات.[2]

النّبر السّيّاقي:

يقول **ستيفان أولمان:**"السّيّاق وحده الذي يوظف لنا ما إذا كانت الكلّمة ينبغي أن تؤخذ على أنّها تعبير موضوعي صرف، أو أنّها قصد بها أساسًا التعبير عن العواطف والانفعالات أو الإشارة إلى هذه العواطف والانفعالات..." [3]

وللسّيّاق دور فعال في التأويل وفهم شفرات الخطاب في نبر الجملة أي السّيّاق أوضح منه في النّبر الصّرفي ، ولذا فالأسلوبية تبحث في تنوع السياقات لتجد البديل . وهذا ما يدللنا على عناية تمام حسان بالنبر السياقي ، لأن نبر الكلمة المفردة خارج السياق غير مجدي و إنما يظهر النبر في السياق ليظهر العواطف والانفعالات (لأن نبر النظام الصرفي نبر الكلمة المفردة أو الصيغة المفردة والكلمة ربما قصرت حيث لا تشمل إلاّ على مقطع واحد منبور فلا تتسم بسمة الإيقاع ، أمّا

[1]- ينظر : البيان في روائع القرآن ، تمام حسان،ج1 ، ص:182

[2]-ينظر: المصدر نفسه، ص :181-182.

[3]- دور الكلمة في اللغة، كمال بشر، مكتبة الشباب، القاهرة،(د ط)، 1987. ص62

السّيّاق فحرص على إظهار موسيقى اللّغة بحفظ المسافات المتساوية أو المتناسبة بين مواقع النّبر ممّا يعطي اللّغة موسيقاها الخاصة التي تعرف بها بين اللّغاتَ".[1]

ويشمل النّص (السّياق) على كلّمات تختلف طولاً وقصرًا بين أن تكون على حرف واحدٍ كباء الجرّ ولامه، وبين أن تكون على عدد أكبر، حتى إنّ الكلّمة قد تكون فعلاً من ستة أحرف أسند إلى ضمير متصل ذي حرفين نحو: "يستغفرون" فإذا عطف هذا الفعل بالفاء بل قد يزيد عدد الحروف على ذلك كما في:﴿ **فَسَيَكْفِيكَهُمُ** ﴾[2] .إذ تلحق باللفظ عناصر الزيادة في أوله عطفًا وتنفيسًا والضّمائر المتصلة في آخره: خطابًا وغيبة ويرى تمام أن هذه العناصر التركيبية الجامدة كالحرف والضمائر قد تقل حروفها حتى لا تصلح للإفراد. ولذا قلّما يصدق عليها نبر الكلّمة المفردة ولكنها جزء من السّياق لا يمكن تجاهله في الاستعمال. فدخول هذه العناصر إلى السّياق يفرض عليه توزيعًا جديدًا للنّبر إذ يقسم أصوات السّياق إلى دفعات، وكلّ دفعة منها بوزان كلّمة عربية حتى إن امتدت هذه الدفعة على نهاية كلّمة وبداية ما بعدها. فمزجت نهاية السابقة بداية اللاحقة في خفقة واحدة من خفقات النّفس عند التكلّم، إنّ توالي هذه الدفعات غير المرتبطة بحدود الكلّمات المفردة بدءًا ونهاية هو ما نعرفه باسم **الإيقاع في الكم**. وهو ناتج عن الاتصال الوظيفي مابين عناصر الكلام.[3]ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿ **وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا** ﴾ فالفعل "صابروا" في حالة الإفراد يشتمل على نبر أولي على ألف المدّ من مقطعه الأول ولكنّه لما عطف بالواو "وصابروا" تغيرت خطّة النّبر فيه فاشتمل على نبر ثانوي على حركة الواو ونبر أولي على حركة الراء فصار كأنّه كلّمتان إحداهما "وصا" والثانية "بروا" وكلتاهما تشبه الفعل "رمى"من حيث مطلق الحركات والسكنات فتستحق من النّبر ما يستحق الفعل "رمى".[4]

---

[1]- اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، ص307

[2]- البقرة: 137 .

[3]- ينظر: البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج 1ص 183-184 .

[4] - ينظر: المصدر نفسه، ص:184

ويظهر النّبر جليا في تلاوة القرآن الكريم في الضغط على المقاطع لأن تجويد القرآن يعتمد على جانب إعطاء الأصوات حقها. ويسهم النّبر السّياقي في إضفاء نوع من الموسيقى الداخلية على الألفاظ، ولذا يؤدي النّبر دورًا فعالاً في تفاعل الدلالات ونشاط السياق. وله دلالة واضحة إذا وقع على كلّمة بعينها بغرض توكيدها أو التعجب منها أو إنكارها أو الاستفهام عنها تأخذ نواة مقاطعها **النبر الرئيسي** وهو ما أسماه تمام حسان **نبر السّياق**.[1]

ويرى **تمام حسان** أن تشابه المسافات بين نبر ونبر أو تقارب الشبه بينهما، فقد يكون بين النّبرين مقطع واحد أو مقطعان أو ثلاثة على أكثر تقدير، دون أن يقع النّبر على أحد هذه الثلاثة. ثم إن النبرين المتوالين قد يكونان من قبيل النّبر الأولي وقد يكون أحدهما ثانويًا. ولذا تمكن أهمية التشابه أو قرب الشبه بين كميات المسافات تمنح الأذن إحساسًا بالإيقاع. ولذا يختلف النّبر من لغة إلى أخرى في تحديد مواقع النّبر فلكلّ لغة قواعد نبر خاصة بها لا تصدق على غيرها من لغات البشر ويتصنع النّبر بسمة "**صوتية وظيفية لها قيمة دلالية في التوجيه، إذا استطاع أن يحقق الغرض القصدي...** [2]

وتكمن أهمية النّبر في اللغة العربية من خلال الوظيفة التي يؤديها إذ يمنح منشئ النّص رشاقة الإيقاع مالا يستطيع المتكلّم العادي منحه إيّاه، كما يقرّب النّص المنثور من وزن الشعر وتمنحه خفة على اللّسان وراحة في الأذن وقبولاّ في النفس ما يجده القارئ في الشعر الموزون. وتستحق بعض الأساليب النثرية عن جدارة أن ينسب إليها الإيقاع، فيوصف بأنّه ذو أسلوب موسيقي موقع أو رشيق دون اللّجوء إلى المحسنات البديعية كأسلوب الجاحظ وأسلوب أبو حيّان التوحيدي ،وأسلوب طه حسين... والخاصية الإيقاعية حقيقة واقعة تحس بها ولا تستطيع وصفها

[1] – ينظر: البيان في روائع القرآن ، تمام حسان ،ج 1، ص:189

[2] – الأصوات اللغوية، سلسلة الدراسات اللغوية، عبد القادر عبد الجليل، دار صفا للنشر والتوزيع،عمان، ط1. 1997،ص243

لأنّها: "**تحيط بها المعرفة ولا تدركها الصّفة**" على حدّ قول الموصلي[1]، ومن الملاحظ أن **تمام حسان** قد سار على نهج القدماء في المقارنة بين أساليب متنوعة ،فوقف على مستوين من الأداء اللّغوي : النمطي والفني للأسلوب في مجموعة من الملاحظات. ولم يحصر **تمام** دراسة الأسلوب على مجموعة من الملاحظات الصوتية والمعجمية، بل يرى أن الاتصال يجب من خلال السياق اللغوي: علاقات نحوية،قرائن من كل نوع،باعتبار الأسلوب محصلة لأكثر من عنصر لغوي، فرصد قوائم غير سياقية بالعناصر المفردة ليست لها أهمية أسلوبية. ولذا أقام **تمام حسان** مقارنته على أساس معدلات التكرار للعناصر اللغوية في كل من نص من نصوص(طه حسين- الجاحظ- حسن الزيات). حتى قوله :" **حتى إذا ما قرأت هذا النص أحسست له خفة على اللسان وقبولا في النفس...وبهذا يمتاز نص عن نص.**"[2] فتحليل هذه العبارة يعود عند **تمام حسان** إلى افتراض وجود معيار كلي قبلي ؛يؤدي إلى قبول بديل تعبيري يعتمد على ذوق واضعه، وحكمه المسبق. وأيضا تخضع دراسة اختيار البدائل إلى تنوع ظروف الاتصال اللّغوي ، وهو مجال الأسلوبية التي تبحث في تنوع السياقات لكي تفسر اختيار البديل.[3]

ويعود مرة أخرى **تمام حسان** ليستشهد بالتراث من خلال الارتكاز على مقولة الخفاجي" وحين أحس **الشّهاب الخفاجي** بالإيقاع القرآني لم يستطيع الإشارة إليه على علائه وإنّما انتقى من العبارات القرآنية ما أمكن أن يطوعه للوزن الشعري، أما الإيقاع الذي يستعصي على الوزن فلم يكن في طوق **الخفاجي** أن يكشف عنه أو أن يشير إليه. لقد بنى **الخفاجي** منظومته الشعرية التي ضبط بها كميات البحور وتفعيلاتها على هذه العبارات القرآنية المذكورة ليسهل على المتعلّم تذكر المنظومة "[4]من ذلك:

---

[1]- البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج 1،ص184.

[2]- ينظر: المصدر نفسه ، ص184

[3] - ينظر: الأسلوبية الوظيفية ،بداش حفيظة ، ص:203

[4] - البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج 1،ص184

قال في تحديد كمية بحر الطويل:[1]

أطال عزولي فيك كفرانه الهوى وآمنت يا ذا لظبى فأنس ولا تنفر

فعولن مفاعلين فعولن مفاعلين فمن فليؤمن ومن شاء فليكفر

وهكذا يمضي **الخفاجي** في سرد الشواهد القرآنية لتكون نماذج للوزن المحكم لا لمجرد الإيقاع الذي يتسم بالمقارب.

ويرى كثير من الباحثين أن الإيقاع القرآني يصعب شرحه لما يمتاز به من عمق وسحر لا يعرف مصدره، وإن كان من الممكن الحديث عنه أو تفسيره تخمينًا على حدّ قول **سيد قطب**: "**على أن هناك نوعًا من الموسيقى الداخلية يلحظ ولا يشرح، وهو كامن في نسيج اللفظة المفردة، وتركيب الجملة الواحدة، وهو يدل بحاسة خفية وهبة لدنية.**[2]

ويخلص تمام إلى بيان حقائق النّبر[3]:

1- يرى أنّه هناك فروق بين النّبر الأولي والنّبر الثانوي ويلخصها فيما يلي:

أ: النّبر الأولي مطلب صرفي يختص بالكلمة المفردة، في حين النّبر السياقي مطلب إيقاعي يتحقق في الكلمة الطويلة وفي السّياق الذي تدعو الحاجة فيه إلى الإيقاع بسبب ما يعرض له من إرباك نبر الكلّمات بسبب اللواصق والحروف والأدوات التي تعرض في السّياق.

ب: يحسب النّبر الأولي بواسطة التراجع من نقطة انتهاء الكلّمة، وأما الثانوي يحسب بالتراجع من نقطة وقوع النّبر الأولي.

ج- إنّ المسافة بين النّبر الثانوي والأولي بعده إذا نظرت إلى مطلق الحركات والسكنات فيها وجدتها في وزان كلّمة عربية. وهكذا إذا نظرنا إلى كلّمة:"يستعينون" وجدنا بها نبرًا أوليًا على المقطع الأخير "نون" ونبرًا ثانويًا على المقطع الأوّل "يَسْ" أي أن كمية ما قبل النّبر الأولي هي

[1] - ينظر: البيان في روائع القرآن، تمام حسان ،ج1، ص :185

[2]- ينظر: المصدر نفسه، ص :185-186

[3]- ينظر :المصدر نفسه ،ص:186

بمقدار كلّمة عربية، أي أن ما قبل النّبر الأولي هو يستقى أو آية كلّمة لها هذه الكمية. لكن هذه الكمية لما كانت جزء كلّمة ولم تكن كلمة تامة صالحة للإفراد، قع عليها النّبر الثانوي لا الأولي في حين تستحق الكلّمات الأخرى التي على وزنها مثل يرتقي نبر أوليًا على أوّل مقطع في كلّ منها بسبب استقلالها وصلاحيتها للإفراد.[1]

د- يعد النّبر الثاني أقل جهدًا من النبر الأولي لأن ضغط الحجاب الحاجز على الرئتين عند إيقاعه أضعف منه عند إيقاع النّبر الأولي.

2- لو أن الكلمات العربية تشابهت في البنية واتحدت كمياتها وقع عليها النّبر على صورة واحدة صرفيًا كلّه. أو جاء إيقاع اللّغة مسّاوي المسافات رتيبًا مملاً كوقع خطوات المشي. كما في عبارة "من تأتي نال ما تمنى" إذ يقع النّبر فيها على كلّ مقطع بعد مقطع بانتظام، ولكن اختلاف الكلّمات طولاً وقصرًا وتجردا ،وزيادة واتصالاً ،وانفصالاً حال دون هذه الرتابة والملل وجعل للغة إيقاعًا مجرد وقع. ولكن الإيقاع المقصود هو التوازن لا الوزن وهو ما يجعل القرآن مختلفا ومميزًا عن الشعر والنّثر.[2]

3- يعد الوزن والتوازن من صور الإيقاع وهما أيضًا من القيم الصوتية التي تصلح أن تكون مجالاً للفن والجمال. فالوزن تمنع الشعر الموسيقى والجمال. أما التوازن فيظهر جليًا في ترتيل وتجويد قارئ القرآن (ولا أقصد ترتيل التطريب بل الترتيل بدون تطريب) ،وجمال التوازن القرآني يتجاوز جمال الوزن خاصة في ترتيل قصار الجمل. إذ تظهر أهمية التوظيف الأسلوبي. للتشكيل الصوتي وبواسطته يتم الكشف عن الدور البلاغي للأصوات، وهذه الخاصية القرآن الجاذبية ولفت الانتباه والمتعة والارتياح مالا يوجد في الشعر والغناء.[3]

ومن قاعدة الائتلاف والاختلاف يتحدث **تمام حسان** عن تقارب أو انتظام أو اختلاف

[1] - ينظر : البيان في روائع القرآن ، تمام حسان ، ج1،ص :186

[2] - ينظر : المصدر نفسه، ص:186

[3] - ينظر: المصدر نفسه ، ص:187

المقاطع عن بعضها، وكلّما تقاربت أعداد المقاطع بين النبرين أو انتظم اختلاف بعضها عن بعض حسن إيقاعها والعكس صحيح. بمعنى أن الكميات بين نبر وآخر إذا تباينت ولم تتقارب أحس السامع كان المتكلّم يتعثر المتعلّم في مشتبه. بل إنّ المتكلّم يحس هو نفسه بهذا الإحساس.[1] والتقارب والانتظام هو ما نجده في إيقاع الأسلوب القرآني كما يتضح في الشواهد التي أوردها **تمام حسان** اعتباطًا نحو قوله تعالى: ﴿ **أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ** ﴾.[2]

ومن قاعدة الائتلاف والاختلاف يتحدث عن تقارب أو انتظام اختلاف المقاطع عن بعضها ومن صور ذلك الآية السابقة، إذ نرى فيها كيف تحدث الإيقاع من خلال تقارب الأطوال بين المسافات أو انتظام أو ائتلاف أوك- صيب – من الس – ماء- فيه – ظل – مات –و – رعد – و–برق – يجع – لون – أصا – بعهم- في آذانهم – من –الص –واعق – حذر ال- موت – وا – لاهم – حيط – بالكا – فرين.[3]

فبين النّبر الأوّل والثاني مقطع واحد (ك)، ولبن الثاني والثالث اثنان "يب" وبين هذا والذي بعده من السّماء اثنان هما "ن، الس" وبعد النّبر التالي مقطع واحد هو "ء" ويستمر هكذا الفارق في هذه الحدود فيكون الإيقاع. والمقصود بالإيقاع ليس الوزن المحكم وإنّما هو التوازن الناشئ عن تقارب الشبه بين المسافات الفاصلة بين كلّ نبر ونبر، والتوازن هو مصدر رشاقة الأسلوب ومن أسباب ارتياح النفس عند تلاوته أو الاستماع إليه.[4] وتمكن أهمية النّبر الثانوي في إيضاح بعض مقاطع الكلمة التي لولاه لخفيت في السمع. ويوجد من التوازن بين جزئي الكلّمة ما يجعلها أكثر قبولاً في الذوق وإراحة للأذن وهذا على مستوى الكلمة المفردة.[5]

---

[1] – ينظر: البيان في روائع القرآن ، تمام حسان ، ج1، ص: 187

[2] – البقرة : 19

[3] – ينظر: المصدر السابق ، ص: 189

[4] –ينظر : المصدر نفسه، ص :189

[5] – ينظر : المصدر نفسه ، ص:189– 190

المبحث الثاني: الفاصلة القرآنية

دهشت قريش حينما سمعت القرآن الكريم وتحيرت في أمر هذا الكلام الذي تستلذه الآذان وتستخفه الألسنة وتقشعر له الجلود وتطمئن به القلوب، ومبعث حيرتها ودهشتها يعود للخصائص الصوتية الفريدة للقرآن الكريم على المستوى الموسيقي أو الإيقاعي أو على مستوى العلاقة بين الأصوات ودلالتها. وقد جسد الوليد بن المغيرة هذه الحيرة وهو يصف القرآن الكريم **"لقد وضعته على أقراء الشعر فما هو بالشعر، وما هو بالسجع ولا بالكهانة، وإن أسفله لمغذق، وإنه ليعلو ولا يعلى عليه"**[1]. فمن خلال هذه الكلمة يتجسد ما تملك هذا الرجل وغيره من العرب لما اهتزت قلوبهم وهيمن الصوت القرآني على مشاعرهم، وتحيروا في شأن هذا النغم الفياض من أين يأتي؟ إنه ليس بشعر ولا يشبه أوزان الشعر وطرائق نظمه، وليس بسجع متوازن كسجع الكهان، ومع ذلك تنساب أنغامه انسياباً في عذوبة وسلاسة وتآلف عجيب، وكأنه تيار موسيقي تنفجر منه النغمات من أعلاه إلى أسفله، ولعلّ الوليد عنى بتلك العبارة عمق التناسق بين أنغامه الرقيقة الهادئة المناسبة. ولما تبيّن للعرب تفرد النّظم القرآني بخصائص صوتية متميزة عن خصائص الشعر والنثر فكفوا عن المجادلة، وراحوا يصخبون ويتصايحون أثناء تلاوةِ القرآن الكريم كي لا يسمعوه لأنهم عرفوا ما للقرآن الكريم من تأثير عميق على المستعمين له. وينبعث النغم الموسيقي في القرآن الكريم من تراكيبه المبدعة التي تختم بها آياته وتسمى **فواصل القرآن**.

1 – ماهية الفاصلة :

تعريف الفاصلة لغة: والفاصلة في اللّغة مأخوذة من مادة "**الفصل: بون ما بين الشيئين، والفصل من الجسد: موضع المفصل، وبين كل فصلين وصل. والفاصلة: الخرزة التي تفصل بين الخرزتين في النظام. وعقد مفصل أي جعل بين كل لؤلؤتين خرزة. الفصل: القضاء بين الحق والباطل، والتفصيل: التبيين**"[2].

[1]– تفسير القرآن الكريم، ابن كثير، دار الفكر، بيروت، 1401هـ، ج4، ص444.

[2]– لسان العرب، ابن منظور، مادة فصل، مجلد 11، ص 188-189.

ويدور المعنى اللّغوي حول الفصل بين شيئين متصلين. أما في الاصطلاح فقد تعددت تعريفات الفاصلة تبعاً لتعدد مشارب العلماء قديماً وحديثاً:

إذ عرفها **السّيوطي** بقوله: "**وهي كلمة آخر الآية، كقافية الشعر، وقرينه السجع**"[1]. أما الرّماني فعرفها: "**الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع توجب حسن إفهام المعاني، والفواصل بلاغة، والأسجاع عيب، وذلك أن الفواصل تابعة للمعاني، وأما الأسجاع فالمعاني تابعة لها**"[2].

وكلمة **الرّماني** "الأسجاع عيب" جعلته مقصداً للنقد خاصة من جانب **ابن سنان الخفاجي** الذي رأى في هذا الرأي تعميماً غير مقبول، فرد عليه أما قول **الرماني**، إن السجع عيب والفواصل بلاغة على الإطلاق فغلط، لأنه إن أراد بالسجع ما يكون تابعاً للمعنى، وكأنه غير مقصود فذلك عيب، والفواصل مثله"[3].

أما **الباقلاني** فعدّ" **الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع، يقع بها إفهام المعاني**"[4] ويرى **الباقلاني** أن الفاصلة حروف ومقاطع متوافقة لتوضيح المعنى، وربط بين الفاصلة ودورها في إبراز المعنى وتوضيحه، مما يحقق التجانس بين مضمون الآية والتعقيب الذي تنتمي إليه.

أما **سيد قطب** فقال: **إن الفواصل في القرآن الكريم غيرها في الشعر، فهي ليست حرفاً متحداً، ولكنها إيقاع متشابه مثل: بصير، حكيم، مريب، أو مثل الألباب، الأبصار، النّار، قرار**".[5]

وعد **سيد قطب** الفواصل "**إيقاعاً متشابهاً تنسجم به الآيات دونما تحديد لها فيما إذا كانت**

---

[1]- الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، تح: محمد أبو الفضل، مطبعة المشهد الحسيني، ج2، القاهرة، ط1، 1967، ص: 260.

[2]- النكت، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، الرماني، ص97.

[3]- ينظر:سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي، دار الكتب العلمية، ط1، 1402هـ-1982م، ص: 173.

[4]- إعجاز القرآن، أبو بكر الباقلاني، تح سيد أحمد صقر، دار المعارف، ط3، مصر، 1971، ص: 270.

[5]- التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، ص136.

كانت حروفاً أو مقطعاً صوتياً أو جملةً[1]. لم يستطع سيد قطب الفصل في ماهية الفواصل ويحددها إذا ما كانت حروفا أو مقاطع صوتية أو جملا .

ويعرفها **محمد الحسناوي**: "**أواخر الآيات في كتاب الله عز وجل بمنزلة قوافي الشعر، ووحدتها فاصلة**"[2].

والفاصلة القرآنية عنصر أساسي من عناصر اللّغة الإيقاعية، والقرآن الكريم تمتاز بحسن الإيقاع، فتأتي الفاصلة في ختام الآيات حاملة تمام المعنى وتمام التوافق الصوتي في آن واحدٍ[3]. وليتبين **تمام حسان** ماهية الفاصلة وضعها مقابل مصطلحات أخرى هي: القافية والسجع، فما هو الفارق بين هذه المصطلحات ؟

2- الفرق بين الفاصلة والقافية الشعرية عند تمام حسان:

إن المتطلع على الفاصلة القرآنية يجد فيها فرقاً كبيرا بينها وبين الشعر، على حد قول **تمام حسان**: "**إن من يتأمل الفاصلة القرآنية، ليجد الفارق كبيرا بينها وبين قوافي الشعر**"، ويمكن تلخيص الفوارق بينهما على النحو التالي:

1- تتطلب القافية التطابق التام بين عدد الحروف في آخر كل بيت من الناحية الصوتية، كقول الشاعر أحمد شوقي:[4]

سلو قلبي عذاة سلا وتابا لعل على الجمال له عتاباً

إذ تحتم على التقفية أن تنتهي بألف بعدها باء بعدها ألف، وألزمها في نهاية كل بيت من القصيدة، أما الفاصلة القرآنية فمطالبها تختلف اختلافا تاما عن شروط القافية ، فالفاصلة تضفي قيمة صوتية على النص القرآني، إذ تجتمع الفاصلة القرآنية مع الإيقاع لينتجا أثرا جماليا كما

[1]- التصوير الفني في القرآن، سيد قطب ، ص: 514.

[2]- الفاصلة القرآنية، محمد الحسناوي، المكتبة الاسلامية، بيروت،ط2، 1986، ص: 25.

[3]- الأداء التصويري وايقاع الفواصل في القرآن الكريم، مقال: محمد قطب عبد العال، شبكة الأساتذة المبرزين.

[4] - الشوقيات ، تقديم حسين هيكل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،ج1ص:63

نلاحظه في الشعر، ولكن الفرق جلي لأن الشعر مقيد بالأوزان والقوافي، بينما تحرر النص القرآني من قيود الوزن والقافية مما منحه عفوية وانسيابا وسلاسة. فالفاصلة القرآنية لا تلزم من ذلك شيئا، إذ تجري في عدد من آيات السورة على نمط ولكنها سرعان ما تتحول عنه إلى نمط آخر ، ومن أمثلة جريانها على نمط واحد قد يكون جاريا على حرف المد ،نحو قوله تعالى: ﴿ **خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (7) وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آَمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ(8) يُخَادِعُونَ اللَهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ(9)**﴾[1]، فلا تصلح إحدى الفاصلتين أن تقفوا إحداهما الأخرى في الشعر. وقد سلب الله سبحانه وتعالى اسم الشعر عن القرآن الكريم بقوله: ﴿ **وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ** ﴾.[2]وأوجب سلب القافية عنه، ومنع استعمال الفاصلة في الشعر لأنها صفة لكتاب الله تعالى لا تتعداه، والقوافي لا ترتقي إلى الفواصل لأن الفواصل في الطبقة العليا في البلاغة[3]. وخصصت فواصل الشعر باسم القوافي لأن الشاعر يتبعها في شعره، ولا يتركها ويخرج عنها، وهي في الأصل فاصلة لأنها تفصل آخر الكلام، فالقافية أخص في الاصطلاح، فكل قافية فاصلة، وليست كل فاصلة قافية[4]. وقد يقوم النمط على صفة من صفات حرف في الفاصلة كصفة **الضيق "تضييق الفم بتقريب جزء من جسم اللّسان من الحنك الأعلى أثناء النطق"**[5]. والتي يشترك فيها الواو والتاء، كما في قوله تعالى: ﴿ **يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ**﴾[6]، فهل يصلح توالي الكلمات الثلاث عظيم- مومنين- يشعرون للتقفية مثلما صلح للفاصلة القرآنية؟

---

[1]- سورة البقرة : 7-9.

[2]- الحاقة: 41.

[3]- الجرس والإيقاع في الفواصل القرآنية، د. أنسام خضير خليل، مجلة كلية الآداب، العدد 97، ص:223.

[4]- المرجع نفسه، ص: 2.

[5]- البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج1،ص: 194.

[6]- البقرة: 09.

2- في كثير من الأحيان في سور القرآن لا يلتزم شيء بعد الحرف الضيق (الواو أو الياء) كما في سورة الحج ،إذ يجري **تمام حسان** عملية إحصائية باعتبار أن الأسلوب هو مجموع تكرار الوحدات اللغوية القابلة للتحديد الشكلي في صياغة النص، فهذه الوحدات يمكن إحصاؤها. وبهذه العملية يمكن إحصاء الفوارق المميزة للخصائص الأسلوبية في نص ما. وهو ما يمكن اعتباره مقابلا للإجراءات التقليدية التي تعتمد على التذوق الشخصي في وصف الأسلوب[1].

ويعمد **تمام حسان** إلى الأسلوب الإحصائي باعتباره أسهل طريق لمن يتحرى الدقة ويتحاشى الذاتية في النقد، فيستخدم المنهج الإحصائي كوسيلة للإثبات والاستدلال على موضوعية نقده، أي بعد أن تعامل مع النص بالمناهج الأخرى التي تبرز جوانب التميز في النص[2].

وعمد **تمام حسان** إلى التشخيص الأسلوبي الإحصائي حينما أراد الوصول إلى مؤشرات موضوعية في فحص لغة النص القرآني، وهذه المؤشرات والمقاييس الموضوعية وسيلة منهجية يمكن بها استنفاذ الدرس الأدبي من ضباب العموم والتقويم، وتخليصه من سلطان الأحكام الذاتية التي تفتقد السند والدليل وتعتصي على التحليل والتعليل، وهذه الوسائل المنضبطة في الدرس العلمي ليست بديلاً للذوق، وإن كانت محاولة لعقلنة الذوق[3].

ويلجأ **تمام حسان** إلى المنهج الإحصائي لفحص السور القرآنية، ومن ذلك إحصاء الفواصل الواردة في سورة الحج التي لا تحمل شبهاً مع التقفية وهي تجري على النحو التالي:

عظيم – شديد- مريد – السعير – بهيج- قدير – القبور- منير – الحريق- للعبيد- المبين – البعيد – العشير – ما يريد – ما يغيظ – من يريد – شهيد ثم يترك الحرف الضيق إلى الألف فيأتي لفظ "ما يشاء" ثم تعود الفاصلة إلى الحرف الضيق مرة أخرى فتقرأ: الحميم- الجلود-

[1]- الأسلوبية الوظيفية ، بداش حنيفة، ص، 205.

[2]- ينظر: البلاغة والأسلوبية، محمد عبد المطلب، مكتبة لبنان، ط1، 1994، ص: 198.

[3]- ينظر: الأسلوبية- مدخل نظري ودراسة تطبيقية- فتح الله أحمد سليمان ،مكتبة آداب، القاهرة، 1425هـ-2004م، ص48

جديد- الحريق- حرير- الحميد- أليم- السجود- عميق- الفقير- العتيق- الزور- سحيق- القلوب- العتيق- المخبتون- ينفقون- تشكرون- المحسنين- كفور- قدير- عزيز- الأمور- ثمود- لوط- نكير- مشيد- الصدور- تعدون- المصير- مبين- كريم- الجحيم- حكيم- بعيد- مستقيم- عقيم- النعيم- مهين- الرّازقين- حليم- غفور- بصير- كبير- خبير- حميد- رحيم كفور- مستقيم- تعملون- تختلفون- يسير- نصير- المصير- المطلوب- عزيز- بصير- الأمور- تفلحون- النصير.[1]

وتوصل **تمام حسان** إلى أنها لا تحمل شبهاً بالتقفية ويظهر هذا جلياً من خلال هذا الجدول التالي:

نهايات الآيات	العدد	نهايات الآيات	العدد
أء	01	وط	01
يد	12	يج	01
يم	12	ير	17
يز	02	ين	06
وب	02	ود	03
ور	07	يق	06
ون	06	يظ	01

المجموع: 78.

وجاءت الياء في سبع وخمسين فاصلة وجاءت الواو في عشرين والألف في فاصلة واحدة ولم يلتزم حرف من الحروف بعد الياء ولا بعد الواو.[2]

[1]- البيان في روائع القرآن ، تمام حسان ،ج1،ص:194.

[2]- ينظر: المصدر نفسه، ص :194.

ومغزى القول أن مطالب الفاصلة تختلف اختلافاً تاماً عن شروط القافية، وتأتي الفاصلة في آخر الآية لتحقق للنص جانباً جمالياً لا يخطئه الذوق السليم، وتضفي قيمة صوتية منتظمة ينقسم سياق النص بها إلى وحدات أدائية تعد معالم للوقف والابتداء وتتضافر مع الإيقاع فينشأ أثر جمالي لا يبعد كثيراً عما نحسه في وزن الشعر وقافيته، لكن الفرق بينهما أن الوزن الشعري خاضع لأوزان وقيود بينما الثاني حرّ من تقاليد الوزن وقافيته مما يوحي بالسلاسة والحلاوة[1].

ولعل نظم الفواصل وما تحمله من إيقاع موسيقي بديع يسلب ألباب السامعين، ويؤثر في نفوسهم تأثيراً ايجابياً، يظهر جليا في قصة عمر بن الخطاب **"ويذكر بهذه المناسبة أثر موسيقى في نفس عمر ابن الخطاب رضي الله عنه حين أسلم، وأثرها في نفس بعض المشركين، وأن من عارضه كمسلمة لاحظ هذا الجانب الموسيقي فقلده، وطوى عما وراءه من التصرف في اللغة وأساليبها، ومحاسنها ودقائق التركيب فيها"**[2].

ومجمل القول أن الكلام العربي مطلقاً على ثلاثة أضرب: قرآن، شعر، نثر، فليس القرآن نثراً، وإن اكتنز بأساليب النثر العربي، وليس شعراً وإن اشتمل على جميع بحور الشعر العربي، بل هو قرآن وكفى، قال الله تعالى: ﴿ **إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ (77) فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ**﴾[3] وقال **الجاحظ** (ت 255هـ): **"وقد سمى كتابه المنزل قرآناً، وهذا الاسم لم يكن حتى كان"**[4].

والحاصل أن الفواصل هي كل ما في أواخر الآيات تماثلت حروفه، أم لم تتماثل خلافاً للسجع المتماثل الحروف، والشعر المتماثل القوافي.

3- علاقة الفواصل بالآيات: وللفاصلة ميزة مهمة، فهي فضلاً عن إيقاعها الموسيقي

[1]- – البيان في روائع القرآن ، تمام حسان ،ج1،ص:195

[2]- النظم القرآني في سورة هود،دراسة أسلوبية، مجدي عايش عودة أبو ليحة، رسالة ماجستير، غزة، فلسطين، 2009، ص:334.

[3]- الواقعة: 77-78.

[4]- الحيوان، الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، ط 2، 1484 هـ – 1965 م،ج1، ص348.

المؤثر في النفس، إذ نجدها ترتبط بما قبلها وما بعدها من الكلام بحيث تنحدر على الأسماع انحداراً، وكأن ما سبقها لم يكن إلا تمهيداً لها وما تلاها إلا نتيجة لذلك، بحيث لو طرحت لاختل المعنى في الآية، وليست فواصل القرآن مجرد توافق ألفاظ وأوزان، بل لها علاقة وثيقة بما قبلها وما بعدها، ولهذا نجدها تأتي مستقرة في أماكنها، مطمئنة في مواضعها غير قلقة ولا نافرة.[1]

وقد يكون للفاصلة القرآنية علاقة بتركيب الآية التي اجتمعت بها إحدى علاقتين:

3 –1 فقد تكون الفاصلة جزءً من تركيب الآية مكملاً لبنيتها فلا يتصور تمام معنى الآية إلا بها.[2]كما في قوله تعالى: ﴿ **وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آَلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (74) قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آَمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ (75) قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آَمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ (76) فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (77) فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ (78) فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ** ﴾.[3]

والفواصل لا يمكن الاستغناء عنها لأنها مرتبطة دلالياً مع الآيات،ومع التراكيب بعلاقة عضوية سواء من حيث التركيب وعلاقة جمال من حيث الأسلوب، ويضاف إلى ذلك أنه إذا كانت القاعدة مرتبطة في مدلولها العام بالعلاقة بين الخاصيتين الصوتية والحاسة السمعية فتأخذ بعدين آخرين هما:

[1] – ينظر : البرهان في علوم القرآن ، الزركشي ،تح محمد أبي الفضل إبراهيم ، دار المعرفة ، بيروت ،لبنان ،1391، ج1، ص:54

[2] – ينظر: البيان في روائع القرآن ، تمام حسان ،ج1، ص :196

[3] – سورة الأعراف: 74-79.

1- متعلق بتحسس الجمال والكشف عن أسراره، لفظ الأسلوب أعلاه.

2- متعلق بإصابة المعنى في العملية البلاغية وهو جانب وظيفي، وكلاهما يحقق ما يعرف بالجانب الانفعالي في اللغة من خلال النص القرآني على وجه الخصوص[1].

فكل آية من هذا القبيل تنتهي بكلام ذي علاقة عضوية مما سبق، فهي مفتقرة إليه لشدة الارتباط بينه وبين بقية أجزائها.

3 – 2 فواصل بمثابة التعقيب والتعليق على محتوى الآية:

وقد تأتي الفاصلة بعد تمام المعنى فتكون تذييلاً للآية كالتعليق أو التعقيب على محتواها، كما نجده في قوله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآَخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ** ﴾[2].

ويلاحظ إلى غاية ﴿إن الله غفور حليم﴾ تآلف وانسجام بين مضمون الآية ومضمون التذييل فأكسبها ذلك جمالا على جمالها وحدد معالمها وميزها من غيرها، والملاحظ أن هناك انسجاماً وتآلفاً بين مضمون الآية ومضمون التذييل،فليس في القرآن آية يدعو مضمونها إلى العقاب وتذييلها إلى المغفرة والرحمة وليس فيه من آية تتضمن رضواناً من الله ينتهي تذييلها بالوعيد وشدة العقاب، وهنا نلاحظ انسجام بين مضمون الآية ومضمون التذييل .وهذا ما قال به السلف لكل مقام مقال، فقيل:"**الفاصلة تختصر معنى الآية فيما تحمله من دلالة خاصة، وهي بذلك تحقق إيقاع المناسبة الذي يكثر في مقاطع الكلام وأواخره،ومن أهم شروط الفاصلة أن تكون مناسبة للمعنى المذكور لا تنقصم عرى الكلام فيخرج بعضه عن بعضٍ**"[3].

---

[1]- ينظر:الأسلوبية الوظيفية، بداش حنيفة، ص: 206.

[2]- آل عمران: 152.

[3]- البرهان في علوم القرآن، السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، ج1، ص:107.

ولكن الفواصل مع ذلك توقيفية بل فقد يتحقق للّفظ تمام المعنى مع حروف الفاصلة، ولكنه مع ذلك لا يعد من الفواصل ، ويستدل **تمام حسان** على ذلك من خلال نص القرآن الكريم نحو قوله تعالى: ﴿**مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ**﴾[1]. وقوله تعالى: ﴿ **لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ** ﴾[2]. وكذلك لم تكن عبارة "كيف يشاء" فاصلة في قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ (5) هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** ﴾[3].هذا والعكس واقع أيضا في القرآن الكريم ، فقد تكون الفاصلة دون تمام المعنى، وقد يتحقق لها جرس ما يحيط بها من الفواصل، نحو ما نحده في فواصل سورة البقرة من قوله تعالى: ﴿**ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ (2) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (3) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (4) أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾[4].

فالإيمان بالغيب صفة للمتقين والمعنى لم يتم عند الفاصلة الأولى فالصفة تخصص الموصوف، وهو بدونها عام يحتاج إلى التخصيص، فإذا قلت "**إن الذين يؤمنون بالغيب**" مبتدأ خبره "**أولئك على هدى من ربهم**" قلت إن الفاصلة في الآيتين الثالثة والرابعة جاءت قبل تمام المعنى، لأنهما جاءتا قبل استكمال الخبر، فالآيات شاهد على هذه الظاهرة ومعنى هذا أن الصلة غير مطردة بين الفاصلة وتمام المعنى، إذ أن للفاصلة علاقة بمعنى الآية كما جاء على لسان **الزركشي**: "**وأما علاقتها بالمعنى فهي تحقق معنى الآية كلها، ويتركز مضمونها في الكلمة الأخيرة، وتأتي في مكانها المرسوم لها فيحس القارئ بتمام المعنى، لذا فإنه لا تحسن المحافظة على الفواصل**

[1]- آل عمران: 92.

[2]- آل عمران: 92.

[3]- آل عمران: 5-6.

[4]- البقرة: 2-5.

لمجردها، إلا مع بقاء المعاني على سدادها على النهج الذي يقتضيه حسن النظم وإلتئامه"[1]. ويرى **الزركشي** أن الفواصل تأتي متممة للمعاني التي تسوقها الآيات.

ومن هنا تظهر أهمية الوقوف عند الفاصلة (الوقف عند رؤوس الآية) ، وإلى جانب المتعة التي يتذوقها السامع مع نهاية كل آية، ويلمسها القارئ مع كل توقف عن كل فاصلة إذ أن":**"الوصول بالقراءة إلى فاصلة الآية يتفق في الأغلب الأعم مع طاقة النفس الواحد لدى القارئ، فيقف القارئ عند الفاصلة، ليتزود بزاد نفس وليحس عند الفاصلة بأنه يقف لدى معلم من معالم السياق المتصل، تحف به روائع الإيقاع وروائع المعنى من كل جانبٍ"**[2].

وللفاصلة قيمة صوتية ذات وظيفة مهمة تراعى في كثير من آيات القرآن الكريم، وهي جزء من الآية، وعنصر تعبيري متميز ومثير وقوي للإيقاع وهي ملمح أساسي من ملامح الإيقاع والموسيقى والنظم الصوتي في القرآن الكريم.

يتضح بجلاء دور الفاصلة في الإعجاز القرآني وذلك بتنوع استعمالاتها إذ لو حذفت لاختل المعنى في الآية. ولو سكت عليها لاستطاع القارئ أو السامع أن يختمه بها انسياقاً مع الطبع الرفيع والذوق السليم، ويقول **تمام حسان** في هذا الصدد: "**وتقع الفاصلة عند الاستراحة في الخطاب لتحسين الكلام بها، وهي التي يباين القرآن بها سائر الكلام"**[3]. وهو ما نجده عند **الزركشي** إذ يبرز أهمية الفاصلة في دور تحسين الكلام ، وإيصال الخطاب لذهن السامع دون كلفة وعناء، وهذا ما يميز القرآن من غيره من كلام البشر، ولذا فللفاصلة قيمة إيقاعية موسيقية تلعب دور المفتاح في اللحن الموسيقي، ولا وجه للمشابهة هنا بين القرآن والألحان الموسيقية، إلا لتقريب المثال، فالقرآن نرى فيه براعة في تنويع مفاتيح البدء والانتقال في السورة الواحدة بيسر وسهولة[4].

---

[1]- البرهان في علوم القرآن، السيوطي، ج1، ص:101.

[2]- البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج1،ص: 196.

[3]- البرهان، الزركشي، ج1، ص54.

[4]- ينظر: المصدر نفسه، ج1،ص54

وتنضوي الفواصل القرآنية على دلالتين أساسيتين هما:

1 – الدلالة الأولى: وهي دلالة صوتية تتمثل في الإيقاع والرنين الصوتي المحكوم بنسق الآية والسياق العام.

2 – الدلالة الثانية: دلالة معنوية تحمل تمام الفكرة في الآية، إذ أن ارتباط الفاصلة بالسياق أمر أساسي إذ ترتبط بالفكرة والهدف، فهي لم تأت كحلية لفظية لا ارتباط لها بالمعنى أو اعتبارا له.[1]

فالفاصلة حين ترد تأتي لنشر جوٍّ من الموسيقى، محمّلاً بالمعنى الذي يكمل مضمون الآية التي ختمت بها، وتبقى جزءً أصيلاً فيها، وإن كانت عنصراً متميزاً يلحظه المتأمل في الآية، فالفاصلة القرآنية ترد في النص القرآني و تحمل شحنتين واحدة من الواقع الموسيقي، وشحنة من المعنى المتمم للآية[2].

وتعتبر الفواصل هي أبلغ المؤثرات الموسيقية في النفوس، لأنها لم تكن حشواً لفظياً، إنما جاءت في كلمات بألفاظ سهلة النطق، ومعان سامقة محتشدة الدلالات، وإن هذا الانسجام **"فيه تؤلف العبارة من كلمات متسعة، ذات حركات وسكنات، يشعر المرء عند تلاوتها بما يكمن وراء النظام من موسيقى واتساق"**[3]. وهكذا تأتي الكلمات في العبارة بأجمل الألفاظ وأكنزها معنى، وأسهلها نطقاً، وأجذبها إنصاتاً، وأرعاها للجوار مع جاراتها ذات اليمين وذات الشمال، فتبدو بينهما مكملة للجمال ومتممة للروعة[4]. **"وما هذه الفواصل التي تنتهي بها آيات القرآن إلا صوراً تامة للأبعاد التي بها جمال الموسيقى، وهي متفقة مع آياتها مع قرار الصوت اتفاقاً عجيباً يلاءم نوع الصوت والوجه الذي يساق عليه بما ليس وراء العجب مذهب"**[5]. فورود الفاصلة في النص القرآني لنشر جو من الموسيقى محملةً بالمعنى.

---

[1] - الأداء التصويري وإيقاع الفواصل في القرآن الكريم،محمد قطب عبد العال ، مقال، موقع الأساتذة المبرزين

[2] – ينظر: الجرس والإيقاع في الفواصل القرآنية، أنسام خضير خليل، ص:222.

[3] – الفاصلة القرآنية، عبد الفتاح لاشين، دار المريخ، الرياض (د. ط)، 1982، ص:72.

[4] – ينظر:البناءات الجمالية في النص القرآني، رائد مصباح الداي، رسالة ماجستير، غزة، 1432هـ– 2011 م، ص:228.

[5] – إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، ص:216.

4- جمالية الفاصلة القرآنية:

إن للفواصل القرآنية أثراً كبيراً في إعطاء القرآن الكريم جرساَ موسيقياً مؤثرا في إمالة النفس البشرية، فقد عني القرآن الكريم بها عناية كبيرة، فوردت بأشكال مختلفة، وملائمة لما تقدمها من السياق وذلك لجذب انتباه السامع إلى الكلام، ومساعدته على فهم معانيه، لأن الكلام إذا ورد على نمط واحد لم يسلم من التكلف وإثارة الملل، وفواصل القرآن على حد قول الرافعي مبيناً الأثر العجيب لفواصل القرآن كلها بلاغة وحكمة[1]. وقد يعدل القرآن عن نظم الكلام بسبب مراعاة الفاصلة إلى تقديم عنصر أو تأخيره من عناصر الجملة، وقد أورد البلاغيون أن أغراض التقديم والتأخير تدور حول رعاية المعنى وجعلوا الاهتمام بمدلول اللّفظ[2]، ويعود **تمام** ليلفت الانتباه إلى ضرورة إعادة قراءة التراث قراءة متفحصة ، وذلك لأن العرب القدامى قد أغفلوا عنصرا مهما من أغراض تقديم وتأخير الفواصل وهو الانتفاع بجرس اللفظ وتركوا ذلك للشعراء، أما القرآن فوصفوه برعاية الفاصلة وهي وجه بلاغي في قوله تعالى: ﴿**وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ**﴾[3] رتبة **مشوشة،** والرتبة الأصلية (وينفقون مما رزقناهم) ففهمك التقديم والتأخير مرتبط بقيمة الفاصلة في إطار النظم القرآني، ويرى تمام أن من أسباب دعوته إلى إعادة النظر في آراء القدماء قضية الاختصاص في بلاغة القرآن. ويرى **تمام حسان** للفاصلة قيمة صوتية ذات وظيفة مهمة تراعى في كثير من آيات القرآن ، وربما أدت إلى تقديم عنصر ، أو تأخيره من عناصر الجملة.

وقد يتجاوز التقديم والتأخير رتبة الألفاظ إلى رتبة الأحداث التاريخية فيتم تشويش الأحداث لرعاية الفاصلة[4]، فقد تقدم عيسى على سلفه وتقدم سليمان على داوود وكيف تقدما معا على موسى رعاية للفاصلة وتشويش للتاريخ كما في قوله تعالى: ﴿ **إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا**

---

[1]- ينظر: الجرس والإيقاع في الفواصل القرآنية، أنسام خضير خليل، مجلة كلية الآداب، ع98، ص237.

[2]- البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج1، ص282.

[3]- البقرة: 03.

[4]- البيان في روائع القرآن، تمام حسان،ج1 ، ص282.

أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا (163) وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾[1] فقد تقدم عيسى على سلفه وتقدم سليمان على داوود وكيف تقدما معا على موسى رعاية للفاصلة.

والفاصلة قيمة صوتية ذات وظيفة جمالية، تستحق الرعاية، حتى وإن تعارضت مع بعض أنماط التراكيب النحوية[2]، ويكون العدول عن الأصل نحو قوله تعالى: ﴿ **قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ** ﴾[3] وهذا بدلاً من "أم لا تهتدي" أو عن طريق الترخص كما في قوله تعالى: ﴿ **فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا** ﴾[4].

فمن المقرر أن الألف تنوب عن التنوين الذي عند الوقف كما في الآية السابقة، ولأن التنوين الذي نابت عنه الألف لا يجتمع مع أداة التعريف (ال) لأن الألف التي تجامع (ال) في قوافي الشعر ألف إطلاق وليست ألف إبدال أو تعويض، ومع ذلك تأتي ألف الإبدال في القرآن الكريم في كلمات اقترنت بأداة التعريف وكانت هذه الألف لرعاية الفاصلة كما في قوله تعالى:﴿ **وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا** ﴾[5].

وقد تتوالى الفواصل في آيات متتابعة ومعناها مع تواليها واحد أو متشابهة، وإنما توالت على رغم وحدة المعنى لغرض لولاه لجزأت عن التوالي فاصلة واحدة[6]، نحو قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ (2) وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (3) وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا**

---

[1]- النساء: 163-164.

[2]- البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج1،ص:199.

[3]- النمل: 41.

[4]- النساء: 46.

[5]- الأحزاب: 10.

[6]- البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج1،ص200.

وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (4) تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ(5)﴾[1].

فالمؤمنون هم بالضرورة موقنون ولأنهم لا يؤمنون إلا مع رسوخ اليقين بما آمنوا به وهم بالضرورة يعقلون ما أيقنوا به، لأن يقينهم لا يأتي إلا نتيجة تدبر ودلالة عقلية، أي "المؤمنون" و"يوقنون" و"يعقلون" ومعنى الألفاظ متشابه إلى درجة قرب دلالتها إلى التوحيد، وهذه الألفاظ توالت في موقع الفاصلة.

ويطرح **تمام حسان** سؤالاً وهو إذا لم يكن للفاصلة غرض نحوي ولا دلالي، فما يكون الغرض منها إذن؟ ويجيب: "**أغلب الظن أن الغرض منها جمالي صرف وإن توافقت أحياناً مع تمام المعنى، فالذي يبدو للوهلة الأولى عند النظر إلى الفاصلة أنها قيمة صوتية جمالية ترتبط أشد الارتباط بموسيقى النص القرآني، كما ارتبط بذلك ما قبلها**"[2]. على الرغم من أن غرض الفاصلة عند **تمام حسان** جمالي إلا أن ذلك لا ينفي توافقها مع تمام المعنى كما عرضنا ذلك.

المبحث الثالث: الحكاية الصوتية:

يحتمل هذا المصطلح الصوتي في تنوع دلالته أكثر من احتمال يتمثل في:

1- أنه قد يراد به حكاية اللفظ المسموع سابقاً بصورته الشكلية والإعرابية دون أي مراعاة للموضع الإعرابي الذي يتم به التوظيف فيه، والإبقاء على تلك الهيئة كما سمعت، حتى ولو تعارضت الصورة المحكية مع الحالة الإعرابية[3]. فمثلا إذا سمعنا من يقول: "**قرأت اليوم كتاباً فتسأله: "أي كتابا"** على الحكاية ولهذا الوجه تفصيل في كتب النحو[4]. تعارضت الصورة المحكية

[1]- الجاثية: 2-5.

[2]- البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج1، ص:202.

[3] - ينظر: المصدر نفسه، ص:. 202

[4]- ينظر: الكتاب، سيبويه، تحقيق شعبان عبد الوهاب، مطبعة أم القرى، 1988، م2، ص407-424

مع الحالة الإعرابية[1]. فمثلا إذا سمعنا من يقول: "**قرأت اليوم كتاباً فتسأله: "أي كتابا"** على الحكاية ولهذا الوجه تفصيل في كتب النحو[2].

2- قد يراد بالحكاية حكاية الجملة بعد القول على صورتها السمعية دون تغيير، وهي حينئذ تدخل في دائرة الجمل التي لها محل من الإعراب، والجملة المحكية مثل قوله تعالى: ﴿ **قَالَ إِنِّي عَبْد اللَّهِ آَتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا** ﴾[3]. فجملة اني عبد الله جملة محكية بعد القول، أو ما تصرف منه، وتعرب في محل نصب مقول القول[4].

3- وقد يراد بالحكاية الصوتية حكاية الصوت للمعنى، أي إيحاء جرس أصوات الكلمة بمعناها الذي رصد لها في المعجم، وعندئذٍ يلتقي الجرس والحرف على مصادفة ومحض إتفاق، ويكون انتقاء اللفظ بقصد استعماله عن تعمد وحسن اختيار[5]، و قد أدرك ابن جني هذه المسألة إذ يقول:" **أما مقابلة الألفاظ بها يشاكل أصواتها من الأحداث فباب عظيم واسع، ونهج متلئب عند عارفيه مأموم، وذلك أنهم كثيراً ما يجعلون أصوات الحروف على سمات الأحداث المعبر بها عنها، فيعدلونها بها ويحتذون عليها، وهذا أكثر مما نقدره، وأضعاف ما نستشعره، فمن ذلك قولهم (خضم وقضم)، فالخضم لأكل الرطب كالبطيخ والقثاء وما كان نحوهما من المأكول الرطب، والقضم للصلب اليابس نحو: (قضمت الدابة شعيرها) ونحو ذلك. فاختاروا (الخاء) لرخاوتها للرطب، و(القاف) لصلابتها لليابس، حذوا لمسموع الأصوات على محسوس الأحداث"**[6]. فالفرق بين صوتي الخاء والقاف تبعه تغيير دلالي للكلمتين.ويشير **ابن جني** أن انتقاء اللفظ يكون عن تعمد وحسن اختيار، وبذلك تسقط فكرة

---

[1] - ينظر : الكتاب، سيبويه ، ص: 202

[2] - ينظر: المصدر نفسه ، ص407-424

[3] - مريم : 30.

[4] - المقدمة الجزولية في النحو، تحقيق: د شعبان عبد الوهاب، طبعة أم القرى، 1988، ص: 263-266.

[5] - ينظر: البيان في روائع القرآن، تمام حسان،ج1، ص:202.

[6] - الخصائص، ابن جني، مج2، ص157.

المناسبة بين الصوت والمعنى وتظهر فكرة الاعتباطية بين الدال والمدلول ، وهذا يقودنا إلى المفارقة بين اللغة في مستواها الاجتماعي والعرفي وبين اللغة باعتبارها استعمالا فرديا اختياريا واعيا . وهي الفكرة التي صرح بها **تمام حسان** سابقا باعتبار الأسلوب عملية اختيارية وواعية لعناصر معينة يقوم بها المنشئ بقصد إحداث تأثير أسلوبي معين على المخاطب . والنص القرآني باعتباره رسالة ربانية هدفها الإيصال والإبلاغ، فانه يعمد إلى اختيار وانتقاء مجموعة من العناصر الممكنة بهدف التأثير في المستمعين .ولذا فالأسلوب القرآني عند **تمام حسان** الهيكل الاختياري الذي يتكون من مجموعة من العناصر الممكنة وهو يقوم بدور المؤشر ، وهذا يقودنا إلى الدراسات البلاغية التي تركز في مجملها على أن البلاغة تقوم على عنصر الاختيار والانتقاء للفظ ، ويعد الاختيار نوعا من العدول عن الاستعمال النمطي والعادي إلى الاستعمال الفني للكلام ، وهذا نادت به الدراسات الأسلوبية الحديثة إذ تعده عدولا داخليا وهو العدول السياقي عند **ريفاتير**.[1]

4- وقد يراد بالحكاية الصوتية اختيار أصوات الكلمة يقع فيها لجرسها وإن كان هذا الجرس لا يتفق مع المعنى المعجمي، ويعرف هذا النوع من الكلمات عند اللّغويين باسم **الألفاظ السلسة** أمّا في عرف النقاد فهي **الكلمات الشعرية** ويتفق الفريقين على وصفه بحسن الجرس حتى وإن لم يكن يحكي شيئا بعينه[2]. وتتمثل هذه الاحتمالات لدلالة مصطلح الحكاية الصوتية بصورة واضحة في آيات النص القرآني محل الدراسة، وأول ما يلفت الانتباه في القرآن خلوه من التنافر في بنية كلماته فأصواته كلها قامت على الائتلاف من جهة والتناسق بين الأصوات والمعاني المرادة. وهذا هو الجديد في الصوت القرآني أنه يوظف الصوت المفرد داخل الكلمة لخدمة المعنى.

1. التناسب بين صفات الصوت ومعنى الكلمة:

استعمال التشديد بعد قلب التاء من جنس ما بعدها ليدل على التردي الجماعي أو المبالغة في التثاقل أو الاستعصاء على الهدى، أو نحو ذلك من المعاني المشابهة التي يجمعها عدم التقدم إلى

[1] - ينظر: الأسلوبية الوظيفية، بداش حفيظة ، ص :209

[2]- البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج1،ص286.

الأمام والإخلاد إلى الأرض، كما يتضح في قوله تعالى: ﴿ **حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا** ﴾[1]. أصل الفعل "تداركوا" وقلبت التاء دالاً وأدغمت في الدال، فلما سكنت جيء بهمزة الوصل لأنها

أصل الفعل "تداركوا" وقلبت التاء دالاً وأدغمت في الدال، فلما سكنت جيء بهمزة الوصل لأنها تناسب الدال، والتشديد يوحي هنا بتداعيهم في النار متزاحمين بغير نظام، بل إن اشتمال التشديد على سكون فحركة يدل على أن تزاحمهم في النار جعل بعضهم يعوق بعضا قبل أن يتوددوا فيها، وكأن اللفظة التي تداعوا عندها كانت كعنق زجاجة، والإدغام ليس بسبب الثقل وإنما أبدلت التاء دالا وأدغمت لتكسب الآية حسن الجرس، ومن هنا يظهر جليا أثر التشكيل الصوتي في الأسلوب القرآني وعلاقة الأصوات بالمعنى المراد .ويشبه هذا إيحاء التكرار في قوله تعالى:﴿ **فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ**﴾[2]. فمن الاختيار الصوتي كلمة "كبكبوا" ذلك أن الفعل "**كبكب**" مضعف للمقطع كب، فدل ذلك على تكرار الكبّ وتتابعه، كما يدل على الإجماع والتراكم لأهل النار بعضهم فوق بعض وتتابع كبهم وإلقائهم في النار على وجوههم في دركات الجحيم المتتالية، وقد جاء منسجما مع سياق الوعيد والتهديد .كما أن القرآن استعمل لهذا المعنى الكاف والباء مضاعفين، وهما من حروف الشدة التي ينحبس فيها الصوت إنحباساً كاملاً مع المراوحة والتوازن بين الحركة والسكون. [3]

وقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ** ﴾[4] وأصل الفعل "**تثاقلتم**" وقد جرى فيه مثل ما حدث لسابقه فقلبت التاء ثاء وأدغمت في الثاء فسكنت فأجلبت لها همزة وصل، وللتشديد كما هو معروف عنصرين أولهما ثاء ساكنة والثاني ثاء متحركة (لأن الحرف المشدد بحرفين) أحسسنا للسكون الذي في العنصر الأول إيحاء

[1]- الأعراف : 38.

[2]- الشعراء: 94.

[3]-البيان في روائع القرآن، تمام حسان،ج1، ص:203.

[4]- التوبة : 37.

بالإخلاد إلى الأرض وعدم الرغبة في الخروج للجهاد، مما يدل أن الصوت يحكي الفعل أو على الأصح عدم الفعل.[1] وهذا النوع من الحكاية ليس حكاية لصوت الحدث ، أو لثقل به ولكنه نوع الأصح عدم الفعل.[2] وهذا النوع من الحكاية ليس حكاية لصوت الحدث ، أو لثقل به ولكنه نوع من المناسبة الصوتية للمعنى المعبر عنه وهو أكثر فنية.

وينتقل **تمام** إلى التفخيم وما يوحيه من إحساس بالمبالغة في الحدث أو في الصفة،[3]كما في قوله تعالى: ﴿ **وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ** ﴾[4]، فكأن ارتفاع الصوت بالصراخ ومشاركتهم جميعاً فيه وتكرار ذلك منهم لا يكفي أن يعبر عنه بالفعل المجرد **"يصرخون"** فجاءت تاء الفعل لتدل على المبالغة، وقصد أن تجاور الصاد المطبقة فتتحول بالمجاورة إلى التفخيم (تصبح طاء) ليكون في تفخيمها فصل مبالغة في الفعل، والمحاكاة بهيئة الصوت تظهر جلياً في أصوات الصفير والعين والكاف.[5]

وقوله تعالى: ﴿ **تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى**﴾[6].

ضيزى: جائرة ظالمة، وجاء لفظ ضيزى ليحقق أغراض منها:

أحدهما رعاية الفاصلة التي غلبت فيها الألف المقصورة. **والثاني** الإيحاء كما في الضاد من تفخيم بأن الجور في هذه القسمة لا مزيد عليه، **والثالث** ما في ضيزى وعي للتفضيل من زيادة في معناها على معنى "جائرة" التي هي صفة مشبهة.[7]

ويركز **تمام** على التفخيم وما يحمله من إيحاء وما يعززه من إحساس بالمبالغة في الحدث أو الصفة.

---

[1] – ينظر : البيان في روائع القرآن ، تمام حسان ،ج1، ص: 203.

[2] – ينظر : المصدر نفسه ، ص: 203.

[3] – ينظر : المصدر نفسه ، ص:204

[4] – فاطر: 38.

[5] – البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج1،ص:204 .

[6] – النجم، 21.

[7] – البيان في روائع القرآن، تمام حسان،ج1،ص:204 .

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ **الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآَبٍ** ﴾[1]. فطوبى مفخمة وهي مؤنث أطيب. وقوله تعالى: ﴿**وَأَمَّا مَنْ آَمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الْحُسْنَى** ﴾.[2]الحسنى مؤنث أحسن ،وكلتاهما أفعال تفضيل(أطيب – أحسن). وقد أرجع **تمام حسان** الإجابة عن هذا إلى السياق كما عهدناه منه سابقا.فالسياق في سورة الرعد يدور حول الذين آمنوا وازداد إيمانهم حتى بلغوا درجة الاطمئنان، لذا كان جزاؤهم أعظم فاختير لفظ "طوبى" دون " الحسنى" المنتقى في سورة الكهف الذي جيء ليقارن به بين من ظلم فاستحق العذاب وبين من آمن وعمل صالحا فاستحق"الحسنى". ومن خلال من هذا التحليل يظهر تعدد الدلالة الصوتية لتشمل السياق (المناسبة بين السياق والألفاظ المختارة).

المحسنات البديعية اللفظية[*]:إن موسيقى الألفاظ تشكل جانبا كبيراً من التأثير في قضية التلقي، فلها الفضل في تهيئة الأذهان واستقطابها، وتفاعلها مع ذلك مع ما يطرح عليها من موضوعات، فالنفس الإنسانية بفطرتها تميل إلى الإيقاع المنتظم، وتأنس إليه، وتقبل عليه، وهذا عين ما تريده التعبيرات الفنية من المتلقي الإقبال ثم التأثير: "**ولا شك أن كلا من الشعر والخطابة يؤثران في المستمعين عن طريق الجمال في المعنى، أو عن طريق الإيقاع والنغم في اللفظ**"[3]. وفي النصوص الإبداعية تبدو موسيقى الألفاظ شيئا لافتا للنظر، ولذلك كان العربي العربي يؤمن بقيمة الأثر الصوتي، وما اهتمامه بتكامل الوحدات الموسيقية في الشطر الواحد من نظام الوزن العروضي إلاّ دليل على رهافة أذنه الموسيقية وشدة تأثره بها، وفي هذا الوسط المهتم بالتشكيل الصوتي نزل في القرآن الكريم بإيقاعات استشعرت معها الأذن العربية قيمة البناء

[1]- الرعد: 29.

[2] - الكهف:88

[*]- تعددت مصطلحات البديع إلى: المحسنات البديعية، الزينة اللفظية، الزخرف البديعي، اللون البديعي، التحسين اللفظي.ينظر: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد الهاشمي، سورابايا، الهداية، 1960، ص60

[3]- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد الهاشمي، ص60 .

الصوتي، وتفاعلت معها، وتأثرت بها فآمنت به بعد ذلك وأيقنت بإعجازه، وكان إيمانه دليلا على تذوقه لهذا الفن المعجز.

ويعرف البديع في الاصطلاح بأنه: "**هو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام، بعد رعاية تطبيقية على مقتضى الحال ووضوح الدلالة**"[1] أو "**هو علم يعرف به الوجوه، والمزايا التي تزيد الكلام حسناً وطلاوة وتكسوه بهاء ورونقاً، بعد مطابقته لمقتضى الحال**"[2].

ويرتبط مصطلح البديع بمعنى التحسين والتزيين سواء في الألفاظ أو في المعاني "**فحسن اللفظ من حيث الجرس الصوتي وحسن الكلمة من حيث اداؤها لمعناها ويزداد حسن أداء الكلام ومعناه بتأثير الرنين الصوتي كما يتضح في الجناس والسجع والترصيع وغير ذلك من ألوان البديع، ولتحقيق الجمال والحسن في هذه الأنواع لابد أن يتحقق الاتصال بالمعنى دائماً**"[3]، وكان الشعراء العرب يهيمون بكل أنواع البديع: "**فكل من وجد لونا جميلا من ألوان التعبير أدخله تحت اسم البديع حتى وصلت على يد واحد من أصحاب البديعيات إلى أكثر من مائتي نوع جمعها في بديعية واحدة**"[4].

يزخر النص القرآني بمختلف أصناف البديع التي سطرها أرباب البلاغة في كتبهم، ولكنها لم تكن للزينة فقط وإنما هي ألفاظ دعاها المعنى، حتى إذا أخذت هذه الألفاظ زخرفها وازينت وكانت في مواضعها التي يراد لها أن تكون فيها للمعنى جلاءً وبياناً وللكلام فضلاً وتأثيراً، ولذلك نجد البلاغيين قسموا المحسنات البديعية إلى قسمين: معنوية ولفظية.

علم البديع مابه قد عرف وجوه تحسين الكلام أن أوفى

---

[1]- بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة –علم البيان- علم البديع، تح: عبد المتعال الصعيدي- مكتبة الآداب- القاهرة، ط1999، ج4، ص03.

[2]- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد الهاشمي، ص 60

[3]- في البلاغة العربية، علم البديع، محمود أحمد حسن المراغي، دار العلوم العربية، بيروت، ط1، 1999، ص11.

[4]- شرح العقود الجمان في المعاني والبيان، الحافظ جلال الدين، سورابايا ،نوراسيا،(د ط)، (د ت)، ص104.

مطابقا مقصـــــده حلـــى فـمنـــته لفـــــظي ومعنـــــوي.[1]

تنقسم المحسنات البديعية إلى قسمين: منها يتعلق بصورة الألفاظ، وهي التي يكون فيها المعنى راجعا إلى اللفظ أولا يتبعه تحسين المعنى وتسمى بالمحسنات اللفظية[2].

وقسم آخر يتعلق بمعاني الألفاظ ويسمى الزينة المعنوية، ويكون التحسين بها راجعا إلى المعنى أولا ويتبعه تحسين اللفظ ثانيا ولكنه غير مقصود أي يأتي عفويا[3].

ويرى تمام حسان أن المحسنات البديعية نوع من التحسين وتسخير واع لما يمكن للقيم الصوتية وظاهرة الحكاية أن تثيره في نفس المتلقي على نحو الجناس والمشاكلة اللفظية[4].

ومن ذلك الجناس* في قوله تعالى: ﴿**وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا**﴾[5] فالاتفاق لفظا والاختلاف معنى(المشاكلة في اللفظين) فالسيئة الأولى بمعنى الذنب والسيئة الثانية بمعنى الجزاء، فيتفق اللفظ ويختلف المعنى وصولا إلى المشكلة وهذا من باب الجناس التام[6]. وهذا الأخير سماه **المبرد** المزج وقد وقد يسمى غير ذلك عند البلاغيين ، وهي أسماء وإن اختلفت تعني انتقال المدلول اللفظي إلى معنى آخر غير المألوف للفظ، وهذا التغيير والتبديل نتيجة عملية ذهنية يشغل في أثنائها الذهن بمعنيين متقاربين، فيتغلب اللفظ الدال على أحدهما على المعنى الآخر مجاراة للسياق، ومحاولة من القائل

---

[1]- أثر النحاة في البحث البلاغي، عبد القادر حسين، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1988، ص21.

[2]- وشي الربيع بألوان البديع في ضوء الأساليب العربية، عائشة حسين فريد، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، ط1، 2000، ص16.

[3]- المرجع نفسه ، ص16.

[4]- البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج1،ص287-290.

*- الجناس: "التحسين والتجانس والمجانسة، ومعناه أن يحدث تجانس أي تشابه بين كلمتين في النطق ويكون معناها مختلف". ينظر:في البلاغة العربية، علم البديع، محمود المراغي، ص109.

[5]- سورة الشورى، الآية 40.

[6]- البيان في روائع القرآن، تمام حسان،ج1، ص291.

الاحتفاظ بالمعنيين جميعا في اللفظ الواحد، وجزاء السيئة سيئة يراد منه إفهام معنى السيئة في العقاب العادل، ويقصد أيضا من هذا التقابل أو التزاوج أو المزج[1].

2) التناسب بين إيحاء الصوت ومعنى الكلمة:

وترقى القيمة الصوتية إلى حكاية معنى عرفي رصده المعجم للفظ أو معنى طبيعي مما تستوحيه النفس ولا تستطيع وصفه، ولا تقديم علة إيحائه، وهو تمثل التأثر باللحن الموسيقي الذي تطرب له ولا تدري لماذا؟ ولا يمكن أن ينسب إلى التفخيم(ربما يكون الذوق والإحساس والإيحاء نتيجة التأثر).ويسعى **تمام** إلى توضيح أهمية استعمال حكاية الصوت للوصول إلى أغراض إيحائية بالمعاني الطبيعية، ومهد تمام لمصطلح الطاقة الإيحائية والتأثر في الصفحة الأولى من كتابه البيان في روائع **القرآن**"حينما تحدث عن الغايات العلمية التي دفعته لولوج ساحة القرآن متأملا بعين اللغوي وقلب الأديب ،ما اشتمل عليه النص القرآني من مبادئ اللغة ومعاني الأدب وذلك يعني أن كل من يتصدى للبحث الأسلوبي أن يترك هذا العمل يمارس تأثيره الكلي والعميق عليه . والدراسة العلمية عند **تمام حسان** لابد أن يرافقها نوع من الذوق والإحساس ، إلا أن الشعور الذاتي لا يصلح دائما أن يكون أساسا للعمل العلمي ، ما لا يمكن إنكاره فبالإضافة إلى الكفاية العلمية لابد من قلب وعين حساسة قادرة على الاستجابة ، مع العلم أنه ليس على حساب النتائج فإن كانت النتيجة واحدة ، فما الهدف من استبدال البلاغة بالأسلوبية –كما يزعم البعض–وعنصر الإثارة كما يظهر عند **داما سو ألونسوا** الذي يرى أن الدال قد يكون مشحونا بأكثر من تصور ذهني، مما يحرك الانفعالات.[2]ويزخر النص القرآني بأمثلة عديدة عن استعمال حكاية الصوت للوصول إلى أغراض إيحائية بالمعاني الطبيعية التي تضيف إلى المعاني العرفية أبعادا إضافية ما كان لها أن تتحقق لولا ما تحمله حكاية الصوت من طاقة إيحائية، ويظهر إبداع القرآن الكريم في توظيف

[1]– أثر القرآن في تطور النقد العربي إلى آخر القرن 4هـ، محمد زغلول سلام، مكتبة الشباب، المنيرة، ط1، ص146.

[2] – ينظر :الأسلوبية الوظيفية ، بداش حفيظة، ص :211

ألفاظ أو تحويل ألفاظ عن معانيها إلى معاني أخرى تتناسب إيحاءا مع أصوات الألفاظ[1]، نحو قوله تعالى: ﴿**عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا**﴾[2]، حيث يوحي لفظ السلسبيل بالسلاسة والسهولة ويسير الاستساغة وذلك لما بين اللفظتين سلسبيل وسلاسة من شركة في بعض الحروف، هذا في مقابل الإيحاء في جمع المعنى، كما في قوله تعالى: ﴿ **إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا**﴾[3]، واشتق من مادة (غ س ق) في القرآن الكريم ألفاظ "الغسق" "الغاسق" "الغسّاق" والقصد المشترك بين هذه المشتقات الدلالة على أمور كريهة، فالغسق الظلمة، والغاسق: الليل الشديد الظلمة، والغسّاق شيء كريه لا يشرب، وفسروه بالصديد، وتستفاد هذه الدلالة لغويا من إيحاء حرف الغين والقاف. وهذا نوع من تحويل الألفاظ عن معانيها.

وهناك إيحاء من نوع آخر لا يعود إلى أصوات الكلمات وإنما يعود إلى الدلالات الهامشية والعبارات، فما كان من هذا الإيحاء حسنا حرص النص به على الألفاظ، وما كان سيئا ممجوجاً أطرح النص ما يؤدي إليه من ألفاظ وعبارات، وهنا تظهر أهمية الاختيار نحو قوله تعالى: ﴿ **قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ** ﴾.[4] وسألت مريم ربّها ﴿ **قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ** ﴾[5]، فأجاب الله زكريا بقوله: ﴿ **قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ** ﴾ وأجاب مريم بقوله ﴿ **قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ** ﴾، وذلك لأن التعبير بلفظ "يفعل" في حالة زكريا لا يثير خواطر سيئة، أن زكريا وامرأته زوجان فلا شبهة إن حملة المرأة، لأن زوجها بجانبها، وقد كان إخصابها بواسطة تسخير زوجها لذلك، والتسخير والإخصاب من فعل الله، أما في حالة مريم فإن التعبير بلفظ "يفعل" ربما أثار خواطر سيئة فاللفظ لهذا غير مناسب، ومن هنا جاء الفعل "يخلق". ويظهر هذا مراعاة القرآن الكريم السامع والموقف وسياق النص في اختيار الكلمات.وفي قوله تعالى: ﴿ **يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي**

[1]- البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج 1،ص206.

[2]- الإنسان: 18.

[3]- النبأ: 25.

[4]- آل عمران: 40.

[5]- آل عمران: 47.

أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ ﴾.[1] لا شك أن المقياس عليه عند التقسيم هو نصيب الذكر لأنه هو الذي تمثل الواحد الصحيح من الناحية الحسابية، ولو أعيدت الآية بذلك لقالت: "للأنثى نصف حظ الذكر" أو "للأنثى نصف الذكر" على حذف المضاف، ولكن لفظ "الذكر" من المشترك اللفظي حتى ليدل بين معانيه على عضو الذكورة من الرجل، ولما كان الأمر كذلك حال معنى الملكية الذي في اللام المجارة للأنثى دون أن يأت لفظ "الذكر" بعد الأنثى على أيِّ صورة. نظرا لما يثيره ذلك من معنى ممجوج مرفوض، وهكذا جعل النصف وهو نصيب الأنثى مقيسا عليه وجعل الواحد الصحيح، وهو نصيب الذكر مقيسا، فقيس نصيب الذكر بضعف نصيب الأنثى.

وتعددت الدلالة الصوتية لتشمل سياق الموقف في قوله تعالى: ﴿ **الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآَبٍ** ﴾ [2]، فطوبى مفخمة وهي مؤنث أطيب، وقوله تعالى: ﴿**وَأَمَّا مَنْ آَمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى**﴾[3] الحسنى مؤنث أحسن وكلتاهما من أفعال التفضيل، ولكن لما عبر في "الرعد" بـ "طوبى"، وفي الكهف بـ "الحسنى" أرجع تمام هذا الاستعمال إلى السياق، فالسياق في سورة الرعد يدور حول الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله، وفي درجة فوق العمل الصالح الذي يبلغ درجة الاطمئنان، فكان جزاؤهم أعظم، لذا اختير لفظ "طوبى" دون "الحسنى" المختار وفي سياق آية "الكهف" والذي كان يقارن بين ظلم فاستحق العذاب ومن آمن وعمل صالحا استحق "الحسنى" وخلاصة القول أن اختيار الألفاظ يقع بالنظر إلى السّياق.

المبحث الرابع: المناسبة الصوتية

المناسبة لغة: المشاركة والمقاربة، والارتباط[4]. والمناسب القريب، وهذا يناسب هذا يقاربه

[1]- النساء :11.

[2]- الرعد: 29.

[3]- الكهف: 88.

[4]- لسان العرب، ابن منظور، دار المعارف، بيروت، (د. ت) مادة نسب

شبها ،ومنه النسيب الذي القريب ، وهذا يناسب هذا يقاربه شبها ومنه النسيب الذي هو القريب المتصل عند **الزركشي** بقوله: "**المناسبة لغة: المقاربة؛وفلان يناسب فلانًا،أي يقرب منه ويشاركه،ومنه النّسيب:الذي هو القريب المتّصل، كالأخوين، وابن العمّ، ونحوه؛ وإن كان متناسبين بمعنى رابط بينها، وهو القرآنية،ومنه المناسبة في العلّة في باب القياس، الوصف المقارب للحكم لأنّه إذا حصلت مقاربته له ظنّ عند وجود ذلك الوصف وجود الحكم ولهذا قيل: المناسبة آمر معقول، إذا عرض على عند وجود ذلك الوصف وجود الحكم ولهذا قيل: المناسبة آمر معقول، إذا عرض على العقول تلقته بالقبول**"[1].

أمّا في الاصطلاح فإن شيوع مصطلح المناسبة في هيكل الدراسات اللّغوية أدى إلى شيوع العديد من المصطلحات القريبة منها في الدلالة مثل: الانسجام، والتوافق والإتباع، وكلها تشتّرك في حيازتها دلالة عامة في مجملها، فهي تشير إلى أن النظام الصوتي في الدراسات اللغوية يأتي تبعًا لقانون دلالة في مجملها، فهي تشير إلى أنّ النّظام الصوتي في الدراسات اللغوية يأتي تبعًا لقانون التوازن الإيقاعي، ومن ثمّ أطلق على اللغة العربية أنها اللغة الموسيقية. [2]

وتعد المناسبة الصوتية: "**جزء من النظام العام تنتج عن اتفاق يوجد بين جميع الأعضاء النطقية بحيث لا نجد صوتا مناوئا لصوت مجاور، ولا عضو منافيا في وضعه النطقي لعضو آخر، إنما تتعاون الأعضاء في خلق نوع من الانسجام الحركي في أثناء العملية النطقية ومثله انسجام في حروف الكلمة والجملة، فلا يكون هناك صوت شاذ عن آخر، ولا حركة مناقضة لحركة أخرى، فيؤدي ذلك بالطبع إلى نوع من التوازن والتوافق**".[3]

ومما يعود في الذوق العربي أيضًا إلى كراهية التنافر ما يسمونه ظاهرة المناسبة vowel harmony فالمعروف أن الفتحة وألف المد من قبيل صوتي واحد, وأن الكسرة وياء المد من

[1]- البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ج1، ص:61

[2]- دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط 2، 1963، ص :163 .

[3]- ينظر: ظاهرة التخفيف في النحو العربي، أحمد عفيفي ، الدار المصرية اللبنانية ، ط1، 1996، ص:139

قبيل آخر, وأن الضمة وواو المد من قبيل ثالث, فكل حركة من هذه الحركات الثلاث تناسب ما كان من قبيلها. ولقد لاحظ النحاة أن موقعا ما قد يتطلب حركة معينة بحكم النظام, أي: بحسب القاعدة, ولكن هذه الحركة المطلوبة قد تتنافر مع ما يجاورها, أو على الأقل لا تناسبه, ومن هنا يبدو السياق وقد اتخذ في مكان هذه الحركة حركة أخرى تتناسب مع ما يجاورها.[1]ويقصد **تمام** بالمناسبة الصوتية أن يكون الصوتان المتجاوران أو اللذان يفصل بينهما حاجز غير حصين أن يكونا على صورة لا يرد فيها تنافر أحدهما مع الآخر لا في الأداء ولا في السمع.[2]وأما عن كيفية حدوث المناسبة فهو نابع من طبيعة الوحدات الصوتية داخل الكلمة، فالوحدات الصوتية تختلف في قيمتها من حيث طولها أو قصرها، أو قوتها أو ضعفها أو كونها ساكنة أو متحركة، وكل هذا يؤدي إلى إحداث بعض التناقض فيما بينها، فتلجأ اللغة إلى التخلص من هذا التناقض عن طريق ظواهر المناسبة والانسجام. ويرى تمام أن بعض صور المناسبة يخضع للتقعيد في حين يظل الآخر خاضعا للاختيار الأسلوبي الفردي الفني، ومما يخضع للقاعدة:[3]

- تفخيم لام الجلالة وترقيقه بحسب الصوت الذي يسبقه.
- تحريك الغيبة بحسب ما يسبقه.
- كسر المناسبة قبل ياء التكلم عند الإضافة وياء المخاطبة.
- بناء الماضي والأمر على الضم لمناسبة واو الجماعة (أكلوا، لعبوا)
- تحريك آخر كلّ فعل بالفتحة إذا أسند إلى الآلف.
- الفتحة الدالة على الألف المحذوفة في نحو يسعون، يرضون.
- الجرّ بالكسرة لما دخل عليه حرف الجّر الزّائد.
- إتباع العين بفاء في جمع المؤنث السالم من الثلاثي نحو سجدات.

[1] – ينظر : اللغة العربية معناها ومبناها ، تمام حسان ،ص 273

[2] – ينظر: البيان في روائع القرآن ، تمام حسان ، ج1،ص :215

[3] – المصدر نفسه ، ص :215

أما الجانب الأسلوبي الفردي الاختياري من المناسبة فقد اشتهر منه أمران:

1- إعراب الجوار: مما يدخل تحت المناسبة أيضًا إعراب المجاورة كما في "**جحر ضب خرب**" ؛ حيث يتضح المعنى بقرينة معنوية هي قرينة الصلاحية للإسناد وعدمها, فيصبح اعتبار المناسبة الموسيقية للحركات أهمّ من المحافظة على إعراب القاعدة. وهو نوع من الترخص في القرينة الإعرابية، و لذا يعده **تمام** "**عملاً فرديًا اختياريًا، لأنّه يتم بالاختيار الحرّ من قبيل منشئ النّص، وقد كانت له مندوحة عند استعماله، فإن اضطر إلى ذلك في الشعر، فهو ضرورة.**"[1]

2- الإتباع على اللفظ: هو يتم بإيراد لفظين بينهما شبه تقفية (المناسبة الصوتية الموسيقية) ما لم بعطف احدهما على الآخر، نحو " حيص بنص"، "شذر مذر"- ودائمًا يشير **تمام حسان** إلى المستوى الإستعمالي والتصريفي لا النظام، وهذا يمنح منشيء النّص حرية الاختيار والممارسة.[2]

والإتباع كما يرى **أحمد الفيومي**: "**هو النطق بالحركة على حذو ومثال حركة أخرى في كلمتها أو في كلمة مجاورة، وكذا النطق بها على وجه يناسب ويلاءم الحركة قبلها أو بعدها** ".[3] ولذا فإن مناط عمل الإتباع هو تحقيق المناسبة الصوتية. ومما يدل على أن البغية الموسيقية في آيات القرآن ليست اضطرارية ولا تكون على حساب المعاني في أسمى دلالاتها هو أنه:"**لا يمكن تفسير الإتباع على اللفظ إلا في ضوء المناسبة الصوتية بين صوتين حين تتضافر القرائن على بيان المحل فلا يحتاج إلى حركة التابع بين القرائن الدالة عليه**".[4]

---

[1]- البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج 1،ص :215

[2]- المصدر نفسه، ص :215-216

[3]- أبحاث في علم أصوات العربية، أحمد الفيومي، مطبعة السعادة، القاهرة، ط1، 1991، ص: 147

[4]- اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، ص: 275

أمّا المناسبة بحسب القاعدة، فلا تصل في رعايتها لأسلوب على آخر، بل شجاعة الصياغة، فقد تتمثل في عدم رعايتها، كما في قوله تعالى:﴿ **وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا**﴾.[1]

إذا جاءت الهاء من "**عليه**" مضمومة على الرغم من الياء الساكنة التي قبلها والأسلوب القرآني في عموم أحواله يراعي أو ينسجم مع هذه القواعد التي تحكم هذا النوع من المناسبة. أمّا إذا جاءت الهاء من "**عليه**" مضمومة على الرغم من الياء الساكنة التي قبلها والأسلوب القرآني في عموم أحواله يراعي أو ينسجم مع هذه القواعد التي تحكم هذا النوع من المناسبة. أمّا المناسبة الفنية (الاستعمالية) التي لا تحكمها القاعدة وهي موضوع الدراسة.[2]

مظاهر المناسبة الصوتية:

وتتعد مظاهر المناسبة الصوتية في القرآن الكريم بين الألفاظ، ولعل أشهر مظهر لها الفاصلة القرآنية، لأن طبيعة الفاصلة أنها إتيان خواتم الآيات طبقا لاختيار أسلوبي مقصود، بحيث يكون ثمة مناسبة صوتية بين رؤوس الآيات، وأكبر دليل على أنه أمر اختياري أنك تجد من طوال السور في القرآن الكريم تلتزم فيها فاصلة من جرس واحد، وقد لا تلزم فاصلة واحدة وهذا مرده إلى الاختيار دون القاعدة.[3]

وتعتمد المناسبة الصوتية على الانسجام لا المطابقة التامة كما هو الحال في القافية الشعرية، فالفاصلة القرآنية تتحقق بالصوتين المنسجمين، ولا يتحتم فيهما أن يكونا متطابقين. ويخلص **تمام** أن المناسبة الصوتية هي المبدأ الذي تقوم عليه الفاصلة القرآنية، وأما القافية الشعرية فلا تقنع بالمناسبة وتتخطاها إلى المطابقة وهذا ما يميز الفاصلة بالحرية والانطلاق والاختيار الأسلوبي ، في

[1]- الفتح: 10

[2]- البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج 1،ص :216

[3]- ينظر: المصدر نفسه ، ص :216

حين أن المطابقة التزام وتقييد تتحكم في الاختيار وتسلم أحيانا إلى الضرورة. [1]

العدول إلى الشيء، والإقبال عليه.والإمالة من العدول فجاءت في لسان العرب " والإمالة مصدر قولك أملت الشيء، إمالة إذا عدلت به إلى غير الجهة التي هو فيها، من مال الشيء، يميل ميلا، إذا انحرف عن القصد .[2] والإمالة من مظاهر المناسبة الصوتية في القرآن الكريم " **أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة وبالألف نحو الياء لضرب من تجانس الصوت**".[3] وهي الميل بالفتحة عن اتجاهها الأصلي أو الألف. وتتعلق بالصوت ويشترك فيها الاسم والفعل. والإمالة في العربية "**جنوح بالألف نحو الياء فيصير مخرجه بين مخرج الألف المفخمة وبين مخرج الياء وبحسب بعده تكون خفتها**".[4] وهي ظاهرة نجدية لا ترد لدى الحجازيين إلا قليلا".[5] "**وليست الإمالة لغة جميع العرب**".[6]

فقد اشتهرت بها عامة القبائل النجدية من تميم وقيس وأسد والإمالة ظاهرة موقعية ارتباطها بالمناسبة تحكمه بيئات صوتية خاصة، ولذا لا يمكن عدّ هذا الارتباط قاعدة من القواعد الملزمة لأي قارىء من قراء القرآن الكريم بل هو مخيّر بين استعمال قراءة الإمالة أو عدمه. ومعنى كون المناسبة سبب الإمالة " أن الألف تمال للمح الملابسة بينها وبين الياء أو الكسرة، وهذه الملابسة تجعل المناسبة غاية أسلوبية صوتية، وهي في المستوى الصوتي تمثل خروجا عن الأصل فهي ملفوظ لغوي ينبئ مدلوله عن الخروج عن القاعدة المألوفة إلى عدول عن أصل الوضع كمطلب أسلوبي

[1]-ينظر: البيان في روائع القرآن ، تمام حسان ، ج2 ، ص :216

[2]- لسان العرب، ابن منظور، المجلد 11، مادة مال .

[3]- اللمع في العربية، ابن جني، تحقيق فائز فارس، دار الكتب الثقافية، الكويت، (د ط) ،1972، ص:372

[4]- شرح المفصل، ابن يعيش، تحقيق عبد اللطيف محمد الخطيب،جامعة الكويت، (د ط)، 1999،ج9. ص:54

[5]- البيان في روائع القرآن، تمام حسان،ج 1، ص:217

[6]- شرح الشافية، رضي الدين الأستراباذي، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، محمد نور الحسن، محمد الزفزاف، دار الكتب العلمية، 1402 هـ – 1982 م، ج3، ص:14

لغوي ينبئ مدلوله بكسر المألوف".[1]

ويمكن أن نوضح الإمالة من خلال الرسم التخطيطي التالي:

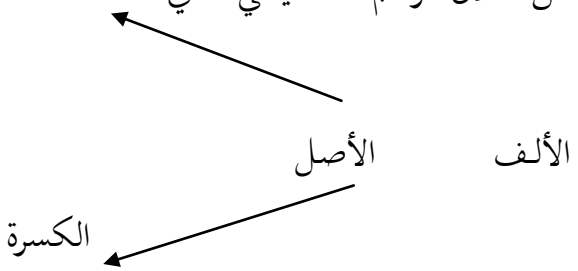

وقد تكون ملابسة الألف للياء أو الكسرة على إحدى الصور الآتية[2]:

1-إبدال الألف من ياء متطرفة كما في رمى وهدى .

2- حلول الياء محلها في بعض تصاريف الكلمة، كما في التثنية نحو كبرى وبناء المجهول دعا

3- إبدال الألف من عين الفعل الأجوف الذي أسند إلى التاء كسرت فاؤه كما في باع وسال.

4- وقوع الألف بحيث تتلوها الياء كما في داين.

5- وقوعها بعد الياء إما متصلة بها كما في حيّان أو منفصلة عنها بحرف كما في هيفاء أو حرفين أحدهما الهاء كما في بيني وبينها.

6- وقوعها قبل الكسرة مباشرة كما في عالم الغيب أو بعدها وبينهما حرف نحو سريع الحساب أو بينهما حرفان أولهما متحرك غير مضموم وثانيهما الهاء كما في مناكبها...الخ.

7- السعي إلى إيجاد المناسبة بين كلمتين إحداهما إمالة لأحد الأسباب المتقدمة كما في إمالة ألف الضحى (مع كونها واوية) لمناسبة الإمالة في **سجى** و**تلى** ذواتي الألف المبدلة من ياء متطرفة.

وتمتنع إمالة الألف لأسباب كأن يتصل به حرف يستحق التفخيم، فالتفخيم يدفع الإمالة والكسرة تأذن له . لذا قيل عن الإمالة أنها من المناسبة الصوتية.[3]

---

[1]-ينظر: المقررات الصوتية في البرامج الوزارية للجامعة الجزائرية دراسة تحليلية تطبيقية . مكي درار، سعاد بستاني ،دار الأديب، وهران ،الجزائر،2007، ص:153.

[2]- البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج1، ص:217-218

[3]- ينظر: البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج1، ص :218.

وهناك مناسبة صوتية تحكمها القاعدة: وهي تركيبية وليست أسلوبية أي لا تتصل بالاختيار. ومن ذلك ثلاثي الساكن العين ك "سجدة" "خدمة"، فهي أسماء غير صفات، إذ جمع بالألف والتاء (سجدات) وحركت عينه بمثل حركة الفاء وإيجاز تسكين العين في مكسور الفاء ومضمونها، لم يجز في مفتوح الفاء إلا إتباع حركة العين، حركة الفاء المناسبة، نحو قوله تعالى:﴿ **فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ**﴾[1] وقوله تعالى:﴿ **وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ**﴾[2]. فلزمت العين حركتها وامتنع الإتباع وإذا لم تكن العين مفردة بل كانت مشددة كما في " عمّات" فلا محل للإتباع، إذا كانت العين الساكنة واوًا أو ياء كما في قوله تعالى:﴿ **ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ**﴾[3] بقيت عين الكلمة على سكونها أما فيما عدا ذلك نجد الأسلوب القرآني يميل إلى الربط بين الفتحة وحرف الحلق في أول الكلمة.

أمّا ما يتصل إتباع الحركة بالاختيار الفردي كما في ألفاظ مفردة كما في قوله تعالى:﴿ **وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ**﴾[4]. فجاءت كل من اللام والراء (ل. ر) مجردتين معًا، وقد تدعو المناسبة إلى وصف اللفظ، بصفة مادة اشتقاقه كما في قوله تعالى:﴿**وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ**﴾[5]. مناسبة صوتية وإضافة معنى التراكم.

المناسبة بإخضاع حركة البناء لما جاورها، كما في قراءة حمزة في قوله تعالى:﴿**فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ**﴾[6] من إخضاع الحركة الإعرابية لمناسبة في قراءة﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾[7].

المبحث الخامس : حسن التأليف.

---

[1]- فصلت: 16

[2]- الرعد: 7

[3]- النور: 31

[4]- الحج: 5

[5]- آل عمران: 4

[6]- النساء: 11

[7]- الفاتحة: 2

يشكل التلاؤم بين أصوات المفردة القرينة أساسًا مهمًا في البناء الصوتي للغة القرآن الكريم وينطوي هذا التلاؤم الصوتي على العبارة القرآنية وأصواتها بصورة متكاملة وتأتي هذه "الأمور مجتمعة من التعديل الصوتي بين الصوت المكوّن للفظة المفردة، وكذلك التعديل بين الأصوات المكونة لألفاظ العبارة القرآنية وعدم التنافر فيما بينها حتى لا يكون هناك اضطراب في السياق التركيبي لهذه الألفاظ المتلائمة".[1]

وتتصف العلاقات الصوتية بين الأصوات المكونة لألفاظ النّص القرآني بتناسق صوتي جمالي مؤثر، وعدّه الرّافعي وجهًا من وجوه القرآني "بهذا الوجه المعجز، فتألفت كلماته من حروف لو سقط واحد منها أو أبدل بغيره أو أقحم معه حرف آخر، كان ذلك خللاً بيّنًا، أو ضعفًا ظاهرًا في نسق الوزن وجرس النغمة، وفي حسن السمع وذوق اللّسان، وفي انسجام العبارة وبراءة المخرج وتساند الحروف وإفضاء بعضها إلى بعض، ولرأيت لذلك هجنه من السمع، كالذي تنكره عن كلّ مرئي لم تقع أجزاؤه على ترتيبها، ولم تتفق على طبقاتها، وخروج بعضها طولاً وبعضها عرضًا، وذلك ما بقي منها إلى جهات متناكرة.[2] "**فهو بديع النظم، عجيب التأليف، متناه في البلاغة إلى الحدّ الذي يعلم عجز الخلق عنه... إن نظم القرآن على تصرف وجوهه، وتباين مذاهبه خارج المعهود من نظام جميع كلامهم، ومبين للمألوف من ترتيب خطابهم، وله أسلوب تختص به، ويتميز في تصرفه عن أساليب الكلام المعتاد**".[3]

إن حسن التأليف يزيد المعنى وضوحًا، ويكسب اللّفظة جمالا، ويضفي عليها روعة، فيصبح

[1]- التلاؤم الصوتي وأثره في القرآن الكريم، مجلة الجامعة الإسلامية، العدد السادس عشر، ص:174

[2]- ينظر:إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، الرافعي، ص :60

[3]- المصدر نفسه، ص: 35 .

بمثابة عقد رائع يبهر الألباب ويدهش العقول: وحسن التأليف يزيد المعنى وضوحًا وشرحًا، ومع سوء التأليف، ورداءة الرصف والتركيب شعبة من التعمية، فإذا كان المعنى سبيّا، ورصف الكلام رديًّا، كان أحسن موقعًا، وأطيب مستمعًا.[1]

ولقد عقد **أبو هلال العسكري** (ت395هـ) بابًا من كتابه الصناعتين عنونه بـ (حسن النّظم وجودة الرصف والسبك). ويورد في هذا المعنى قائلاً: "**وحسن الرصف أن توضح الألفاظ في مواضعها، وتمكن في أماكنها، ولا يستخدم فيها التقديم والتأخير والحذف والزيادة إلا حذف لا يفسد الكلام ولا يعمي المعنى ويضم كلّ لفظة منها إلى شكلها إلى لفقها [ما يلائمها]، وسوء الرصف تقديم ما ينبغي تأخيره منها وصرفها عن وجوهها وتغيير صيغتها ومخالفة الاستعمال في نظمها**". [2]

فحسن التأليف يزيد المعنى وضوحًا، ويكسب اللّفطة جمالاً، ويضفي عليها روعة فيصبح بمثابة عقد يبهر الألباب ويدهش العقول، "وحسن التأليف يزيد المعنى وضوحًا. ومع التأليف، ورداءة الرصف والتركيب شعبة من التبعية، فإذا كان المعنى سيبًا، ورصف الكلام رديًا، كان أحسن موقعًا، وأطيب مستمعًا، فهو بمنزلة العقد إذا جعل كل خرزة منه إلى ما يليق بها كان رائعا في المرأى وإن لم يكن مرتفعًا جليلاً، وإن اختل نظمه فضمت الحبة منه إلى ما يليق بها اقتحمته العين وإن كان فايقًا ثمينًا"[3].

---

[1]- الصناعتين، الكتابة والشعر، أبو هلال العسكري، تح، مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1981، ص179.

[2]- الصناعتين، الكتابة والشعر، أبو هلال العسكري، تح، مفيد قميحة ، ص:179 .

[3]- المصدر نفسه ،ص:179.

وذكر **أبو بكر الباقلاني** (ت403هـ) فقد أورد أن حسن التأليف ظاهر في القرآن الكريم بقوله:"**إنّه بديع اللفظ عجيب التأليف**".[1]

فقد ذكر **الباقلاني** مخالفة القرآن لأساليب العرب "**إنّ نظم القرآن على تصرف وجوهه وتباين مذاهبه خارج عن المعهود من نظام كلامهم، ومبين المألوف من ترتيب خطابهم**".[2] واعتبر **الباقلاني** حسن النّظم وجه من وجوه إعجاز القران الكريم بقوله: "بديع النّظم، عجيب التأليف، متناه في البلاغة إلى الحدّ الذي يعلم عجز الخلق عنه... إن نظم القران على تصرف وجوهه، وتباين مذاهبه خارج عن المعهود من نظام جميع كلامهم، ومباين للمألوف من ترتيب خطابهم، وله أسلوب تختص به، ويتميز في تصريفه عن أساليب الكلام المعتاد.[3]

فالقرآن الكريم بعيد كلّ البعد عن التفاوت فإن جميع ما يتصرف فيه من الوجوه على حدّ واحدٍ" **وقد تأملنا القرآن، فوجدنا جميع ما يتصرف فيه من الوجوه التي قدمنا على حدّ واحدٍ، في حسن النّظم، وبديع التأليف والرصف، لا تفاوت فيه، ولا انحطاط عن المنزلة**

[1]- إعجاز القرآن، الباقلاني، ص35.

[2]- المصدر نفسه، ص:35

[3]- المصدر نفسه، ص:35

العليا، ولا إسفاف إلى الرتبة الدنيا، وكذلك قد تأملنا ما يتصرف إليه وجوه الخطاب من الآيات الطويلة والقصيرة، فرأينا الإعجاز في جميعها على حدٍ واحدٍ ولا يختلف"[1].

وقد لاحظ **تمام حسان** أن تأليف الكلمة العربية ذات الأصول الثلاثة يجري على أساس ذوقي وعضوي خاص، يتصل بتجاور مخارج الحروف الأصول التي تتألف منها الكلمة أو بتباعدها بالنسبة إلى أماكنها في الجهاز النطقي،ولذا اشترط القدماء لتكون الكلمة فصيحة فلا بد من تناسق حروفها. ويرى **أن فكرة تقارب المخارج وتباعدها هي فعلًا أساس هذه الظاهرة في اللغة العربية الفصحى "ظاهرة التأليف" فبحسبها تتجاور الحروف في الكلمة أو لا تتجاور, وهذه الظاهرة هي التي استعان بها القدماء من نقّاد الأدب في الكشف عمَّا سموه "التنافر اللفظي", وعلى أساسها بنوا نقدهم لكلمة "مستشزرات" التي وردت في معلقة امرئ القيس, ولعبارة "وليس قرب قبر حرب قبر".ومرجع كل ذلك كما ذكرنا إنما هو إلى الذوق العربي الذي يتجه إلى ما اصطلحنا على تسميته "كراهية التضاد أو التنافر"**[2]، فالتجاور في الحروف يكون أولا في الكلمة وهو مجال الدراسة الأسلوبية الصوتية التي تهتم بالفونيتيك والفنولوجيا. وقد ربط **تمام حسان** التأليف بالحسن وذلك ليبين أن أبعاده الفنية الأسلوبية وأثره في المعنى ، وحسن التأليف ليس له قواعد محددة ولذا يقول عنه **تمام" لذا جعلناه ظاهرة أسلوبية لا تركيبية"**[3].

وتظهر أهمية حسن التأليف في الكلام من خلال حقلين من حقول الاستعمال اللغوي:

الأول : حقل الكلام في الفصاحة إذ يرى **تمام حسان** أن مبدأ النقاء اللغوي عند القدماء إذا خلا الكلام من التعقيد المعنوي واللفظي، لذا جعل القدماء صفة الكلام سلبية لا ايجابية للإيجاز.وربط السلف فصاحة الكلمة بخلوها من تنافر الحروف ، ويرى تمام أن هذا الخلو السلبي

[1] – المصدر نفسه، ص:37

[2] – اللغة العربية معناها ومبناها ، تمام حسان ، ص:265-269

[3] – البيان في روائع القرآن ، تمام حسان ، ج 1،ص:220

يمكن أن يتحول إلى الإيجاب.وجعل القدماء أن الكلمة الفصيحة هي التي حسن تأليفها من خلال تناسب أجراس حروفها الأصلية بحيث لا يكون في نطقها عسر أو ثقل[1]، **وعلى أساسها بنوا نقدهم لكلمة "مستشزرات" التي وردت في معلقة امرئ القيس, ولعبارة "وليس قرب قبر حرب قبر". ومرجع كل ذلك كما ذكرنا إنما هو إلى الذوق العربي الذي يتجه إلى ما اصطلحنا على تسميته "كراهية التضاد أو التنافر".**[2]والسؤال الذي يطرح نفسه إذا كانت اللغة العربية تكره الأضداد وتوالي الأمثال ، فما الذي ترتضيه العربية ؟ تحرص العربية على التقاء المتخالفين والابتعاد عن التماثل الذي يؤدي إلى اللبس أو التنافر الذي ينافي الذوق العربي ، ولهذا فإن الظواهر الموقعية التي ترد في السياق تتجه إلى الاختلاف وهذا يجري على كل مستويات اللغة لا الأصوات فقط .[3]

الثاني : حقل الكلام في الألفاظ الشعرية وغير الشعرية وهو حقل أوسع إذ يشمل أصوات الكلمة في عمومها متجاورة كانت أم غير متجاورة ، ويشمل في بعض الأحيان حكاية الصوت للمعنى ، والمقصود بالحكاية ما عرف باسم " **الكلمات الشعرية** " أو" **الكلمات السلسة** " عند النقاد واللغويين تذهب إلى جدوى تجاهل المعاني العرفية (المعجمية للكلمات / واستنباط دلالات من جرس الألفاظ لا من عرفها).[2]

ويرى **تمام حسان** أن السلف قد أشاروا إلى حلاوة اللفظ وطلاوته وسلامة الأسلوب من منطلق الذوق والانطباع الذاتي وهو غير كاف على الرغم من أهميته،وهذا ما يلحظه **تمام حسان** في دراسته للتراث من خلال أعمال المتأخرين من البلاغيين الذين يرى أنهم ربطوا بين

[1] البيان في روائع القرآن ، تمام حسان ، ج 1، ص:220- 212

[2] – اللغة العربية معناها ومبناها ، تمام حسان ، ص:264

[3]– ينظر : اللغة العربية معناها ومبناها ، تمام حسان ، ص264- 265

[2] – ينظر : الأسلوبية الوظيفية ،بداش حفيظة ،ص :215

حسن التأليف ومخارج الحروف،[3] ويعود تركيز **تمام حسان** على هذه الفئة لقربها من الدراسات الوصفية وما أجرته من دراسة للمخارج وعلاقاتها ،بحسن التأليف[4].

ومن ذلك ما أورده من قول **السبكي** حول رتب الفصاحة فهي متفاوتة, **فإن الكلمة تَخِفّ وتثقل بحسب الانتقال من حرف إلى حرف لا يلاءمه قربًا أو بعدًا**. ويذهب تمام حسان بأن قول **السبكي** "**بخفة وثقل الكلمة** "ربط حسن التأليف بطلب الخفة ولكنهما في الحقيقة يلتقيان ويفترقان ، ويظهر هذا في حرفي القاف والنون ، فقد يعد التقاؤهما لحسن التأليف ، لكن طلب الخفة يدعو إلى إجراء صوتي ينأى عن مخرجها الأصلي لتخفى قبل القاف. وحسن التأليف عند تمام لا يتعلق بالمخارج وحدها ، بل يتخطى ذلك إلى صفات الحروف . فالاستعلاء (اللام) لا ينسجم مع الاستفال الصفير (ص) والتفشي (ف)، واللغة العربية لا

تتخلى عن التناسق في مخارج الحروف ولكن الاستعمال سيد الموقف إذ :" **لا حيلة لمنشئ النص للتغلب على ما يشبه الضرورة في الاستعمال.**" [1]

وما ذهب إليه **تمام** بخصوص فصاحة الكلام يذكرنا بما قال به **الجرجاني** "**إذ لا فصاحة بلا بلاغة والعكس ، يعني نفي فصاحة الكلمة خارج التركيب،أي عدم الفصل بينهما . وليس كما قال البعض الفصاحة للألفاظ والبلاغة للتركيب**".وهو ما أقره **الجرجاني** فقد سار عليه **تمام حسان** هو مبدأ التلاحم الوظيفي الفونولوجي للأصوات والمعاني "**الإفادة والإبلاغ**" وتتضح الحالة إلى الترخص في هذه الحالات :

[3] – ينظر : البيان في روائع القرآن ، تمام حسان ،ج1، ص:223

[4] – ينظر : الأسلوبية الوظيفية ، بداش حفيظة ، ص:215

[1] - البيان في روائع القرآن ، تمام حسان ،ج 1،ص:223

أ- الالتزام بنية الصيغة الصرفية: كما في قوله تعالى:﴿ **وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ**﴾ [1] فالتقاء الواو والضمة في الفعل المبني للمجهول" وقفوا"، وهما بمقياس التأليف متنافران لأن اجتماعهما يوصف بالثقل. بالإضافة إلى توالي الضمة والكسر على القاف، تقلب الواو في هذا الموضع إلى الهمزة كما في قوله تعالى:﴿ **وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ** ﴾ [2] فقلب الواو إلى الهمزة هنا سيوقعنا في توالي الهمزة المضمومة والقاف المكسورة في "وقفوا". وهذا أثقل من التقاء الهمزة المضمومة والقاف الساكنة عكس لفظ "أُقتِت" لقرب المخرجين وتوالي الحركتين العدوتين. [3]

ب-الالتزام بخصوص الزوائد في الكلمة:

إنّ كلام **السبكي** يصدق على الأصول الثلاثية للكلّمة لكنه لا يصدق على غير الأصول الثلاثة للكلمة. أمّا الزيادات فهي تزاد في الكلمة بلفظها كما تقضي القواعد الصرفية بقطع النظر عن الصوتين المتوالين فإذا كان الفعل مبدوءً بتاءين زائدتين فإمّا أن يحذف إحداهما كما في قوله تعالى:﴿ **وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ**﴾[4] وإمّا أن يبقي عليها كما في قوله تعالى:﴿ **وَإِنْ تَتَوَلَّوْا**﴾[5] وهكذا يريد الحرف الزائد بخصوصه مهمًا جاوره من مثله أو قاربه. ولذا نجد التاء والطاء في قوله تعالى: ﴿ **اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا**﴾[6] والصاد والطاء في قوله تعالى: ﴿ **فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ**﴾[7]

ج- الالتزام بخصوص اللواصق: ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ **لَيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ**﴾[8]. فالفعل "ليكونن" دخلت عليه نون التوكيد الثقيلة، وتوالت ثلاث نونات على صورة (نُ

---

[1]- الأنعام: 27

[2]- المرسلات: 11

[3]- البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج 1،ص:224

[4]- الحجرات: 11

[5]- محمد : 38

[6]- الكهف : 77

[7]- القمر: 27

[8]- فاطر: 42

نْ نَ)، أمّا إذا كانت هذه النونات ليست من بنية الكلمة فإمّا أن تحذفها اللغة كما في قوله تعالى: ﴿ **لَتُبْلَوُنَّ**﴾[1] وإمّا أن تفصلها عن أختيها بحاجز مهما كان غير حصين كما في **لتسعينان**. وقد تجتمع الطاء والتاء في قوله تعالى:﴿ **أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ**﴾[2] وفي تواليهما مجاورة الاستعلاء للإستفال.

د- الالتزام عند مفصل الكلمتين بتكوين كلّ منهما:

كما في قوله تعالى:﴿ **وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي**﴾[3] التقاء الذال والتاء* وحكمهما في الكلمة الواحدة الإدغام كما في قوله تعالى:﴿ **وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ**﴾[4]. أي إذْ دَكَرَ مخرجهما متقاربان فأدغمتا. ولكن في الآية الأولى "إذ تخرج" تبدأ بـ "إذ" كلمة مستقلة تبدأ بهمزة مكسورة وتنتهي بذال ساكنة و"تخرج" كلمة أخرى مستقلة تبدأ بتاء المضارعة ولو ذهب أحد الصوتين لذهبت الكلمة التي هو منها ولذا لا مناص من الترخص في التأليف للمحافظة على الكلمتين وبالتالي للمحافظة على المعنى.[5] والتقاء الدال والضاد في قوله تعالى: ﴿ **فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ** ﴾ [6] على الرغم من اتصال مخرجيهما واشتراكهما في بعض الصفات ولكن النّص القرآني عالج هذا النوع من الترخص إمّا بقلقة الدال كما في قراءة حفص وإمّا بالإدغام في قراءة ورش. وهكذا خفت وطأة الترخص في الآيات.[7]

---

[1]- الأنعام: 186

[2]- البقرة: 217

[3]-الآية 110

*التاء والذال متقاربتان في المخرج إذ تخرج الذال بانطباق وضع طرف اللّسان بين الأسنان والتاء تنطبق بوضعه بحيث يلامس اللسان داخل ألسنان العليا وجزءً من اللثة.

[4]- يوسف: 45

[5]- البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج1،ص:227

[6]- المائدة: 12

[7]- البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج1،ص:227

هـ- الالتزام بالضمير المتصل وخصائصه الصوتية: نحو قوله تعالى: ﴿ **لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ** ﴾[1].

فتوالي طاء الكلمة (اللام) والتاء(ضمير المخاطب) فالاستعمال يحكم بتجاورهما باعتبار التاء للدلالة على المخاطب كما أن الطاء لا يستغنى عنها بوصفها لام الكلمة، ولذا لا تمكن استناد "بسط إلى المخاطب بتوالي الطاء والتاء وهكذا يأتي التّرخص في التأليف طبيعيًا لا غبار عليه.[2] ويرجع **تمام حسان** دائما إلى تحكيم الاستعمال ومراعاته، وهو الوجه الوظيفي من اللغة وذلك من باب التفريق بين اللغة والكلام .

وحديث **تمام حسان** عن الترخص من باب رعاية الوصول إلى المعنى لأن أهم ما تحرص عليه اللغة هو الوصول إلى الإبلاغ والإفهام .

ونخلص إلى :

- أن الظواهر الصوتية التي عالجها **تمام حسان** هي من قبيل الظواهر الموقعية كالنبر السياقي

[1]- المائدة: 28

[2]- ينظر: البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج 1،ص:226

التنغيم ،الفاصلة، التأليف ، المناسبة ، المفصل ... والتي تجري داخل السياق.

- ربط **تمام حسان** بين الصوت والمعنى في محاولة له في الجمع بين الشكل بالمضمون.
- ربط تمام بين فصاحة الكلمة وموقعها في السياق .
- تنبه تمام حسان إلى أهمية الجانب الصوتي في تشكيل الصورة الفنية ، وأشار إلى ما تنطوي عليه الأصوات اللغوية من معاني ودلالات إيحائية .

-انطلق تمام حسان في دراسته الأسلوبية من المستوى الصوتي باعتباره مدخلا لاستنطاق النص القرآني ، وعنصر مهم لا يمكن الاستغناء عنه بأي حال من الأحوال في بلوغ المعنى المراد والإحاطة به.

- لم يخرج تمام حسان عن ما قدمه القدماء بخصوص قيام الصورة الفنية للجملة قائم على امتزاج الصورة البيانية بالصورة الصوتية القرآنية لأن هناك علاقة وثيقة بين الجانب البلاغي والجانب الصوتي .
- رصد تمام حسان الوظائف الجمالية للأصوات باعتبارها مدخلا لدراسة النص وفهم مغزاه.

المبحث الأول: أنماط التركيب في القرآن الكريم .

تمهيد

تتعدد التعريفات الحديثة الساعية إلى تحديد مفهوم التركيب في اللغة ، تتمحور معظمها حول نظم الكلام أو تأليف العناصر أو نظم الكلمات .

1- التركيب في النص القرآني:

إن معالجة أي موضوع يستدعي الولوج في معانيه اللغوية والاصطلاحية لكي تتوضح مسالكه، ولذا سنحاول الانطلاق من العام إلى الخاص، ويعد التركيب أكثر المصطلحات إضطرابا و تداخلا.

1- التركيب لغة:

تعج المعاجم اللغوية بمعاني التركيب: فقد جاء في لسان العرب: " **تراكب السحاب وتراكم إذا صار بعضه فوق بعض**".[1] "**أما المركب فيأتي دالا على الأصل والمنبت، إذ تقول : فلان كريم المركب، إذا أردت به كريم أصل منبته في قومه**".[2]

والتركيب بمعنى الضم والتأليف كما جاء في المعجم الوسيط:"**ركب الشيء....ضمه إلى غيره فصار بمثابة الشيء الواحد في المنظر، وركب الدواء ونحوه ألفه من مواد مختلفة**".[3]

والتركيب عند اللغويين الغربيين المحدثين يدل على طريقة بناء الشيء وإقامته[4]،

2- التركيب في الاصطلاح: تتعدد التعريفات الحديثة الساعية إلى تحديد مفهوم التركيب في اللغة، غير أنها تتمحور في معظمها حول فكرة "**تطور الكلام**" أو "**تأليف العناصر**"[5] .

---

[1]- لسان العرب، ابن منظور مادة: ر ك ب.

[2]- المصدر نفسه، مادة: ر ك ب.

[3]- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، تر: عبد الوهاب السيد عوض الله. مطابع الأغست، شركة الإعلانات الشرقية 1985، ج1، ص:381.

[4]- أسس علم اللغة، ماريو باي، تر: مختار عمر، عالم الكتب، بيروت، ط3، 1983، ص20,

[5] - علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، محمود السعران، دار الفكر العربي، القاهرة، ط2، 1997، ص205- 206.

وقد يعني التركيب في اصطلاحات الدارسين **"نظام الكلمات"** [1].أما **عند دي سوسير** هو **"تأليف وحدتين أو عدة وحدات متتابعة في السلسلة الكلامية."**[2]

ويقصد بالوحدة العنصر اللغوي الدال ما يسمى **"المونيم"**، وتحدث **أندري مارتين** عما يسمى بالمنيمات المركبة والتي عرفها بأنها ائتلاف بين منميين أو أكثر تتشكل فيما بينها علاقات سياقية تتسم بالطابع الحضوري، تقوم أساسا على تقابل عبارتين أو أزيد في سلسلة موجودة بالقوة، بالتركيب عند سويسر لا يخص الكلمة في حد ذاتها، وإنما يخص مجموعها[3] .

ويخلص إلى أن التركيب هو ذلك التلاؤم بين الكلمات بغية الوصول إلى معنى معين، فهو يتضمن ضم الكلمات بعضها إلى بعض بناء على المعنى المنشود مع مراعاة معاني النحو. أو ضم وترتيب الكلمات ضمن نسق معين من أجل توليد جملة أو جمل من البديهي كون التركيب عنصرا فعالا ومهما في عملية الإبداع، إذ تمثل الأخير رصد قائمة على التفاعل الإيجابي مع اللغة، والدرس الأسلوبي يهتم بالتركيب فضلا عن اهتمامه بمعرفة الأبعاد الدلالية لهذا التركيب، بل يتضافر فيه هذان العاملان ويشكلان بنية فنية ذات نسق جمالي، وهو ما أشار إليه **الجرجاني** حين قال: أن الألفاظ لا تفيد حتى تؤلف ضربا من التأليف، ويعمد بها إلى وجه التركيب والترتيب، فلو أنك عمدت إلى بيت شعر أو فصل نثر فعددت كلماته عددا كيفما جاء واتفق وأبطلت نضده ونظامه الذي بني، وفيه أفرغ المعنى وأجرى، وغيرت ترتيبه.....أخرجته من كمال البيان إلى مجال الهذيان.[4]

وتظهر هنا أهمية الاختيار والتوزيع في تشكيل هذا المستوى ويجب أن يكون الاختيار مخالفا ومقصودا في الوقت نفسه، بمعنى أن يكون مخالفا للمألوف لما اعتاده الناس وهذا ما يعرف بالعدول

[1]- المبحث التركيبي في الدراسة اللسانية الحديثة، قدادرة عبد السلام، رسالة ماجستير في اللسانيات، جامعة منتوري قسنطينة 2004- 2005، ص38.

[2]- التركيب بين القدامى والمحدثين، إيمان فاطمة الزهراء بلقاسم، مجلة الأثر، العدد التاسع، ماي، 2010، ص34-35.

[3] - المرجع نفسه، ص35.

[4] - أسرار البلاغة، الجرجاني، دار الجوزي ، القاهرة ، ط1، 2010 ص:03.

أو الارتياح، ومقصودا من قبل الذات المبدعة لعرض أو توليد علاقات تجاورية جديدة من شأنها أن تسهم في توليد الشاعرية المميزة بين الذات والأخرى[1].

ويرتبط مفهوم التركيب في الدراسة اللسانية الحديثة بدراسة الجملة وعناصرها والعلاقة الناشئة بين وحداتها كعلاقة الإسناد[2]. ويعبر **تمام حسان** عن مصطلح النمط التركيبي بالجملة، بالرغم من إمكانية تسمية هذا المصطلح مراعاة للفرق ما بين الكلم والكلام دفعا للبس ما بين صورة الكلمة وبناء الجملة[3]. وتقول **خولة الإبراهيمي** في هذا : "**قد نجد هذا المصطلح مستهلا للدلالة على مفهوم الجملة ولكنه أوسع مجالا منه، إذ يدل على أنواع من التراكيب عديدة لا تدخل في عداد الجملة، مثل: التركيب العددي والتركيب الإضافي**"[4].

والنمط هو: "**مجموعة من العناصر المترابطة التي تشكل كلا واحدا.**"[5] ويطلق عليه الأنماط التركيبية أو الأنساق التركيبية، وكلاهما يطلق على بناء الجملة بركنيها الإسمي والفعلي، والتغيير الذي يطرأ على البنى النحوية من تقديم وتأخير، أو حذف أو زيادة، أو...غير ذلك[6].

على الرغم من ذلك فمن الباحثين المحدثين من نوه بجهود القدماء وأثنى عليهم، بل إن هناك من يرى أن دراستهم تقف اليوم شامخة أمام أحدث النظريات اللغوية في الغرب. ويرى البعض الآخر أن هذه الاختلافات حول مفهوم الجملة وعلاقتها بالكلام في غالبها تتعلق بشرح التعريف دون أن تزيد شيئا في الاستقلال بفكرة الجملة ومعالجتها بدراسة خاصة وتكتفي بدراسة المراد من الفائدة بأنها النسبة بين الشيئين إيجابا أو سلبا لكون اللفظ الصادر عن التكلم مستندا على شيئين

---

[1] – البنى الأسلوبية في شعر النابغة الحجدي، ياسر أحمد فياض، العدد04، المجلد 01، 2009، مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإسلامية، ص226.

[2] – المبحث التركيبي في الدراسة اللسانية الحديثة، قدادرة عبد السلام، ص39.

[3] – البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج2، ص56.

[4] – التركيب بين القدامي والمحدثين، إيمان فاطمة الزهراء بلقاسم، ص36.

[5] – اللسانيات و الدلالة، منذر عياشي، مركز النماء الحضاري، ط1، 1996، ص129.

[6] – الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية، فتح الله أحمد سليمان، مكتبة الآداب، القاهرة، 2004، ص25.

هما المحكوم عليه والمحكوم فحسب، ومن العجيب أنهم لا يرون ضررا في احتياج السامع إلى شيء آخر غيرها، فلا يضره احتياجه إلى المتعلقات من المفاعيل ونحوها مع أن هناك كثيرا من التراكيب لا تتم فيها الفائدة إلا بذكر المتعلقات[1].

يعود إهتمام الدارسين المحدثين بالجملة إلى أنها الوحدة التي تتمثل فيها أهم خصائص نظام اللغة، إذ أن تأليف الكلمات في كل لغة يجري عليه نظام خاص بها، لا تكون العبارات مفهومة ولا مصورة لما يراد بها حتى تجري عليه ولا تزيغ عنه القوانين التي تمثل هذا النظام وتحدده وتستقر في نفوس المتكلمين وملكاتهم وعنها يصدر الكلام في شكل وحدات أساسية تسمى الجمل.[2]

في حين يرى تمام حسان أن الجملة: هي **"المجموعة الكلامية"** وبذلك فالكلام هو عبارة عن مجموعة من الجمل لذلك فهو أعم منها، ويضيف "**أما الذي يتكون من عملية الإسناد فيسمى الجملة وهي علاقات إسنادية مثل علاقة المبتدأ بالخبر، والفعل بفاعله، والفعل ونائب فاعله والوصف المعتمد بفاعله أو نائب فاعله**".[3]

وبنظرة وصفية يرى **تمام** أن هناك جملا عربية لا يتضح تركيبها من ركنيين إلا على تأويلات بعيدة(كجملة القسم، والنداء، والدعاء، وكل مصدر نصب بواجب الحذف، وبعض أسماء الأفعال والأصوات). وأما ما عدا ذلك فيقوم بنيته على الركنيين وإن استتر أحدهما أو حذف بديل. ويخلص **تمام حسان** إلى أن الجملة لا يتضح من تركيبها إلا أنها اسمية أو فعلية.أما ما وراء ذلك فهو متعلق بقرائن مختلفة تتراوح ما بين الأداة، الإعراب، الربط، الرتبة، النظام، ثم السياق إضافة إلى كونها تساهم في إيضاح المعنى، ذلك أن الإسناد شرط ضروري يجب توفره في المستوى النحوي الساكن من الجملة وأن النبأ المفيد هو الذي يجعل الكلام تاما (أيحسن السكوت عليه) وهو من الأساسيات في المستوى الإخباري(المتغير) وبالتالي لا يمكن الفصل بين المستويين، ونقل النبأ هذا

[1]- العلامة الإعرابية، محمد حماسة عبد اللطيف، دار الفكر، القاهرة، (د، ط)، 1983، ص: 23.

[2] - من أسرار اللغة، إبراهيم أنيس، المكتبة الأنجلو مصرية، ط7، ص:276.

[3] -ينظر : اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، ص:194.

يتم عن طريق ربط (المسند بالمسند إليه)[1]. كما استطاع **تمام حسان** استوعاب التراث النحوي والصرفي والبلاغي للعربية، محاولا أن يجدد في وصف بعض أنظمتها مستعينا بأفكار اللسانيات والمناهج اللغوية الغربية فكانت محاولته بحق **"أجرأ محاولة شاملة لإعادة ترتيب الأفكار اللغوية تجرى بعد سيبويه وعبد القاهر الجرجاني"**[2].

وعليه نظر **تمام حسان** إلى دراسة الجملة وبيان حدودها في ضوء فكرة **التعليق** التي أفادها من نظرية النظم عند **عبد القاهر الجرجاني** في كتابه **"دلائل الإعجاز"**، ولكنه تصدى لها في ضوء العلاقات السياقية والقرائن اللفظية والمعنوية مع محاولته وضع مفهوم جديد لهذا المصطلح بقوله:إن التعليق هو **"إنشاء العلاقات بين المعاني النحوية بواسطة ما يسمى بالقرائن اللفظية والمعنوية والحالية"**[3]. فلا يكفي أن نقول كما قال **الجرجاني:"إن الكلمات يأخذ بعضها ببعض"**. ولا أن نرجع الفضل والمزية إلى معاني النحو وأحكامه في نظام الكلام وإنما أساس دراسة النحو هو المعنى الوظيفي والعلاقات بين الأبواب ممثلة في الكلمات التي في النص لا بين الكلمات.[4] ويرى أن **"ما يجعل السياق سياقا مترابطا إنما هو ظواهر في طريقة تركيبه ورصفه لولاها لكانت الكلمات المتجاورة غير آخذة بعضها بحجر بعض في علاقات متبادلة تجعل كل كلمة منها واضحة الوظيفة في رسائل السياق، وتنقسم الوسائل التي تخلق هذا الترابط إلى ثلاثة أقسام وهي:** 1- التماسك السياقي. 2- وسائل التوافق السياقي. 3- وسائل التأثير السياقي"[5] **ولتمام** الرأي في منهج تحليل الجملة العربية وأقسامها وأركانها، فهو يرى أن نحوي البصرة أحسنوا اختيار المبدأ في تقسيم الكلمة العربية على وفق المعنى والمبنى ، ولكن قصروا بعض

[1] - البيان في روائع القرآن، تمام حسان،ج1، ص56.

[2] - اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، ص10.

[3] - المصدر نفسه ، ص188.

[4] - مناهج البحث في اللغة، تمام حسان، ص226- 227.

[5] - المصدر نفسه، ص237.

الشيء عن إجراء التطبيق. [1]

ومفهوم الجملة عند **تمام** لم يخصص لها ولو جزءا يسيرا من دراسته وهي كثيرة، فلا نجد عنده تعريفا محددا ومضبوطا لها، فلم يتحدث عنها إلا عرضا، رغم اعتماده على المناهج اللغوية الحديثة، التي تدرس اللغة انطلاقا من الجملة وإليها تعود، لأن الجملة هي وحدة اللغة والكلام التي يتجدد بموجبها الفهم والإفهام. وأية دراسة للجملة تنهض من ضبط مفهومها وتحديد بنائها، وهو ما لم يفعله **تمام حسان** إلا ما يستشف من تفرقته بين اللغة والكلام في معظم كتبه، إذ يقول:"**ومن العدل أن تعتبر الكلمات وهي أهم مكونات اللغة وحدات مع أنه يجب أن لا يغيب عن الخاطر أن الكلمات وحدات لغوية أيضا، ويمكن أن يقال إختصارا أن الجملة وحدة الكلام جملة، وأن الوحدة الكلام، وأن الكلمة وحدة اللغة**". [2]

وإذا كان من شروط الجملة الإسناد النحوي وإفادة النبأ الذي يجعل الكلام تاما وهو من أساسيات المستوى الإخباري ، ولنقل الخبر يجب توفر المسند والمسند إليه ، ومن هذا المنطلق يعرض لنا **تمام حسان** تقسيمه الوصفي للجمل من خلال الخطاطة الآتية :

[1] – ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، ص188-189.

[2] – ينظر: مناهج البحث في اللغة، تمام حسان،ص:47.

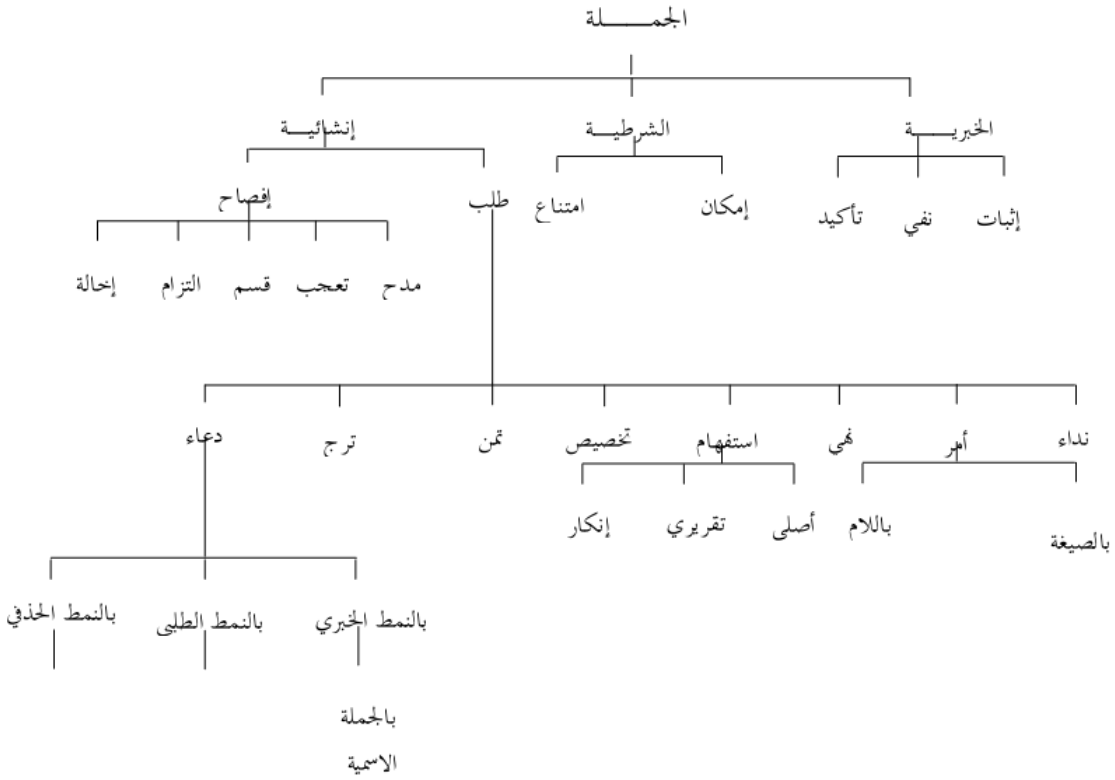

الأمر والنهي وتخصيص وتمن

كالمصدر المنصوب ونحوه

1- أنماط التركيب القرآني:

1-1- النمط الخبري: المقصود بالنمط الخبري بحسب الأصل ما يشمل الإثبات والنفي والتأكيد وهي ما يرد على الذهن من دلالات لهذا النمط، أما الطاقة التعبيرية الكاملة للنمط فإنها تتجاوز ذلك إلى آفاق دلالية أخرى[1]، وفيما يلي بيان لما يمكن للصورة المثبتة من النمط الخبري أن تفيده:

أ- الشرط: قال تعالى:﴿ **وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ**﴾.[2] وكان النمط الخبري أن يفيد الأمر لولا ما ألحق به من قوله: "لمن أراد أن يتم الرضاعة". فهذا القيد حول الأمر إلى معنى الشرط فكان المعنى المقصود هو "**من أراد أن يتم الرضاعة فعلى الوالدات أن يرضعن أولادهن حولين كاملين**".

ب- الأمر: قال تعالى:﴿ **وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ**﴾.[3] أي فليتربص المطلقات بأنفسهن ثلاثة قروء، وقوله تعالى:﴿ **فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ**﴾[4] عليكم نقلن من حروف الجر إلى ما يشبه الأفعال، وهنا نلاحظ صيغة الأمر على مباني عدة وهي من المقاصد الأسلوبية.

ج- الدعاء: قال تعالى:﴿ **إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ**﴾[5] أي اللّهم اسمع دعائي.

د- العرض: قال تعالى:﴿ **قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي**﴾.[6]

وحذف العرض هنا "هؤلاء" وهو الطلب برفق ولين عكس التحضيض.

---

[1] - البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج1، ص:332.

[2] - البقرة: 233.

[3] - البقرة: 228.

[4] - الأنفال: 72.

[5] - إبراهيم: 39.

[6] - هود: 78.

هـ – الالتزام: وهو المعروف أن الالتزام إنشاء لا خبر، نحو قوله تعالى:﴿**وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا**﴾[1].أي نفعل ما طلب منا.

فعلى الرغم من النمط الخبري في الجملة والزمن الماضي في الفعل إلا أن الغرض منها الإنشاء لا الخبر، وهذه القضية تحيلنا إلى السياق، والنمط التركيبي في تحديد البنية، فالبنية السطحية توحي بالخبر لكن البنية العميقة تثبت عكس ذلك[2].

و– التعجب: قال تعالى:﴿ **قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ**﴾[3] أي تعجب لشدة كفره.

2–2– النمط الخبري المنفي:

يحتل النفي في النص القرآني مكانة واسعة ضمن التراكيب الإخبارية إذ تتصدر أدوات النفي التراكيب لإعطاء سمة مميزة له، فإذا كان الإثبات تحقيق الكلام وتقريره فالنفي إزالة ما قد قيل وإثبات شيء جديد، لذا قالوا "نفيت الشيء نفيته أزلته"[4].

وقد يحمل النفي أعباء معان كثيرة غير مجرد النفي[5]، كما سيبدو مع الشواهد الآتية:

أ– الدعاء: قال تعالى:﴿ **فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ**﴾[6]. لا النافية، أسلوب إنشائي، أي يركب هذا المعاند العقبة، فيقطعها ويجوزها[7].

ب– الحصر: نحو قوله تعالى:﴿ **وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ**﴾[8]. أصلها أصلها النفي، لكن بقرينة التضام مع "**إلا**" أفادت داخل التركيب مع "**لا**" الحصر.

---

[1] – البقرة: 285.

[2] – الأسلوبية الوظيفية، بداش حفيظة، ص:132.

[3] – عبس:17.

[4] – أنماط التركيب القرآني دراسة في سورة حم، رسالة ماجستير في اللغة العربية، جامعة الكوفة، العراق، 2009، ص67.

[5] – البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ص:333.

[6] – البلد:11.

[7] – الأسلوبية الوظيفية، بداش حفيظة، ص133.

[8] – آل عمران: 144.

ج- التعميم: قال تعالى:﴿ **قَالُوا لَا ضَيْرَ**﴾[1] لا نافية للجنس، وعموما يتمثل في نفي الخبر عن الجنس[2].

والواقع بعدها نصا، نفيا عاما على سبيل الاستغراق[3].

د- النهي: لقد أشار النحاة والبلاغيين القدماء إلى الأغراض التي يخرج إليها النهي وهي كثيرة، ومن ذلك قوله تعالى:﴿ **الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ**﴾[4] ففي هذه الآية تعددت اللام وبصورة النفي.

2-3- النمط الخبري الشرطي: قد يخرج النمط الخبري الشرطي عن مجرد تعليق وقوع الجواب على وقوع الشرط أو امتناعه على امتناعه إلى معان أخرى منها:

أ- التعجب: قال تعالى:﴿ **وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ**﴾[5] فالآية تبدو من القراءة السطحية بأنه شرط لوجود الأركان الثلاثة (الأداة، جملة الشرط،...الرابطة)، إلا أنه في الحقيقة تعجب وعجب من إنكار المكذبين للبعث.

ب- السبر والتقسيم: قال تعالى:﴿ **وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ**﴾[6]، ويجري السبر على النحو التالي:

1- موسى إما أن يكون كاذبا وإما أن يكون صادقا.

2- فإن يك كاذبا فعليه كذبه وإذا لا ضرورة لقتله.

3- وإن يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم وإذا ينبغي الحذر من إيذائه بل الحرص على طاعته.

---

[1] - الشعراء: 50.

[2] - اللباب في النحو، عبد الوهاب الصابوني، دار مكتبة الشرق، بيروت، 1973، ج2، ص:78.

[3] - الأسلوبية الوظيفية، بداش حفيظة، ص:133

[4] - البقرة:197.

[5] - الرعد:05.

[6] - غافر:28.

ج–التمني: ويستفاد من المبنى العام وتركيب الجملة، ومن شواهد خروج الشرط إلى التمني نحو قوله تعالى:﴿ **لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ**﴾[1] فقد نقل معنى" لو" من الشرط إلى التمني المستفاد من النمط التركيبي للجملة وحسن تأويل هذه الأنماط التركيبية بالشرط الإمتناعي في الأصل لأن مضمون الجواب قد ذكر بعد الفاء في صورة المضارع المنصوب "بأن المضمرة" والتقدير: "لو أن لي لأحسنت" وإن حذف ما بعد الفاء فإن النمط لا يصلح للتأويل بالشرط، إنما يتمخض للتمني والمعنى مستفاد من النمط التركيبي والسياق الذي ما قبل الآية[2].

د–الأمر: ويرد الأمر بصور متعددة ومختلفة، ومن ذلك قوله تعالى:﴿**وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ**﴾[3] فاشترط الشكر بعبادة الله، فالمعنى الذي يبدو من القراءة السطحية الشكر لكن البنية العميقة تحيل إلى الأمر بالشكر.

هـ– التسوية: نحو قوله تعالى:﴿ **إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا**﴾[4] فاقتران إن+ ما (بمعنى كان) تساوي إما فجاء المعنى إما شاكرا أم كفورا.

2–4– نمط النداء: قد يخرج النداء عن طلب الإقبال إلى المعاني التالية:

أ–التعجب:نحو قوله تعالى:﴿ **يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ**﴾.[5] نقل المعنى من النداء إلى التعجب بفعل بفعل نقل الأداة.

ب–الندبة: كقوله تعالى:﴿ **وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ** ﴾[6]

ج–الاختصاص:نحو قوله تعالى:﴿**ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ (51) لَآكِلُونَ مِنْ**

---

[1]– الزمر:58.

[2] – البيان في روائع القرآن، تمام حسان،ج1، ص: 339.

[3]– البقرة: 172.

[4]– الإنسان: 03.

[5]– يوسف: 19.

[6]– يوسف: 84.

شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ ﴾[1]

د- التمني: كما في قوله تعالى:﴿ **يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ ﴾**[2].

4- نمط الأمر: ويخرج النداء إلى معاني أخرى منها:[3]

أ- الشرط: كما في قوله تعالى:﴿ **ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾**[4]. والقرنية جزم المضارع في جوابه.

ب- الدعاء: قال تعالى:﴿ **وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى ﴾**[5] أمر "أرني" من القراءة السطحية ولكن القراءة العميقة تفيد أنه أمر غرضه الدعاء.

ج- النهي:قال تعالى:﴿ **إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ﴾**[6] "اجتنبوه" فعل أمر، لكن سياق الآية جعل معناها النهي بدل الأمر، وقوله تعالى:﴿ **فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴾**[7] فالنهي يأتي من المعنى المعجمي، وان كان المعنى النحوي على الأمر.

د- العرض: قال تعالى:﴿ **قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾**[8] تعالوا.

هـ- التحدي: قال تعالى:﴿ **قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾**[9].

---

[1] - الواقعة:51-52.

[2] - القصص:79.

[3] - البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج1، ص:240.

[4] - غافر:60.

[5] - البقرة: 206.

[6] -المائدة:90.

[7] - الحج:30.

[8] -آل عمران: 64.

[9] - النمل، 64.

4- نمط النهي : ويخرج نمط النهي عن طلب الكف إلى معاني أخرى منها:[1]

أ- الدعاء: نحو قوله تعالى:﴿ **لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا**﴾.[2]

ب- الأمر: قال تعالى:﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ**﴾[3]. وتفيد اللام هنا الأمر بالثبات على السلام حتى الموت لا النهي عن الموت.

ج- توكيد العكس:قال تعالى:﴿ **وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا** ﴾[4]. وتقدير العكس أي أنهم أحياء.

د- الشرط: وهو شائع في الكلام نحو قوله تعالى:﴿ **وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ** ﴾.[5] فجزم جواب النهي قرينة على إرادة معنى الشرط وعلى أن أداة الشرط يمكن أن تحل محل أداة النهي، على أساس إدغام السينين إحداهما في الأخرى وتحريك ثانيهما بالفتح لالتقاء الساكنين كما تجيز القاعدة فك السينين وبناء ثانيهما على السكون[6].

6- **نمط الاستفهام:** قد يخرج نمط الإستفهام عن معنى طلب العلم إلى معان أخرى منها:[7]

أ- الإنكار: وتأويله بالنفي ومثاله قوله تعالى:﴿ **قَالَ هَلْ آَمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ** ﴾[8] وهو لا يريد الجواب بل ينفي أن يؤمنهم على أخيه.

ب- التقدير: وجوابه بلى، نحو قوله تعالى:﴿ **أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآَوَى** ﴾[9]

---

[1] - البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج1،ص:237.

[2] - نوح:26.

[3] - آل عمران: 102.

[4] - آل عمران، 169.

[5] - هود:113.

[6] - البيان في روائع القرآن، تمام حسان،ج1، ص:351.

[7] - المصدر نفسه، ص:351.

[8] - يوسف:64.

[9] - الضحى:06.

ج- النهي: قوله تعالى:﴿ **كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ** ﴾[1] أي ينهاكم عن الكفر(لا تكفروا).

ج- الأمر: نحو قوله تعالى:﴿ **فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ**﴾[2] انتهوا.

د- السبر: وذلك بتقليب كافة الإحتمالات وإستبعادها، نحو قوله تعالى:﴿ **أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ (58) أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ (59) نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ (60) عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنْشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ (61) وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ**﴾.[3]

والمعنى أنكم لم تخلقوا ما تمنون، وهذا المعنى لا يجعل الاستفهام مجرد إنكار وإنما يحوله إلى سبر وتقسيم.

هـ- المحاجة: والدليل الحجاج نحو قوله تعالى:﴿ **قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ (72) أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ**﴾[4].

و- التقديم لأسلوب آخر: قال تعالى:﴿ **هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ (221) تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ** ﴾[5] فالأولى هل الشياطين تقديم لما بعدها.

ز- التوريط: قال تعالى:﴿ **قَالَ أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمْ مَاذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾[6]، أي أن الأمر كذلك، وإن لم يكن الأمر كذلك فماذا كنتم تعلمون.

ح- العرض: قال تعالى:﴿ **هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى**﴾[7].

---

[1] - البقرة: 28.

[2] - المائدة: 91.

[3] - الواقعة: 58-62.

[4] - الضحى: 06

[5] - الشعراء:221-222.

[6] - النمل: 84.

[7] - طه: 120.

ط- التهديد: نحو قوله تعالى:﴿ **قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ**﴾[1].

ي- التعجب: قال تعالى:﴿ **فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ** ﴾[2].

ك- التحضيض: قال تعالى:﴿ **أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ** ﴾[3].

ل- الشرط: ودليله "إذا" الرابط بعد الاستفهام كقوله تعالى:﴿ **فَقَالُوا أَبَشَرًا مِنَّا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ إِنَّا إِذًا لَفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ**﴾[4].

7- نمط العرض: قد يخرج العرض عن معناه إلى معان أخرى منها:[5]

أ- الدعوة: قال تعالى:﴿ **أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ**﴾[6]، إلا هنا حرف عرض لا تحضيض.

ب- التحضيض: قال تعالى:﴿ **وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ** ﴾[7]، وأفادت "هل" معنى التحضيض.

ج- المحاجة: قال تعالى:﴿ **أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا**﴾[8].

8- نمط التحضيض: يؤدي غط التحضيض المعاني الآتية:

أ- التحدي: قال تعالى:﴿ **لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى** ﴾[9].

---

[1] - الأنعام: 46.

[2] - القمر:16.

[3] - المائدة:74.

[4] - القمر: 24.

[5] - البيان في روائع القرآن، تمام حسان ،ج1،ص: 243.

[6] - النور:22.

[7] - الشعراء:39.

[8] - مريم:67.

[9] - القصص:48.

ب– اللوم: قال تعالى:﴿ **وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا**﴾[1] وهو معنى معنى مركب (من: لم تفعل، وليتك فعلت) ويجمع بين الاستفهام الإنكاري والتنمي.

9– الرجاء: الرجاء بعسى أو لعل قد يتحول إلى معاني أخرى وهي:

أ– التعليل: كما في قوله تعالى:﴿ **ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** ﴾[2].

ب– التقليل: نحو قوله تعالى:﴿ **لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا** ﴾[3].

ج– الأمر: كما في قوله تعالى:﴿ **وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾[4].

د– الالتزام والوعد: قال تعالى:﴿ **عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا** ﴾[5]، أي سيكف. سيكف.

هـ– الدعاء: كما في قوله وتعالى:﴿ **فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ** ﴾[6]

و– التهديد والوعيد: قال تعالى:﴿ **عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ**﴾[7]. **مِنْكُنَّ**﴾[7].

ز– الإنكار: قال تعالى:﴿ **فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا**﴾[8].

10– نمط التمني: قد يخرج نمط التمني عن معناه الأصلي إلى معان أخرى هي:

---

[1] – النور: 16.

[2] – البقرة: 56.

[3] – الطلاق: 01

[4] – البقرة: 179

[5] – النساء: 84.

[6] – الكهف:40.

[7] – التحريم:05.

[8] – الكهف: 06

أ- **الندم**: قال تعالى:﴿ **يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ** ﴾[1].

ب- **التبرم**: قال تعالى:﴿ **قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ**﴾[2].

ج- **التلذذ**: قال تعالى:﴿ **يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ (26) بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ**﴾[3].

11- **نمط التعجب**: ويخرج نمط التعجب عن معناه الأصلي إلى معان أخرى منها:

أ- **الذم**:قال تعالى:﴿ **قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ** ﴾[4]، أي لعن الإنسان ما أكفره.

ب- **التهكم**: قال تعالى:﴿ **فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ** ﴾[5].

ج- **التهويل**:قال تعالى:﴿ **وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ** ﴾[6]

ويميز تمام حسان بين موقفين تجاه أنماط الجمل:[7]

أ- **موقف نظام اللغة**: يرصد نظام اللغة للمبنى الواحد من مباني الأنماط عددا من المعاني، وأن هذا الرصد لو لم يتم لقصرت أنماط الجمل عن الوفاء بالتعبير عن كل المعاني.

ب- **موقف الاستعمال**: والاستعمال موقف بلاغي لا نحوي، لأنه مرتبط بالسامع (المتلقي) ولذا ينبغي تقليب أوجه المباني على المعنى الواحد تحت الأنماط المتعددة.

ويتمثل **"تمام حسان"** من القرآن الكريم للجانب المتعلق بالوجه الإبلاغي: تعدد المباني للمعنى الواحد أو تعدد النمط للمعنى الواحد للدعاء والتعجب.[8]

---

[1]- الحاقة: 25.

[2] - الزخرف: 38.

[3] - يس: 26- 27.

[4]- عبس: 17.

[5]- البقرة:175.

[6] - القارعة: 03.

[7]- البيان في روائع القرآن، تمام حسان،ج1، ص:356

[8]- المصدر نفسه ،ص:357.

1- **الدعاء:** وهو من الإنشاء الطلبي، واللغة لم تفرد له نمطا خاصا به، إنما جعلت الدعاء شركة بين طائفة من الأنماط التركيبية، ووضعت بيد المتكلم أن يختار للتعبير عن أسلوب يشاء.

1) **الإثبات:** قال تعالى: ﴿ **فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾[1]، نمطه التركيبي الإثبات غرضه الدعاء.

2) **النفي:** قال تعالى: ﴿ **فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ**﴾[2]، نمطه التركيبي النفي والمعنى الوظيفي له الدعاء.

3) **الأمر:** قال تعالى: ﴿ **وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ** ﴾[3] نمطه التركيبي الأمر إلا أن المعنى الوظيفي هو الدعاء.

4) **النهي:** قال تعالى: ﴿ **رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا** ﴾[4]، نمطه التركيبي النهي والمعنى الوظيفي الدعاء.

5) **التمني:** قال تعالى ﴿ **يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ** ﴾[5]، نمطه التركيبي التمني والمعنى الوظيفي الدعاء.

6) **الترجي:** قال تعالى: ﴿ **قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ** ﴾[6]، فنمطه التركيبي الترجي والمعنى الوظيفي الدعاء.

7) **المصدر المنصوب:** قال تعالى: ﴿ **غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ** ﴾[7].

---

[1]- البقرة: 10.

[2]- البلد: 11.

[3]- المؤمنون: 118.

[4]- نوح: 26.

[5]- القصص: 79.

[6]- القصص: 22.

[7]- البقرة: 285.

3- التعجب: وضع نظام اللغة صيغتين للتعجب (**ما أفعله – أفعل به**)، ولكن الصيغتين ملتبستين ما جعلهما تحتاجان في الغالب إلى قرينة حالية أو مثالية تصرفها عن التعجب، ولعل هذا هو الذي دفع استعمال اللغة إلى تجاوز الصيغتين واتخاذ العديد من الأنماط الدلالية على التعجب[1].

ومن شواهد إلتباس الصيغتين القياسيتين ما أورده تمام حسان من قول المفسرين في قوله تعالى: ﴿ **وَمَا أَدْرَاكَ** ﴾[2]، معنى الإستفهام مع أن القرائن الحالية والمقالية تشير إلى معنى التعجب في العبارة[3]، ويمكن أن نشير إلى **أن تمام حسان** يولي القرائن الحالية والمحلية دوراً بالغاً في الكشف عن عن أقسام أنماط الجمل، وهذه الأخيرة التي أعاد تقسيمها بحسب الوظيفة ولم يحصرها في نمطي الإسمية والفعلية بل عمل على الجمع بين المعنى والمبنى[4].

المبحث الثاني : نظرية تضافر القرائن .

استطاع **تمام حسان** بذكائه أن يفيد من أفكار الدرس اللّغوي الحديث فأفاد من أراء **سوسير** إلى جانب إلمامه بالموروث النحوي والبلاغي فطور نظريته التي سماها " **تضافر القرائن** " والتي قال عنها أنها :" **أجرء محاولة بعد محاولة شاملة لإعادة ترتيب الأفكار بعد سيبويه والجرجاني**".[5] وتعد نظرية النظم المورد الذي استقى منه **تمام** أصول فكرته وقد اعترف بهذا الفضل في مقدمة كتابه " **اللغة العربية معناها ومبناها** " حين قال:"**لما ظهر الاتجاه البلاغي في دراسة المعنى كان من طلائع كتبه "دلائل الإعجاز" و"أسرار البلاغة " للعلامة عبد القاهر الجرجاني الذي اعترف لأرائه الذكية بقدر غير يسير من الفضل.**" وفكرة النظم تندرج عند

---

[1]- ينظر: البيان في روائع القرآن، تمام حسان،ج1،ص 358.

[2]- القارعة، الآية 1-2.

[3]- البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج1، ص: 358.

[4]-ينظر: الأسلوبية الوظيفية، بداش حفيظة، ص: 140.

[5]- ينظر: اللغة العربية معناها و مبناها، تمام حسان، ص:10. ينظر: دلائل الإعجاز، الجرجاني، ص: 74.

تمام حسان ضمن فكرة النظام النحوي الذي يعنى بالعلاقات بين التراكيب على الرغم من أن **عبد القاهر الجرجاني** ربط المعنى بالتركيب ربطا وثيقا بخلاف **تمام حسان** الذي جعل للدلالة على مستوى خاص ،ويوضح فكرة **تمام** العلامة اللغوية بقوله عن النظام أنه:**"يتألف من مجموعة من المعاني التي تقف بإزائها مجموعة من الوحدات التنظيمية، أو المباني المعبرة عن هذه المعاني.** [1] هذا وقد وضع **تمام حسان** ضابطا للنظام في كتابه **"الأصول"** بأنه " **تتشابك فيه العلاقات العضوية حتى يصبح بهذا التشابك بنية جامعة مانعة لاستطاع نفي شيء".** [2] لا من فكرة توظيف للمصطلح، في حين تناول **الجرجاني** فكرته في إطار سرد شامل للفكرة فنراه يعود مرات ومرات مجتمعة من تحقيق الدلالة إلى تأكيد أهمية العلاقات التي تمكن الألفاظ مجتمعة من تحقيق الدلالة. [3] فإذا كان **تمام** يستمد من نظرية النظم فكرة التعليق فإنه يقسم قرائن التعليق إلى قسمين كبيرين حالية تعرف من المقام ومقالية تعرف من النص أو المقال والقرائن المقالية تنقسم إلى قرائن معنوية ولفظية، ويندرج تحت القرائن اللفظية مجموعة من القرائن: الرتبة، الربط، التضام. المطابقة وغيرها من القرائن. وهذه القرائن مصطلحات تراثية استطاع تمام أن يقسمها تقسيما واعيا مطورا نظريته معتمدا في ذلك على نظرية النظم.[4] وقد لاقت أراء تمام حسان إنتقادا شديدا بعد ظهور الفكرة لأول مرة 1973 ومن النقد الذي وجه إليه أن تطبيقه للفكرة كان على مستوى الجملة لا على مستوى النص[5]، إلى أن ألف كتابه "**البيان في روائع القرآن** " فطبق فيه نظرية تضافر القرائن تطبيقا موسعا ولذا يعد هذا الكتاب أفضل الكتب التي درست النص القرآني دراسة موسعة على المستوى النحوي والبلاغي.

---

[1]- اللغة العربية معناها و مبناها، تمام حسان ، ص190.

[2]- المصدر نفسه ، ص192.

[3]- المرايا المقعرة، حمادي عبد الصمود، ص38.

[4]- اللغة العربية معناها و مبناها، تمام حسان، ص181.

[5]- دلائل الإعجاز، الجرجاني، ص82.

1- قرينة البنية في التركيب القرآني : تعرف البنية في اللّغة في:"**ما بنيته، وتجمع على البنى بالكسر والضم، والبنية تدل على الهيئة التي بنى عليها، فهو اسم هيئة كالمشية والركبة، ويقال: فلان صحيح البنية أي الفطرة**"[1].أما المعنى الاصطلاحي فلا يختلف عن المعنى اللغوي، فالبنية هي الهيئة أو الصورة الذهنية لما تكون عليه الكلمة على حد قول **تمام حسان:**" **البنية إطار ذهني مجرد للكلمة المفردة، وليست هي الكلمة ذات المعنى المفرد،... والبنية مفهوم صرفي لاينطق، وأن الكلمة مفهوم معجمي منطوق بالقوة، وإن اللفظ مفهوم إستعمالي تتحقق به الكلمة بالفعل بواسطة النطق أو الكتابة في محيط الجملة.**" [2]

ولم يتردد **تمام حسان** في منهج النحاة باستعمال كلمة "**لفظ**" استعمالا غير محدود الدلالة، قاصدين الكلمة حينا والكلام حينا آخر، على ما بينهما من فارق إفراد وتركيب كقل ابن مالك[3]:

كلامنا لفظ مفيد كاستقم اسم وفعل وحرف الكلم.[4]

وكذا قول **الجزولي:**" **الكلام هو اللفظ المركب المفيد بالوضع** ." فكلاهما نحى باللفظ منحى التركيب في مقابل ما شاع من جعل اللفظ مرادفا للكلمة عند الدارسين، ومغزى التفريق أن معنى البنية معنى صرفي يأبى أن يختلط بالعناصر المعجمية المستعملة بالقوة، إذ تكون صامتة على صفحة المعجم أو بالفعل مستعملة وجارية على الألسن أو على القلم. [5]

لم ينظر **تمام حسان** إلى المعطيات الموروثة على أنها مسلمات ثابتة، بل إنها ستظل بحاجة إلى مراجعة وإعادة نظر حتى تستطيع أن تواكب الجديد وإلا تحولت إلى متن جامد يشل حركة

[1]- لسان العرب، ابن منظور، مادي: يبني، ص:94

[2]- البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج1، ص:17-18.

[3]- المصدر نفسه، ص18.

[4]- الألفية، ابن مالك، شرح ابن عقيل، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ج1، د.ت، ص18.

[5]- البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج1، ص18.

التفكير[1]. ولذا انتقد **تمام حسان** القسمة التي وضعها القدماء بأن مفردات اللغة من ذوات الصيغة والأصول الإشتقاقية، وكان مسرحا لعرض معطيات التفكير الصرفي الحديث، ولم يتردد في رفض فكرة القدماء بخصوص الأصل الإشتقاقي الثلاثي للكلمة. ووصفها بالمشكلة[2]. وأنكر المنهج الذي انطلق منه علماء العربية في معالجة الموضوع الذي يستند إلى إفتراض أصل للمشتقات مصدرا بحسب المدرسة البصرية وفعلا ماضيا بحسب رأي الكوفيين وعده منافيا للمنهج الحديث.ومع ذلك لم يبق **تمام حسان** دائرا في الفلك الذي دارت فيه أراء القدماء. إذ تجاوز تلك الدائرة التي اقتصرت معطياتها على التوجه العقلي في معرفة الإشتقاق، ومال إلى إخضاع الظاهرة لمعايير منهجية، إذ رأى ضرورة أن يسلك الصرفيون طريق المعجميين في هذا الميدان، وأن يجعلوا دراستهم بعيدة كل البعد عن الصيغ والزوائد والملحقات الصرفية ذات المعاني الوظيفية[3].

ويرى **تمام حسان** أن التقسيمات التي أدرجها هي تقسيمات معجمية أكثر منها وظيفية لأنها على أساس الكلمة المفردة قبل أن تنظم في جمل لتعطي مدلولاتها الوظيفية كاملة. ولذا فبنية الكلمة المشتقة عند تمام تتمثل في صيغتها الصرفية ويمكن أن تشمل الكلمة معنيين هما[4]:

أ–معنى مفرد معجمي: يمكن الإطلاع عليه في المعجم، ويقوم على ركيزتين من المعاني الصرفية إحداهما الأصول الثلاثة وهي التي تلخص علاقات إشتقاقية بين طائفة من الكلمات فهذا التلخيص هو معناها. والركيزة الثانية ما ينسب إلى الصيغة الصرفية من معنى عام كالطلب والمطاوعة.

ب–معنى وظيفي: ومبنى الكلمة المشتقة هو صيغتها الصرفية ولهذه الصيغة معنى وظيفي وصرفي ونحوي. في حين أن الكلمة الجامدة ليست لها صيغة صرفية بل لها صورة ذهنية.

---

[1]– التفكير المورفولوجي عند تمام حسان، حيدر محمد جبر، مجلة كلية الآداب، العدد 102، ص03.

[2]– اللغة العربية معناها و مبناها، تمام حسان، ص215.

[3]– اللغة العربية معناها و مبناها، تمام حسان ، ص168-169.

[4]– البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج1،ص:18.

والبنية بنوعيها معنى وظيفي وعام يختلف عن المعنى المعجمي المفرد الذي يرصد للكلمة في المعاجم، ويحدد المعنى الوظيفي المذكور وظيفة بنية الكلمة وعلاقاتها بما يجاورها من المباني والسياق. وهكذا فصور العناصر التركيبية تعد إحدى القرائن التي يتضح بها المعنى النحوي. ويرى **تمام** أن المباني محدودة العدد قياسا إلى المعاني، فإذا وضعت الصيغ والكلمات التركيبية بإزاء المعاني أو الوظائف الصرفية والنحوية في اللغة اتضحت قلة المباني وكثرة المعاني التي وضعت بإزائها، وإذا أريد لهذه القلة أن تعبر عن تلك الكثرة فلا بد أن تنسب لكل واحد من المباني عدد من المعاني الوظيفية.ويذهب تمام إلى تعدد المعاني الوظيفية للمبنى الواحد أيَ كان نوع ذلك المبنى، فعنى الباحثون لتحديد المعنى الذي تتكشف عنه المعاني التحليلية للغة وأطلقوا عليه "**المعنى الوظيفي**" الذي يتسم بالتعدد والإحتمال، فالمبنى الواحد صالح لأن تعبر عنه أكثر من معنى وظيفي: "**كالاسم المرفوع الذي يصلح لمعان عدة، كالفاعل أو نائبه أو المبتدأ أو الخبر...والظروف التي يمكن أن تكون للظرفية المحضة، وقد تتحول إلى أدوات للشرط والإستفهام أو التعليل.**"وهذا التعدد والإحتمال في المعنى الوظيفي يقف بإزائه تعدد المعنى المعجمي " **فتعدد المعنى الوظيفي للمبنى الواحد يجعل الناظر في النص يحاول جهده وإستنارة بقرائن مختلفة أن يحدد أي المعاني أن يحدد أي المعاني المتعددة لهذا المبنى هو المقصود.**" [1]

وكان جهد الوظيفيين منصبا على إدراك المعنى الوظيفي الذي يؤديه أي عنصر في البناء اللغوي، ودوره في عملية التبليغ فراحو يفسرون العلاقات النحوية التي تربط العلاقات النحوية التي تربط مكونات الجملة أو عناصرها، أو بين التراكيب، ذلك أن " **الكلمات الوظيفية تتميز عن الكلمات المعجمية، بأنها غير مستقلة، وهي لاتكسب معناها إلا بالنسبة للبنى النحوية التي تدخل فيها.**" [2]

[1]- اللغة العربية معناها و مبناها، تمام حسان، ص180.

[2]- المدارس اللسانية، أحمد عزوز، دار الأديب، وهران، 2005، ص109.

ويلقي **تمام حسان** نظرة على الكتاب العزيز الذي تتضح فيه كيفية تعدد المعاني الوظيفي للمبنى الواحد أي كان نوع المبنى معجمية، تركيبية بصفة عامة ويمثل لذلك بـ:

1-قرينة البنية:

***-تعدد المعنى الوظيفي لحروف المعاني:** [*]

1-**تنوع المعنى الوظيفي "ال "**: يتعدد معناها الوظيفي بين الجنس والعهد والربط والموصولة.

-**الدلالة على الجنس:** وتدل "ال" على الجنس[1] في كل آية ورد فيها لفظ الإنسان والإنس بينما يطرد لها ذلك في إسم جنس جمعي لاواحد له من لفظه: " الناس – الإبل – النساء..." لأن "أل" في هذه الكلمة تدل على أن هذه الكلمات جنس من الشيء أي أن الإنسان جنس من المخلوق.

-وتتنوع دلالة " ال" في الآية الواحدة بين العهد والجنس: كما في قوله تعالى:﴿**وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ** ﴾[2]." فالكتاب الأول معهود وهو القرآن الكريم بقرينة قوله تعالى:﴿ **أُولَئِكَ**﴾ أما الكتاب الثاني فالمقصود به كتاب سابق على القرآن الكريم.

– وقد تتعدد دلالة "ال " فتدل على معنى تارة ومعنى آخر تارة أخرى: نحو قوله تعالى:﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ**﴾.[3] وهذه الدلالة يكشفها ما يحيط " بال" من وصف ويجعل دلالة "ال"أقللا شأنا

[*]- استعمال تمام حسان مصطلح الحرف كما هو سيبويه على الرغم من تفريق البعض بين مصطلحات الحرف والأداة.

[1]- ينظر: البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج 1،ص30-31.

[2]- المائدة، 48.

[3]- النساء، 136.

مما كانت فالكتاب الأول هو القرآن بقرينة الوصف، والوصف قلل من دلالة "ال" والكتاب الثاني هو كل الكتب المنزلة قبل القرآن، وذلك بقرينة الوصف أيضا.

–دلالة "ال" على الموصولية: وتتحقق عند إقترانها بالوصف لأن الوصف مشتق، فإذا اقترن الوصف بال صلح أن يحل محله الذي أو التي ومع كل منها فعل من مادة الوصف المقترن ب"ال". ويبقى لها عموم الدلالة الذي تتسم به الموصولات وتقرب من معنى الجنس، كقوله تعالى:﴿ **وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ** ﴾[1] وهي تحمل دلالة العموم أما على خصوص الدلالة التي في الوصف فتقرب من معنى العهد، كما في قوله تعالى:﴿**وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آَوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ**﴾.[2] ويقول **تمام** في هذا الصدد "أما دلالة "ال"على الموصولية فتتحقق عند إقترانها بالوصف، لأن الوصف مشتق، فإذا اقترن الوصف بـ "ال" صلح أن يحل محله " الذي" أو "التي". ومع كل منهما فعل من مادة الوصف المقترن ب"ال" فالمؤمن هو الذي آمن والكافر هو الذي كفر...وهكذا، ويبقى لها في هذع الحالة عموم الدلالة التي تتسم به الموصولات، فتقرب بالموصولية من معنى الجنس، أي أن المؤمن كل من آمن، والكافر كل من كفر، أو خصوص الدلالة الذي في الوصف، فتقرب بها من معنى العهد، إذيكون المؤمن أحيانا هو الذي ذكر منذ قليل أو هو المعهود بين المتكلم سبحانه وبين السامع.[3]

–دلالة "ال" على الربط: وتكون قريبة من الضمير في المعنى، لأن الضمير يصلح أن يحل محلها ويقربها من معنى العهد وإن لم تكن دلالتها خالصة له، كما يظهر في قوله تعالى:﴿ **فَأَمَّا مَنْ طَغَى (37) وَآَثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (38) فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى (39) وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى (40) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى** ﴾[4]. فالمعنى في هي مأواه، حيث

[1]– آل عمران:122.

[2]– الأنفال: 74.

[3]– البيان في روائع القرآن، تمام حسان ، ج1،ص34.

[4]– النازعات: 37–38

حل الضمير " الهاء"محل "ال" أما قربها من العهد من إحتمال المعنى أن يكون " هي المأوى " الذي تعرفونه. ولأن الذهن يجعل الجحيم عقوبة العصيان ويجعل الجنة جزاء التقوى ولا يسمح العقل بعكس ذلك.

ونخلص إلى أن "ال" من الحروف الأحادية التي تدخل على الاسم فتسلب منه التنكير، ورأى تمام في أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة أن "ال"قد تكون ضميرا موصولا بمعنى "الذي " أو "التي" وتكون الزائدة في الكلمة، وتكون في ضمير الإشارة "هذا".[1]

2- تعدد معاني إن مكسورة الهمزة:

النفي: قد ترد إن بمعنى النفي كما في قوله تعالى:﴿ **إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا**﴾[2] وقرينة دلالتها على النفي يظهر من خلال السياق لأمران هما: الإعراب لثبوت النون وكذلك قرينة التضام لورود مصاحبة لها.فما يدعون من دون الله إلا إناثا من باب التعريض. وقوله تعالى:﴿ **وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ** ﴾.[3] وقرينة دلالتها على النفي كسر اللام في " تزول" وذلك يعني أن لام الجحود التي تأتي بعد كون منفي، ولو فتحت هذه اللام لكانت "إن" معها مخففة من الثقيلة ولتغير المعنى من النفي إلى تأكيد الخبر[4]، كما في قوله تعالى:﴿ **قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآَخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ** ﴾.[5]

الشرط: وقرينة شرطيتها الجواب ثم إقترانه بالفاء الرابطة ومثله قوله تعالى:﴿**وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ**﴾[6] وقد يحذف جوابها إتكالا على جواب القسم القسم الذي أغنى عنه، وذلك عندما يتقدم عليها مايدل على القسم نحو قوله تعالى:﴿ **لَئِنْ لَمْ**

---

[1]- البيان في روائع القرآن، تمام حسان ،ج1،ص:34

[2]- النساء: 117

[3]- ابراهيم: 46

[4]- البيان في روائع القرآن، تمام حسان،ج1، ص:35

[5]- البقرة :94

[6]- البقرة :23

يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا﴾[1]. وكذلك قوله تعالى:﴿ **لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ** ﴾.[2]

3- تعدد معاني ما: ويتعدد معنى ما بين النفي والإستفهام والمصرية والشرطية والزيادة وغير ذلك. [3]

النفي: نحو قوله تعالى:﴿ **وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي** ﴾.[4] ويدل على النفي قرينة السياق الذي وردت فيه. وقوله تعالى:﴿ **لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ**﴾.[5] "لأن الأصنام لاتنطق.أما قوله تعالى:﴿ **مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ**﴾[6] فالأولى نافية والثانية مصدرية. ولما كان المصدر فارغا فارغا من معنى الزمن جاءت كان لإضافة هذا المعنى إليه، فلو سبكنا المصدر من "ما" وما بعدها للزمننا أن نقابل "كان " بلفظ المصدر "سبق"وأن نقول إن تأويل المصدر(ما أغنى عنهم سبق تمتعهم).[7] في حين يرى **القرطبي** أن ما الأولى إستفهامية تفيد التقرير أما أن الثانية فيجوز لها أن تكون نفيا لاموضع له. وقيل ما الأولى حرف نفي، وما الثانية في موضع رفع ب أغنى والهاء العائدة محذوفة. والتقدير ما أغنى عنهم الزمان الذي كان يمتعونه.

الإستفهام: وهي دالة على الإستفهام نحو قوله تعالى:﴿ **وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى**﴾.[8] بقرينة الجواب الذي يلي ذلك مباشرة. وقوله تعالى:﴿ **مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ**

---

[1]- الأحزاب: 60

[2]- الحشر: 12.

[3]- البيان في روائع القرآن، تمام حسان،ج1، ص:36

[4]- الكهف: 82

[5]- الأنبياء :65

[6]- الشعراء :207

[7]- البيان في روائع القرآن، تمام حسان،ج1، ص:36

[8]- طه :17

وَآمَنْتُمْ﴾[1].

وقد تكون محذوفة وتحتاج إلى تقدير أولي ، وهو ما سنراه من خلال الآية الكريمة من الكتاب العزيز:﴿ **وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ﴾**.[2] أي ما الذي يبرر لنا ذلك ونحن في هذه الحال، وهو أولى من جعلها نافية مع تقدير " أن محذوفة بمعنى وليس لنا أن نؤمن لأن ما لاتحتاج إلى تقدير أولى.[3]

دلالتها على المصدرية: نحو قوله تعالى:﴿ **نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ** ﴾.[4] أي بواسطة ايحائنا إليك .

دلالتها على الشرطية: نحو قوله تعالى:﴿ **وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ** ﴾.[5] فالقرينة هي الجواب والرابط الفاء في يخلفه. أما في قوله تعالى:﴿ **مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾**.[6] فالقرينة جزم فعلي الشرط (ننسخ – ننسها) والجواب نأتي.

دلالتها على الموصولية: وهي شعبة خاصة من تعدد المعنى تسمى شعبة "النقل" " لأنها تخرج عندئذ من الحرفية إلى الموصولية كما خرجت في حديثنا عنها منذ قليل.

4– تعدد معاني لا: وتتعدد معاني لا من النفي إلى الدعاء إلى النهي والزيادة:

النفي: وهو وظيفتها الأصلية، وللنفي ب "لا" أشكال وصور متعددة منها:

أن تكون نافية للجنس: فتعمل عمل إن فتختص بالإسم النكرة الدال على الجنس فيبنى على الفتح، نحو قوله تعالى:﴿ **قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾**.[1] ضير اسمها مبني على الفتح.

---

[1]– النساء :147

[2]– المائدة :84

[3]– البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج1،ص:36

[4]– يوسف: 03

[5]– سبأ: 39

[6]– البقرة:106.

قد تكون حرف جواب: فتغني عن جملة الجواب أو تقترن بها على نحو:﴿ **قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ**﴾.[2] ومكانها في الآية رائع، لأن تكرار "ما" سيجعل الجملة المعطوفة ملبسة لتشابهها مع التعجب...إذ تصبح الجملة مع التكرار (وما أدراك).

دلالتها على الدعاء: وإذا جاء بعده الفعل الماضي دلت على الدعاء نحو قوله تعالى:﴿ **فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ** ﴾.[3]

دلالتها على النهي: وتدل على النهي عند إقترانها بالمضارع المجزوم، نحو قوله تعالى:﴿ **فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ (9) وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ** ﴾.[4]

–دلالتها على الزيادة: وزيادتها على ضروريات التركيب النحوي دون المعنى المقصود ثابتة وواردة في القرآن الكريم، والزيادة عند تمام تنسب إلى النحو لا إلى القرآن الكريم، نحو قوله تعالى:﴿ **فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ (75) وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ**﴾.[5] ف: "لا" زائدة وقد قامت القرائن على زيادتها إذ لو لم تكن "لا"زائدة لأصبحت نافية ولوقع التناقض من عبارة (وإنه لقسم).ويخلص تمام إلى أن ماسبق من قبيل تعدد المعنى لامن قبيل النقل لأن "لا" في دلالتها على كل واحد من هذه المعاني ظلت باقية على حرفيتها في حيز قسمها من أقسام الكلم ولم تنقل إلى غيره.

5–تعدد المعاني الوظيفية لحرف الواو: وتعد الواو من حروف العطف[6] ولكن تكون لمطلق الجع والإستئناف أو للمعية أو المصاحبة أو الحالية أو القسم أو القسم.

---

[1]– الشعراء :50

[2]– يونس: 16

[3]– البلد: 11

[4]– الضحى: 9–10

[5]– الواقعة :75–76

[6]– البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج1،ص:39

-**لمطلق الجمع**: "حضر محمد خليل "، فليس دلالة على أن محمد حضر قبل خليل، كما يحتمل أنهما حضرا معا، وهذا لاينفي ورودها بقصد الترتيب، وفي مواطن عدة من القرآن الكريم خاصة لاتكون للترتيب دائما.

-**الإستئناف**: نحو قوله تعالى:﴿ **وقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾.[1] وقرينة دلالتها على الإستناف أنها مسبوقة بالخبر متلوة بالطلب لأن قبلها.

-عطف المفرد: نحو قوله تعالى:﴿ **إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ**﴾.[2]

دلالتها على المعية: نو قوله تعالى:﴿ **أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ**﴾.[3] فالواو والأخيرة هي التي حملت معنى المعية.

دلالتها على المصاحبة: كما يحتمل العطف في قوله تعالى:﴿ **قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ** ﴾.[4] والفرق بين المعنيين: [5]

دلالتها على العطف: كون الكبرياء لهما.

دلالتها على المصاحبة: مصاحب للفتهم عن آلهتهم.

دلالتها على الحالية: نحو قوله تعالى:﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى**﴾.[6]

دلالتها على القسم: وهو ما نجده في فواتح كثير من قصار الصور كالفجر وكالشمس وضحاها والسماء والطارق.....الخ. [7]

---

[1]- البقرة :244

[2]- البقرة :158

[3]- الأعراف: 127

[4]- يونس: 78

[5]- البيان في روائع القرآن، تمام حسان،ج1، ص:40

[6]- النساء :43

[7]- البيان في روائع القرآن، تمام حسان،ج1، ص: 40

-دلالتها على الزيادة: ومن زيادتها في قوله تعالى:﴿ **إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ**﴾.[1] "أي أن علة مداولة الأيام بين الناس إرادة الله أن يعلم الذين آمنوا ويتخذ من المؤمنين شهداء. وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين، فتقدير الكلام:(وتلك الأيام نداولها ليعلم الله).[2]

وينتهي **تمام** من تعدد معاني الحروف فقط وذكر منها معاني "ال" و"إن" و"لا" و"الواو". ثم ينتقل إلى:

6- تعدد المعاني بالنسبة إلى الضمائر: ضمائر الأشخاص والموصولات والإشارات.*

ضمير الشخص: ويكون لمجرد الكناية عن الإسم، أو الوصف وشرط الإضمار هنا أن تتحقق المطابقة لفظا ومعنى، وإن لم تتحقق في أحد الجانبين أو كليهما امتنع الإضمار. فإذا تحققت المطابقة فيهما.فذلك نحو قوله تعالى:" وظن داوود أنما فتناه "[3].أي فتنا داوود المذكور.أما إذا تمت المطابقة في المعنى دون اللفظ وجب الإظهار، نحو قوله تعالى:﴿ **وإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ** ﴾.[4] أي أي فقاتلوهم.[5] وكذلك إذا تمت المطابقة في اللفظ دون القصد، كما في قوله تعالى:﴿ **الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا**﴾.[6] فالناس الأولون غير الآخرين.والموضع المناسب لتطبيق ظاهرة الإضمار إنما يأتي تحت عنوان الربط.

---

[1]- آل عمران 140

[2]- البيان في روائع القرآن، تمام حسان،ج1، ص :40

*- لاشك أن الضمائر وسيلة متقدمة للتعبيير عما في النفس حيث إنها ألفاظ مختصرة و موجزة يستغنى بها بارزة أو مضمرة عن ألفاظ تحتاج إلى النطق " زمنا و جهدا أطول و أكثر" ينظر البلاغة العربية عبد الرحمان الميداني، ج1، ص411

[3]- سورة ص: 24

[4]- التوبة :12

[5]- البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج1،ص:42.

[6]- آل عمران: 173

ولضمير الشخص معان عديدة منها:

–الشأن: كما في قوله تعالى:﴿ **إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ** ﴾.[1] فالضمير الهاء تقدم على جملته وهو يعود على متأخر لفظا ورتبة كما طابقه في التذكير أيضا.

–الفصل يساق لرفع اللبس أو لتأكيد الإسناد: نحو قوله تعالى:﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ**﴾.[2] والتقدير بحذف الضمير من قبل أن يأتي يوم ويأتي الكافرون الظالمون، ولا شك أن الكافرين الظالمين سيأتون هذا الإتيان يوم القيامة.

–الزيادة: ويمكن أن يقوم التركيب فلا وظيفة ولا معنى للضمير إلا أن يكون مؤكدا، وهذا يتعلق بالزيادة، وهي من الوجهة البلاغية شيء آخر، لأن القبول بمبدأ الزيادة يناقض القاعدة التي ترى أن الزيادة في المبنى زيادة في المعنى خاصة في النص القرآني، وفي الآية التالية تظهر أهمية الضمير وإن تكرر:﴿**وَهُمْ فِي الْآَخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ**﴾.[3] فحاجة التركيب إلى الضمير الثاني أشد من حاجته إلى الأولى، لأن عبارة بـ: **"الآخرة هم الأخسرون"** أقرب نحويا من عبارة **"وهم بالآخرة الأخسرون"** لما في العبارة الأخيرة من فصل بالجار والمجرور بين المبتدأ والخبر، ولا فصل بينهما في الأصل.[4]

أما الموصول: فدلالته على الغيبية سواء أكان مختصا أو مشتركا من الناحية العددية أي سواء أكان دالا على الإفراد أم التثنية أم الجمع ومع ذلك على التذكير أم على التأنيث، أم مشتركا من حيث العدد والنوع، ولكنه مختص من حيث العاقل وعدمه. ومع دلالته على الغيبة يساق في

[1]– القصص: 37.

[2]– البقرة: 254.

[3]– النمل: 5.

[4]– البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج1،ص:43

إبتداء الجملة لإفادة العموم وتفادي التخصيص، نحو قوله تعالى:﴿ **وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا**﴾.[1]

وقد يتم تقديم جملة الخبر فينزع منها الخبرية ويجعلها صلة له نحو قوله تعالى:﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى**﴾.[2] وقد يتقدم جملة الحال ليصير بواسطتها نعتا لما قبله ويجعلها صلة له، كما في قوله تعالى:﴿ **الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ**﴾.[3] فلو حذف الموصول قبلها لكانت جملة حالية أو خبرية غير أن ايراد الموصول قوى المعنى لأن وصف الرسول مكتوب في التوراة فعلا أقوى من دعوة ملابسة وجوده مكتوبا لأتباعهم إياه وارتهانه بهذا الإتباع[4].وقد يدل الموصول في إبتداء الجملة على توقف الخبر على المبتدأ فيكون لخبره من الأحكام النحوية ما لجواب الشرط، نحو قوله تعالى:﴿ **وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ**﴾.[5] اللاتي جمع مؤنث +الفاء + الخبر + فاستشهدوا.

ضمير الإشارة: [*] فمعناه الدائم الحضور ولكن التركيب القرآني تصرف بعض التصرف وبخاصة في هأنتم أولاء إذ أعطى لها التنبيه من تباين الرتبة ومن الإثبات والحذف ما يتضح في الآيات الآتية:

-قوله تعالى:﴿ **هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ** ﴾.[6]

---

[1]- البقرة: 39.

[2]- البقرة: 16.

[3]- الأعراف: 157.

[4]- البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج1، ص:44.

[5]- النساء، 15.

[*]- إذا لحقت اسماء الإشارة والموصولات بقسم الضمائر، وهذا ما يدل على مسمى بالإسم، وعلى موصوف بالحدث كالصفة ولا حدث وزمن كالفعل، وقد الحقها تمام أسماء افشارة و الأمساء الموصولات و الضمائر و تندرج تحت المورفيمات في النظرية اللغوية الحديثة، أما القدماء فقد الحقوها لأنها تحل محلها و توزع في المواضع التي تظهر فيها السماء، اللغة العربية معناها و مبناها، تمام حسان، ص:90.

[6]- آل عمران: 66.

-قوله تعالى:﴿ **هَا أَنْتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ**﴾.[1]

-قوله تعالى:﴿ **ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ**﴾.[2]

-قوله تعالى:﴿ **قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَى أَثَرِي** ﴾.[3]

وكل ذلك يعد تصرفا أسلوبيا في النمط التركيبي(ها +ضمير الشخص + الإشارة) الذي يعد بدوره فرعا على نمط آخر هو (ها +ضمير الإشارة) وهو يعد من الإشارة المجردة، وذلك بإضافة "ها" للتنبيه إليها. ومن المعاني التي تنسب إلى الإشارة الربط بين عناصر الجملة، كما في قوله تعالى:﴿ **وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ**﴾[4]. ويستعمل ضمير الإشارة إستعمال ضمير الشأن فيدخل على جملة تامة التركيب يتضح بها المضمون الذي أشير إليه بضمير الإشارة، نحو قوله تعالى:﴿**ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ**﴾.[5] الضمير"**ذلك**" العائد على النار، كما يجوز وضع إنه موضع الإشارة يتحقق المعنى نفسه بواسطة ضمير الشخص الدال على الشأن، كما في قوله تعالى:﴿**وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ**﴾.[6]

ومن قابلية إستعمال ضمير الإشارة إستعمال ضمير الشأن، وهذا يدخل في العلاقات الإستبدالية في قوله (لو أنك وضعت إنه موضع الإشارة). وحرية المرسل في إختيار ألفاظه وعباراته، وهذا التوظيف يجعل العنصر المستبدل حامل لمعنى المستبدل منه إلى بالإضافة إلى عملية التوزيع، وكل ذلك يدخل في إطار التصرف الأسلوبي.

ويعد **تمام حسان** من الدارسين المحدثين من علماء اللغة (الوصفيين) الذين يرفضون التقسيم التقليدي للكلمة ويشرعون في البحث عن تقسيم جديد يقوم على ملاحظة الوقع اللغوي

---

[1]- آل عمران: 119.

[2]- البقرة: 85.

[3]- طه: 84.

[4]- الأعراف: 26.

[5]- فصلت: 28.

[6]- البقرة:85.

ويكتفي بالحقائق اللغوية، ولا يتجاوز ذلك إلى البحث عن ميتافيزيقا اللغة، ونراهم يؤثرون تسمية المبحث باسم (فصائل الكلمة) إذ يرونها أوفق من التسمية التقليدية (أجزاء الكلام) وهم يصنفون الكلمات تصنيفا علميا، يقوم على أساس من الصيغة والوظيفة، أو المبنى والمعنى معا." [1] ولذا أعاد **تمام حسان** تقسيم الكلم إل سبعة أقسام: الإسم – الصفة – الفعل – الضمير – الخالفة – الظرف – الأداة " ويلاحظ أن تمام أقصى الحرف الذي كان القسم الثالث عند النحاة القدامى." وجعل **تمام** الظرف قسما قائما بذاته من أقسام الكلم ، وفرق بين الظروف الأصلية الأصلية والظروف المنقولة إلى الظرفية من الكلم:

– **الظروف الأصلية:** إذ وإذا وإذًا ولما وأيان ومتى للزمان وجعلت للمكان أين وأنى وحيث.وهذه الظروف جميعا غير متصرفة ولامشتقة وهي جواد راسخة القدم في حقلي الإقتقار والرتبة المحفوظة.

– **الظروف الفرعية:** وتؤدي إلى النقل من أقسام الكلام، حتى إن تعدد المعنى الوظيفي لها الظروف في دلالتها على الزمان والمستقبل والمطلق،كما في قوله تعالى:﴿**وَإِنَّهُ فِي الْآَخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (130) إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾[2] الدلالة على الغائية. وقوله تعالى:﴿**وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ**﴾[3]. إذ إستفتاحية وبدراسة إحصائية قام بها وجد أن "إذا "بمعنى لقد وردت في القرآن الكريم في أكثر من ثلاثين موضعا. ومن قوله تعالى:﴿ **وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ**﴾.[4] والتقدير لقد أخذنا ميثاقكم.

ونقل الظروف المذكورة إلى قسم الحرف ليكون أدوات للشرط والإستفهام والإستصحاب صورته، كما في قوله في متى – أيان – إلحاق ما الشرطية بهما كما في "إذما ".

---

[1]- ينظر: علم اللغة بين التراث والمعاصرة، عاطف مدكور، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1987، ص154-155.

[2]- البقرة: 130-131.

[3]- الأحقاف: 11.

[4]- البقرة: 36.

ومن **معاني إذ الظرفية:** نحو قوله تعالى:﴿ **يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ**﴾.[1] وهي بمعنى عندئذ (وليس المعنى يشترط رجوعكم) وهي هنا ظرف لما يستقبل من الزمن.

كما تكون رابطة ومعناها المفاجأة، كما في قوله تعالى:﴿ **فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ**﴾.[2] كما تعدد معاني "إذ" بعد تنوينها إما الجوابية وإما الظرفية.

تعدد معاني الصيغ الصرفية: وتجدر الإشارة إلى أن الدراسة الوظيفية قد اختلفت

منطلقات النظرية في وصف اللغة والتركيز على جانب دون آخر في التحليل، وهي في كل ذلك تبتغي إبراز الوظيفة الإبلاغية للغة وهذا ما نتج عنه تشققات في وظائف اللغة، والتي سمحت لها أن تتجاوز الأنحاء الجزئية التي طبقت على الجملة إلى وضع أنحاء كلية لدراسة الخطاب.[3]

و**تمام حسان** في تحليله الوظيفي يشمل الوحدات الصرفية التركيبية بالتركيز على معانيها الوظيفية المستخلصة من الشكل التعبيري للغة ضمن مقولة المعنى والمبنى التي قامت عليه دراسة جادة ضمن الجهود اللغوية العربية الحديثة تحت عنوان " **اللغة العربية معناها ومبناها** "، وهي مقاربة متميزة في قراءتها للتراث العربي، حاولت أن تجمع بين معطياته ونتائج اللسانيات الحديثة. إذ تحاول الدراسة استلهام معطيات هذه المقاربة فهي لا تخرج عن الإطار البنيوي إلا بالقدر الذي يسمح لها بتأويل المعاني الوظيفية للأبنية المدروسة ضمن الوظائف التأثيرية للغة، آخذا بعين الاعتبار دور السياق في تعدد المعنى الوظيفي للمبنى الواحد، وهي بذلك تستنير قدر المستطاع بما جاء في المصنفات القديمة من إشارات تدفع إلى الاتجاه للدراسة الوظيفية بدءا من سيبويه إلى **ابن جني**، و**الزمخشري** في الكشاف وصولا إلى **الجرجاني** في الأسرار فقد اعتمدت دراسة تمام على التفريق بين الوظيفية ومعناها ولذا تقسم بنية الوظائف إلى محورين أساسيين هما: [2]

---

[1]- التوبة: 94.

[2]- يونس: 23.

[3]- البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج1، ص :46.

[2]-ينظر: المصدر نفسه، ص47

– محور الوظائف الدلالية وتنهض به المباني الصرفية أو أقسام الكلم.

– محور الوظائف التركيبية وتنهض به مباني التعليق والعلاقات التركيبية. ومثاله في الأول أن التسمية وظيفة دلالية للإسم،أي مميز دلالي له في أقسام الكلم، ولكن معانيها تختلف بإختلاف شكل الإسم ووضعه في السياق، ومن حيث التعريف والتنكير، والجمود والإشتقاق وغيرها من الإعتبارات المبنوية، ومثاله في الثاني أن وظيفة مبنى الحرف ومن الناحية التركيبية هي التعليق " الربط " ولكن معانيها تنصرف إلى العطف والإستئناف والمعاقبة....وغيرها.، وكلها معان سياقية، والدراسة إنما يحتفي أكثر بهذه المعاني الوظيفية بوصفها وظائف معنوية لوظائف البنية من أجل حصرها في نسب عددية تسهل عملية البحث عن الأسس الإبلاغية لتوظيف هذه المعاني كسمات أسلوبية مهيمنة على النص عن طريق تأويلها ضمن الوظائف التأثيرية للغة المدروسة. [1]

وتتعدد معاني الصيغ الصرفية سواء أكانت هذه الصيغ ثلاثية أم أكثر، أما الثلاثية غير العقلية فهي شركة بين الأسماء والصفات مع تجاهل الإعراب فتوجد مشتركة بينها وبين الأفعال. ولما كانت الصيغة الصرفية هي الرافد الثاني لمعنى الكلمة بعد جذرها كان تدريجيا أن يحظى بالعناية بنفسها التي حظيت بها دلالة الكلمة معجميا، وأن ينهج علماء الصرف نهج الصرف نهج علماء المعجم في تقفي دلالات البنى والصيغ الصرفية في النصوص ورصدوا دلالتها ومعانيها ووضعوا في ذلك المصنفات الكثيرة، وكانت خلاصة عملهم أنهم ضبطوا إستعمالات الصيغ الكثيرة وحددوا لكل منها معنى أو جملة معان.ولكن كثيرا ما يخرق الإستعمال الدلالة الصرفية المتوخاة والتي حددها قواعد الصرف لكل صيغة إلى معان كثيرة تستشف من خلال السياق.

تعدد معاني استفعل: تتعدد معاني استفعل بين الطلب كقوله تعالى:﴿ **فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ**﴾.[2] والصيرورة نحو قوله تعالى﴿ **وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَن نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ**﴾.[3] والمطاوعة نحو قوله تعالى:﴿ **وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا**﴾.[4] وقوة العيب في استكبروا.

[1] – البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج1،ص:48

[2] – نوح:10

تعدد معاني صيغة فِعال: وتكون اسما كسراج ومصدرا حينا كما في قوله تعالى:﴿**كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ**﴾[5] وقد يصلح اللفظ للمعنيين فلا يتعين معناه إلا من خلال القرينة[6] مثل قوله تعالى:﴿ **يَا بَنِي آَدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآَتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ**﴾[1] فاللباس الأول اسم يدل على الكسوة بقرينة المرأة واللباس الثاني مصدرا يدل على الملابسة والمخالطة والارتباط بقرينة أن التقوى ليس لها ملابس خاصة.

تتعدد صيغة فاعَل: بالبناء على الفتح فقد يكون معناها (أفعل) بالبناء على الفتح نحو قوله تعالى:﴿ **وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ**﴾.[2] وقد تكون بمعنى المشاركة.

تعدد صيغة أفعل: قد تكون للتفضيل نحو قوله تعالى:﴿ **وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ**﴾.[3] وقد تكون صفة مشبهة نحو قوله تعالى:﴿ **إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ**﴾.[4]

تعدد صيغة فعيل: قد ترد إسما نحو قوله تعالى:﴿ **وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ** ﴾.[5] وقد تكون صفة مبالغة مثل حقيق وقد تكون صفة مشبهة أو مصدرا.

تعدد صيغة فاعل: الدالة على الوصف فتكون اسم فاعل كما في قوله تعالى:﴿**وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا**﴾.[1] فالمعنى هنا على الحدوث والتجدد لأن الإنسان لا يتكيء دائما ولا يقعد ولايجلس إلا ريثما يتحول عن هيئته ووضعه.

---

[3]– يوسف:20

[4]– الجن:16

[5]– البقرة:216

[6]– البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج1،ص:48.

[1]– الأعراف: 26.

[2]– آل عمران:133.

[3]– الأنفال: 42.

[4]– الكوثر:03.

[5]– فاطر: 33.

تعدد صيغة فعْل: ويتعدد معناها بين المصدر والصفة المشبهة والإسم. ومع كل ما سبق التطرق إليه من باب تعدد المعاني بحسب الوضع.

تعدد المعاني الوظيفية بحسب النقل: وظاهرة النقل في العربية أوسع مما يرى البعض، فقد عرف النقل تحت مسميات مثل النيابة والتحويل وأدخلوا بعض ظواهره تحت مسميات غير ذلك، واعترف النحاة بالنقل عند حديثهم عن العلم المنقول واسم الفاعل أو الحال، كما تحدثوا بالنيابة عن الفاعل، وبتحويل التركيب إلى مبنى بعينه (المصدر المؤول)، ولنتعرف على كيفية النقل من قسم لآخر:

1- نقل الإسم: [2]

نقل الاسم إلى الوصفية: كما في قوله تعالى:﴿ **قَالُوا أَئِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي**﴾[3]. وحلت يوسف محل الصفة.

نقل الاسم إلى الظرفية: نحو قوله تعالى:﴿ **وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً**﴾.[4]

2- **نقل المصدر:** وهو عند **تمام" اسم الحدث حين يبرأ الحدث من الزمن"**.

نقل المصدر إلى الوصفية: وينقل المصدر إلى المصدرية حتى يصاغ أن يكون حالا، نحو قوله تعالى:﴿ **ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا**﴾.[5] والتقدير (يأتينَك سعيا).

نقل المصدر إلى الظرفية: فكان في عرف النحاة دائما ظرفا متصرفا، نحو قوله تعالى:﴿ **حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا**﴾.[1] ويحتمل أن تكون بغتة

---

[1]- يونس: 12.

[2]- الاسم هو ما دل على معنى معين أو جنس بدئ بالميم، دالا على زمان، أو مكان أو دالة، أو كان من المبهمات، كأن يدل على عدد أو وزن أو كيل أو جهة، أو يكنى به عن شيء مما تقدم، ينظر: البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج1، ص:53.

[3]- يوسف: 90.

[4]- البقرة: 80.

[5]- البقرة: 260.

التي نقلت إلى الظرفية الزمانية دالا على الظرفية أو دالا على الحال وهذا ما تعززه القرائن. وأشار تمام حسان إلى بعض الآيات الأخرى مثل سورة الشعراء بدليل فكرة التناص عنده وأن القرآن الكريم يفسر بعضه بعضا. وبذلك انتقل من سياق الجملة إلى سياق النص.

نقل المصدر إلى معنى الإنشاء: سواء أكان هذا الإنشاء طلبيا أم غير طلبي وسواء كان المصدر مفردا، كقوله تعالى:﴿ **فَبُعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ** ﴾.[2]

3- **نقل الوصف:**[*]

نقل الوصف إلى العلمية: نحو قوله تعالى:﴿ **وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ**﴾.[3]

نقل الوصف إلى الإسناد: إل فاعل نحو قوله تعالى:﴿ **قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ** ﴾.[4] و(أراغب) اسم تفضيل وجاءت هنا مبتدأ فأغنى فاعله الضمير أنت.

-وإن كان خبرا كان الفاعل ضميرا يعود على المبتدأ نحو قوله تعالى:﴿ **وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ** ﴾[5]. حل والضمير يعود على المبتدأ.

كما يكون مسندا ومسندا إليه في وقت واحد نحو قوله تعالى:﴿ **سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ** ﴾.[6] فلفظ (سائل) فاعل للفعل (سأل) فهو مسند إليه ثم إنه تحمل ضميرا فاعلا مستترا فهو مسند إلى هذا الضمير وليس في أقسام الكلم ما يكون كذلك إلا الوصف.

---

[1]- الأنعام:31.

[2]- المؤمنون: 44.

[*]- الأصل في الوصف أن يدل على موصوف بالحدث عن طريق الفاعلية والمفعولية، المبالغة، التفضيل أو الثبوت أو الدوام، والأوصاف جميعها من المشتقات ذوات الصيغ الصرفية المحددة.

[3]- الصف: 06.

[4]- مريم:46.

[5]- البلد:02.

[6]- المعارج: 01.

نقل الوصف إلى الموصول: وينتقل الوصف إلى أن يكون عند إتصاله " بال " موصولا وصلة في الوقت نفسه، فإذا عاد الضمير في هذه الحالة كان عوده على الصلة والموصول على الموصول فقط نحو " العظيم خلقه "" وهو محمد عليه السلام."

4-نقل الفعل:

نقل الفعل إلى العلمية: [1] نحوقوله تعالى:﴿ **وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا** ﴾.[2]

نقل الفعل إلى أداة ناسخة: فيسقط عنه معنى الحدث ولا يبقى إلا الزمن كما في كان وأخواته وكاد وأخواتها، نحو قوله تعالى:﴿**وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا**﴾.[3] وقد تحقق الإسناد في الحالتين بما فيه معنى الحدث بقوله (تحته كنز) وقوله (أبوهما صالحا) ولكن خلو هذا الإسناد من معنى الزمن جعله بحاجة إلى الجملة فجاءت لتدل على الزمن فقط وهي مفرغة من معنى الحدث. وتظهر أهية السياق في تحديد الدلالة والمعنى كما في قوله تعالى:﴿ **وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا**﴾.[4] فسقوط المعنيين كلاهما (الحدث والزمن) عن كان ونقلت إلى أداة توكيد لأن الإنسان مازال وسيظل كفورا بطبعه. ومن شواهد دلالة كاد على المقاربة قوله تعالى:﴿ **وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ**﴾.[5] فالإسناد واقع بين إسم كاد وهو الواو التي في كادوا والمضارع الذي بعدها والمشتمل على واو وهي ضمير يعود على إسم كاد (واو تعود على واو). والمعنى الإسنادي تقديره (هم يفتنوك). ولما كان هذا الإسناد لم يقع بالفعل وإنما قارب الوقوع

[1]- ينظر: البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج1، ص:58.

[2]- نوح: 23.

[3]- الكهف: 82.

[4]- الإسراء: 67.

[5]- الإسراء: 73

جاءت (كادوا) على صورة الماضي لتدل على هذه المقاربة وهي خالية من معنى الحدث ونفس العمل مع بقية الأحداث.

4-**نقل الضمير**: وهي ثلاثة ضمائر الأشخاص والموصولات والإشارة، ومن حالات نقل الضمير ما يلي:

نقل الضمير عن دلالته الكبرى إلى ضمير الشأن: وينقل الضمير من الكناية عن الاسم الظاهر إلى الكناية عن مفهوم الجملة التي بعده، فيعود على متأخر لفظا ورتبة ، ومن ذلك في القرآن الكريم:﴿ **إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ**﴾.[1]

خروجه إلى الفصل بين المبتدأ والخبر: نحو قوله تعالى:﴿ **فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ** ﴾.[2]

يكون لرفع اللبس: حتى وإن لم يكن الضمير هو مذكورا، كما في قوله تعالى:﴿**أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى**﴾[3]. والتقدير من غير الضمير (فالله الولي يحي الموتى)، ولكان المعنى غير المعنى مما يدل على وظيفة السياق في أمن اللبس.

ضمائر الموصولات: والموصولات قسمان قسم مختص وقسم مشترك، وينقل المشترك من الموصولية إلى الشرط والإستفهام.

أ-في الشرط: تزاد "ما" الشرطية التي نقلت من الموصولية بعد "أي" فيقال فيها "أيما" كما زيدت على بعض الظروف عند نقلها إلى الشرط مثل " إذما" و" ومتى ما" وإينما " الخ، ومن شواهد نقلها إلى للشرط كثيرة في القرآن الكريم ومن ذلك قوله تعالى:﴿ **فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ**

[1]- الأنعام: 21.

[2]- الأنبياء: 64.

[3]- الشورى: 09.

الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ﴾.[1] وقرينة دلالتها الشرط قرينة السياق والدلائل اللفظية جزم الفعل يعمل+ جواب الشرط والرابط، فالسياق جعله يأخذ وظيفته في إبراز المعنى.

ب-نقل الموصولات إلى الإستفهام: نحو قوله تعالى:﴿ **فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ**﴾.[2] ف "من" إستفهامية بقرينة السياق وكذا رفع الفعل المضارع يدل على دلالتها على الإستفهام الإنكاري.

ج-أما المنقولة من الموصولية إلى الإستفهام: كما في قوله تعالى:﴿ **فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ**﴾.[3]

أما الموصولات الخاصة لا تنقل إلى الشرط وإن أعطيت لها ما تعطى الموصولات المنتقلة إلى الشرط في مجال الربط، نتيجة المشاركة في الموصولية والإبهام على نحو "الذي" التي" "ال" "أن" كما في قوله تعالى:﴿ **وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ** ﴾.[4] فالرابط الفاء وكأن الجملة التي بعدها جواب الشرط وكن الجواب هنا لايصلح أن يكون شرطا لأن عملها توقف بوقوع خبر الذي.

ونافذة القول أن كلا من الضمائر الموصولة المشتركة والخاصة تستعمل للربط وإن احتفظت بإفتقارها، وبرتبة التقدم على الصلة ورجوع الضمير إليها،وهي الشروط التي تتحقق بها الموصولية.

ضمائر الإشارة: تنقل إلى:

الظرفية المكانية: نحو هنا- هناك – وأما هنالك التي تصلح للنقل للزمان والمكان، فأما دلالتها على المكان كما في قوله تعالى:﴿ **جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ**﴾.[5] "وأما دلالتها

---

[1]- الأنبياء: 94.

[2]- آل عمران:135.

[3]- الحجر: 57.

[4]- محمد: 8.

[5]- سورة ص: 11.

على الزمان نحو قوله تعالى:﴿ **هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ**﴾.[1] فلفظ "هنالك" في الآية الأولى لموقع غزوة بدر والثانية لوقت رؤية زكريا لفضل الله على مريم.

5-**نقل الظروف**: تنقل الظروف غير المتصرفة من الظرفية إلى استعمال الأدوات نحو:

أ- نقل الظرف إلى الشرط: [2] عندما تلحق بها "ما" الشرطية وهذا شبيه باتصال "ما" الاستفهامية بحرف الجر عند إرادة الاستفهام نحو قوله تعالى:﴿ **أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا**﴾.[3] وهي مركبة من أين +ما وبالتركيب أفادت الشرط.

ب-نقل الظروف إلى الحرفية:

حين تدل على التعليل، نحو قوله تعالى: :﴿ **وَإِنَّهُ فِي الْآَخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (130) الْآَخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (130) إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾[4] والتقدير (أي لأنه قال أسلمت).

7- نقل الأدوات: [5]

- نيابة حروف الجر عن بعضها البعض: ويعود **تمام حسان** إلى التراث في كل مرة ليؤصل لمنهجه عندما يتحدث عن نيابة "عن"عن "من"في قوله تعالى:﴿ **أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ**﴾.[6] و"عن" عندما نقلت للتعبير عن "من" لم يتغير قسمها. ولذا كان أولى بتعبيرها عن معنى إبتداء الغاية ويعد من قبيل تعدد المعنى الوظيفي.

---

[1]- آل عمران: 38.

[2]- ينظر: البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج1، ص:63.

[3]- البقرة: 148.

[4]- البقرة: 130-131.

[5]- الأداة مبنى تقسيمي يؤدي معنى التعليق والعلاقة التي تعبر عنها الأداة عندما تكون بالضرورة بين الأجزاء المختلفة من الجملة و تنقسم إلى أداة أصلية وأداة محمولة، ينظر: اللغة العربية معناها و مبناها، ص 113.

[6]- التوبة: 104.

– **نقل الأدوات إلى قسم الاسم:** نحو نقل الكاف إلى الإسمية لتكون بمعنى (مثل) فتكون ذات محل من الإعراب ويعود عليها الضمير، كما في قوله تعالى:﴿ **أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ**﴾.[1] وتعود الهاء في " فيه" إلى الكاف التي بمعنى (مثل).[2] ومثلها "كأين" والتي يرى **تمام** أنها نقلت من الإسم، وأينما التي في الأصل أداة ومن ذلك قوله تعالى:﴿ **وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ** ﴾.[3] والتقدير (وكم من دابة). وبذلك نقل تمام كأين من الإسمية إلى قسم الأدوات. وكذا نقل "لما "إلى الظرفية عند دخولها على الماضي فتفيد معنى الجزم فتصبح بمعنى "حين" أو "إذا" بينما كانت حرف جزم مع لم، نحو قوله تعالى:﴿ **فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ**﴾.[4]

– **نقل هاء التنبيه إلى معنى الخالفة:** [*] (اسم الفعل عند النحاة) فيكون معناها "خذ" وتلحقها حروف الخطاب فيقال فيها (هاكم) و(هاؤم) كما في قوله تعالى:﴿ **هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ**﴾.[5]

– **نقل (وي) التي للتعجب إلى معنى الخالفة:** وتلحقها كاف الخطاب فتصير (ويك) ثم يليها (أنَ) منزوعة الخافض وهو اللام متصلة بضمير الشأن فيصير التركيب" ويكأنه" أي" ويك لأنه "كما في قوله تعالى:﴿ **وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ** ﴾[6]

---

[1]– آل عمران:49.

[2]– البيان في روائع القرآن، تمام حسان،ج1، ص:63.

[3]– العنكبوت: 60.

[4]– يوسف: 88.

[*]– الخوالف كلمات تستعمل في أساليب إفصاحية أي في الأساليب التي تستعمل للكشف عن موقف انفعال ما، والإفصاح عنه وهي من حيث استعمالها قريبة مما يسمونه بالانجليزية EXCLAMATION وهي أنواع. ينظر: اللغة العربية معناها و مبناها، تمام حسان، ص: 113.

[5]– الحاقة: 19.

[6]– القصص: 82.

ويخلص إلى أن ما قدمه **تمام حسان** حول تعدد المعنى الوظيفي للمبنى الواحد ليس من قبيل عرض الجانب اللغوي للبنية وإنما هو تأكيد على أهمية الصرف في الدراسات الأسلوبية الذي يعد رافدا مهما فيها على سبيل المثال (المعنى الصرفي للأسماء هو الدلالة على المسمى... والمعنى الصرفي للأفعال هو الدلالة على الحدث والزمن... والمعنى الصرفي هو الدلالة على موصوف بالحدث).[1] ولذا لكل كلمة معنى صرفي يستفاد منها. ولذا قصد **تمام** إلى رصد كيفية إستعمال القرآن الكريم لبنية الكلمة إستعمالا فنيا غاية في الدقة والجمال،[2] ومن ذلك "الفعل" و"الاسم" في قوله تعالى:﴿ **وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ** ﴾.[3] "فاستعمل الفعل مع الحي " يخرج " واستعمل الاسم مع الميت "مخرج" في الأولى تجدد وحركة (الحي) وما في الثانية من سكون (الميت).

يعد التحليل الصرفي للمفردات يثري الدراسة الأسلوبية، ويكشف عن قيم تعبيرية وفنية وجمالية في اللغة، ولتلك الأهمية عنى بها الدارسون ببعض المسائل الصرفية التي تخدم المعنى مثل تقسيم الكلمة وغير ذلك من المسائل مما يخدم الجملة ويجعلها ذات معنى بحيث لو تغيرت وحداتها الصرفية تغيرت معانيهما.[4] ولذا قال العرب القدامى أن كل زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى وكان وكان هدفهم في ذلك الفهم والإفهام مثل ما نجده عند **الجاحظ**.[5]

ونخلص إلى :

– اعتماد **تمام حسان** على التراث إما بالنقد أو التجديد أو الإستمرار كما عمد إلى الاستعانة في التحليل بالسياق.

---

[1]– ينظر: أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة، فاضل مصطفى الساقي، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1977، ص203.

[2]– الأسلوبية الوظيفية، بداش حفيظة، ص:127.

[3]– آل عمران:27.

[4]– ينظر: دراسات في علم اللغة، كمال بشر، دار المعارف، ط2، مصر، 1971، ص:85-97.

[5]– ينظر: أقسام الكلام العربي، فاضل مصطفى الساقي، ص:207.

– تقسيم **تمام** الجملة هو تقسيم وظيفي لا شكلي إذ لم يحصر الجلة في نمطي الاسمية والفعلية ، وحاول المزج بين المبنى والمعنى.

– ركز **تمام حسان** في تحديده للجملة على العلاقات السياقية وعلى مفهوم التعليق من خلال نظرية **الجرجاني**، الذي يراه هذا الأخير الإطار الضروري لتفسير العلاقات السياقية ، لذا عد فالبيان عنده هو تجاور الكلمات وتعالقها،أما **تمام** فيرى أساس السياق كامن في ترتيب الأبواب.

– ذكر تمام حسان تعدد المعنى الوظيفي للمبنى الواحد وهو تأكيد على أهمية الصرف في الدراسات الأسلوبية ، ورصد كيفية استعماله في القرآن استعمالا فنيا غاية في الدقة والجمال.

– يثري التحليل الصرفي التحليل الأسلوبي ، والكشف عن قيم تعبيرية وفنية وجمالية وبعض المسائل التي تخدم المعنى ، والتي إذا تغيرت تغير المعنى لأن زيادة المبنى تعني زيادة المعنى .

2– قرينة الرتبة في التركيب القرآني:

تعريف الرتبة: لغة واصطلاحاً

جاء في لسان العرب لابن منظور: "رتب الشيء يرتب رتبوا، وترتَّب: ثبت فلم يتحرك، ورتّبه ترتيباً: أثبته، وعيش راتب: ثابت دائم. وأمر راتب أي دارّ ثابت، والرتبة والمرتبة: المنزلة عند الملوك ونحوها، وفي الحديث من مات على مرتبة من هذه المراتب، بعث عليها، يقال: رتبّه ورتب، كقولك درجة ودَرّج، والرّتب: عتب الدَّرج[1].

وجاءت في معجم اللسانيات الحديثة: الرتبة في اللسانيات البنيوية: بنية تتضمن رتبا أو مستويات متتابعة بشكل سلمي إبتداءا من وحدة كبرى: نص مكتوب، وإنتهاء بالوحدات الأولية غير القابلة للتحليل: السمات الدنيا المميزة ، وتمثل كل رتبة طبقة للتحليل بقواعدها الخاصة، ويميز البنيويون بين رتبة الجمل: المستوى الجملي رتبة الصرفيات، المستوى الصرفي ، رتبة الصوتيات وكذا

[1]– لسان العرب، ابن منظور، مادة رتب، مج1، ص: 409.

المستوى الصوتي والأصواتي[1].

أما الرتبة في الإصطلاح فهي وصف لمواقع الكلمات في التركيب[2]. وهي قرينة لفظية وعلاقة بين جزئين من أجزاء السياق يدل موقع كل منهما من الآخر على معناه[4]، وهي كما أشار **تمام حسان** قرينة نحوية ووسيلة أسلوبية، فهي في النحو قرينة على المعنى وفي الأسلوب مؤشر أسلوبي ووسيلة إبداع وتقليب عبارة وإستجلاب معنى أدبي[3].

والرتبة ذات أهمية كبيرة في بناء التركيب النحوي وعليها يتوقف الحكم على التركيب ككل من حيث كونه نحوي أو غير نحوي، وهي ركن أساسي لبيان العلاقة بين عناصر التركيب، ولقد عنى النحاة بدراسة الرتبة ودورها في تحقيق التماسك والإتساق والإنسجام بين عناصر التركيب، إذ أن أي تغيير غير مدروس في الترتيب بين عناصر التركيب من شأنه أن يؤدي إلى خلل بين في هذا التركيب[4].

ولذا تعد الرتبة في النحو قرينة على المعنى إذ أن موقع الكلمة من الكلمة قد يدل على وظيفتها النحوية، أما في الأسلوب فهي وسيلة إبداع فالتعدد في أسلوب التركيب يعمل على التعدد في النمط الواحد للمعنى، فهي إذن وسيلة أسلوبية فنية يعبر فيها المتكلم عن معنى إضافي دون الحاجة إلى إستعمال كلمات جديدة[5].

والرتبة نوعان[6]:

قسم **تمام حسان** الرتبة إلى نوعين محفوظة وغير محفوظة من خلال المخطوطة الآتية:

---

[1]- مفهوم الرتبة عند سيبويه، محمد بوبيض، موقع الأساتذة المبرزين والباحثين في اللغة، 2009، ص: 02. (مقال)

[2]- مبادئ اللسانيات، الدكتور أحمد محمد قدور، دار الفكر، دمشق، سوريا، 1996، ص: .232

[4]- اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، ص: 209.

[3]-ينظر: البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج 1،ص:67.

[4]- اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، ص: 209.

[5]- قرينة الرتبة في اللغة العربية، م.م أمل باقر جبارة، (ملخص على الأنترنت)، 1432- 2011، ص: 05.

[6]- ينظر: البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج1، ص: 69.

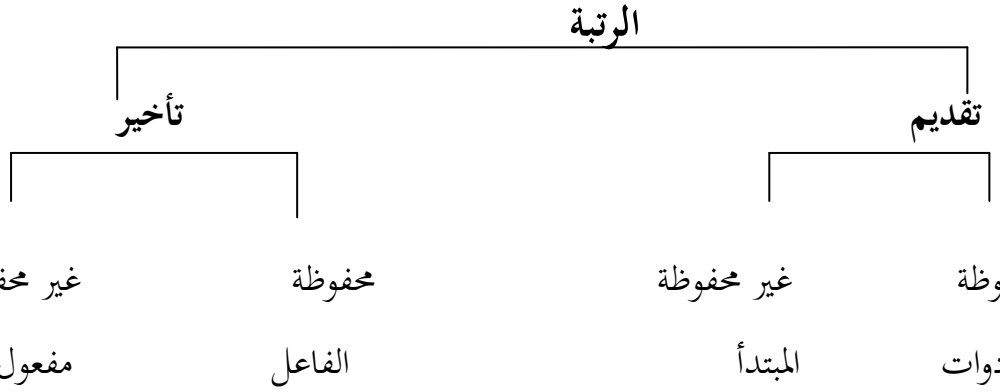

أ)- **الرتبة المحفوظة**: وهي موقع الكلمة الثابت متقدماً أو متأخرا في التركيب، ومنه تقديم الصلة على الموصول، والموصوف على الصفة، وتخص هذه التربة النحو لأن أي إخلال يمسها يجعل التركيب ملبساً. ويظهر دور الرتبة في الجملة برفع اللبس عن المعنى بتحديد موقع الكلمة فيها، إذ تدل على المعنى بوضع وترتيب مخصوص فإن ذلك الوضع والترتيب زالت تلك الدلالة[1].

وإذا كانت الرتبة محفوظة يمنع التقديم والتأخير فقد أجاز النحاة حفظ رتبة الأدوات الداخلة على المفردات كحروف الجر والإستثناء والعطف، وقد أجاز النحاة تقدم الحال المفردة على عاملها المتصرف في حين نجد **تمام حسان** يقف في الطرف الآخر مرة أخرى ليبيّن خطأ النحاة في تصورهم لعدم إجازة تقدم جملة الحال على عاملها مستشهداً بالقرآن الكريم[2] كما في قوله تعالى: ﴿**وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ**﴾[3] وقوله تعالى: ﴿ **وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ**﴾[4]، فإذا كان معنى الحال الملابسة، فإن إحدى طرق التعبير عن الملابسة أن يقال: (بينما يحدث كذا وكذا) وهذا التقدير صالح للآيتين إذا (بينما نوح يصنع الفلك سخر منه قومه كلما مر عليه ملأ منهم) وكذلك: (بينما تجري السفينة بهم في موج كالجبال

[1]- منهج البلغاء وسراج الأدباء، القرطاجني، تح: محمد عبد الحبيب بن خوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط3، 1986، ص: 179.

[2]- ينظر: البيان في روائع القرآن، تمام حسان،ج1، ص: 69.

[3]- هود:38.

[4]- هود: 42.

نادى نوح ابنه)، أما الواو التي قبل "كلما" والتي قبل "نادى" فموضعهما في الجملتين المقدرتين قبل بينما وقد ورد ذلك في الشعر.ومن الرتب المحفوظة رتبة بعض الأدوات التي لها الصدارة في العبارة، ورتبة حروف الجر والمعية والإستثناء والعطف، وإنما حفظت رتبتها لأنها تكشف عن علاقة ما بعدها بالكلمات الأخرى في العبارة فقولنا: توكلنا على الله، وعلى الله توكلنا، نلاحظ أن حرف الجر (على) ظل سابقا لفظ الجلالة سواء تقدم مجموعهما (الجار والمجرور) أم تأخر، وكذلك تأخر رتبة الحال لم يجدوا مسوغاً لتقدم الحال الجملة في قوله تعالى:﴿**وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ**﴾.[1]وقوله تعالى:﴿ **وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ** ﴾[2]. ويذهب أبو حيّان الغرناطي إلى أن جملة (وهي تجري بهم) يجوز أن تكون حالاً من الضمير في بسم الله، أي جريانها بسم الله، وهي تجري بهم، ويجوز أن تكون مستأنفة، و"بهم" حال من الضمير في تجري، أي وهم فيها. إذ يقول الشاعر:[3]

وأطلس عسال وما كان صاحبا دعوى لنري موهنا فأتاني

أي (دعوته وماكان صاحباً) ومع ذلك إذا ارتضينا قول النحاة البصريين إن القليل لا يعتد به.

أما **الرتبة غير المحفوظة:** فهي رتبة لنظام اللغة لا في استعمالها وعدها البلاغيون تحت عنوان "**التقديم والتأخير**" ويكون إما لأسباب فنية لإظهار معنى ما بواسطة التقديم أو لأسباب نفسية، أو لتعود الأدبي على التقديم حتى حين لا يؤدي التقديم غرضا معينا"[4].إذ "**قد تهدر في الاستعمال إذا أمن اللبس أو اقتضى السياق تخلفه ولكنها تحفظ إذا توقف المعنى عليها أو اقتضى السياق الإحتفاظ بها، وتلك هي الرتبة بين المبتدأ والخبر وبين الفاعل والمفعول به وبين المفعول الأول والثاني وبين إسم إنَّ وخبرها واسم كان وخبرها، وبين نعم**

[1]- هود : 38.

[2]- هود : 42.

[3] - ينظر : البيان في روائع القرآن الكريم، تمام حسان،ج1، ص: 69

[4]– ينظر : المصدر نفسه، ص:69

والمخصوص ...."[5] وتقديم جزء من الجملة أو تأخيره إنما يكون عملاً مقصوداً يقتضيه غرض بلاغي، وتكمن الأهمية في قصد المتكلم ومقتضى كلامه (التقديم والتأخير) "**فهو تركيب سياقي وائتلاف دلالي يقصده المتكلم ويعنيه**".[6] ولذا هو من اختصاص البلاغة وعلم المعاني بالتحديد فهي تعتني بأسلوب التركيب لا التركيب نفسه، بمعنى أن التقديم والتأخير لا يتناول ما يسمى بالرتب المحفوظة[1] .

ولا يختلف المفهوم الإصطلاحي عن المعنى اللغوي، فالتقديم والتأخير فن نحوي بلاغي ينتمي إلى علم المعاني، يعني تقديم الألفاظ والجمل بعضها على بعض لتحقيق غاية بلاغية معينة يقصدها المتكلم تختلف بحسب نوعية الألفاظ المقدمة وسياق التعبير ما كانت لتؤدي تلك الغاية لو أنها بقيت على مكانها الذي حكمت به قاعدة الانضباط اللغوي[2].

وحظي التقديم والتأخير بإهتمام النحاة فتناولوا فيه وجوب التقديم والتأخير وتعلقها بقرائن الجملة ورتبها وأثرها في أمن اللبس وإيضاح المعنى.[3]

وتدفعنا فكرة الترتيب إلى القول بأن هناك أصل تعبيري محدد يكون أساسا لما نسميه التقديم والتأخير، والأصل في التعبير أن يتقدم المبتدأ عن الخبر، فإذا قلت (محمد حاضر) جرى ذلك على الترتيب الأصلي للتعبير، فإن قدمت الخبر فقلت (حاضر محمد) كان في الكلام تقديم وتأخير.
وكذلك الأصل أن يتقدم الفعل فالمفعول به، فإن حصل أي تغيير في هذا الترتيب كان من باب التقديم والتأخير، ولا أن يكون ثمة سبب دعا إلى هذا التغيير وهو مرتبط قطعا بتحول في الدلالة[4].

---

[5]- القرائن النحوية، تمام حسان، ص: 50. (بحث)

[6]- قرينة الرتبة في اللغة العربية، أمل باقر جبارة، ص: 08.

[1]- ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، ص: 207

[2]- ينظر: المصدر نفسه، ص.207

[3]- ينظر: البيان في روائع القرآن الكريم، تمام حسان،ج1، ص: .69

[4]- ينظر: الجملة العربية والمعنى، فاضل السمرائي، دار الفكر، عمان، الأردن، ط1، 2007-1428، ص: 256-.257

وقد أشار **تشومسكي** إلى قضية الرتبة في اللغات في نظريته التوليدية التحويلية، واستطاع بذلك تحريك عجلة البحث في التراكيب وتصنيف اللغات بحسب رتب مكوناتها، وسبقه إلى ذلك **سيبويه** الذي جعل الرتبة الأصلية للجملة العربية من نمط فا+ف+مف ، و ما هو ظاهر في قوله: "واعلم أن الاسم أول أحواله الابتداء، وإنما يدخل الناصب والرافع سوى الابتداء، والجار على المبتدأ"[5]

ولم يغفل التوليديون العرب ظاهرة الترتيب في العربية وأولوها عناية بالغة باعتبارها ظاهرة تركيبية تساعد على فهم العديد من الظواهر التركيبية الأخرى[1].

ويوضح **خليل عمايرة** رأي بعض العلماء القدماء في تقديم المفعول على الفعل بقوله "ونتابع رأي العلماء القدماء الذين يرون أن تقديم المفعول به يكون للاختصاص فإن قلت: زيدا ضربت فإنك تعني: ما ضربت إلا زيداً، يقول **الزمخشري** في "إياك نعبد وإياك نستعين" والمعنى نخصك بالعبادة نخصك بطلب المعونة، ويقول **القرطبي**: "... إن قيل لم قدم المفعول على الفعل؟ قيل له: اهتماماً وشأن العرب تقديم الأهم وأيضا لئلا يتقدم العبد والعبادة على المعبود".[2]

والتقديم يتعلق بالمعنى وليس بالناحية الشكلية أو بموسيقى الكلام كما ذهب الدكتور ابراهيم أنيس في بعض تعليقاته على التقديم والتأخير[3]، ولعل **ابراهيم أنيس** حين أصدر حكمه كان اهتمام علماء البلاغة بالتقديم والتأخير كظاهرة لغوية خاصة فيما يتعلق بعلم المعاني إلا أنهم تجنبوا الحديث عن الرتبة المحذوفة لأن إختلالها يؤدي إلى خلل في اللغة بسبب ثباتها وحفظها لترتيبها بينما تحدثوا عن الرتبة غير المحفوظة[4].

---

[5]- الكتاب، سيبويه، ج1، ص: 23.

[1]- في نحو اللغة وتراكيبها، خليل أحمد عمايرة، دار عالم المعرفة، جدة، ط1، 1984، ص:88 .

[2] – ظاهرة التقديم والتأخير في اللغة العربية، فضل الله النور علي، مجلة العلوم والثقافة، جامعة السودان، مجلد 12 (02) للعام 2011، ص: 183

[3] – ينظر : المرجع نفسه، ص: .183

[4]- المرجع نفسه، ص: .186

يقول **تمام حسان** في هذا الصدد: "فإن علم المعاني يعد في هذه الحالات عالة على علم النحو مثال ذلك أن النحاة حددوا الرتبة في الكلام وجعلوها محفوظة وغير محفوظة، وقد ارتضى علماء المعاني هذا التقسيم وتجنبوا الكلام في الرتبة المحفوظة لأنها ليست فطنة إختلاف الأساليب بسبب حفظها، وثبات وضعها، وعمدوا إلى الرتبة غير المحفوظة فمنحوها دراسة أسلوبية مهمة للنحو، ولكن لا تمس الرتبة المحفوظة لأنها محفوظة فلا تختلف فيها الأساليب[5].

وعكس الرتبة له حسن كما في إيراد المفعول لأجله أولاً ثم المفعول به الموصوف بشبه الجملة ثم الفعل وفاعله كما في قوله تعالى: ﴿ **أَئِفْكًا آَلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ** ﴾[1]، والآية تحمل معنى الإستفهام الإنكاري، ولذا فالألفاظ يجب أن تخضع لترتيب حسب الأولوية في استحقاق الإنكار.

أما عند **إبراهيم أنيس** فقد جاءت لرعاية الفاصلة القرآنية وهي شبيهة بالقافية التي تحرص الشاعر على موسيقاها كل الحرص[2].

ويرى **تمام** أن أولى الألفاظ بالإنكار لفظ "إفكاً" لأن الكفر قد يكون ميراثاً عن الآباء، وقد يكون إنحرافا عن الحق متعمدا ألا ينفع معه الدليل على فساده هو الأفك، ثم يلي في الإنكار أن ينصب الإفك على إشراك آلهة مع الله، فإذا كانت الآلهة دون الله لا معه أوغل في الشرك ويضاعف من سوء ذلك كلّه أن يكون ذلك بإرادتهم وإختيارهم، ولو أن سياق الكلام كان على صورة أخرى مثل: "أتريدون آلهة دون الله إفكاً" لأنطفأ كل ما في الكلام من حرارة الإنكار ولبدا الكلام وكأنه سؤال لهم عما يفضلونه من الشرك[3].

ويشير تمام إلى رتب أخرى منها:

---

[5]-ينظر: بحوث لغوية، تمام حسان، ص:86

[1]- الصافات: 86.

[2]-ينظر: أسرار اللغة، إبراهيم أنيس، ص: 316.

[3]- البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج1،ص: 71.

1- **الرتبة الزمنية:** وفي الكلام رتب أخرى عن الرتب النحوية، وهي الرتبة الزمنية إذ تحكم العقل لأحد الأمرين بالتقدم ثم لا يتوقف المعنى على تقديمه في الكلام وإنما يؤمن اللبس على رغم إنعكاس رتبة الأشياء[1]، نحو قوله تعالى: ﴿ **فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ** ﴾[2] فالمعروف من سياق الآيات أن امرأة زكريا كانت عقيما وأن حملها بغلام لا يتم إلا بعد صلاح حالها وإزالة عقمها بإرادة الله، فالمعقول أن يتم إصلاحها أولا ثم يترتب على ذلك أن يأتي الغلام هبة الله من الله لوالده، ولما كان هذا المعنى لا يغيره أو يخفيه عكس ترتيب الأحداث جاءت الآية وهي تقدم ذكر الهبة لأنها هي المظهر الأوضح للإستجابة وليس يساوي ذلك في الحسن أن يقال: "فاستجبنا له فأصلحنا له زوجه ووهبنا له يحي"[3] لأن إدعاءه لم ينصب على إصلاح الزوج.[4]

2- تقديم الحدث الأظهر: ويشترط فيه أمن اللبس في الرتبة غير المحفوظة من ذلك قوله تعالى: ﴿ **وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ** ﴾[5]، فالواضح من سياق الآية الكريمة أن امرأة زكريا –عليه السلام– كانت عقيما، وحملها بغلام لا يتم إلا بعد صلاح حالها وإزالة عقمها يتطلب لطفا ربانياً، فشاءت قدرته أن يهبها، إستجابة لدعاء زكريا –عليه السلام– ومقتضى المعنى يطلب من نظم سياق العبارة المقدسة تعليق الهبة الربانية على أمر إصلاح حالها، لكن السياق القرآني عكس ترتيب الحدث، وقدم الهبة على الإصلاح، وذلك لأنه هو المظهر الأوضح لإستجابة دعاء زكريا –عليه السلام– بأن يهبه الله عز وجل ولداً، فلم ينصب دعاؤه على أمر إصلاح زوجه، لأن الإصلاح من باب تحصيل الحاصل[6]، وقد أغفل النحاة المتاخرون ذلك في ضرورات التقديم لديهم،

---

[1]- المصدر نفسه ، ص:72.

[2]- الأنبياء: 90.

[3]- ينظر: البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج1،ص: 72.

[4]- ينظر : المصدر نفسه، ص: 73.

[5]- الأنبياء: 90.

[6]- البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج1،ص: 72.

ومثله قوله تعالى: ﴿ **ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى** ﴾[1]، أي تدلى ثم دنا، ويتضح من سياق العبارة المقدسة أن الناظم –جل وعلا– عكس الترتيب لأمن اللبس في المعنى، ويبدوا أن التدلي بالنسبة للنجم هو أمر معجز وخارق لما يعقله الناس من تدلي كل شيء معلق في السقف، وأما تدلي النجم بغير علق مرئي يتدلى به فتلك معجزة الله –جلت قدرته– لذلك تقدم ذكره في العبارة على فعل (الدنو)، لأنه أظهر من الدنو، مع أمن اللبس في المعنى[2].

3– التقديم للشهرة والانتشار:

من ذلك نحو قوله تعالى: ﴿ **إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا** ﴾[3]، ونلاحظ ترتيب ذكر الرسل بحسب الرتبة الزمانية حتى وصلت الآية الكريمة على نبينا عيسى عليه السلام –ثم تلا عيسى– عليه السلام– في ورود ذكره، من هو أقدم منه وجوداً فخالف الترتيب الزماني لرتبهم، وذكر الأشهر في الذكر نبينا أيوب –عليه السلام– لما امتدحه القرآن الكريم بوصفه نعم العبد، ثم قدم ذكر نبينا سليمان –عليه السلام– على ذكر نبينا داوود –عليه السلام– ويعلل المحدثون ذلك التقديم، للأشهر منهم، ويبدو لنا أن هذا التصنيف لدى المحدثين يتطابق ورأي المتأخرين في تقديم الأفضل والأهم.[4]

4– تشويش اللف والنشر:

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ**﴾[5]، إذ من من الواضح أن الله جعل الليل لباسا وجعل النهار معاشاً، وقال تعالى: ﴿ **هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ**

[1]– النجم: 08.

[2]–ينظر: البيان في روائع القرآن، تمام حسان،ج1، ص: 72.

[3]– النساء: 163-164.

[4]– البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج1، ص: 72.

[5]– سورة : 23.

اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا ﴾[1]، ومن هنا كان ما في الآية من "منام" خاصا بالليل وما فيها من "ابتغاء" خاصاً بالنهار، وأن ترتيب المعنى إنما يكون على هذه الصورة:﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ** ﴾[5]. ولما كان هذا التوزيع لوظيفتي الليل والنهار توزيعاً حسب العبادة وكان من الممكن أن يخالف العادة فينام بعض الناس بالنهار ويبتغوا من فضل الله بالليل، لم تحرص الآية على الترتيب المعتاد وجاء اللف والنشر مشوشاً دون أن يتأثر وضوح المعنى[6].

5- الترخص: يجب أن يأمن اللبس في الرتبة المحفوظة[1]ومفادها على سبيل المثال لا الحصر، أن جملة الحال حكمها التأخير عن عاملها وعليه جمهور النحاة قد أجاز بعضهم تقدم الحال المفردة على عاملها المتصرف فقط، غير أن شواهد من عبارات القرآن المجيد تجزم بتقدم جملة الحال، كما في قوله تعالى: ﴿ **وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ** ﴾[2] ويرى بعض النحاة أن جملة (وهي تجري بهم)، يجوز أن تكون حالاً من الضمير في بسم الله، أي جريانها بسم الله، وهي تجري بهم[3].

ويجوز أن تكون مستأنفة، و"بهم" حال من الضمير في تجري، أي وهم فيها، بينما يجزم المحدثون بأنها جملة فعلية في محل نصب حال، ومذهبهم فيها من قبيل الترخص في قرينة الرتبة المحفوظة[4]، وجواز ترخيصهم إنما جاء لعدم تقاطعه مع المعنى العام وما يتمخض عنه من دلالة مناداة نبينا نوح –عليه السلام– لابنه (يام).

---

[1]- يونس: 67.

[5] - الروم : 23

[6]- البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج1،ص:73

[1]- اللغة العربية مبناها ومبناها، تمام حسان، ص: 207

[2]- سورة هود، الآية .42

[3]- رتبة التقديم في القرآن الكريم، عبد الجواد عبد الحسن، جامعة أهل البيت، ص:13

[4]- البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج1،ص: 73.

6- التقديم بقصد مراعاة الفاصلة (عدم حفظ الرتبة):

وهو مطلب أسلوبي يقتضي عدم حفظ الرتبة، مع أمن اللبس في المعنى منه قوله تعالى: ﴿ **فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا** ﴾[5]، إذ أن ما يتوقعه السامع للتقسيم والتفضيل عند سماعه (فريقا تقتلون) هو (وفريقا تأسرون) ولكن رعاية الفاصلة آثرت حفظ الرتبة في النهاية بعد أن لم تحفظها في البداية[6].

7 – التقديم بقصد كسر الرتابة: لغرض دفع الملل فقد زعم تمام حسان أن أسلوب النظم في القرآن الكريم يقتضي تقديم اللفظ بغية الخروج من نمط الرتابة والملل ، إلى ذات البنية السياقية المتشابهة[1] من ذلك قوله تعالى:﴿ **يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (26) وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا (27) يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا**﴾[2] والتقديم وقع بين الجملتين الإسمية والفعلية في استهلال الآيات الثلاث من قوله (يريد الله).

وقد أغفل أصحاب هذا التخريج من المحدثين دلالة بناء الجملة الفعلية ودلالة بناء الجملة الإسمية. والتقديم عند البلاغيين في الجملة الفعلية (يريد الله) تقع جوابا لسؤال: ماذا يريد؟ فالسؤال فيها ينصب على الحدث المراد، وهو البينة والهداية، أما الجملة الإسمية (الله يريد) فتقع جوابا لسؤال: من يريد؟ فالسؤال يقع على لفظ الجلالة الذي يشاء لطفه أن يتوب عليهم، ويبدو أن مبدأ الخروج في المعنى لا يتحقق في ما ذهب إليه أصحاب هذا الرأي في الآيتين الكريمتين المذكورتين؛ أما مذهبهم فيمكن تمثيله في ظاهرة تقديم الرتبة[3] في قوله تعالى:﴿ **فَقَلِيلًا مَا يُؤْمِنُونَ**

---

[5]- الأحزاب : 26.

[6]- البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج1،ص: 73.

[1]-ينظر: البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج1،ص: 73

[2]- النساء: 26-28.

[3]- ينظر: رتبة التقديم في القرآن الكريم، م. عبد الجواد عبد الحسن علي، ص: 15-16.

﴾[1] و﴿ **فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا** ﴾[2] ومثله قوله تعالى: ﴿**وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا**﴾[3] و﴿**جِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ**﴾[4]. ويبدو لنا أن المحدثين قد أضافوا شيئا جديدا إلى ضرورات التقديم الذي انفرد في بيان حقيقته البلاغيين والنحاة، لكن يبقى التنبيه ماثلا في فرق دلالة التركيب السياقي في الآيات الكريمة.

8- التقديم بحسب مبدأ القصر والطول:

بمعنى أن الكلمة المفردة أولى بالتقديم من المركب، وجعل المركب أولى بالتقديم من شبه الجملة وجعل شبه الجملة مقدما على الجملة التامة التكوين[5]، نحو قوله تعالى:﴿**وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آَلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ** ﴾[6] فقد جاء بثلاث صفات للرجل أوردها بحسب ترتيب الطول، فقدم الكلمة (مؤمن) لإفرادها، ثم تلاها بالصفة الثانية وتركيبها شبه جملة (آل فرعون)؛ ثم جاءت الصفة الثالثة وتركيبها جملة فعلية (يكتم إيمانه)، ومثله قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ** ﴾[7]، لو أخذنا جملة صلة الموصول لوجدناها جملة فعلها لازم، ثم عطف عليها جملة فعلها لازم وفي حيزه جملة حالية، ثم جملة مركبة؛ ومثله قوله تعالى: ﴿ **وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ** ﴾[8]. فالمبتدأ المؤخر كلمة واحدة وقد عطف عليه جملة، ومثله قوله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ**

---

[1]- البقرة: 88.

[2]- النساء: 46.

[3]- النساء: 41.

[4]- النحل: 89.

[5]- ينظر: البيان في روائع القرآن، تمام حسان،ج1، ص: 79.

[6]- غافر: 28.

[7]- البقرة: 161.

[8]- الأعراف: 24.

الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾[1]، فقد عطف على المفرد (الدم)، ثم عطف مركب إضافي (لحم الخنزير)، ثم عطف عليه اسم الموصول وصلته جملة فعلية، وهكذا في أغلب تراكيب العبارات في القرآن الكريم، ويبدوا أن المحدثين في هذا الرأي من ضرورات التقديم لم يسبقهم إليه أحد من البلاغيين أو النحاة[2].

3- قرينة الربط في التركيب القرآني:

قرينة الربط من حيث اللغة من الجذر (ر ب ط) في لسان العرب:" ربط الشيء يربطه ويربطه ربطا، فهو مربوط وربيط شده"[3].ويدل الربط في المعنى اللغوي على الاتصال الشديد والتلاحم . أما إذا انتقلنا إلى المعنى الاصطلاحي فهو قرينة على اتصال أحد المترابطين بالآخر ، فقد جاء في "**فالربط قرينة لفظية على إتصال أحد المترابطين بالآخر**"[4].

وللعربية طرق كثيرة تلجأ إليها عملية الربط، تتعدد أنواعها وتختلف أشكالها، بين لفظية ومعنوية فهي تلجأ إلى الربط بواسطة لفظية مثلا، حين تخشى اللبس في فهم الإنفصال بين معنيين، أو اللبس في فهم الإرتباط بين معنيين. والواسطة اللفظية إما أن تكون ضميرا بارزا منفصلا أو متصلا وما يجري مجراه من العناصر الإشارية، كالإسم الموصول واسم الإشارة ... وإما أن تكون أداة من أدوات الربط[5].

---

[1]- النحل: 115.

[2]- ينظر: رتبة التقديم في القرآن الكريم، (بحث منشور على الأنترنت)، ص: 17.

[3]- ينظر: لسان العرب، ابن منظور، مادة (ر ب ط)، ص: 302.

[4]- ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، ص: 213.

[5]- ينظر: القرائن العلاقية وأثرها في الإتساق بسورة الأنعام أنموذجاً، دراسة وصفية إحصائية تحليلية، سليمان بوراس، رسالة ماجستير، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، 2008-2009، ص: 117.

وعرف الربط اصطلاحا بأنه ما يحصل من ائتلاف وصلة وإتحاد وتماسك في أجزاء الكلام والجملة سواء أكانت هذه الأجزاء عناصر أساسية في بنائها أم غير أساسية وذلك بوسائل معنوية أو لفظية[1].

ومعنى الربط في الاصطلاح كل يحصل من ائتلاف واتحاد وتماسك سواء بعناصر أساسية أو غير ذلك . والترابط والربط عند جون كوين (john cohen) ملفوظا تتصل عناصره بمحمول بمحمول أو أكثر بينهما ترابط[2].

ولما كانت الوسائل المعنوية للربط-في أغلبها-تتمثل بالعلاقات السياقية أو المعاني النحوية، والوسائل اللفظية تتمثل بالأدوات والضمائر وغيرها، وفرق **تمام حسان** بين النوعين علاقة معنوية أو لفظية ، ولذا عد الربط علاقة سياقية نحوية بين طرفين باستعمال أداة تدل على تلك العلاقة".[3]

والربط عند **تمام** علاقة تقوم بين سابق ولاحق في السياق اللغوي بواسطة إحدى وسائل الربط التي تتحكم بهذه العلاقة، وهي ظاهرة في التراكيب اللغوية تساهم في إدراك علاقات مفردات الجملة وعلاقة الجمل بعضها ببعض[4].

ورصف الكلمات جنبا إلى جنب ليس دليلا على تلاحمها وفقدانها لصفة الربط أو الترابط يجعل ذلك الرصف من الكلمات مجرد ألفاظ وضع بعضها إلى جانب بعض، ولا تؤدي الهدف المرغوب ولا تصل المعنى لأن اللغة تسعى في العموم إلى التواصل إذا فقدت فقد السياق كثيرا من

[1]- أثر القرائن العلاقية في المعنى في تفسير المحيط، أحمد خضير عباسي علي، رسالة دكتوراه، جامعة الكوفة، العراق، 1431-2010م، ص: 220.

[2]- جون كوين، بناء لغة الشعر، ترجمة أحمد درويش، دار المعارف، مصر، 1993، ص: 22

[3]- نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، مصطفى حميدة، الشركة المصرية العالمية للنشر، مصر، ط1، 1997، ص: 195.

[4]- اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، ص: 213.

آليات إنجازه. واللغة تحتاج إلى القرائن للحفاظ على المعنى وتجنب الوقوع في متاهات اللّبس والغموض[1].

وتكمن إفادة علاقة الربط بـ: "**إنعاش الذاكرة لإستعادة مذكور سابق بواسطة إحدى الوسائل اللفظية التي تعين الوصول إلى هذه الغاية**"[2]. وكما تجعل السياق مرتبطا وألفاظه واضحة الوظيفة في السياق.

والربط يضفي سمة التماسك والإئتلاف بين أجزاء التركيب، ويكون وجود الرابط أحيانا حكما على صحة التركيب وخطئه، أو مائزا بين معنيين مختلفين، لذلك يكون وجود الرابط اللفظي عاملا مهما لوضوح العلاقة في الجملة "وعدم اللبس في أداء المقصود منها، وعدم الخلط –كذلك– بين عناصرها"[3]. فالربط يكون حيث يفهم ليس في بعده أو يتوهم فصل بين جملتين فيدفعه.

وقد عّرف الّربط في التراث العربي عند **سيبويه** باسم "**التعليق**"[4]، واستعمل **عبد القاهر الجرجاني** في دلالة (التعليق) ليعبر عن الربط بصورة موسعة فشمل كل العلاقات التي تتواشج بها مع أجزاء الكلام إذ يقول "**أن ليس النظم سوى تعليق الكلمة بعضها ببعض وجعل بعضها بسبب من بعض، والكلم ثلاث، اسم وفعل وحرف، وللتعليق فيما بينهما طرق معلومة، وهو لا يعدو ثلاثة أقسام: تعلق اسم باسم، وتعلق اسم بفعل، وتعلق حرف بهما**"[5]. و**الجرجاني** يستعمل "الربط" عند حديثه عن" إذا الفجائية" في كتابه **شرح الجمل**، قال: "**وهي تجري مجرى الفاء في ربط الجملة بما قبلها وجعلها جزء**"[6]

---

[1]– المصدر نفسه، ص: 213.

[2]– ينظر: أثر القرآن في المعنى في تفسير المحيط، ص: 221.

[3]– البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج1،ص: 127.

[4]– سيبويه، الكتاب 3، ص: 93-94.

[5]– دلائل الإعجاز، عبد القادر الجرجاني، ص: 48.

[6]– شرح الجمل في النحو، عبد القادر الجرجاني، تح: خديجة محمد حسين باكستاني، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، 1407هـ، ص: 161.

وفي قرينة الربط الذي مثل لها **تمام** بمجموعة من الألفاظ لا معنى لها، لكونها غير مرتبة بحسب قواعد الربط في اللغة:(**فحمد في الناس خطيبا عليه وأثنى قال الله زيد ثم قائم**) .قال **تمام حسان** : ((**إذا وضعت هذه المفردات نفسها مرتبة ترتيبا آخر معينا اتضح أنها تدل على معنى وذلك إذا قلت** ((**قام زيد في الناس خطيبا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: وتحققت الإفادة منها، لأن المفردات هنالك قد رتبت بحسب الأصول المرئية في تركيب النمط**)).[1] وبهذا مثل لقرينة الربط وعلاقته في العربية وهو أمر معروف لدى جميع متكلمي اللغة حتى المبتدئين منهم، ذلك أنه من السياق. ثم ذكر علاقات الربط (كالاسناد والتعدية والمصاحبة والإخراج والتفسير والتبعية والملابسة)، قال:((**الأصل في الربط أن يكون باعادة اللفظ لأنها أدعى للتذكير وأقوى ضمانا للوصول إليه**. وقد ساق شواهد كثيرة وقال:"**وقد يعني إعانة اللفظ إعادة المعنى**))، **وهذا مما وصفه بـ: (إعادة الذكر لإنعاش الذاكرة. ومنه التكرار ومثل له بعشرات الشواهد القرآنية، ثم تناول الضمير بأنواعه الكثيرة والمطابقة، والإشارة و (أل) التعريف وحروف المعاني ولاسيما حروف العطف والمعية وغيرها من وسائل الربط بالتفصيل والشواهد الكثيرة**[2].

ويمزج **تمام حسان** بين التحليل الأسلوبي والنحو المعياري، ويكثر من اعتماده على نحو المتأخرين الممزوج بالمنطق العقلي لا اللغوي ولاسيما لدى **أبي البركات الأنباري**.

إن وجود الرابط والربط في التركيب قرينة مهمة توصل إلى بيان سلامة ذلك التركيب وصحة المعنى النحوي، ويكون ذلك عن طريق:

1-**إعادة اللفظ (الربط)**: نحو قوله تعالى:﴿ **الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ**

[1]- ينظر: البيان في روائع القرآن، تمام حسان،ج1، ص: 127.

[2]- المصدر نفسه، ص:128.

الْفَاسِقُونَ (67) وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ ﴾[1].

لاحظ أيضا تكرار (المؤمنات والمؤمنين) بعد طول الشقة بدلا من وعدهم ثم تكرار لفظ الجلالة لتأكيد الربط.

وقد تكون إعادة الذكر لسبب فرعي يضاف إلى الربط كإرادة تأكيد الربط كما في قوله تعالى:﴿ **وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ** ﴾[2].

لاحظ تكرار الكتاب ولفظ الجلالة مع تقارب المسافة وإمكان إستعمال الضمير.

وقد يكون ذلك لأمن اللبس كما في قوله تعالى:﴿ **وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** ﴾[3]. فلو أن ضميرا وضع موضع ثاني لفظي الجلالة لبدأن الجملة حالية ولكان المعنى أن كسبهما النكال ارتبط بحال عزة الله وحكمته تعالى عن تغيير الأحوال.

وقد يكون إعادة الذكر لاختلاف مدلول المذكور الأول عن الثاني كما في قوله تعالى:﴿ **قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾[4].

فالملك الأول معطى والثاني منزوع، والثالث ملكوت الله وكذلك تختلف دلالة من" تشاء" بين ملك متسلط وملك مخلوع وبين عزيز وذليل.

---

[1]- التوبة: 67.

[2]- آل عمران: 78.

[3]- المائدة: 38.

[4]- آل عمران: 26.

2-**الربط بإعادة المعنى**: وقد يعنى عن إعادة اللفظ إعادة المعنى، وذلك يتضح في باب المبتدأ والخبر كما في قوله تعالى: ﴿ **دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾[1].

إن وجود الرابط والربط في التركيب قرينة مهمة توصل إلى بيان سلامة ذلك التركيب وصحة المعنى النحوي والربط عند **تمام حسان** يكون بـ: الأداة والإحالة والتكرار والمطابقة[2].

واللغة تهدف إلى التواصل، وإذا فقدت هذه الصفة، صفة الترابط، فإن سياقها قد فقد كثيرا من آليات إنجازه ، واللغة تحتاج في مثل هذه المواقف إلى علاقات معلومة لتبني بها ذلك التركيب السليم، ومن هذه العلاقات علاقة الربط ووظيفتها إنعاش الذاكرة لاستعادة مذكور سابق بواسطة إحدى الوسائل اللفظية التي تعين على الوصول إلى هذه الغاية" **وما تجعل السياق سياقا مترابطا إنما هو ظواهر في طريقة تركيبه ووصفه، ولولاها لكانت الكلمات المتجاورة غير آخذة بعضها بحجر بعض في علاقات متبادلة تجعل كل كلمة منها واضحة الوظيفة في هذا السياق"**[3].

وثمة نوع من إعادة الذكر لإنعاش الذاكرة وهو ما يعرف بالتكرار[4] أو إعادة صدر الكلام بعد أن حال بينه وبين ما يتعلق به فاصل طويل من الكلام جعله منطقة النسيان أو ضعف العلاقة بما يتبعه من خبر أو فاعل أو جواب، فإذا أعيد صدر الكلام إلى الذاكرة اتضحت العلاقة بما يليه وينتمي إليه. وإعادة اللفظ كما هو خير وسيلة للتذكير بما سبق فهو إذن وسيلة من وسائل الربط،

[1]- يونس: 10.

[2]- ينظر: البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج1،ص:128 -129.

[3]- مناهج البحث في اللغة، تمام حسان، ص: 137.

[4]- ينظر: البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج1،ص: 132.

بل بدا لبعضهم أن يعده الأصل في الربط وإنما يعدل عنه كراهية الرتابة والإملال أو توخيا لمبدأ الإختصار، إلا أنه قد يدعوا داع تركيبي أو أسلوبي إلى تكرار الإسم الموصول إلى الربط[1].

3- ومن تكرار اللفظ ما يسمى بتكرار المطلع وهو وسيلة أسلوبية للتأكيد أو التذكير"[2]. نحو قوله تعالى:﴿**وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ**﴾[3] حينما طال الفاصل بين "لما جاءهم" وجوابها تكررت لتقوية الإرتباط بالجواب.

يعد التكرار مبعث نفسي، وهو من ثم مؤشر أسلوبي يدل على أن هناك معاني تخرج إلى شيء من الإشباع ولا شيء سوى ذلك. [4]

4-وقد يكون التكرار لأمن اللبس نحو قوله تعالى: ﴿ **قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ (29) إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (30) أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ (31) قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ**﴾[5]، فلو لم يتكرر الفعل "قالت" لظن أن عبارة "افتوني في أمري" من كتاب سليمان وأن كلامها هو الذي يأتي على سبيل الإستثناء بعد ذلك يقولها: "ماكنت قاطعة أمرا". وقد يكون التكرار مع غير وقد يكون التكرار لإرادة التوكيد واقعا بإشارة أو ظرف نحو قوله تعالى: ﴿**قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا** ﴾[6].

وينتقل **تمام حسان** ليوضح لنا أنه قد يغنى عن إعادة لذكر الضمائر الثلاثة بأنواعها:

1- ضمائر الأشخاص

---

[1]- مقالات في اللغة والأدب، تمام حسان، ج1، ص: 189-190.

[2]- البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج1، ص:132.

[3]- البقرة: 89.

[4]- ينظر : البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج1،ص:135.

[5]- النمل: 29-32.

[6]- يونس: 58.

2- الضمائر الموصولة

3- ضمائر الإشارة

وهذه الأنواع الثلاثة تشترك في طابع واحد وهو الدلالة ، إما على مطلق حاضر أو مطلق غائب وهذا الإطلاق في المعنى هو الذي جعل المعنى هاما من قبيل ما وضعه النحاة " حقه أن يؤدى بالحرف"،ومن ثم كانت إفادة الضمائر لهذا المعنى شبها معنويا وهو عند النحاة علة بناء الضمائر.

1- الربط بالضمائر الشخصية:

عرف النحاة الضمير بأنه "**ما وضع لمتكلم أو مخاطب، أو غائب تقدم ذكره لفظا أو معنى أو حكماً**"[1].

ويعد الضمير من المعارف في العربية، وقد علل ذلك **سيبويه** بقوله: "**وإنما صار الإضمار معرفة لأنك تضمر إسماً بعدما تعلم أن من يحدث قد عرف من تعني، وأنك تريد شيئا يعلمه**".[2]

وتنقسم الضمائر في العربية إلى ثلاثة أقسام:

1.**الضمائر المنفصلة:** أنا- هو – أنت – أنتِ

2.**الضمائر المتصلة:** الكاف، الهاء، الواو

3.**الضمائر المستترة:** أنت المستتر، أنتِ (المستتر) ، وتنقسم بحسب الظهور على متكلم وغائب.[3]

[1]- شرح الكافية، الرضي، تصحيح وتعليق: يوسف حسن عمر، مؤسسة الصادق، طهران، 1338هـ- 1978م، ج4، ص: 401.

[2]- الكتاب، سيبويه، ج2، ص: 06.

[3]- اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، ص: 108.

وعدّ **الرضي** الضمير من روابط أجزاء الكلم بعضه إلى بعض فقال: "**وإنما إحتاجت إلى الضمير، لأن الجملة في الأصل كلام مستقل، فإذا قصدت جعلها جزء الكلام فلابد من رابطة تربطها بالجزء الآخر، وتلك الرابطة هي الضمير**"[1].

وتعد الضمائر من أبرز أدوات السبك النّصي، لأنها نائبة عن الكلمات والعبارات والجمل المتتالية، وتتعدى وظيفتها أيضاً إلى كونها تربط بين أجزاء النص المقامية أو المقالية القبلية أو البعدية[2]، وقد تكون دلالة الكلام غامضة أحياناً والضمير هو الذي يوضحها ويجمع شتات ما تناثر من عبارات وجمل لتربط بينها، فهي مع غيرها من أدوات السبك تكون نسيجاً نصياً عالياً[3].

ويرى **تمام حسان** أن ما يغني عن ذكر الضمائر، لأن الضمير إذا اتصل أضاف الخفة والإختصار وعنصراً ثالثا الإقتصار، وهي من مطالب الاستعمال اللغوي[4]، واشترط الإضمار الترادف التام في المعنى، أي أن يكون المقصود واحداً إشارة ومعنى أو مسمى ومعنى، فإذا كان المشار إليه واحداً والمعنى مختلف كان الإظهار أفضل والمشار إليه مختلف، وجب الإظهار، فمن الأول قوله تعالى: ﴿ **قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ** ﴾[5]، ففي الآية أختير الإظهار بدلاً من الإضمار، لأن في الإظهار معنى زائداً لا يتحقق بالإضمار، وهو هنا المدح، إذ لو قيل: صدورهم بدلاً من صدور قوم مؤمنين لما فهم من الآية مدحهم.

---

[1]- شرح الكافية، الرضي، ج1، ص: 238.

[2]- علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دراسة تطبيقية على السور المكية، صبحي إبراهيم التقي، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2000، ج1، ص: 138.

[3]- المرجع نفسه، ج1، ص: 162.

[4]-ينظر: البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج1، ص: 138.

[5]- البقرة: 14.

ومن الثاني قوله تعالى: ﴿ **وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا** ﴾[1]، ولا يجوز في الآية الإضمار، لأن المشار إليه بالنفس الأولى، غير المشار إليه بالثانية، وإن كان المعنى واحداً.

وقد تتحقق المطابقة في اللفظ دون المعنى (القصد) نحو قوله تعالى: ﴿ **قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ**﴾[2]، قد حقق تكرار لفظ الملك المطابقة في اللفظ فقط، أما القصد فقد اختلف لأن الملك الأول سلطة معطاة والملك الثاني سلطة غيرها مسلوبة والملك الثالث ملك الله فلا يطابق أحدهما الآخر في القصد وإن تطابقت الألفاظ، ووظيفة الإظهار تتحدد في التفخم والتعظيم لملك الله.

ويتحدد القصد مع وجود معنى إضافي يستحق أن يتضح كإرادة وصف المرجع، وحينها يجب البحث عن وسيلة أخرى قد تكون إشارة إلى المرجع أو موصولاً يعود عليه أو وصفاً متصلاً "بأل" الموصولة أو اسما واصفاً للمرجع[3]، ويكون دليل الربط في كل واحدة منها، وصحة حلول الضمير الرباط دون تغيير المعنى ويزخر القرآن الكريم بشواهد الربط بالإشارة، نحو قوله تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ** ﴾[4]، فيصلح الضمير "هم" أن يحل محل الإشارة "أولئك" دون أن يتغير المعنى.

2- الربط بالموصول:

يكون عند إرادة المرجع بصفة تدل على مدحه أو ذمّه، ودليل صحة الربط بالموصول كذلك أن يصلح لضمير الغيبة أن يعاقبه في موقعه، وهي ما أسماه البلاغيون "**بالإظهار في مواضع الإضمار**"

ومن شواهد ذلك في القرآن الكريم:

---

[1]- البقرة: 48.

[2]- آل عمران: 26.

[3]- البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج1،ص: 139.

[4]- المائدة: 10.

قال تعالى: ﴿ **وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ** ﴾[1]، أي قال الذين، فصلح أن يعوض ضمير موصول بضمير الغيبة "هم".

ويعد الإضمار ضرباً من ضروب المخالفة وهو ما يسمى عند علماء الأسلوبية "الإنزياح" وقد يكون العدول عن الضمير المتصل إلى الضمير الموصول كان لإرادة ذمهم بالكفر، نحو قوله تعالى: ﴿ **وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ** ﴾[2] "أي نقول لهم".

وقد يؤدي عدم المطابقة في اللفظ إلى الربط بلفظ فيه مدح أو ذم ولكنه لا يعد من الصفات المشتقة كلفظ تقوم ومن ذلك: قوله تعالى: ﴿ **إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ** ﴾[3]. بمعنى إن يمسسكم القتل يا أصحاب محمد فقد مسَ القوم من أعدائكم من المشركين القتل لأن اختلاف اللفظ لإسناد ضمير المخاطب ليمسكم وضمير الغائب مسهم وتفاديا لهذا جيء بلفظ القوم.

الربط "بال": و"أل" التي للتعريف تربط إذا كانت "ال" تربط إذا كانت موصولة أو للجنس النسبي أو للعهد الذكري ، ولكنها لا تربط إذا كانت للجنس المطلق أو العهد الحضوري، أو الحضور الذهني لإشارتها في هذه الأنواع الثلاثة(الجنس– العهد – الحضور) لا تشير إلى كيان آخر لإشارتها في هذه الأنواع الثلاثة لا تشير إلى كيان آخر ولا إلى ما سبق ذكره[4].

وتقسيم الجنس إلى مطلق ونسبي، ونسب الربط إلى الجنس النسبي دون المطلق تقسيم غير

[1]– يونس: 15.

[2]– الأنعام: 22.

[3]– آل عمران: 140.

[4]– البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج1،ص: 152.

تقليدي، فإذا دلّ المفهوم النسبي على الجنس صح أن تلحقه اللاّم الرابطة نحو قوله تعالى: ﴿ **وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ** ﴾[1]، أي أرحامكم "أل" هنا رابطة، وإضافة إلى الربط بالضمير يشير **تمام** إلى قضيتين مهمتين[2]:

أ. رتبة الضمير والمرجع.

ب. قوة المرجع وبعده

والمقصود بالمرجع هو المرجع اللغوي داخل النظام نفسه، لأن نحو إرجاع الضمير إلى مصدر متصيد من الفعل غير مذكور في الجملة كقوله تعالى: ﴿**فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ** ﴾[3]، أي فتوبتكم خير لكم، فاستعمل الفعل وأرجع الضمير إلى مصدر فتوبتكم (غير مذكورا) وقوله تعالى: ﴿ **وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ** ﴾[4]، أي فإخفاؤها وإيتاؤها الفقراء خير لكم، ففي كلتا الحالتين نلاحظ عودة الضمير الغائب "هو" على المصدر المتصيد "توبتكم، اختفاؤها، إيتاؤها"، وبالتالي فإن الضمير قد يكون له مرجعا "صريح" او قد يكون له مرجع "متصيد" من الفعل، وقد تدل عليه قرينة السياق العام للكلام نحو قوله تعالى: ﴿ **فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ (15) الْجَوَارِ الْكُنَّسِ (16) وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ (17) وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ (18) إِنَّهُ لَقَوْلُ**(القرآن الكريم) **رَسُولٍ كَرِيمٍ** (جبريل)(**19**) **ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ (20) مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ (21) وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ** (محمد)(**22**) **وَلَقَدْ رَآَهُ** (رأى محمد جبريل) **بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ**(**23**) **وَمَا هُوَ** (محمد)**عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ** (قرآن)(**24**) **وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ (25) فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ (26) إِنْ هُوَ** (أي القرآن) **إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ (27) لِمَنْ**

[1]- النساء: 01.

[2]- البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج1، ص: 152.

[3]- التوبة: 03.

[4]- البقرة: 271.

شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾[1].

فقد تكرر ضمير الغائب في قوله (إنه، رآه، وماهو، إذ هو) دون تقدم مرجع عليه إنما علاقة الترابط نتيجة التركيب داخل السياق فمعنى كلمة ما لا يتحدد إلا بما يجاورها، هو الذي دلتا على المرجع عليه بعد الضمير (وماهو): مجنون وقد لا يظهر مرجعه كما في قوله تعالى: ﴿ **إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا** ﴾[2]، فلا يجد قبله ما يصلح مرجعا للضمير إلا لفظ الضمآن وهي موجودة في الآية ما قبلها وهذا دليل على أن القرآن يفسر بعضه بعضاً.

وهناك عاملان يتحكمان في رتبة الضمير والمرجع (**اللفظ وأصل الرتبة**)[3].

الأصل أن يتقدم المرجع لفظا ورتبة ويتأخر الضمير، نحو قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ** ﴾[4]، فهناك ضمير في "كان" يعود على قوم موسى وفي "أتيناه" على قارون .... فكل المراجع هنا تقدمت لفظا ورتبة على الضمير عكس ما رأيناه في ضمير الشأن، وهل يحتم أن يعود الضمير إلى أقرب مذكور؟

يحيل "**تمام**" الإجابة إلى مبدأ عام يشمل جميع العلاقات النحوية إذا اتضحت ولم يحط بها اللُبس ولذا يمكن للمتكلم أن يمارس في شأنها قدراً من الحرية يباعد به بين طرفي العلاقة كعلاقة (المبتدأ بالخبر– الصفة بالموصوف) فالفصل بين الصفة والموصوف كما في قوله تعالى: ﴿ **قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ**﴾[5]، إذ فصل جواب القسم "لتأتينكم" بين الموصوف (لفظ الجلالة) والصفة (عالم الغيب).

---

[1]– التكوير: 15-28.

[2]– النور : 40.

[3]– البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج1،ص: 156.

[4]– القصص: 76.

[5]– سبأ: 03.

كما يفصل بين الحال وصاحبه كما في قوله تعالى: ﴿ **الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجَاً** ﴾[1] فصل بين صاحب الحال (الكتاب) بحال أطول منها (لم يجعل له عوجاً)، والحال الأخرى المقصودة قيماً.

وهناك حالات يعود فيها الضمير إلى أبعد من هذا، كما في قوله تعالى: ﴿**لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ (7) إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ**﴾[2]. ويكون الربط في القرآن ب:

1- الربط بالأدوات:

تربط الفاء بين المبتدأ والخبر في عدة حالات[3]، والربط بالفاء يحدد معالم الجواب وينقذ الكلام من براثن اللبس، لأن اللبس يتربص بأنماط اللغة فإذا لم يكن المتكلم على وعي بمواقع كلماته فلربما قال مالا يريد أن يقول، أما إذا إحتاط المعنى برصد القرائن هنا وهناك فإنه لا يقع في اللبس.[4] نحو قوله تعالى: ﴿ **قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ** ﴾[5].

وقد يكون الربط بأداة النفي، كما في قوله تعالى: ﴿ **فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ** ﴾[6]، فحرف النفي ينفي كل ما في حيّزه، فلا نفث حل واحد من هذه الثلاث، نفياً يرقى إلى مستوى النهي مما يجعل الأسلوب الخبري هنا خبرياً في الشكل، إنشائياً في المضمون[7].

---

[1]- الكهف: 01

[2]- يوسف: 7-8.

[3]- ينظر: بناء الجملة العربية، محمد حماسة عبد اللطيف، دار غريب، القاهرة، ط2003، ص: 132.

[4]- البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج1، ص: 139.

[5]- المائدة: 04.

[6]- البقرة: 197.

[7]- الأسلوبية الوظيفية، بداش حفيظة، ص: 154.

- **الربط بلام الأمر والمضارع**، نحو قوله تعالى: ﴿ **لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ**﴾[1]، فتربط بين عنصري الإسناد (فعل ينفق، والفاعل ذو وتعدى ربطها هذا إلى ما يعرف باسم جواب الأمر وجوابه مثل: فليعرف كل أمرئ واجبه يحمد".
- **الربط بلا الناهية**، نحو قوله تعالى: ﴿ **وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ** ﴾[2] فلو حذفت "لا" لارتفع المضارعان والأصح استكثاراً حالاً لا جواب.
- **الربط بالشرط**: إذ يربط الشرط بين الشرط وجوابه، كما في قوله تعالى:﴿**وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا** ﴾[3]، فلولا وجود الأداة لتحولت "ما" إلى معنى المصدرية، فإن "لو" ربطت بين عناصر عناصر الجملة.
- **الربط بالقسم**: يربط بين القسم وجوابه، من ذلك قوله تعالى: ﴿ **فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ**﴾[4]، فلو لم تكن أداة قسم لأصبح الضمير أنه عائد على ربّ السموات والأرض، ولكن وجوده ربط بين القسم وجوابه.
- **الربط بأداة التعجب**: كما في قوله تعالى: ﴿ **وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ** ﴾[5].

وللربط بالأدوات الداخلة على الأجوبة وظيفتان أساسيتان:

– الربط أخذ الكلام بعضه ببعض وهذا النقطة اقتبسها **تمام حسان** من التراث النحوي البلاغي مما عرضه الجرجاني في كتبه دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة ، ويقر **تمام** بفضل الرجل في تخريج أطروحاته[6].

---

[1]- الطلاق: 07.

[2]- المدثر: 06.

[3]- الأنعام: 107.

[4]- الذاريات: 23.

[5]- القارعة: 10.

[6]- البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج1، ص: 137.

– **أمن اللّبس:** تجعل الأداة الداخلة على الجواب، قرينة على أن ما بعدها جواباً وليس غير ذلك إذا نظر إلى جملة جواب الشرط، فإن دخول الرابط عليها وهذا يدخل تحت مبدأ المعاقبة إما أن يصلح الجواب أن يحمل محل الشرط فلا حاجة له إلى رابط يتضح به أنه الجواب، نحو قوله تعالى: ﴿ **إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ** ﴾[1]، فيمكن للجواب أن يكون شرطاً، كما في قوله تعالى: ﴿ **إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ** ﴾[2]، وجواب الشرط في الآية الثانية فهو جملة إسمية منسوخة بـ: "لا" النافية للجنس، فلا تصلح لمعاقبة الشرط لذا وجب الربط "الفاء" وبحذفها يتغير معنى الجملة والتقدير، إن ينصركم الله فلا غالب لكم لتصبح –لا غالب لكم– حالاً، ويعلق تمام بقوله "إن الطرد علة من علل النحو، يكفي أن يرد اللبس على بعض الحالات للقول، بطرد إتصال الرابط بالجواب، إذ لم يصلح لمعاقبة الشرط، فهذه القاعدة إن صح التعبير هي عكس ما قال به النحاة القدماء (البصرة وعلى رأسهم سيبويه) إذ الشاذ يحفظ ولا يقاس عليه، وتمام يصرح بتحكيم الإستعمال وإن قل على القاعدة[3]، وهنا يظهر المنهج الوصفي الذي يدرس ماهو كائن وموجود، ووظيفي لاهتمامه بمستوى الإستعمال (التداول) وهذه المفارقة بين القاعدة والإستعمال كما هو الحال عند اللسانيين العرب المحدثين[4].

وينتقل **تمام حسان** إلى الحروف الداخلة على المفردات إذ لكل واحدة منها إتجاه خاص في الربط بين مدخوله وعناصر الجملة الأخرى.

2–الربط بحروف الجر:

وتختص حروف الجر بالدخول على الأسماء فقط فتجرها، وحرف الجر مع المجرور به يتعلق بالفعل وما يُشتق منه وما هو بمعناه ويتم معناه ، وهذه الحروف الجارة التي لها اختصاص الدخول على

[1]– محمد: 07.

[2]– آل عمران: 160.

[3]– البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج1، ص: 137–138.

[4]– المرجع نفسه، ص: 135–137.

الأسماء، ولها رتبة التقدم على المعمول أيضا وتعد رابطة بين المجرور والمتعلق فتجعل الأول من تتمة معنى الثاني على أحد المعاني المذكورة في باب حروف الجرّ، ومعنى أدائه وظيفة الربط بين العنصرين المذكورين أنه إذا تعددت المشتقات في الجملة فأولاها بتعليق الجار والمجرور ما استقام معه المعنى أو دلت عليه القرينة[1]، نحو قوله تعالى: ﴿ **لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ** ﴾[2]، إذ علقنا الجار والمجرور "من أمر الله" بنعت مقدر للمعقبات فجعلنا المعقبات من أمر الله ومنعنا التعليق بالفعل "يحفظونه" وهو أقرب شيئا إلى المجرور لأنه لا يمكن لشيء أن يحفظ غيره من أمر الله، ومثله قوله تعالى: ﴿ **وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا** ﴾[3] والمعنى ظن أهلها أنهم مسيطرون عليها ما يكون لأمرها فهذا التركيب المثبت يأتي عند النفي.

3- حروف العطف:

وهي حروف تعطف ما قبلها على ما بعدها، وهي الواو والفاء، ثم واو، حتى الواو المتصلة وبل ولكن، وكلها تقتضي إشراك ما بعدها لما قبلها في الحكم غير الثلاثة الخيرة، ويشترط للربط بالواو وجود جامع بين الجملتين، يعني وجود جهة مانعة تصل الجملة الثانية بالأولى.

وتربط حروف العطف بين المتعاطفين من جهة التشريك أو الترتيب والتعقيب أو التراخي أو الإضراب أو الإستدراك أو التسوية، (بعض هذه المعاني ربط بالإيجاب وبعضها ربط بالسلب)[4].

ويتضح معنى أدائها لوظيفة الربط من خلال تعداد إحتمالات العطف، لكن القرينة تحكم بأحقية واحد منها دون غيره، كما في قوله تعالى: ﴿ **انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ**﴾[5]، يصلح

---

[1]- البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج1، ص: 139-140.

[2]- الرعد: 11.

[3]- يونس: 24.

[4]- البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج1، ص: 140.

[5]- الأنعام: 99.

ولا يقال ذلك للشجر، فالعطف على الثمر والوار ربطت بين الثمر والينع.[1]

وهناك معنى من معاني العطف حرف يختص بالدلالة عليه، لكنه لا يحول بين الحروف الأخرى وبين الدلالة على هذا المعنى بواسطة النقل، فقد تدل "إلا" على إستدراك نحو قوله تعالى: ﴿ **طه (1) مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى (2) إِلَّا تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَى** ﴾[2]، أي (لكن تذكرة) إذ لا وجه للإستثناء وكدلالة "أو" على التسوية نحو قوله تعالى: ﴿ **اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ** ﴾[3]، وكدلالة أم على الإضراب في قوله تعالى: ﴿ **أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آَمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ**﴾[4] أي ظنكم ستدخلون الجنة قبل أن تمروا بتجارب الجهاد كما مرّ الذين من قبلكم من أتباع الرسل فلقد مستهم البأساء والضراء من قبل وزلزلوا .... الخ.

4-الربط بالاستثناء: إذ تربط بين المستثنى والمستثنى منه على سبيل الإخراج نحو لم يحضر إلا خالداً إذا ربطت بين المستثنى "خالداً" والمستثنى منه "الحاضرون".

5-الربط بالظرف: يربط بين ما أضيف إليه، وبين متعلقه سواء أكان فرداً أم جملة كما في قوله تعالى: ﴿ **فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ** ﴾[5]، إذ ربطت عند بيت المشعر ومعنى الحدث في "اذكروا" فجعلت الذكر في جوار "المشعر"[6].

6-الربط بالمطابقة: وكانت للربط بجامع الاشتراك بين العنصرين في محور واحد من محاورها، وهذا الاشتراك نوع من التصنيف يحمل في طيه دعوى ضمنية بإنتماء كليهما إلى صنف

---

[1]- البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج1،ص: 141.

[2]- طه: 01-02.

[3]- التوبة: 80.

[4]- البقرة: 214.

[5]- البقرة: 198.

[6]- البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج1،ص: 140.

واحدِ وإرتباط أحدهما بالآخر، ويظهر هذا من خلال إسناد الضمير إلى الأفعال وتصريفها، وإلى الأسماء، فبالرغم من أن دلالة الضمير ثابتة لكن في الإسم الظاهر مرونة بسبب ما يلحق به من هذه العلامات وفائدة هذه المرونة مرونة النظام اللغوي لحرية الإختيار والوصول إلى المطابقة التي تعد وسيلة من وسائل الربط[1].

وحيّز المطابقة هو الصيغ الصرفية والضمائر، فلا مطابقة في الأدوات ولا في الظروف إلا في النواسخ المنقولة عن الفعلية، فإن علاقتها السياقية تعتمد على قرينة المطابقة، أما الخوالف فلا مطابقة فيها، وتكون المطابقة في العلاقة الإعرابية، الشخص، العدد، والنوع والتعيين[2].

ومن محاور المطابقة ما يكون نتيجة للمعنى المعجمي كلمة "عصبة" فهو يثني ويجمع، لكن معناها المفرد يدل على جماعة، لذا أجاز الإخبار به عن ضمير المتكلمين نحو قوله تعالى: ﴿ **إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ**﴾[3]، وهذا يدل على أن المطابقة والربط لا تعبر عنها الضمائر والعلامات اللاحقة بالكلمات فقط[4].

وتبين الخطاطة الآتية قرينة الربط عند تمام حسان :

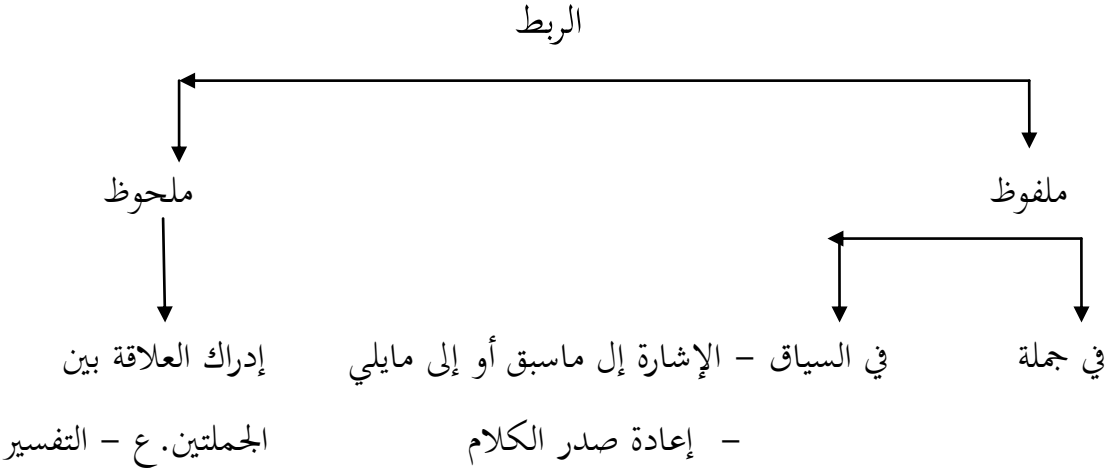

[1]– الأسلوبية الوظيفية، بداش حفيظة، ص: 156.

[2]– اللغة العربية معناها ومبناها ، تمام حسان، ج1، ص: 211-212.

[3]– سورة يوسف، الآية 08.

[4]– البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج1، ص: 144-145.

4- قرينة التّضام في التركيب القرآني : المصاحبة المعجمية .

لا يخفى على القارئ أنّ التركيب اللّغوي مكوّن من مفردات أو عناصر رصفت وسكبت فيه مع بعضها ليؤدي التركيب بها دوره فيما يراد من اللّغة، وبات معروفًا أن هذا السبك وذاك الرصد لا يكون عشوائيًا ولا هو من قبيل الصدفة إنّما تحكمه مباديء وقواعد ينحوها المتكلّم لتحقق الإفادة من الكلام. ومن بين ما يحكم مفردات التركيب ويكون به سبكها ورصفها ذا غاية فيجعل بعضها سبب بعض وما لا حظناه من ربط لفظي في قرينة الرّبط، وما يكون بينهما من علاقات سياقية، ومن بين ذلك ما يكون بينها من **تضام**.

التضام لغة: والتضام في اللّغة مأخوذ من مادة ضمم "ضمّ الشيء إلى الشيء وتضام القوم إذا انضمَّ بعضهم إلى بعض."[1] وجاء في القاموس المحيط "الضمّ: ضمك الشيء إلى الشيء، وقبل قيض الشيء إلى الشيء، وضمّه إليه يضمّه ضمانًا نضمم وتضام ".[2]

التضام اصطلاحا: وفي الاصطلاح يقترب من هذا المعنى فقد عرضه فاضل الساقي: أن تستدعي الكلمة كلّمة أخرى في السيّاق أو الإستعمال، أو هو إيراد كلمتين أو كثر لخلف معنى أعمَّ من معنى."[3]

أمّا التّضام عند **حسان** فإنه " **يستلزم أحد العنصرين التحليلين عنصرًا أخر أو يتنافى معه فلا يلتقي به**".[4] وعرفه في موضع آخر أيضًا " **أن تستدعى أحدى الكلّمتين الكلّمة الأخرى أو تنفيها** ".[5]

والتضام قرينة من القرائن اللّفظية التركيبية التي من خلالها، يمكن تلمس العلاقات الرابطة بين

---

[1]- لسان العرب ابن منظور، مادة ضمم، مج12، ص:357-358

[2]- القاموس المحيط، الفيروزآبادي، ج4، ص، دار الكتاب العربي(د.ط) ،(د.ت)، ص:142

[3]- أقسام الكلام العربي، فاضل الساقي من حيث الشكل والوظيفة، مكتبة الخانجي، القاهرة،(د ط)، 1977، ص196

[4]- اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، ص:217

[5]- المصدر نفسه، ص49

الألفاظ أو بين التراكيب ومن خلالها نتعرف على العديد من القرارات الكامنة في الحروف أو في الأسماء أو الأفعال، ومن خلالها أيضًا نتبين التنافر الذي يمكن أن يكون بين لفظين في اللغة، أو نتبيّن التبادل الذي يحصل بين عنصرين لغويين، أو نتبين الاستغناء حين نستغنى عن عنصر لغوي عن صفة معينة. كما نتبيّن التقارض حين يقترض العنصر اللّغوي معنى من عنصر لغوي، أو نتحسن النيابة التي توجد بين لفظين، وكل هذه النقطة التي ذكرت توحي إلينا بحقيقة هامة في هذه اللّغة المسبوكة المتقنة في التركيب هي أنّها كغيرها من اللغات، بل تتميز عن كثير من غيرها في صفة التضام هذه.[1]

وإذا كان التضام هو أن تطلب إحدى الكلمتين الأخرى في الإستعمال على صورة تجعل أحدهما يستدعي الأخرى. ولذا فلا يكاد يخلو باب من أبواب النّحو العربي من ظاهرة التضام،[2] فأما في صورتها الايجابية كالا ختصاص والتوارد وإمّا في صورتها السلبية كالتنافي أو التنافر، والإفتقار والاختصاص والتنافي من ظواهر إستعمال العناصر التركيبية وفي حين التوارد والتنافر من ظواهر إستعمال الكلّمات المعجمية.

لقد قال النحاة العرب وصدقوا القول: "**لاجديد تحت الشمس**" لقد تعددت المناهج الحديثة في دراسة اللغة وكلّ مذهب فرح بما أتى، فلقد برز المنهج البنيوي مفتخرًا بما لم يأت به الأوائل وجاء وابه كحل غير مسبوق لتفسير كلّ انظمة اللّغة، ثم جاء التوليديون وبنوا نظريتهم على انتقاد النظرية البنيوية الأمريكية وإغراقها في تجاهلها المعنى وتوجيه العناية كلّها للمبنى، ووضع هؤلاء مذهبًا لأنفسهم يفرق بين بنية عميقة لا تصلح أن توضع في كلّمات لأنها فكرية منطقية خالصة وبنية أخرى سطحية هي واحدة من إمكانيات التعبير عن البنية العميقة بعناصر لغوية[3]. وفيما

[1]- القرائن العلائقية وأثرها في الاتساق، سليمان بوراس، ص:34

[2]- الدلالة السياقية عند اللغويين، عواطف كنوش، دار السياب، لندن، ط1، 2007، ص:66.

[3]- البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج1، ص:83.

يضع **تمام** هذه الخطاطة ليوضح الفرق بين المحور الراسي diachronic أو محور التقليب والمحور الأفقي Synchronic أو محور التركيب ويرسمها متقاطعين على النحو التالي[1]:

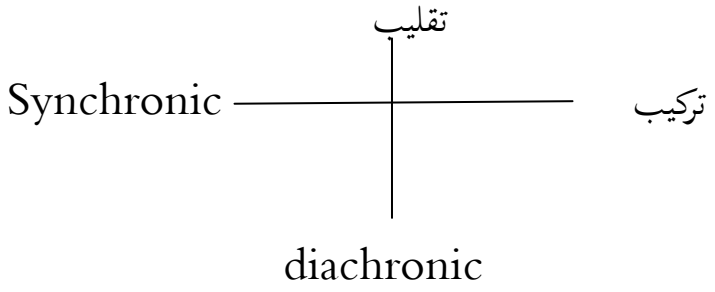

والمقصود بهذين المحورين أن العلاقات في داخل نظام اللغة لها أهميتها الخاصة، ولو طبقّ هذا على العلاقة التركيبية لوجدناها تحكم الترابط بين مفردات الجملة وعناصر النّص. وأنّ العلاقة التركيبية تكشف عن لبتنوع في داخل المرصوقة أو الجدول. ولكن طبيعة العلاقتين أعقد بكثير منما هذا التبسيط الذي يكاد يكون مخلاً. واشهر ما طبق البنيويون عليه لإيضاح هاتين العلاقتين هو أصول الأصوات (الفونيمات) Phonemes وفروعها. والألوفات allaphanes[2]. والمعروف أن أصول الأصوات وحدات صوتية معقولة وأن فروعها عمليات حركية منطوقة. فالعلاقات التركيبية Rapportd syntagmatiques اي التعالق السياقي بين الوحدات الصرفية (الكلّمات) على المحور الأفقي؛ أي تتابع تلك الكلّمات على مدرج الكلام، أو خطية تلك الكلمات على مستوى النمط التركيبي، والعلاقات الترابطية Rapports paradigmatiques أو الاستبدالية، وهي العلاقات الناتجة عن انتماء الوحدات الصرفية أو الكلّمات إلى صنف واحد، يمكن أن تستبدل فيه بوحدات أخرى في نفس الموضع." [3]

وفي اللغة العربية للنون أصل واحد نعتد به ونكتبه بصورة واحدة، كما لو كنّا ننطقه بطريقة واحدة، ولكنك إذا راقبت نفسك وأنت تنطق كلّمات مثل: ينفع- ينظر- من رأى- من لام-

[1]- البيان في روائع القرآن، تمام حسان ،ج1، ص83

[2]- ينظر: المصدر نفسه، ص:83-84

[3]- ينظر: المصدر نفسه، ص:84

ينشأ- ينصح- ينجح- ينكر- ينقل-فسوف ترى أن نطق النون في كلّ كلّمة من هذه يختلف عن نطقها في كلٍّ كلّمة أخرى. ويتضح ذلك في إختلاف مخرج النون في كلّ كلّمة عنه في غيرها وهذه النونات جميعًا تعد فروعًا للوحدة الصوتية المعقولة التي نسميها النون وبعدها واحدة من ثمانية وعشرين حرفًا. والمعروف إذا استبد لنا شيئًا بشيء على سبيل المعاقبة، فالعلاقة بين الشيئين علاقة تقليبية لا تركيبية لقد فرق البنيويون بين الأصل والفرع. [1]

فمن خلال المخطط الذي ساقه **تمام** فإن كلاّ من المعاقبة والتضاد والتكامل فروع على العلاقة التقليبية وجميع ذلك يقف بإزاء التتابع الذي هو مظهر العلاقة التركيبية. وجعل مجالات المعاقبة والتضاد والتكامل في النحو العربي على النحو التالي:

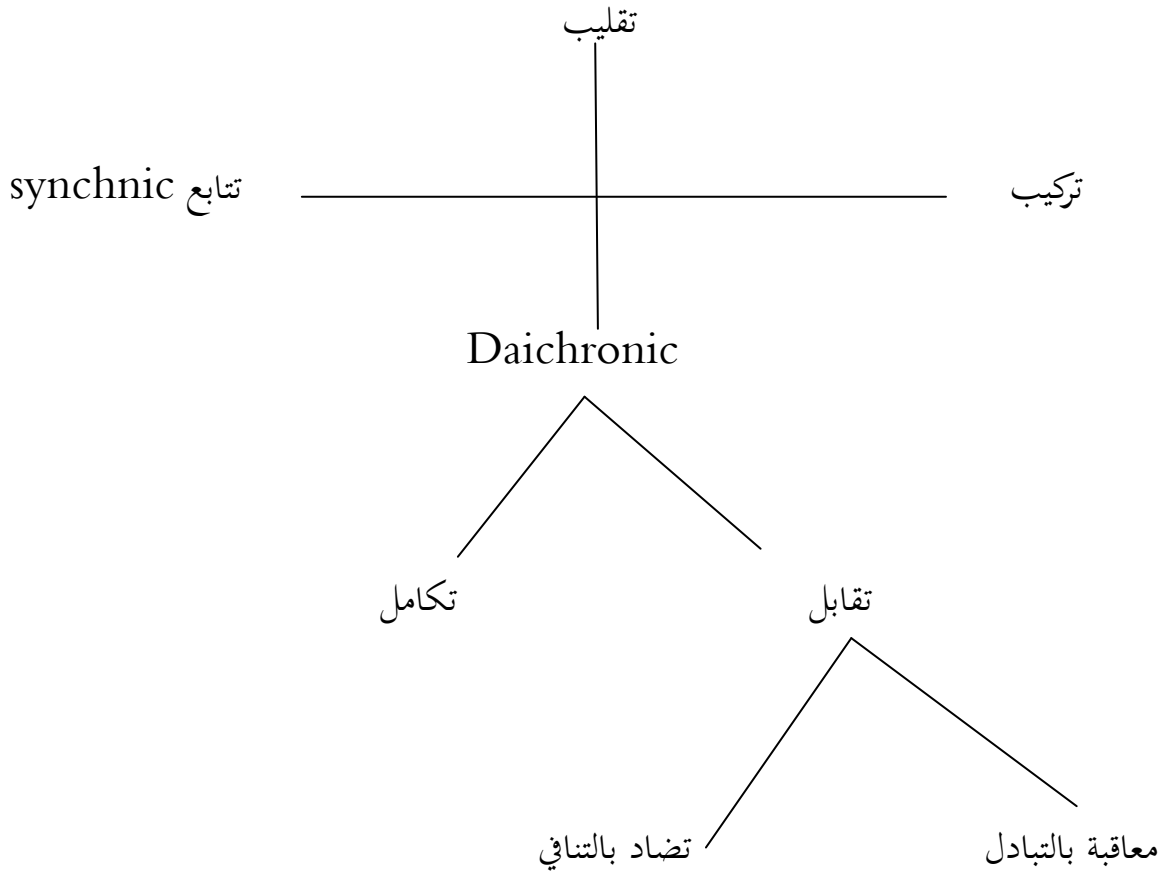

[1]- البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج1،ص:84

مجالات المعاقبة و التكامل و التتابع في النحو العربي:

1- المعاقبة: وهي فرع من فروع العلاقة التقليبية وتعني التبادل، وصلاحية العنصرين اللغوين أن يحل أحدهما محل الآخر. "**هي صلاحية عنصر لغوي أن يحل محل عنصر لغوي آخر، سواء أكان أحد العنصرين أوكلاهما مفردًا أو جملة، فإذا حل محلّه أخذ حكمه.**"[1]

كحروف الجر التي ينوب بعضها عن بعض، يكون معنى ذلك أنّ بعضها يعاقب بعضًا، أي يقع موقعه، ويؤدي وظيفته، هذا هو معنى المعاقبة، وهو ما نلحظه من مفهومات مثل: الإغناء، ومعاقبة الوصف للفعل، ومعاقبة الجملة ذات المحل للمفرد"[2]. إذا أن هناك بعض الإختلافات في الكلام الذي يستعملها "الباء" تختلف عن التي يستعملها بـ"في" أو قد تخص الحرف باستعمال معيّن أو دلالة معينة مما استعملته اللّغة، وهذا واضح في الإستعمال القرآني، كما يخص اللّفظ باستعمال معين "فالعيون" لفظ خص بالعيون الجارية "الأعين" خصها بمعنى. الباصرة، وهذا الإستعمال الفني هو الذي يدفع اللّغة إلى الأمام فيجعلها أكثر نماء وغناء ودقة وتخصصًا لا الإستعمال العادي. [3]

والمعاقبة كظاهرة لغوية عامّة تدخل في كلّ مستويات اللّغة، وأن هدفها الأساس هو طلب الخفة.

والتضام هو أن يستلزم احد العنصرين النحويين عنصرًا آخر، فيكون التّضام على هيئة (التلازم)، وعكسه ان يتنافى معه فلا يلتقي به، ويكون حينئذٍ على هيئة (التنافي).[4] ومن أمثلة(التلازم): الموصول وصلته، وحرف الجر ومجروره، وواو الحال وجملة الحال، وغير ذلك، أمّا بالنسبة للتنّافي، فإنّه يعد قرينة سلبية على المعنى تمكن بواسطتها أن نستبعد من المعنى أحد

[1]- الخلاصة النحوية، تمام حسان، ص32، البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج1،ص:87

[2]- ينظر: البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ص:89

[3]- الأسلوبية الوظيفية، بداش حفيظة، ص:162

[4] - اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، ص:216

المتنافيين عند وجود الآخر، فإذا وجدنا التنوين، استبعدنا الإضافة، وإذا وجدنا كلاً وكلتا استبعدنا فيما أضيف إليها أن يكون مفردًا أو جميعًا أو نكرة... بل هو مثنى نحو قوله تعالى: ﴿**كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا**﴾[1]، والتضام والتلازم، نحو؛ محمد بذهب إلى المدرسة، فكلّمة " يذهب" يقترن بحرف "إن" وليس "من" أو "في". وأمّا في مثل الضميمة الخدفية: زيدًا ضربته، وهو في ضوء التضام غير مطلوب للضميمة المذكورة. وكذلك وجوب فعل أدعو قبل (يا) النداء في مثل: زيد المعنى لا يستقيم بارادة الفعل "أدعو" فهو قائم بالاستدلال الوجودي بين ضميمة الأداة والمنادى.[2]

2- التوارد المعجمي:

فلما كانت قرينة التّضام تكشف لنا في المجال التركيب عمّا يلازم الكلّمة وما تفتقر إليه في التركيب أو ما يتنافى معها أو يختص بها ضمن المظاهر الثلاثة لهذه القرينة، التّلازم والتنافي والإختصاص، فإنّ لقرينة التضام مظهرًا رابعًا يبرزه الجانب المعجمي ويجسده التوارد.[3]

3- التضاد: والمقصود به التنافي وهو علاقة عنادية بين مفهومين إذا تحقق احدهما إمتنع الآخر. ويتضح في التقسيمات الثنائية كالخبر والانشاء والجملة الاسمية والجملة الفعلية والعلاقة الإعرابية والمحل الإعرابي وكالاعمال والإجمال والفضلة والجمود والإشتقاق والتمام والنقص والخفة والثقل والراجع والمرجوع وكالأولى وغير الأولى وكالإفادة والإحالة وليس وأمنه... إلخ. وكل عنصر في هذه الأزواج إذا تحقق ارتفع قارنية والعلاقة بينهما من قبيل التقليب لا التركيب.[4]

4- التكامل: والمقصود بالتكامل ان يتكون من مجموع الوحدات المتكاملة مجموعة يتمثل بها نظام فرعي من أنظمة اللّغة. ويكون التكامل بين أفراد كلّ مجموعة من المباني كمشتقات المادة

---

[1]- الكهف: 33

[2]- اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، ص:217

[3]- أثر القرائن في توجيه المعنى تفسير البحر المحيط أنموذجًا،أحمد خضير عباس ، رسالة دكتوراه،الكوفة ، العراق ، 2010 ص292

[4]- ينظر : البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ص: 84

ومفردات جدول الإسناد ومفردات جدول التصريف والضمائر ومبنيات الظروف ومجموعات الحروف والقرائن اللفظية والنظم الفرعية التي يتكون منها النظام الأكبر للّغة، وكل التقسيمات ومحاور المطابقات وحقول المعجم... إلخ. وكلّ ذلك تتكامل مفرداته ولا تتابع فالعلاقة من قبيل التقليب لا التركيب. [1]

وسمّى البعض قرينة التضام بـ"**قرينة الإستدعاء الوظيفي**"[2]. ولأنّ التّضام يشمل ذاك ويشمل أيضًا ما هو عكسه عرّفه **تمام حسان** بأنّه: "أن يستلزم أحد العنصرين التحليلين النذحويين عنصرًا آخر أو يتنافى معه فلا يلتقي به، وسمّى التضام الأول بالتّلازم والتضام الثاني بالتنافي[3]. ويشمل التضام جانبين هما:

الأوّل: عبر التضام عن جهتي التضام بـ(العنصر العنصر) بخلاف سابقيه الذين عبروا عنها بالكلّمة، والعنصر يشمل الكلمة وغيرها كأن أن يكون أحد المتلازمين جملة كالتلازم بين جملتي القسم وجواب الشرط.

الثاني: انّه ضمّ "التّنافي"[4] الذي يمثل جانبًا من جوانب قرينة التضام إذ هو سلب التضام.

إن حالة الاستدعاء بين أكثر من جهة في التركيب الكلامي تمثل علاقة ترابط بين تلك الجهات، ويحصل بها قدر كبير من التآلف بين عناصر التركيب، ومن هنا قيل" ، إن حالة التضام "togetherness " التي تعني أنّ الأشياء المتلائمة معًا ينبغي أن تكون معًا، تفوق كلذ قواعد بناء الجملة "syntax "الأخرى، إذ تكون الألفاظ متألفة بطريق قربها زمانًا أو مكانًا: فتحقق حالة القرب في الزمان إذا كانت الرسالة شفهية وتحقق حالة القرب إذا كانت الرسالة مكتوبة. [5]

---

[1]- ينظر : البيان في روائع القرآن، تمام حسان،ج1، ص:88

[2]- أثر القرائن في المعنى في تفسير المحيط، ص: 244

[3]- اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، ص:217

[4]- ينظر : البيان في روائع القرآن، تمام حسان،ج1، ص:90

[5]- أثر القرائن في المعنى تفسير المحيط، ص244 -245

5- التتابع: ويفهم من خلال العلاقات التي تقوم على السطر بين عناصر أنماط الجمل والمركبات، وبين التابع والمتبوع والضّمير ومرجعه، والرتبة والفصل والوصل والإفتقار...، فالعلاقة تقوم بين كلّ هذه المواقع، إنّما تقوم بين عنصرين من عناصر النّص أفقيًا ولا رأسيًا.[1] ويلاحظ أنّ تمام استخدم مصطلح النّص مثلما هو الحال عند النحاة القدماء وذلك من منطلق أنّ البحث في النظام الافتراضي يتجه إلى التحليل، أمّا الإتجاه في دراسة الإستعمال فيكون إلى التركيب- فكلا الاتجاهين لا يلغي الدراسات الخليلية. والعكس صحيح.

وفي تراثنا العربي ما يشير إلى ضرورة الجمع بين المنهجين "**القرآن يفسر بعضه البعض والسنة تفسر ما في القرآن**".

كما أن الدراسات البلاغية تحاول الاعتداد بالتركيب رغم هذا إلاّ أنّ **تمام** ينقد كعادته بعد التأصيل للتراث، إذ يحاول تقديم منهج ورؤية جديدة، فالمنهج التراثي من حيث تناولهم النصوص فلم يكن ينظر لجمل النّص لإلتماس فهمه بوصفه وحدة عضوية؛ بل كان الشراح يبنرن شروحهم على مفردات، ويغوص في الدلالة المفردة لهذا اللّفظ على ندرة الانتباه إلى العضوية بين أجزاء النّص.[2] ويقول **تمام**: "**حتى أن المفسرين للقرآن كانوا يفسرون على هذا المنهج**".[3]

فالنّص على هذا نظام قائم أن يجمع من الوظائف التي توجد من خلال عمليات قوامها الحكم والإنتقاء من بين عناصر النظام الافتراضي، إذ تبقى معرفة الإمكانات المتاحة بالإضافة إلى العلم بأولوية الإختيار بين الإمكانات ومعرفة أيّها أصلح للاستعمال.[4]

ولذا كرست اللّسانيات الحديثة جهودها منذ **سوسير** لدراسته النظم الإفتراضية، ومعرفتها لا تكفي لمنح الثاني قدرة على الإتصال بطريقة لا هي مباشرة ولا كافية. وينبغي للنّاس معرفة

[1]- البيان في روائع القرآن ، تمام حسان ، ج1، ص :88

[2]- الأسلوبية الوظيفية، بداش حفيظة، ص162-163

[3]- النص والخطاب والإجراء، دي بوجراند، تر: تمام حسان، عالم الكتب القاهرة ، ط 1998، ص98.

[4]- الأسلوبية الوظيفية، بداش حفيظة، ص163

الإمكانات المتاحة إلى جانب عملهم لمعرفة الإحتمالات الأولى بالإختيار والأصلح للإستعمال في موقف بعينه ولغرض بذاته.[1] وإذا انتقلنا لعناصر التوليدية فيكفي أن نبدأ من دعوة النحاة إلى أن اللغة سليقة.[2]وأنه في بعض حالات الحذف لا يقدر المحذوف فيها إلاّ في ضوء فهم معين أقرب ما يكون إلى البنية العميقة نحو قوله تعالى: ﴿ **وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ**﴾[3] ليس معناها الحقيقي نهيًا عن الموت إنّما هو أمر بالتمسك بالإسلام حتى الموت وكون البنية نهيًا لا يطغى في أنّ معناها الأمر. وهذا يعني أن البنى السطحية لا يفهم معناها إلاّ بعد تأمل وعمق نظر، وفهم البنى العميقة لها. كذا قولهم "إن مفعولي أعطى ليس أصلها المبتدأ أو الخبر وأوّل هذين المفعولين هو الأخذ ولو كانت رتبة التأخير وثانيهما هو المأخوذ، ولم تقوم نحو قوله تعالى: ﴿ **يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ**﴾[4].

وقولهم إنّ التمييز قد يحوّل الفاعل أو عن المفعول... إلخ مما يقترب كثيرصا من أفكار النّحويين. والعلاقتان التقليبية والتركيبية كلتاهما ذواتا صلة وثيقة بقرينة التضام التي تعرف من خلالها إمكان التوارد والمعاقبة والتنافي أو التّضاد والتكامل الذي يظهر بوضوح أنّ العنصرين المتكاملين لا يتعاقبان، أمّا التتابع الصيل لقرينة التضام في السياق.[5]

مظاهر التّضام: إن الصور التي تظهر من خلالها قرينة التّضام في السياق، في الصورة الإيجابية كالافتقار والاختصاص والتوارد، وإما في الصورة السلبية كالتنافي أو التنافر. والمعروف أن الافتقار والاختصاص والتنافي من ظواهر استعمال العناصر التركيبية، في حين أن التوارد والتنافر من ظواهر استعمال الكلّمات المعجمية.[6]

---

[1]- الأسلوبية الوظيفية، بداش حفيظة، ص163

[2]- البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج1،ص 153

[3]- آل عمران: 102

[4]- البقرة: 269

[5]- ينظر : البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج1،ص88

[6]- ينظر : المصدر نفسه ، ص:90

1- الافتقار: نموذج من التلازم ومعناه أن اللّفظ لا تتم به الفائدة إذ لا يكون صالحًا للورود بمفرده وإنّما يحتاج إلى ضميمة تتمم معناه، فيتطلب كلّمة أو عنصرًا لغويًا أكبر من الكلمة المفردة. وقد يكون الإفتقار متأصلاً إذا كان للفظ بحسب أصل الوضع ويتمثل وبالعناصر التي لا يصلح إفرادها في الإستعمال كافتقار حروف الجر إلى المجرور وحروف العطف إلى المعطوف والضمير إلى مرجعه والموصول إلى صلته وغير ذلك. أو يكون الإفتقار غير متأصل وهو ما ينسب إلى الموقع النّحوي أو الباب لا إلى الكلّمة التي تشغله. فكل كلمة تشغل ذلك الباب أوتقع في ذلك الموقع النّحوي أو الباب لا إلى الكلّمة التي تشغله. فكلّ كلّمة تشغل ذلك الباب أو تقع في ذلك الموقع يفرض عليها الإفتقار لأنّها غير مفتقرة بحسب الأصل، كإفتقار المبتدأ إلى الخبر والفعل إلى الفاعل والمضاف إلى المضاف إليه والحال إلى حدث يلابسه وغير ذلك.[1]

2- الإختصاص: ويعدّ مظهرًا من مظاهر التّضام، ويرتبط مفهوم الاختصاص بأن يرتبط ورد العنصر اللّغوي بعنصر آخر من نوع معيّن لا يتعداه إلى غيره، وهذا النّوع من التّضام من صفات الأدوات كإختصاص حروف الجرّ بالإسم وإختصاص السين وسوف وجوازم الفعل الواحد بالفعل المضارع وغير ذلك.[2]

والاختصاص في ظاهره يقع ضمن التلازم ولذا وضعه **تمام حسان** في التلازم قسيمًا للإفتقار، إلاّ أنّه بالنظر إلى الإختصاص من جانب آخر نجده يمت بصلة قوية إلى التنافي، فكون اللّفظ مختصًا بعنصر يتفني معه ورود العناصر الآخرى عليه، فمجيء الأداة "لم" مثلاً- وهي مختصه بالدّخول على الفعل المضارع- ينفي أن يرد بعدها الفعل الماضي أو الأمر أو الإسم. وكون حرف الجرّ مختصًا بالإسم يأبى أن يتلوه فعل أو حرف وهكذا.[3]

3- التنافي : يعد التنافي من ظواهر العناصر التركيبية، وهو عكس التلازم، أي أن تأبى

[1]- ينظر : البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ص89. الخلاصة النحوية، ص:80

[2]- ينظر : المصدر نفسه، ص89. والخلاصة النحوية، ص80

[3]- أثر القرائن المعنى تفسير المحيط، أحمد خضير عباس علي، ص247

الكلّمة التّضام مع عنصر آخر وقد يكون المتقي بَابًا من الأبواب فالضمير لا يضاف ولا يوصف، وحروف الجرّ لا تدخل على الأفعال، والجوازم لا تدخل على الأسماء، وواو الحال لا تدخل على الماضي من دون توسط (قد)، لا تصلح إضافة الإسم المنون وغير ذلك من القواعد السلبية، وهذا التنافر بين المعاني النحوية يجعل التنافي قرينة لفظية سلبية على المعنى إذ يمكن من خلالها استبعاد أحد المتنافيين عند وجود الآخر، وهذا ما سوغ إدخاله في قرينة التضام لأنّه عكسه فتنافي المعنيين هو سلبي التّضام.[1]

وبضم القواعد السلبية إلى جنب مع القواعد الإيجابية للإفتقار والاختصاص عرف موقف النحاة من طرائف الكلّمات التركيبية(القيم الخلافية) وهي أهم وسائل تركيب الكلام وأكثر الكلمات دورانًا الجمل. ويظهر دورها في إيضاح المعنى لأنّ التماثل اللّغوي في كلّ المستويات يؤدي إلى الإلتباس.[2]

4- التوارد والتّنافي: يعد التوارد من ظواهر المفردات المعجمية ويرجع ذلك إلى أنّ مفردات المعجم تنتظم في طوائف يتوارد بعضها مع بعض ويتنافر مع بعض آخر. فالأفعال طوائف تتوارد كل طائفة منها مع طائفة من الأسماء وتشافر مع الأسماء الأخرى، إذ يشترط عنصر المعنى والدلالة أثناء صياغة التركيب: أي ما يسمى عنصر القابلية، "فمن غير المعقول أن يقال" فهم الحجر المسالة"[3] وهو شبيه بالمثال الذي ساقه تشومسكي" الأفكار الخضراء"[4].

فالجملتان تشتملان على كلّمات متنافرة ولذا تفتقد عنصر الإفادة وإن تحققنا لها صحة التركيب النحوي بحيث يمكن إعرابها. ومعنى هذا أن الجمل المذكورة تتسم بالإحالة. وللنحو شروط تضبط لتوارد طائفة مع أخرى لا يكاد يخلو منها باب من أبوابه.

---

[1]- اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، ص221. القرائن النحوية، بحث ،ص:49.

[2]- البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج1، ص154

[3] - البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج1، ص155-156

[4] - ينظر : الأسلوبية الوظيفية، بداش حفيظة، ص165

ومن بين هذه الشروط المعجمية: [1]

- لا يكون التوكيد لفظيا إلا مع تكرار اللّفظ.
- لا تدخل أن المصدرية على فعل لا مصدر له "عسى "و"نعم".
- لا تبنى النكرة على الضمّ في النداء إلا مع القصد.

والتضام ظاهرة لا يكاد يخلو منها باب من أبواب النّحو العربي في صوتها الإيجابية المتمثلة بالتلازم والاختصاص أو صورتها السلبية المتمثلة بالتنافي والاختصاص. " فهو قرينة شاملة لكثير من الأساليب النحوية، تساعد بتضافرها مع القرائن الأخرى على توضيح دلالة المعنى المراد من خلال السياق النّحوي. ومما يقع في خبر القول في ظاهرة التضام الحذف والزيادة والفصل والاعتراض وإدخال اللّفظ على غير مدخوله ومنه التضمين واغناء أحد العنصرين عن الأخر والشروط الضرورية لتأليف ألفاظ السياق.

5-الحذف: والحذف لا يكون إلا بدليل من بنية معهودة أو نمط معروف أو قرينة قائمة أو معنى في السياق لا يستقيم إلا مع تقدير الحذف.[2]

أ- حذف جزء من البنية المعهودة: وهو شائع في الأسلوب القرآني بحذف ياء المنقوص لغير إلتقاء الساكنين نحو قوله تعالى: ﴿ **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ**﴾[3] وهذا الحذف لا يعد من قبيل ظاهرة التضام لأنّه مقصور على الكلّمة المفردة.

ب- حذف الأداة: قد تكون الأداة الداخلية على الجملة أو الداخلية على المفرد أو لأحد عنصري الجملة أو للعنصرين مع ذكر الأداة الداخلة عليها (لو- ماذا- لم) نحو قوله تعالى: ﴿ **قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ** ﴾[4].

---

[1]- ينظر : البيان في روائع القرآن ، تمام حسان ، ج1، ص:91.

[2]- الدلالة السياقية عند اللغويين ، عواطف كنوش مصطفى ، دار السياب ، ص66

[3]- البقرة: 186

[4]- البقرة، 124

وقد حذفت همزة الاستفهام الداخلة على الجملة. وحذف الياء في موقع المفعول به والتقدير لا تخزوني في قوله تعالى: ﴿ **وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ** ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿**كهيعص (1) ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا** ﴾[2] ، أي حذفت الكلّمة المفردة والتقدير: هذا ذكر. وقوله تعالى: ﴿ **وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا** ﴾[3]. حذف المضاف والتقدير (أهل القرية). إلى غير ذلك من حالات الحذف المختلفة ،وهو ما يعرف عند البلاغيين بمجاز الحذف.[4]

وقد يرجع الحذف إلى متطلبات السياق وهو ليس حذفًا في المعنى المفرد للّفظ الفعل وإنّما يؤخذ من سياق الكلام، نحو قوله تعالى: ﴿ **وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ** ﴾[5]. أي يدعونهم. فدليل الحذف في هذه الآية ليس في المعنى للّفظ الفعل وإنما يؤخذ من سياق الكلام.[6]

وقد يكون المحذوف عنصرًا غير نحوي ولكنه تقتضيه إستقامة النّص وقد يكون كلمة واحدة كفعل القول مثلا أو كلامًا ما أطول من ذلك لربط سياق النّص من الوضوح تجعل ذكره إطنابًا لا مبرر له.

6–الزّيادة: تنسب الزيادة للنّحو ولا تنسب إلى القرآن(الزيادة نحوية لا قرآنية) لأنّه ليس في القرآن حرف زائد، وأنَّ كل لفظة لها فائدة متجددة زائدة عن أصل التركيب.[7] والزائد هو زائد زائد عن أصل النمط وعلى مطالب الصّحة والإفادة لكن الزيادة في المبنى تأكيد للمعنى على حدّقول البلاغيين. وهذا الأمر "داخل فيما أشار إليه التحوليون من قواعد الزيادة والإقحام التي

---

[1]- الحجر: 69.

[2]- مريم: 1-2.

[3]- يوسف: 82.

[4]- البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج1، ص:99.

[5]- الأنعام: 108.

[6]- ينظر :البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج1، ص:101

[7]- ينظر : المصدر نفسه، ص:102.

تأتي بتركيبات نظمية تدخل فيها كلمّات لا تدل على معنى العمق، وإنّما تفيد وظيفة تركيبية. وقد تعد من ألوان الزخارف.[1]

وتكون الزيادة في الحروف والضمائر، نحو قوله تعالى: ﴿ **قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ**﴾[2]. فزيادة "لا" والتقدير أن تسجد. وزيادة ضمير الشأن طلبًا للتوكيد، نحو قوله تعالى: "ولا تحزن عليهم ولا تكن في ضيق ممّا تمكرون". زيادة الضمير للتأكيد وهم بالآخرة يوقنون.

7–الفصل: والفصل مظهر من ظاهرة التضام، وهو على ضربين نحوى وبلاغي، ويرى **تمام** أنّه من الممكن وضع مصطلحين لكلّ نوع، لكن الخلط في الإصطلاح أيسر مما يأتي من مصطلح آخر لكن الإستعمال أغنى عن الفصل في التنمية ،ويمكن تعميم هذا الجانب على الدراسات اللغوية العربية بصفة عامة كالتقسيم للكلام وتصنيفهم للجمل فليس من الخلط أو عدم الدقة، إنما هو لضرورات تمليها ظروف وملابسات عدة يفرضها الواقع اللغوي والمنهج وضرورات الاستعمال[3].

1- الفصل النّحوي:

حين وضع النحاة الجملة النحوية جعلوا للمفردات في داخل الجملة درجات متفاوتة من الإرتباط وجعلوا اقوى الروابط بين الكلّمتين رابطة التلازم، ثم جعلوا المفردات الجملة ميزة انتمائها إلى الجملة وجعل كل ما ينتمي إلى الجملة أجنبيا عنها وكرهوا الفصل بين المتلازمين بأجنبي وهذا يدل على أنّ الكلام يترتب بحسب الأهمية المعنوية، ويدل كذلك على أن النّحو العربي يقوم على منزلة المعنى. ومما يوصف بلفظ المتلازمين الأداة ومدخولها والفعل والفاعل، والمضاف والمضاف إليه والمنعوت ونعته، أو قل إنّ شئت المتبوع وتابعه بصورة عامة وما أشبه ذلك. [4] دعنا الآن نأت ببعض الشواهد على ظاهرة الفصل النحوي:

[1]– مدخل إلى دراسة الجملة العربية، محمود أحمد نخلة، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان 1988، ص106

[2]– الأعراف: 12.

[3] – ينظر : البيان في روائع القرآن، تمام حسان،ج1، ص:112

[4]– ينظر : المصدر نفسه، ص:112.

1- قوله تعالى:﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا** ﴾[1] فلو بحثنا بين غايتي النّهي لبدت الصورة على النحو التالي:

- وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون.
- ولا جنبًا حتى تغتسلوا.

ثم جاء بتركيب الاستثناء، حيث فصل بتركيب الإستثناء بين المعطوف وغايته وتقدم الفاصل بحسب منوله المعنى، من أجل إجتماع عناصر الإستثناء، وإفادة معنى الإستثناء.[2]

2- قال تعالى: ﴿ **وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا**﴾[3].

3- قال تعالى: ﴿ **يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ** ﴾[4]. فصل بالجار والمجرور بين الفعل والفاعل لإفادة تقييد التسبيح بالجار والمجرور، ثم فصل بالفعل بين المجرور وصفاته لئلا تطول الشقة بين ركني الجملة بما ليس من أركانها. وهذا يعني أن الكلام يترتب بحسب الأهمية المعنوية في الأصل وفي العدول عن الأصل.[5]

2- الفصل البلاغي: وهو إن كانت وسيلة نحوية يختلف عن الفصل النحوي، فالدراسات الأسلوبية البلاغية العربية قد انطلقت من الدرس اللغوي. وإبراز العلاقة بين النحو والبلاغة. فالفصل البلاغي له خصوصية المقال ما يجعله يختلف عن مجرد الحذف النحوي من حيث أنّه له "خصوصية المقام ما يجعله شيئًا آخر غير الحذف النحوي. ذلك بأن الفصل البلاغي يتم دائمًا عن موقف إنفعال قد يكون خوفًا أو غضبًا أو استعجالاً أو استغرابًا أو تعجبًا وغير ذلك من هذا

---

[1]- النساء: 43.

[2]- البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج1،ص113.

[3]- الأعراف: 137.

[4]- الجمعة: 01.

[5]- البيان في روائع القرآن، تمام حسان،ج1، ص:114.

النّحو من المواقف الجدية".[1] نحو قوله تعالى: ﴿**وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ**﴾[2].

الموقف موقف غضب لغلّوهم، ويتبع النّصوص القرآنية لوجد "الفصل"يتعدد بتعدد القصد من إستعماله، ومرد الفرق بين الفصل البلاغي والنحوي هو "**المقام**" لأن فكرة المقام هي المركز الذي يدور حوله علم الدلالة الوصفي، وهو الأساس الذي يبني عليه أو الشق أو الوجه الإجتماعي، من وجود المعنى الثلاث: الوجه الذي تتمثل فيه العلاقات والأحداث والظروف الاجتماعية التي تسود ساعة أداء المقالِ.[3]

8-الاعتراض: والمقصود مجرى النمط التركيبي بما يحول دون إتصال عناصر الجملة بعضها ببعض اتصالا تحقق به مطالب التضام النّحوي فيما والجملة المعترضة في كلّ أحوالها أجنبية عن مجرى التسياق النحوي فلا صلة لها بغيرها ولا محل لها من الإعراب وإنذما هي تعبّر عن خاطر طاريء من دعاء أو قسم أو قيد بشرط أونفي أو وعه او أمر أو نهي او تنبيه إلى ما يريد المكلّم أن يلفت إليه إنتباه السامع. ومن ذلك قوله تعالى:﴿ **قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتًا أَوْ نَهَارًا مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ**﴾[4]. فالإعتراض هنا بالشرط بين عناصر مفسر الجواب، ولو كان ماذا يستعجل هو جواب الشرط لاقترانه بـ "الفاء"- كما قيل سابقًا- لكون الجواب يبدأ بما والتقدير (قل أرأيتم الوعد ماذا يستعجل منه المجرمون إن أتاكم عذابه بياتًا أو نهارًا).[5]

9-إدخال اللفظ على غير مدخوله: وقد عرفت هذه الظاهرة في النحو العربي بأسماء متعددة منها حذف المدخول الأصلي ونيابة الحرف عن الحرف والتضمين: فمن ظواهر التّضام

---

[1]- ينظر: البيان في روائع القرآن ، تمام حسان ،ج1،ص:115.

[2]- المائدة: 64.

[3]- البيان في روائع القرآن، تمام حسان،ج1، ص115.

[4]- يونس: 50.

[5]- البيان في روائع القرآن، تمام حسان،ج1، ص115-116.

حذف المدخول الأصلي وإدخال اللّفظ على غير هذا المحذوف. [1] وقوله تعالى:﴿**وَإِنَّ كُلًّا لَمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ** ﴾[2]. إذ المعلوم أنّ "لما" حرف جزم يدخل على المضارع من قواعد النحاة أيضًا لا يدخل الحرف على الحرف". ولكن لما يدلاّ من أن تدخل على الفعل المضارع دخلت على اللام المؤطئة للقسم ووأوّل النحاة ذلك على حذف مضارع مجزوم بـ "لما" والتقدير. " وإن كلا لما يوفوا أعمالهم ثمّ الاستئناف بجملة ليوفينهم ".[3]

نيابة الحرف عن الحرف: مصدرها المبدأ الذي بسمح للمبنى الوظيفي أن تعدد معانيه وقوله تعالى: ﴿ **كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (22) إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ (23) وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ** ﴾[4]. و"لـ" "من" الجارة هنا معاني مختلفة على الترتيب ابتداء الغاية السببية، التأكيد التمييز، البغضية...) ومن الصور البيانية أيضا.

-**التّضمين:** وهو من صور النّيابة، ويعني فروع أخرى بلاغية ونقدية، ويعتبر نيابة الحرف من نماذجه، إلاّ أن التضمين النحوي أوسع مدى من إقليم الحروف نحو قوله تعالى:﴿ **فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ** ﴾[5].

إذ تضمن "تصل" معنى "تمتد"، لأن الأيدي لم تمتد حتى تصل، أو تقتصر دون الوصل. [6]

---

[1]-ينظر: البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج1،ص:119.

[2]- هود: 111.

[3]- ينظر: البيان في روائع القرآن، تمام حسان،ج1، ص:119.

[4]- الحج: 22-24.

[5]- هود: 70.

[6]- ينظر: البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج1،ص:119.

وقوله تعالى: ﴿ **فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي** ﴾[1] ضمن "أحب" معنى" فضل" فعدي الفعل بـ "على" وهو يصل إلى مفعوله بنفسه.[2]

-**إغناء أحد العنصرين عن الآخر**: ويبدو في عدّة ظواهر في النّحو العربي منها:

أ– إغناء الحركة عن الحركة كإغناء الفتحة عن الكسرة في إعراب ما لا ينصرف وعكسه في جمع المؤنث السالم.

ب– إغناء "يا" النداء عن الفعل "أدعوا" بدليل أن ما بعدها إمّا منصوب أو في محلّ نصب.

ج– إغناء فاعل اوصف عن خيره عندما يكون الوصف مبتدأ.

د–إغناء الحال عن الخبر عند ما يكون المبتدأ مصدرًا أو تفضيلا.

و– إغناء "أنّ" وما بعدها عن نصب مفعولي ظنّ.

ر– إغناء العوض عن المعرض في كلّ صور التعويض

هـ–لإغناء المتقدم عن المتأخر من جوابي الشرط والقسم عند إجتماعهما.[3]

فمن مظاهر التضام التي ذكرها تمام "إغناء العنصرين عن الأخر" نحو: إغناء الفتحة عن المسرة في إعراب ما لا ينصرف وعكسه في جمع المؤنث السالم وإغناء "يا" النداء عن الفعل "أدعو" وإغناء العوض عن المعروض في كلّ صورّ التعويض.

وفي المظهر التضامي الذي وسمه **تمام** حسان باسم "**الشروط التركيبية التي تتضح بتحقيقها خصوصية السياق ومعناه التركيبي، ومن صور ذلك: أن "أن" اذا سبقها علم أو نحوه كانت مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن محذوفًا فإذا وقع المضارع بعدها جاء**

[1]– ص: 32.

[2]– ينظر: البيان في روائع القرآن، تمام حسان،ج1، ص124.

[3]– المصدر نفسه، ص:124.

مرفوعًا نحو قوله تعالى: ﴿**عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى**﴾[1]. " وإذا لم تكن جملة الخبر المبتدأ في المعنى وجب اشتمالها على رابط يعود على المبتدأ نحو قوله تعالى: ﴿ **فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ** ﴾[2].

ونخلص في الأخير إلى:

– مزج تمام حسان بين التحليل الأسلوبي والنحوي المعياري، والإكثار من اعتماده على نحو أبي بركات الأنباري. خاصة عند حديثه عن مظاهر التضام نحو إغناء أحد العنصرين عن الآخر ومثل لها بأقوال النحاة نحو إغناء الفتحة عن الكسرة وغيرها.

– تعد قرينة التضام بحسب تصور **تمام** من عناصر نحو النّص لأنها تتجسد أهميتها في السياق من خلال مبدأ التجاوز والالتحام .

– إن العرض غير المتوقع للبنى اللغوية يحقق مفاجأة للمتلقي تستدعي إنتباهه وتشير اعجابه وهذا الأمر يحمل قدرًا كبيرًا من المخالفة، فإمّا أن (يكون خرقًا للقواعد أو لجوءًا إلى ما ندر من الصيغ او يكون الإنحراف بتكرار الملحظ الأسلوبي على غير مألوف كالإسراف في إستخدام الصّفات ".[3]

– تظهر نظرية التضام أهمية مبدأي الاختيار والتركيب في الدراسة الأسلوبية من خلال التعرف على التصرف اللغوي انطلاقا من الاستعمال.

– استثنى **تمام حسان** التوارد من قرينة التضام في مؤلفه " **اللغة العربية معناها ومبناها**" ظن منه أنه من يقتصر على الجانب الأسلوبي فيكون أقرب إلى اهتمام الأساليب التركيبية البلاغية الجمالية منه إلى دراسة العلاقات النحوية والقرائن اللفظية ، إلا أنه عدل عن ذلك بعد اثنتي عشرة سنة، لينشر كتابه " **مقالات في اللغة والأدب**" ، جعل فيه التوارد جزءا من قرينة التضام.

---

[1]– المزمل: 20.

[2]– النساء: 99.

[3]– الأسلوبية والنقد الأدبي، عبد السلام المسدي، جملة الثقافة الأجنبية، العدد 01، 1982، ص:77

– يرى **تمام حسان** أن تماسك النص ينشأ من جانب كبير من التضام بين عناصره، والربط من جهة أخرى بين أجزاء اللفظ، أما من جهة المعنى فينشأ في أغلبه عن العلاقات السياقية وعن التضام أيضا.

–تظهر أهمية التضام بمظاهرها النحوية (التلازم والتنافر والاختصاص) في الكشف عن المعنى وتوجيهه وبيان صحة التركيب وفساده .

5– قرينة الإعراب في التركيب القرآني :

تعد قرينة الإعراب أوفر القرائن حظاً من إهتمام النحاة، فجعلوا الإعراب نظرية كاملة أسموها "الحاصل" وتحدثوا فيها عن الحركات ودلالتها، والحروف ونيابتها عن الحركات ويعود سبب الإهتمام بالإعراب كونه حدثاً في الوقت الذي تكن العلامة الإعرابية أكثر من نوع واحدٍ من أنواع القرائن، بل هي قرينة تستعصي على التمييز بين الأبواب بواسطتها حين يكون الإعراب تقديرياً أو محلياً[1].

ورغم ذلك فقد إنقسم الدارسون إلى فريقين فريق يركز على المبنى وآخر يركز على المعنى وهناك من لم يربطه بهذا او ذاك، وردّ **تمام** على كل الفريقين: أما القائلون بأن الإعراب سوى طلب للخفة وهروباً من ثقل الإسكان، فيمكن الرد عليهم أن علامات الإعراب حركات، لأن هناك إعراباً بالحروف (كالرفع بالألف والنون، والنصب بالياء) ولم يعترض عليه أحد، – فقد نزل القرآن– الإعتداد بالحركة في القافية كان وراء تقسيمها إلى مطلقة ومقيدة، أما الفريق الثاني الذي إعترف بصلة الإعراب المعنى قد بالغ دارسوه كثيرا حتى خرجوا عن حادة الصواب ولم يكن خطؤهم أقل من خطأ المنكرين[2].

فقد قصر هؤلاء الدارسون إيضاح المعنى النحوي على العلامة الإعرابية فقط، وأنها هي المسؤولة عن الإبانة والوضوح فإن تمام ومن تابعه قد وزعوا تلك المسؤولية على عدة قرائن، ومن

[1]– ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، ص: 205.

[2]– ينظر: البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج1، ص: 17.

ضمنها قرينة الإعراب، وقد فسر تمام الإعراب بالعلامة الإعرابية، وعدّه إحدى القرائن التي تبين المعنى النحوي، ورأى أنه هو المسؤول عن توضيح عملية التعليق وكشف المعنى الوظيفي للتركيب إلى جانب مجموعة من القرائن الأخرى التي تتضافر لأداء هذا الدور، ولذلك فهو يرى أن العلامة الإعرابية بمفردها لا تساعد على تعيين المعنى، مشيرا إلى أنه لا قيمة لها بدون النظر إليها في إطار ما أسماه "تضافر القرائن" بديلاً عن نظرية العامل في النحو العربي، وينطبق على كل قرينة أخرى بمفردها[1].

لكن هذه القرائن بحسبها أن تدل على المعنى الإعرابي ولا تتخطاه، إنما الضرورة كما يرى إلى معنى التركيب في عمومه، أي الإنتقال من نحو الجملة إلى نحو النص، ولكي يكتمل المعنى لابد من المناسبة المعجمية (والتي تعتبر قوام التوارد، ونوع من التضام قسيم للتلازم والتنافي، وهذه المناسبة هي التي دفعت النحاة إلى القول "بأنه إذا أمكن العطف أمنع المفعول معه" بمعنى أننا إذا نظرنا إلى عبارة مثل أحب تلاوة القرآن وآذان الفجر فيصلح فيها العطف، فارتفع تنافي المعية، إما قولنا "سار محمد بيمين الطريق" ارتفع العطف، وحل المفعول معه[2].

ويصر **تمام حسان** إلى التمسك برأيه الداعي إلى إساءة النحاة في فهم بعض دلالات الإعراب بسبب تمسكهم بفكرة العاملة دون النظر إلى القيم الأسلوبية للجملة[3]، وهو ما أشار إليه **عبد اللطيف حماسة** : "ومن آثار فكرة العامل في النحو العربي أنه شغل النحاة عن دراسة الجملة العربية دراسة أسلوبية .... وما قدمه سيبويه في الكتاب "نجده يضيف معالجة الفاعل والمفعول مثالاً، من حيث دلالتهما على الوظائف الخاصة في الجملة، بل من حيث إرتباطهما بعاملهما[4].

---

[1]- اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، ص: 18.

[2]- البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج1،ص: 18-19.

[3]- المصدر نفسه، ص: 20.

[4]- العلامة الإعرابية في الجملة بين النحاة القداماء والدارسين والمحدثين، محمد حماسة عبد اللطيف، كلية العلوم، جامعة القاهرة، 1979، ص: 181-182.

ويقدم **تمام** مثالاً عن فهم النحاة للمصادر المنصوبة على الإنشاء والتي عدوها منصوبة بواجب الحذف ، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ **إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ** ﴾[1]، فقالوا إن نصب "سلاماً" بالفعل المحذوف "سلموا"، وبهذا التقدير يتحول المعنى من الإنشاء إلى الخبر، ولو كان خبرا لارتفع المصدر الأول مثل الثاني –بإعتبار العامل– وبالتالي يكون الأول منصوباً على الإسناد، والثاني مرفوعاً على الإخبار، ويرى تمام أن نصب المصدر على الإسناد لتجنب تحريف مقاصد الأساليب[2].

وهناك من يرى أن الإختلاف في صيغة التحية له دلالته، لأن التحية بالنصب "سلاماً" هي جملة فعلية دالة على الحدوث والتجدد (سلم، سلاما) أما هو فقد حياهم بالرفع (سلام) جملة إسمية دالة على الثبات، والإسم اقوى من الفعل، فيكون بذلك قد حيّاهم بخير من تحيتهم[3].

ويرى تمام أن هذا التفسير يصدق على تراكيب قرآنية كثيرة مثل قوله تعالى: ﴿ **ذَلِكَ عيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ** ﴾[4]، فعبارة "قول الحق" إنشاء لتأكيد الجملة ومن ثم لا مناص من إعتبار هذا القول إعتراضاَ لمجرى الكلام الذي هو في الأصل "ذلك عيسى بن مريم الذي فيه تمترون.

ويدعو **تمام** إلى عدم المغالاة في وصف الشكل الظاهر، ولكن يعترف بما هو قابل للتعليل والتدليل عليه بالقرائن، ويدعو إدراكه إلى السياق[5]، نحو قوله تعالى "﴿ **قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا** ﴾[6].

---

[1]– الذاريات: 25.

[2]– البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج1، ص: 21.

[3]– التعبير القرآني، فاضل السامرائي، دار الكتب للطباعة والنشر ، الموصل ، (د ط)،(د ت) ، ص: 84.

[4]– مريم: 34.

[5]– البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج1،ص: 23.

[6]– هود: 87.

ويقوم إختلاف الضمائر بين: (تأمرك أن نترك – أنت) و (تأمرك أن نترك – نحن) ونترك دليلا على المحذوف، لأن أصل الأمر يتطلب أحد الإحتمالين كما هو مبين فيما سبق، فإما أن يتجه الأمر إلى شعيب ويكون التنفيذ منهم، وذلك يحتاج إلى أن يقوم شعيب بعمل ما يؤدي إلى تنفيذهم للأمر وليس بوسع شعيب إلا الدعوة، ومن هنا كان تقدير الآية على النحو الآتي: يا شعيب أصلاتك تأمرك (أن تدعونا) إلى أن نترك ما يعبد أباؤنا)، ويشير تمام إلى أن هذا الحذف قام عليه الدليل ولا مناص معه من تقدير المحذوف وإلا تعثر الفهم[1].

ومن أنواع الحذف من يقوم على قرينة السياق التي تعمل على توضيح الطرف المحذوف نحو قوله تعالى: ﴿ **لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا** ﴾[2]، أي لا يستوي منكم من أنفق قبل الفتح وقاتل (من بعد الفتح وقاتل) أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقالوا وكلا وعد(ه) الله الحسنى، فوجود الهاء ضمير عائد، وقرينة تدل على أداة التسوية المحذوفة لأنها تقتضي أمرين يستويان أو يعين أحدهما.

والحذف كما مر بنا أمر لا مفر من القول به إذا أريد فهم الإستعمال اللغوي على وجهه الصحيح، ولذا فالحذف من المبررات أمورا لا مناص من الإعتداد بها منها[3]:

1). الإفتخار: نحو قوله تعال: ﴿ **وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (45) وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آَيَةٍ مِنْ آَيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ** ﴾[4]، أي إذا قيل لهم لهم "ذلك أعرضوا" والقرينة (أن إذ تفتقر إلى جواب ولا جواب لها في الآية).

2). الرتبة: إذا وجد دليل على الجواب متقدماً، ولم يذكر الجواب متأخراً فالجواب فيها محذوف فسره ما تقدم، ويمكن التمثيل لها بالمثال السابق.

---

[1]- البيان في روائع القرآن، تمام حسان ،ج1، ص: 23.

[2]- الحديد: 10.

[3]- البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج1،ص:24.

[4]- سورة يس، الآية 45-46.

3). **الإختصاص**: إذا دخل اللفظ على غير ما يختص بالدخول عليه قيل بالحذف، كما في قوله تعالى: ﴿ **وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (45) وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آَيَةٍ مِنْ آَيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ** ﴾[1].

4). **التقدير**: والتقدير هو أوسع من مجرد تقدير العلامة الإعرابية أو تقدير المحذوف، إذ قد يكون التقدير بالقول بالزيادة نحو قوله تعالى: ﴿ **فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ (75) وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ** ﴾[2]، أو القول بالفصل كما في قوله تعالى: ﴿**أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ** ﴾[3]، أو القول بإضمار العامل كما في قوله تعالى: ﴿ **لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آَبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ** ﴾[4]، أي ولا أشرك آباؤنا بدليل ما بعده من قوله "ولا حرمنا" أو تقدير الضمير المحذوف كما في قوله تعالى:﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ** ﴾[5]، أي يدعونهم أو تقدير المفسر كما في قوله تعالى: ﴿ **إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ** ﴾[6]، فالسماء فاعل يفسره الفعل الذي بعده.

ويخضع الإعراب لمطالب ظواهر موقعية معينة كالتقاء الساكنين[7] في نحو قوله تعالى: ﴿ **لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ** ﴾[8]، إذ "لم يكن" جاءت مجرورة لفظاً مجزومة محلاً لمنع إلتقاء الساكنين، وأشهر ما يخضع له الإعراب من الظواهر الموقعية ظاهرة الوقف على السكون، ويزاد على هذا قرينة الرتبة وأهميتها في الإعراب.

---

[1]-يس: 45-46.

[2]- الواقعة: 75-76.

[3]- إبراهيم: 10.

[4]- الأنعام: 148.

[5]- الإسراء:57.

[6]- الانشقاق: 01

[7]- ينظر : البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج1،ص:26.

[8]- النساء: 137.

وهناك قرائن أخرى يمكن أن تقوم بما قامت به الرتبة في تراكيب أخرى ومنها[1]:

أ) – **عدم انتقال الفعل أو علاقة المعاني المفردة بألفاظ الجملة** نحو: "ضرب عيسى موسى".

ب) –**مطابقة الفاعل لفعله:** نحو ضربت هذا "هذه" فالفاعل هنا هذه بقرينة التاء المتصلة بالفعل.

ج) –**القرينة الخارجية:** أي ما يسمى بالحالية لأنها دلالة خارج الكلام.

د) –**الإتباع:** بالنعت والعطف والبدل أو البيان مع وضوح الإعراب للتابع دون المتبوع، نحو قوله تعالى: ﴿ **تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى** ﴾[2]، فبالرغم من عدم وجود العلامة الإعرابية على كلمة "ضيزى" لكن قرينة ما قبلها (المتبوع الرفع) فلزم أن يكون المتبوع كذلك مرفوعاً.

5) **قرينة السياق:** وهي التي تصرف المعنى عن المفعولية إلى التبعية بالنسبة للموصول في قوله تعالى: ﴿ **لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى (52) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً** ﴾[3]، فلقد فصل المنفي "ينسى" بين لفظ "ربي" ونعته وهو "الذي"، وجعل هذا الموصول من حيث التركيب كأنه مفعول "ينسى" ولكن قرينة السياق حالت دون ذلك، ولوصح أن يكون الموصول مفعولاً به، لأصبح المعنى (لا يضل ربي ولا ينسى ذاته)[4].

فالعمل الذي قدمه **تمام حسان** حول قرينة الإعراب مزج بين "العلامة الإعرابية" والمعنى "العلاقات السياقية"، ووظيفة الباب النحوي، فاتجه إلى التركيب مستخلصاً العلاقات فيما بين العناصر النحوية، وعلى هذا فإن نحو "**تمام**" نحو وظيفي، وإنْ صح كل ما قيل سابقاً فإن الإعراب هو التعبير عن الوظائف التركيبية والمعاني النحوية، والعلاقات الإعرابية لعناصر العبارة

[1]– ينظر: البيان في روائع القرآن، تمام حسان ، ج1،ص:27.

[2]– النجم: 22.

[3]– طه: 52-53.

[4]– البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج1،ص:28

بالنسق والنمط والصوت، أو هو الأصول التي تعرف بها: "**أحوال تركيب كلام العرب**"، إذ لا ينحصر في إنفعال أواخر المفردات، إذ شمل جميع الأصول التي تضبط سلوك المفردات والجمل وأشباهها، حين تنتظم داخل التعبير، والمقصود بكل هذا، هو صياغة التركيب اللغوي في الإعراب، بحيث تحمل على كلمة أو جملة (عنصر تركيبي) ما يقتضيه في سياقه التعبيري من وظيفة أو معنى أو علاقة بما حوله، فالمحل الإعرابي يعتمد على أدلة وقرائن حالية ومعنية ولفظية، وتركيبية، تتميز العناصر الإسمية والفعلية والحرفية في النظم، وتعيين وظائفها ومعانيها وعلاقاتها، وقد تتضافر هذه القرائن أو بعضها للوصول بالعمليات الإعرابية إلى الدقة والصواب[1].

6- قرينة السياق في التركيب القرآني:

يعد العرب والهنود السباقين في مجال دراسة السياق اللغوي، ولكن للغربيين الفضل في تحويل السياق إلى نظرية قابلة للتطبيق على جميع أنواع العنى من صوتية وصرفية ونحوية واجتماعية ووضعوا لها المعايير والإجراءات ما يجعلها تقف على قدم المساواة مع بقية النظريات التي عالجت المعنى بالتحليل والتفسير، ومن الواضح وجود ملامح لدرس السياق في المتن اللغوي الغربي العام، يتحدد قبل أو بعد عالم اللغة الإنجليزي "**فيرث**" على الرغم من أنه نقطة الإنطلاق الحقيقية لفيرث تجسدت في الإفادة من جهود (مالينوفيكس)[2].

لقد قدم فيرث السياق على أنه إطار منهجي يمكن تطبيقه على الأحداث اللغوية أو كما يقول بالمر (جزء من أدوات عالم اللغة مثله مثل الفصائل اللغوية التي يستخدمها)، ونجد مالينوفسكي استعمل مصطلح سياق الحال- الموقف باعتباره الموقف الفعلي الذي حدث فيه الكلام وهو يقود إلى نظرة أوسع للسياق تشمل الخلفية الثقافية التي وضع الحدث الكلامي

[1]- ينظر: الأسلوبية الوظيفية، بداش حفيظة، ص: 175.

[2]- ينظر: دلالة السياق في القصص القرآني، محمد عبد الله علي سيف العبيدي، وزارة الثقافة والصناعة، اليمن، صنعاء، 2004، ص: 168.

بإزائها"،أي أن معنى الجملة يتحدد بالسياق المعين الذي ترد فيه[1]، ووسع فيرث هذا المفهوم فقال: "أن الجمل تكتسب دلالتها في النهاية من خلال ملابسات الأحداث، أي من خلال سياق الحال "أن الجمل تكتسب دلالتها في النهاية من خلال ملابسات الأحداث، أي من خلال سياق الحال كما أن المعنى لا ينكشف إلا من خلال تنسيق الوحدة اللغوية، أي وضعها في سياقات مختلفة"[2].

ونخرج من هذا القول بتداخل سياق النص وسياق الموقف لغوياُ وهو ما أكده **فيرث** وأسماه بالتوازي ما بين السياقات الداخلية والخارجية للموقف، ولذا يرى **فيلي دريس** أن السياق هو الذي يعين تتمة الكلمة، إذ أن الكلمة توجد في كل مرة تستعمل فيها في جو يحدد معناها تحديداً مؤقتاً والسياق هو الذي يعرض قيمة واحدة بعينها على الكلمة، على الرغم من أن المعاني المتنوعة التي في وسعها أن تدل عليها والسياق، كذلك تخلص الكلمة من الدلالات الماضية تدعها الذاكرة تتراكم عليها وهو الذي يخلق لها قيمة معنوية[3].

وقد أحاطت الدراسات المعاصرة قرينة السياق بأهمية كبيرة لكونها تعد من كبرى القرائن اللغوية. ولا ننكر إهتمام المفسرين بقرينة السياق والإستعانة بها في كشف أسرار الكثير من المعاني والخوض في إختيار الكلمات القرآنية وترك سواها أو إستعمال كلمة في سياق قرآني معين، وتعامل المفسرون مع النص القرآني كونه نصاً مقدساً، إذ تعاملوا معه كاللهب، فاشترطوا على المفسر أن يراعي السياق اللغوي فيتم إستحضار النص القرآني بأسره عند تفسير بعضه فمن "**أراد تفسير الكتاب العزيز طلبه أولا من القرآن، فما أجمل منه في مكان فقد فسر في موضع آخر**"[4].

ونظرا لأهمية قرينة السياق أعطت الدراسة مسوغات التحليل والإستنتاج لجلي الجوانب المظلمة وتسليط النور والإستشراف فيها لكي نصل إلى نتيجة مفادها أن للنص القرآني معاني خاصة تتعلق

[1]- ينظر: اللغة والمعنى والسياق، جون لاينز، تر: عباس صادق عبد الوهاب، مراجعة: يوئيل عزيز، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 1987، ص: 23.

[2]- ينظر: الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة، يحي أحمد، ص: 81-82.

[3]- ينظر: دلالات السياق في القصص القرآني، محمد عبد الله العبيدي، ص: 17.

[4]- الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، ج1، ص: 212.

بالألفاظ المفردة قد تختلف في دلالتها على المعنى العام للنص القرآني، إذا أخذ بعين الإعتبار المعنى العام للنص من خلال الفهم الدقيق الذي يمنحه السياق العام للنص القرآني وما يتعلق بالجو العام للسورة وظروفها السابقة للنص واللاحقة.

أما اللغويون الغرب فتعد نظرية السياق هي حجر الأساس في المدرسة اللغوية الإجتماعية التي أسسها "فيرث" في بريطانيا، والتي وسع فيها نظريته اللغوية بمعالجة جميع الظروف اللغوية لتحديد المعنى، ومن هنا حاول إثبات صدق المقولة بأن "المعنى وظيفة السياق" فقد عرفت "مدرسة لندن" بالمنهج السياقي الذي وضع تأكيدا كبيراً على الوظيفة الإجتماعية للغة[1]، فنراه ينص على أن اللغة تدرس في ضوء الظروف الإجتماعية المحيطة بها، لأنها مزيج من عوامل العادة والعرف والتقليد وعناصر الماضي والإبداع[2].

وينقسم السياق عند فيرث إلى السياق اللغوي وسياق الموقف، وقد أضاف إليهما أحد أتباعه وهو **جون ليونز** السياق الثقافي.

وأما عناصر سياق الحال، فقد رأى فيرث أنها جزء من أدوات عالم اللغة، ولذا إقترح الإعتناء بالعناصر التالية[3]:

1. الملامح الوثيقة بالمشتركين: كالأشخاص والخصائص الذاتية المميزة للحدث الكلامي أو غير الكلامي لهؤلاء المشتركين.
2. الأشياء ذات الصلة بالموضوع والتي تفيد في فهمه.
3. تأثيرات الحدث الكلامي.

أما اللغويون العرب المحدثون فلقد تولد إهتمامهم بالسياق بتأثير واضح من نظرية فيرث السياقية، لأنهم تلقوا هذا العلم على يديه بشكل مباشر أو غير مباشر منهم **تمام حسان**

[1]- البرهان، الزركشي، ج1، ص: 13.

[2]- علم الدلالة، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط4، 1993، ص: 68.

[3]- علم الدلالة بالمر، تر: مجيد عبد الحميد الماشطة، كلية الآداب الجامعة المستنصرة، (دط)، 1985، ص: 77.

باعتباره تلميذ فيرث.

ويرى **تمام** أن لقرينة السياق أهمية كبيرة في إيضاح المعنى، بما أن اللغة نشاط إجتماعي لها وظائف تؤديها في إطار المجتمع الذي تستخدم فيه، فالتراكيب والأنماط اللغوية التي تستخدم في التعبير عن هذه الوظائف مشتقة من متطلبات وإحتياجات المجتمع. ولذا لابد على أي دراسة أن تقوم على دراسة الشكل والمعنى والسياق وإلا عدت دراسة ناقصة.[1]

وقد سبق الإشارة إلى تعدد أسباب النمط التركيبي للجملة منها تعدد معنى الأداة الصدارة للجملة، تعدد معنى الصيغة، تعدد العلامة النحوية، تعدد إحتمالات المعنى الوظيفي للجملة وإفتقارها إلى ما بعدها، تعدد إحتمالات المعنى المعجمي وكذا احتمالات الدلالة اللفظية أو الفوقية، والأسباب التي يتعدد من أجلها النمط التركيبي للجملة حينها يصبح النمط بحاجة إلى قرينة يتبين بها المعنى المراد، ولأن تعدد المعنى يكشف عن عدم قدرة أو كفاية القرائن النحوية الدالة على الأبواب المقررة لذا يصبح النمط التركيبي بحاجة إلى قرينة من خارج الجملة، وتعرف باسم قرينة السياق، وهي كبرى القرائن النحوية "فهي تعتمد على شيء من القرائن النحوية المفردة (السياق اللغوي) وتتجاوزها إلى أمور دلالية من العقل أو المقام[2]، وتقوم قرينة السياق عند **تمام** على أسس وهي:

1. القرينة المبنوية: وتعد إحدى القرائن التي يعتمد عليها السياق، وهي متعلقة بمبنى اللفظة، نحو قوله تعالى: ﴿ **وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ**﴾[3]، ف "إن" مخففة من الثقيلة بدليل من القرائن المحيطة بالتركيب لأن معنى السياق هو التأكيد، وليس في الشرط وأن يكاد "مرفوعا" وليس مجزوماً، وعدم وجود الرابطة في جواب الشرط، بل وجدت اللام

[1]- اللغة بين المعيارية والوصفية، تمام حسان، ص: 15.

[2]- ينظر: البيان في روائع القرآن، تمام حسان،ج1، ص164.

[3]- القلم: 51.

خبر "إنّ" إذن عدم وجود ما يصلح للشرط. [1]

2- القرينة النحوية:

وتعتمد القرينة السياقية على قرينة نحوية علائقية نحو قوله تعالى: ﴿**وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَو يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ**﴾[2]، إذ اعتبر "الغفور" صفة للمبتدأ "ربّك" أو أنها جملة "لو يؤاخذهم" وإذا اعتبر الغفور وذو الرحمة صفتين لمبتدأ لكن قرينة السياق دلت على الخبر هو جملة "يؤاخذكم" من علاقة الإضراب "بل" وجاءت القرينة السياقية من الإضراب عن تعجيل العذاب إلى موعد مقبل، في قوله تعالى" ﴿ **بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلًا** ﴾[3].

3- **إعتماد قرينة السياق على المعجم:** ويظهر من خلال ضرورة تقدير الحذف كما في قوله تعالى: ﴿ **أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ**﴾[4].

فالملاحظ هو ضرورة الحذف (هذا سحر) وتأتي ضرورة التقدير من أن القول يفتقر إلى مقول، ولا تصلح عبارة (أسحر هذا) لأنها إستفهام، وهذا الأخير يدل على التردد، (وهم في كفرهم أبعدما يكونون عن التردد) والمحذوف خبراً مثبتاً ينسجم مع اتهامهم للحق (أنه سحر)، ونخلص أن المعنى المعجمي للفظ يقتضي مقولاً مقدراً، إن يكن مذكورا، وأهمية هذه القرينة تظهر خاصة في إدراك المعنى عند الجناس أو التورية[5].

4- **إعتماد قرينة السياق على اللغة:** أي ما بين عناصر الكلام من مناسبة أو مفارقة في المعنى، نحو قوله تعالى: ﴿ **انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ** ﴾[6]، ففي الآية يذكر نبات كل شيء وثمر هذا النبات والضمير في ينعه هل يعود على الثمر أم النبات من حيث التركيب؟ ولكن العلاقة

---

[1]- البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج1،ص164-165.

[2]- الكهف: 58.

[3]- الكهف:58.

[4]- يونس: 77.

[5]- ينظر: البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج1،ص: 166.

[6]- الأنعام:99.

المعجمية بين الألفاظ تكشف المناسبة بين الثمر والينع، فيقال: ثمر يانع ولا يقال نبات يانع، وتحكم قرينة السياق بعودة الضمير على الثمر[1].

5- **قيام قرينة السياق على أساس من المنطق:** أي من علاقات المعاني بعضها ببعض نحو قوله تعالى: ﴿ **مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ**﴾[2]، ويلاحظ توالي أربعة ألفاظ معطوفة، ويلاحظ "الفارق العقلي" بين الفريقين والعطف هنا عطف صفات لا إفراد، ويجعل المعنى "مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع" ومن ثم فالواوين زائدتين قبل (الأصم والسميع) كما أن الطباق السلب بين (الأعمى الأصم) وبين الإيجاب (السميع البصير)، فالسلب والإيجاب من الأمور العقلية وينتهي الأمر بإنشاء تقابل ثنائي لا رباعي، تقتضيه قرينة السياق[3].

6- **يكون التنغيم قرينة على المعنى السياقي:** يعد التنغيم جزءً من النظام النحوي، فلقد عدّ من الظواهر السياقية، ذلك أن كل نوع من أنواع الجمل يتفق مع هيكل تنغيمي خاص يقف منه في إطار النظام النحوي موقف الصيغة الصرفية من "المثال"، وهو مرتبط بالجانب الإفصاحي من اللغة، يغلب عليه الطابع التأثيري كالتعجب والمدح والذّم خوالف الإحالة وخوالف الأصوات.

7 - **الظروف الحسية والنفسية المحيطة بالنفس:** وأمثلتها كثيرة في القرآن الكريم، منها قوله تعالى ﴿ **وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ** ﴾[4]، سأل الأعراف رجالاً عهدت لهم سمتا الغنى والكبرياء في الدنيا (من المدركات الحسية).

فالسؤال هنا يحمل معنى السخرية، نتيجة الهوان في الآخرة ، فكبرياؤهم لم ينجهم من العذاب

---

[1]- ينظر : البيان في روائع القرآن، تمام حسان،ج1،ص: 167.

[2]- هود: 24.

[3]- البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج1،ص: 168.

[4]- الأعراف: 48.

فجملة "ما أغنى عنكم جمعكم" نفي، وقرينة ذلك "يعرفونهم بسماهم" مضمون النفي معلوم سلفاً لهؤلاء الرجال، ومواصلة السؤال في الآية الموالية: ﴿ **أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ** ﴾[1].

أما الظروف النفسية نحو قوله تعالى: ﴿ **وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ** ﴾[2]، وقد حذف حرف الجر عمداً أو ليعم التركيب حالتي الرغبة فيهن وعنهن، ومراعاة النفسية حالت دون ذكر حرف الجر، والمحيط الإجتماعي متكأ لقرينة السياق.

وترتكز قرينة السياق على العادات والتقليد نحو قوله تعالى: ﴿ **مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ** ﴾[3].

ونخلص في الأخير إلى إتساع قرينة السياق وإعتمادها على أسس وركائز عدّة تبدأ باللغة، والسياق اللغوي والدلالات بأنواعها المقام، فقرينة السياق كبرى القرائن، والفرق ما بين قرينة السياق والقرائن اللفظية ما بين الاعتداد بحرفية النص والاعتداد بروح النص[4].

وتعد قرينة السياق والقرائن الحالية مناط أمن اللّبس عندما تتعدد إحتمالات المعنى، أو تصلح أن تكون بديلاً عن القرائن اللفظية عن غيابها[5].

ولتمام حسان نظرته الخاصة للسياق ويرى أن البلاغيين قد فهموا المقام أو مقتضى الحال فهما سكونيا نمطيا مجردا ،إذ قالوا لكل مقام مقال ، ولكل كلمة مع صاحبتها مقام ، ورأى أن

---

[1]- الأعراف: 49.

[2]- النساء: 127.

[3]- المائدة :103.

[4]- ينظر: البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج1،ص:174.

[5]- ينظر: الخلاصة النحوية، تمام حسان، ج1،ص: 23-24.

هذه المقامات نماذج مجردة وأحوال ساكنة ذات مقتضيات يوزن بها سلوك الحي ويصب في قالبها ولذا عد **المقام** عند البلاغيين سكونيا .

المبحث الثالث:الأسلوب العدولي في القرآن الكريم .

العدول لغة واصطلاحًا.

1-1 لغة: لكي تكون فكرة العدول عن الأصل واضحة لابد أن نتبين مفهوم العدول ليكون مدخلاً مناسبًا لفهم طبيعة هذه الدراسة ، ولاشكَ في أن صورة التعريف بهذا المصطلح تشمل المعنى اللّغوي والمفهوم الاصطلاحي. وتقودنا محاولة تتبع مضامين كلّمة العدول إلى المادة اللّغوية ويأتي مفهوم العدول في اللّغة بمعنى الميل والإنصاف، وحياد الشيء عن وجهته وإمالته عنها كما جاء في لسان العرب لابن منظور: أعدل عن الشيء يعدل عدلاً وعدولاً، حاد عن الطريق جار، وعدل إليه عدولاً رجع، وماله معدل ولا معدول، أي مصرف، وعَدَلَ الطّريق: مال... ومنه قول **أبي خراش:**

على أتّي إذا ذكرت فراقهم تضيف على الأرض ذات المعادل

أراد ذات السعة يعدل فيها تمشيا وسعتها. والعدل: أن تعدل الشيء عن وجهه، تقول: عدلت فلانًا عن طريقه وعدلت الدابة إلى موضع كذا[1].

1-2- اصطلاحًا: تعد ظاهرة العدول إحدى الظواهر الأسلوبية التي تتميز بكفاية عالية في القيام بوظائف مختلفة في بنية الخطاب اللغّوي على مستويات شتى ومن زوايا نظم متعددة. فإذا كانت عملية الإيصال اللّغوي لا تتشكل إلا بوجود ثلاثة أقطاب رئيسية المبدع-النّص- المتلقي.

وإذا كان الأسلوب العدولي تمثل خرقًا للنّسق المألوف وكسرًا لأفق التوقع لدى المتلقي، الأمر الذي يجعله حافلاً بعناصر التشويق والإثارة، فإن هذا الأسلوب يصبح مجالاً لدى المبدع لعرض

[1]- لسان العرب، ابن منظور، إعداد وتصنيف يوسف الخياط، دار لسان العرب، بيروت-(دت)، ج2: ص706

طاقته التعبيرية وقدراته الفنية.[1] فـ" **الأسلوب العدولي مورد من موارد التأنق في الأسلوب ورده من شاء من القدماء ويرده من يشاء في يومنا هذا**".[2]

وربط الأسلوب مرة أخرى باختيار الكلمات لأنها تحمل بصمات شخصية صاحبها وفيه تركيز علي العلامة بين الشيء والنص، وكذا الاهتمام بالعلاقة بين النص والمتلقي فيلتمس مفاتيح الأسلوب في دور الأفعال والاستجابات. والعدُول قد شمل عدّد مصطلحات منها: الاستعمال الأصولي وأصل الوضع ومقتضى الظاهر وغير ذلك. وأطلقوا على الخروج عليه: العدول عن أصل القاعدة أو أصل الوضع.[3]

يرى **تمام حسان** أن الالتزام بهذا الأصل "الأصل" كان أصوليًا يعتمد على القرائن. وربما الدواع أدبية وذوقية ونفسية ولأحداث تأثير معيّن يعدل عن الأصل فيصير **أسلوبيًا أدبيًا** ذا تأثير. وهو عدول مقبول مستحب وذلك لأمن اللّيس يكون بتضافر القرائن، وهي عنده: قرينة النبية- قرينة الرتبة- قرينة الربط- التّضام، الإعراب، المطابقة، ويسنمح الترخص في إحداها أو أكثر إذا أمن اللّيس يتضافر القرائن الأخرى. ووضح ذلك بقوله: قد تجعل واحدة من القرائن زائدة على مطالب وضوح المعنى لأنّ غيرها يغني عنها فيكون الترخص بتجاهل المتسك بهذه القرنية كالترخص في رفع الثوب ونصب المسمار في قول العرب: "خرق الثوبُ المسمار" أغنت قرنية التّضام إلى جانب قرائن أخرى كاسمية الفاعل ورتبة متأخرًا عن الفعل وغيرها لذا أمكن تجاهل دلالة الإعراب على المعنى النّحوي.[4]

واشترط للرخصة أن تكون مرهونة نمحلها فلا تصلح لأن يقاس عليها ولا تبرر بها أخطاء

[1]- العدول في صيغ المشتقات في القرآن الكريم-دراسة دلالية، جلال عبد الله محمد سيف الحمادي- رسالة ماجستير، 1428- 2007، ص214.

[2]-ينظر: البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج2، ص:77

[3]- العدول في صيغ المشتقات في القرآن الكريم-دراسة دلالية، جلال عبد الله محمد سيف الحمادي ، ص: 229.

[4]- نظرات أسلوب العدول في القرآن، حسن منديل حسن العقيلي. (مقال منشور على الأنترنت)

المحدثين. وميز بينها وبين الضرورة فالأولى تقع في النشر أمّا الثانية ففي الشعر.[1] والرخصة عند حسان "تركيب الكلام على غير ما تقتضي به القاعدة إتكالاً على أمن اللّبس فإن لم يؤمن اللّبس نسب الكلام إلى الخطأ لا إلى الترخص[2].

ويعد الجانب الصرفي من أهم الجوانب التي كانت للأصوات فيها دور بارز حيث يتم تحديد الوحدات الصرفية من خلالها، فالأوزان والأبنية وكثير من الظواهر التركيبية في الصّرف قائمة على أسس صوتية، ولم يكن "**فيرث**" FIRTH مبالغًا حين قرر أنّه " لا وجود لعلم الصّرف بدون علم الأصوات". وذلك لأن مباحث الصّرف مبنية في أساسها على ما يقرره علم الأصوات من حقائق وما يرسمه من حدود[3] وفيما يلي بيان لطرق العدول الأسلوبي عن الاعتداد بها:

1-العدول عن البنية:

***الإجراء التصريفي:**

إن منهج كلّ لغة هو الميل إلى التخفيف والتيسير والتخليص من الأصوات المتنافرة، ولذلك كانت بنية الكلمة في العربية تقوم على هذا الأساس، وهو طلب الخفة في النطق، والجمال في السمع ولذلك كان في للقوانين الصوتية الدور الأهم في تشكيل الكلمة العربية في بنيتها، وفيما يطرأ عليها من إجراءات عدولية تصريفية تتبع في صياغة تتبع في الصياغة كالإدغام والإخفاء والإقلاب والإعلال، والإبدال والنقل القلب والحذف والمناسبة علاجا لمشاكل تجاور الأصوات الذي يتسم بالثقل. ويرقى **تمام حسان** بهذا العدول إلى مستوى التقعيد عكس الرخصة[4]. ومن هنا جاءت القواعد التصريفية كالآتي:

- إذا تحركت الواو أو الياء وأنفتح ما قبلها قلبت ألفا.
- إذا اجتمعت الواو والياء وسبقت احدهما بالسكون قلبت الواو ياء أدمغت في الياء.

---

[1]- ينظر: البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج2،ص:76

[2]- ينظر: المصدر نفسه، ج2، ص12-13، واللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان ، ص 297

[3] - ينظر: علم الأسلوب، صلاح فضل، ص: 250

[4] - ينظر: البيان في الروائع القرآن، تمام حسان، ج2، ص :77

- أذا وقعت الواو أو الياء بين عدويتها خذفت.
- تنقل حركة الواو أو الياء عند ثقلها إلي الساكن الصحيح قبلها.
- إذا وقعت الواو أو الياء متطرفة إثر ألف زائدة قلبت همزة.

وتحكم المناسبة تفخيم اللاّم وترقيقها في لفظ الجلالة وكسر الهاء من ضمير الغيبة إذا سبقت بكسر.[1]

1-النقل: ويكون من المعنى الأصلي للّفظ عدولاً إلى معنى آخر لغاية أسلوبية معينة،ويكون بأمرين هما:[2]

أ-التّضمين: ورد التضمين في لسان العرب لابن منظور: "يقال ضمنت الشيء أضمنه ضمانًا فإنه ضامن وهو مضمون".[3]

ويعني التّضمين في اللّغة إيداع شيء شيئًا آخر سواء أكان هذا الإيداع حقيقيا أو غيره. وجاء في الاصطلاح هو: "إشراب لفظ معنى لفظ آخر"،[4] فالعرب من شأنهم أنّهم يضمنون الفعل معنى آخر فيجرونه مجراه ويستعملونه استعماله مع إرادة معنى آخر فيجرونه مجراه ويستعملونه استعماله مع إرادة معنى التّضمين[5]. وعرّفه **محمد حسين عواد** " **أنّه توسع إستعمال لفظ توسعًا يجعله مؤديًا معنى لفظ آخر مناسب له فيعطي الأوّل حكم الثاني في التعدي واللّزوم**".[6]

والحق أنّ نظام اللّغة يفسرّ لنا هذه الظاهرة تفسيرًا واضحًا من غير افتراضات وتحامل وتأويل

---

[1] -ينظر: البيان روائع القرآن، تمام حسان، ج2، ص:78

[2] - ينظر:المصدر نفسه ، ص:78

[3] - لسان العرب، ابن منظور، مادة ضمن.

[4] - البحر المحيط، الفيروز أبادي، تح: أحمد عبد الموجود ومحمد عوض وزكريا عبد المجيد النوتي وأحمد النجولي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1428 هـ- 2007 م، ج10، ص.372

[5] - البرهان، السيوطي، تح: عبد لإله نبهان وغازي مختار طليمات وإبراهيم محمد عبد الله وأحمد مختار الشريف، مجمع اللغة العربية، دمشق، 1987 م – 1407 هـ، ج5، ص 338-.413

[6] - الأشباه والنظائر في النحو، الجرجاني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1984، ج 1، ص100

فالتّضمين اتساع في المعنى، وهو أسلوب مرتبط بالذوق يلجأ إليه لغرض بلاغي مع تحقق المناسبة بين الفعلين ووجود قرينة يؤمن بها اللّبس كما ذهب مجمع اللّغة المصري.[1]

والتضمين عند **حسان** يتجاوز قرينة البنية، وهو ظاهرة من ظواهر التضام ذلك بأنّ اللّفظ الذي تضمن معنى لفظ آخر يحتل موقعه أيضًا، فيدخل على ألفاظ قد لا يدخل عليها بأصل يضامه في موقعه الأصلي.[2]

وللتضمين غرض بلاغي لطيف، وهو الجمع بين معنيين بأخصر أسلوب، وذلك بذكر فعل و ذكر حرف جرّ يستعمل مع فعل آخر، فنكسب بذلك معنيين: معنى الفعل الأولى، ومعنى الفعل الثاني،[3] على حدّ قول ابن هشام الأنصاري: قد يشربون لفظًا فيعطونه حكمه، ويسمّى تضمنيًا، وفائدته، أن تؤدي كلّمة مؤدى كلّمتين".[4]

ومن ذلك قوله تعالى:﴿ **قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ** ﴾.[5]

ب– النيابة: وجاء في لسان العرب: ناب عني فلان ينوب نوبا ومنايا أي قام مقامي، وناب عني في هذا الأمر نيابة إذا قام مقامك، والنّوْب: إسم لجمع نائب ؛زائر وزور؛ وقيل هو جمع والتوبة: الجماعة من الناس.[6]

والنيابة من المصطلحات النّحوية التي ترد في المصنفات العربية النّحوية بهذه التسمية، إذا يتجاوز النّحاة لفظ النّيابة الصّريح ويعبّرون عنها بألفاظ ومسميات كثيرة، لكنها متقاربة في دلالتها على النيابة لأنها مستقاة من المعنى والعمل الذي تؤديه، ولكن من تحديد دقيق لها يبدو أن السبب

---

[1]– ينظر: البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج2، ص78.

[2]– ينظر: المصدر نفسه، ص:80.

[3]– معاني النّحو، فاضل السامرائي، شركة العاتك لصناعة الكتب، القاهرة، مصر، ط2، 2003، ج3، ص15.

[4]– مغني اللّبيب عن كتب الأعاريب ،ابن هشام الأنصاري ، تح حنا الفاخوري ، دار الجبل بيروت ، لبنان، 1411هـ–1999م، ج2: ص: 493.

[5]– المائدة: 77.

[6]– لسان العرب ، إبن منظور ، مادة ناب

يعود لعدم إتجاه النحاة إلى تحديدها، وفصلها وتمييزها من غيرها من المصطلحات النّحوية فقالوا سدّ كذا مسد كذا، بمعنى ناب عنه، ومن ذلك ما جاء في شرح ابن عقيل.[1]

واشتهر من قول النحاة أن حروف الجر ينوب بعضها عن بعض، وورد في مصطلحاتهم ما يدل على أن النّيابة واقعة عن الفاعل، وعن المفعول المطلق، كم تنوب الحركة في إعراب الممنوع من الصرف وجمع المؤنث السالم وتنوب المعرفة عن النكرة..... الخ وسموا بعض النيابة تعويضا.[2]

ومجال الإهتمام بالنسبة عند **حسان** نيابة اللّفظ عن اللّفظ، كنيابة الجامد عن المشتق ويحدث بكثرة في الخبر وما أصله الخبر وفي الحال والنّعت كما في قوله تعالى:﴿ **ذَلِكَ الْكِتَابُ**﴾.[3] أي ذلك المستحق لهذه التّسمية.

وقد تنوب المعرفة عن النكرة ومثل له النّحاة بقولهم "قضية ولا أبا حسن لها". ويجوز أن يقال: أنت حاتم الكرم وسحبان الفصاحة "كما تنوب النكرة عن المعرفة، نحو قوله تعالى:﴿ **وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ (1) الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ** ﴾[4]

فقد وصفت النّكرة بالمعرفة وكأنّها معرفة ويبدو أن ذلك إنّما يكون بعد وصف النّكرة بنكرة مثلها حتى تكتسي قدرًا من التخصيص بقربها من المعرفة. [5]

3- تسخير اللّفظ لتوليد المعنى:

إن طاقة اللّفظ تتسع لما هو أكثر من مجرد المعنى العرفي الإجتماعي، بأن تشمل تسخير هذا اللّفظ لتوليد معان أخرى فنية أسلوبية، ولكونها أسلوبية يمكن وصفها بأنّها فردية أو شخصية.

---

[1]- النيابة وما يضارعها من من المصطلحات النّحوية، د. مجيد نوط عبيد الشمري، مجلة الفتح – جامعة ديالي كلية التربية، العدد 27، 2006، ص: 03

[2]- البيان في روائع القرأن، تمام حسان، ص:80

[3]- البقرة: 2

[4]- الهمزة: 1-2.

[5]-ينظر: البيان روائع القرآن، تمام حسان، ج2، ص:81.

أي ترجع إلى قدرة منشيء الخطاب المبدع في إختيار الألفاظ التي تحدث الأثر النّفسي المناسب لدى المتلقي، وتسخير اللّفظ لتوليد المعنى نمط من أنماط العدول، له طرق متعددة منها:[1]

ويسرد **تمام حسان** شواهد من القرآن الكريم على أسلوب التضمين الذي هو ظاهرة من ظواهر النّقل نحو قوله تعالى:﴿ **وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا**﴾[2]ففي استعمال فعل الأكل في الآية تضمين هذا الفعل معنى الضَّم أي"ولا تضموا أموالهم إلى أموالكم ". وقال **سعد الدّين التفتزاني** في هذا الصدد "**حقيقة التضمين أن يقصد بالفعل معناه الحقيقي مع فعل آخر يناسبه ثم قال: الفعل المذكور مستعمل في معناه الحقيقي مع حذف حال مأخوذة من الفعل الآخر بمعونة من القرينة اللّفظية.**"[3] فعل الأكل متعد بنفسه إلى مفعوله الواحد، ولا يحتاج بعد ذلك أن يتعلق به "إلى" ولو جاز أن يتعلق به الحرف لكان الحرف "من" نحو:﴿ **وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ**﴾.[4]

والمقصود بالنّهي عن الأكل في آية النساء النّهي عن الضّم، والمعروف أن الفعل "ضَمَّ" ينصب أحد المضمومين على المفعولية، ويتعدى إلى المضموم الآخر بواسطة "إلى"، ففي إستعمال الأكل في الآية تضمين هذا الفعل معنى فعل "الضّمِ"؛أي: "ولا تضموا أموالهم إلى أموالكم"، فوقع فعل الأكلِ في البنية اللفظية لفعل الضّم، وأدى معناه، وهذا هو المقصود بالتضمين الذي هو صورة من صور النقل الأسلوبي، واستعمل الأكل، لما فيه من الشراهة بعكس مطلق الضّم.[5] حكاية اللّفظ للمعنى: نحو قوله تعالى:﴿ **وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ** ﴾.[6]

---

[1]- ينظر: البيان في روائع القرآن، تمام حسان ، ج2،ص:82.

[2]- النساء: 02

[3]- التضمين في العربية ، أحمد حسن حامد- الدار العربية، للعلوم ، بيروت لبنان، ط1، 2001، ص:11

[4]- الأنعام: 121.

[5]- البيان في روائع القرآن، تمام حسان ،ج2، ص 352.

[6]- فاطر: 27

كان يمكن لهذا المعنى أن يوصل إليه بواسطة استعمال لفظ "صخور"، ولكن حروف هذه الكلّمة هي "صاد" رخوة، ثمّ "خاء" رخوة أيضًا، ثمّ "راء" تكرارية، وفي الرخاوة رخاوة، وفي التكرار تخلخل، أمّا لفظ "جُدَدٌ" فالشدّة واقعة في جلّ حروفه، ممّا يوحي بالقوة التي تتناسب مع تركيب الجبال.[1]

ومنه قوله تعالى:﴿ **وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا**﴾.[2] تكاد كلّمة أفٍّ، تنقلب بجرسها من اسم فعل إلى اسم صوت، فإنّ ما في الفاء من طرد النّفس من الصّدر حكاية للرفض، وإرادة التخلص من موقفه وصاحبه، ولو أنّ الرافض بحث عن تغيير مناسب للرفض ما وجد أفضل من لفظ "أفٍّ" بسبب ما فيها من دلالة طبيعية تدعم دلالتها العرفية... فهي تدل بجر سها على ما تدل عليه بوضعها.[3]

وترقى القيمة الصوتية إلى حكاية معنى عرفي رصده المعجم للّفظ أو معنى طبيعي، مما تستوحيه النّفس ولا تستطيع وصفه، فإنّ أمكن أحيانًا أن نشير إليه من بعد، فإنّنا لا نستطيع تفسير العلّة التّي جعلته موحيًا على النّحو، فمثل التأثر به كمثل التأثر باللّحن الموسيقي، نطربُ له ولا ندري لماذا ولعنا نجد جوابًا لذلك عند الرافعي أن ذلك هو الإستهواء الصوتي في اللّغة."[4]

ومما يتصل بإيحاء اللّفظ إيحاء من نوع آخر لا يعود إلى أصوات الكلّمة، وإنّما يعود إلى الدلالات الهامشية للألفاظ، فمثلاً: "سأل زكرياء ربهُ:﴿ **قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ**﴾[5] وسألت وسألت مريم ربّها:﴿ **قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ** ﴾[6] فأجاب الله زكريا بقوله:﴿**كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا**

---

[1]- البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج2،ص: 81

[2]- الأحقاف: 17

[3]- البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج2، ص:82

[4]- تاريخ آداب العرب، الرافعي، مكتبة الإيمان، ط1، 1997، ج2، ص215.

[5]- آل عمران: 40

[6]- آل عمران: 47

يَشَاءُ ﴾[1] وأجاب الله مريم بقوله:﴿ **كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾** [2].

بداية، لابد أن نفهم الفرق اللّغوي بين " يخلق" و"يفعل"[3]، حيث يفهم من الأوّل معنى التقديم والإنشاء من عدم، أمّا الثاني ففيه تصيير شيء من شيء موجود أصلاً، أو نقله من حال إلى حال. وبناءً على هذا الفهم نرى أنّ فلا شبهة إن حملت المرأة، أما في حالة مريم، فإن التعبير بلفظ "يفعل" ربما أثار خواطر سيئة، فاللّفظ لهذا غير مناسب، ومن هنا جاء الفعل "يخلق" ليوحي بطلاقة القدرة وهيمنة الإرادة والمشيئة الإلهية.

ولعلنا نلتفت إلى عدول آخر في السؤالين حيث كان "غلام" في سؤال زكريا، وكان "ولد" في سؤال مريم، وذلك أنّ الغلام ابن لأبيه، والولد من الولادة، والولادة من خصوصيات المرأة، وهذا هو ما كان يشغل مريم، كيف تلد بدون زوج؟!

ومنه قوله تعالى:﴿ **وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ﴾**[4] الذي فعله المتخاصمون المتخاصمون المحتكمون إلى داوود عليه السلام. هو أنهم تسلقوا السّور، والصيغة الصرفية في "تسلقوا" هي "تفعلوا". والأصول الاشتقاقية في "السّور" هي "س ور"، وقد ضمّت الآية الضيغة إلى الأصول الثلاثة، فكان نتيجة ذلك لفظ "تسوّروا" الذي هو أخصر من كلمتين، وأجمع للدلالة على المعنى، وأكثر حكاية له.[5]

ب– العدول إلى تنكير اللّفظ أو تعريفه: وذلك للوصول إلى إفهام التعميم، وما يتولد عنه من إيهام أو تهويل أو تحقير أو تعظيم، يحسب موقع الكلّمة من سياقها اللّغوي والاجتماعي.

---

[1]– آل عمران: 40

[2] – آل عمران: 47

[3]– ينظر: البيان في روائع القرآن، تمام حسان،ج، ص:84.

[4]– ص: 21

[5]– ينظر: البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج2، ص:84

ولتمام حسان نظرته الخاصة للسياق ويرى أن البلاغيين قد فهموا المقام أو مقتضى الحال فهما سكونيا نمطيا مجردا ،إذ قالوا لكل مقام مقال ، ولكل كلمة مع صاحبتها مقام ، ورأى أن هذه المقامات نماذج مجردة وأحوال ساكنة ذات مقتضيات يوزن بها سلوك الحي ويصب في قالبها ، ولذا عد **المقام** عند البلاغيين سكونيا لأنه **حال**.أما المتحرك النابض بالحياة فهو السلوك اليومي للفرد الذي يسعى إلى مطابقته مع القوالب ، أما هو فهو يصرف السياق إلى المعنى الاجتماعي النابض بالحياة فيعطي له دينامية لم ينسبها إليه البلاغيون. والمقام أصلح للتعبير عما اصطلح عليه عند فيرث **contexte of situation** ولذا دراسة أي نص من النصوص يتطلب أكثر من مجرد الجمل التي يتكون منها النص ، ولمتصفح ديوان شاعر لابد من معرفة سيرته الذاتية وصلاته بالأحداث مقدمة لابد منها للديوان ، وكذا أسباب النزول في القرآن.[1]

على الرغم مما أورده **تمام** من نقد لمفهوم المقام عند القدماء ، إلا أن ما قام به الجرجاني وابن جني والجاحظ لا يخرج عن هذه الدائرة ، وعن جوهر المقام عند المحدثين ، وإن اختلف شكل التعبير عنه.

ومن شواهد إيثار التنكير قوله تعالى:﴿ **أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ**﴾[2] نكّر الرجل، والمقصود موسى عليه السلام، ليحوّل القضية من قضية شخص بعينه إلى قضية عامّة من قضايا منطق العدالة.[3]ومنه قوله تعالى:﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ**﴾[4] دليل إرادة العموم هو: أنك لو وضعت لفظ "كلّ" قبل كلّمة نفس لظلّ هيكل المعنى وإطاره العام كما هو، ومعنى هذا أنّ التنكير أغنى عن لفظ "كلّ" بما أفاده التنكير من معنى العموم، ففي الآية أمر من الله –سبحانه وتعالى– "للّذين آمنوا جميعًا أن يحاسبوا أنفسهم قبل أن يحاسبوا".[5]

[1] – ينظر: الأصول،دراسة ابستمولوجية ، تمام حسان ، ص: 303-305

[2]– غافر: 28

[3]–ينظر: البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج2، ص 85

[4]– الحشر: 18

[5]– ينظر: البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج2، ص:86

وقال **الزمخشري** في هذا الصدد: "فإن قلت: ما معنى تنكير النّفس والغدِّ؟ قلت: أمّا تنكير النّفس، فاستقلال للأنفس النواظر فيما قد من للآخرة، كأنّه قال: فلتنظر نفس واحدة في ذاك وأمّا تنكير الغدِ، فلتعظيمه وإبهام أمره، كأنّه قيل: لا يعرف كنهه لعظمه."[1]

ومن شواهد إيثار التعريف قوله تعالى:﴿ **فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ**﴾[2]، والسبب في هذا الإيثار والعدول: أن تعريف الرزق هنا أفاد أنّه لا رازق إلاّ الله، لإفادة "أل" معنى استغراق الجنس، وما كان يمكن الوصول إلى هذا القصر في المعنى لو أنّ الرّزق قد جاء على صورة النكرة، فلو قيل: " **فابتغوا عند الله رزقًا**" ما كان هذا القول حائلاً دون فهم التعدد لمصادر الرِّزق.[3]

ومنه قوله تعلى:﴿ **يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ**﴾[4]. جاءت الإناث نكرة، والذكور معرفة من أجل رعاية الفاصلة، ولو نكر فقيل: ويهب لمن يشاء ذكورًا". لتغير جرس الفاصلة، واختلفت عمّا قبلها،[5] من قوله تعالى:﴿ **وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا** ﴾[6]. ولكن لا يكفي في في تعريف "الذكور" القول بمراعاة الفاصلة. ولكن لابد من بيان دور المعنى الذي كان سبب أسلوبيًا في العدول: "**فالآية سيقت للاعتداد بالنّعم، وإنّما أتى بذكر الحرمان ليتكمل التّمدح بالقدرة، كما يمدح بالهبة والعطاء، فيعلم أنّه لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع، وقال: سجانه مخبرًا عن الحرمان بلفظ "تجعل"، عدولاً عن لفظ الحرمان والمنع إلى لفظ هو رَدْفُهُ وَتَابِعُهُ، وهو لفظ الجعل... فأخبر سبحانه– أنّه الفاعل لذلك كلّه على الحقيقة.**"[7]

---

[1]– الكشاف، للزمخشري، تح: محمد مرسي عامر، دار المصحف، مطبعة عبد الرحمان حمد، ط2، 1997، ج1، ص86.

[2]– العنكبوت: 17

[3]– ينظر: البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج2، ص:86

[4]– الشورى: 49

[5]– ينظر: البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج2، ص :87.

[6]– الإسراء: 67.

[7]– بديع القرآن ابن أبي الإصبع، حفني محمد شرف، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، (د ط)، (د ت)، ص68-69

و**للألوسي** رأي في هذا الصدد حيث يقول: "... **وفي تعريف الذكور، التنبيه على أنّه المعروف الحاضر في قلوبهم. أوّل كلّ خاطر، وأنّه الذي عقدوا عليه ملامهم.**"[1] وبناءً على هذا الرأي يكون سر تنكير الإناث هو الإشعار بتجاهل العرب وكراهيتهم لهذا الجنس، فكأنّ الآية الكريمة تقرر لهؤلاء- من خلال ظاهرة التعريف بعد التنكير- أنّ الجنس الذي هو معقد أما لكم في أنّ كلاّ منهما هو عطاء مالك السموات والأرض، الذي يهب ما يشاء لمن يشاء.

ج- العدول إلى الوصف بالموصول: ويعرف الموصول باسم الإخبار بالّذي والألف واللام وهذا إيراد للاقتران بالفاء وعدمها، وقد اجتمع الشرط والخبر الخاص[2]، في قوله عز وجل:﴿ **إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ**﴾ الشرط ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ**﴾[3]. (الخير الخالص).

وقد يفيد الموصول العموم، والدليل نقله ليكون من روابط الجملة، ويكون أداة للشرط والاستفهام بواسطة النقل (من- ما- أي) ومن هنا يأتي استعمال الموصول وفاءً بإرادة الفروق عن تحديد مدلوله لغرض أسلوبي معين، وقد يكون العدول إلى الوصف بالموصول إستغناءً عن تعيين الذات، ووفاءً بإرادة العزوف عن تحديد مدلوله لغرض أسلوبي معيّن كالتحقير نحو قوله تعالى مشيرًا إلى امرأة العزيز:﴿**وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ**﴾[4]. فلا هي "زليخا" ولا هي "امرأة العزيز"، ولا هي "سيدته" وإنما هي تلك التّي تقيم معه في بيت واحد هو بيتها، وفي إضافة البيت إليها لا إلى زوجها من الإشارات المهنية مالا تخفى.[5] وقد يساق الموصول مساق التعظيم بسبب

---

[1]- روح المعاني، الآلوسي، علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1415هـ، ص25-54

[2]- البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج2، ص :93

[3]- البروج: 10-11

[4]- يوسف: 23

[5]-ينظر: البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج2، ص: 95

ما يحتمله التعميم من التهويل والتضخيم والتكريم، كما في قوله تعالى:﴿ **المر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ**﴾[1] أي "والقرآن هو الحق"[2].

ومنه قوله تعالى:﴿ **وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ**﴾[3]. أي وهو الله.

ويستعمل الموصول للاختصار نحو قوله تعالى:﴿ **وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ**﴾[4]، الموصول ما (لغير العاقل) اختصر وأحصى جميع ما سخره الله له.

و- الإضمار: تعد الضمائر صالحة للنقل من خلال تسخيرها للتعبير عن معنى الشأنِ نحو قوله تعالى:﴿ **وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ** ﴾[5]. ويستعمل ضمير الإشارة لإفادة التلخيص لما سبق من قول، تمهيدًا للعطف عليه كما في قوله تعالى:﴿ **هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ**﴾[6].

2- العدول عن قرينة الإعراب:

تعد قرينة الإعراب محدودة في مجال التطبيق في تراكيب العربية لتعذر الاعتماد عليه في كثير من عناصر اللّغة، كالمبني والمقصور وبعض المنقوص والمصادر المؤولة والجمل ذوات المحل... إلخ. إلى ذلك أن تضافر القرائن على بيان المعنى النّحوي وندرة اعتماد هذا المعنى على قرينة واحدة فقط يجعل بعض القرائن المتضافرة لبيان المعنى زائدة على المطلوب.[7]

ويظهر أن **تمام حسان** وبعض المعاصرين التابعين له قد وزعوا تلك المسؤولية على عدّة قرائن، ومن ضمنها قرينة الإعراب، وفسر **حسان** الإعراب بالعلامة الإعرابية، وعدّه إحدى القرائن

---

[1]- الوعد: 01

[2]- ينظر: البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج2، ص: 95

[3]- الرعد: 03

[4]- الجاثية: 13.

[5]- الصافات: 165

[6]- ص: 55

[7]-ينظر: البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج2، ص 97.

التي تبيّن المعنى النّحوي، ورأى أنّه المسؤول عن توضيح عملية التعليق والكشف عن المعنى الوظيفي للتركيب إلى جانب مجموعة من القرائن الأخرى التي تتضافر لأداء هذا الدور.[1]ولذا فهو يرى أن العلامة الإعرابية بمفردها لا تساعد على تعيين المعنى مشيرًا إلى أنّه لا قيمة لها بدون النظر إليها في إطار الأسماء بـ" تضافر القرائن"،[2] وينطبق على كلّ قرينة أخرى بمفردها.[3]

ومثلّ لذلك بالفعل، فهو لا يعرف عنده بالرّفع فقط، وإنّما يعرف به بالإسمية والتأخر عن الفعل، وبناء الفعل للمعلوم، وما يصحب ذلك من قرينة معنوية هي دلالة هذا الإسم على فعل الفعل أو قام به الفعل.[4]

وتجدر الإشارة إلى أنّ ما قدمه **تمام حسان** وتابعيه لا يختلف كثيرًا عن تصوّر سابقيهم من الدّارسين إذ ربطوا جميعًا الإعراب بالعلامة الإعرابية، على ما أضافه **تمام حسان** وتابعوه إنّما هو تقليل الدّور الذي تقوم به تلك العلامة في إبراز المعنى النّحوي، وربط ذلك المعنى بما أسموه بتضافر القرائن".[5]

ويعدّ النظام الإعرابي أحد الأنظمة التي تعضد أنظمة العربية مثل النظام الصرفي والنظام البلاغي وسنحاول تناول خرق النظام الإعرابي في النّص القرآني بالتحليل الأسلوبي من وجهة نظر **تمام حسان**.

---

[1]- ينظر: المصدر نفسه، ص: 97

[2]- اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، ص: 189

[3]- المصدر نفسه، ص: 21

[4]-ينظر: البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج2، ص :97.

[5]- ينظر: اتجاهات البحث في قضية الإعراب عند اللّغويين العرب المحدثين- خالد بن صالح الحجيلان، رسالة ماجستير- جامعة الملك سعود، السعودية، 1421هـ، ص22.

عند **تمام حسان** يجوز الترخص في الإعراب بعدم مراعاته وذلك للوصول بالرخصة إلى غرض أسلوبي ما، وعلّلّ ذلك بأنّه يُمكن خرق الإعراب لتضافر قرائن بيان المعنى زائدة عن المطلوب أحيانًا، فإذا زاد الإعراب عن مطالب بيان المعنى كما في "خرق الثوب المسمار".[1]

أمن الترخص في الإعراب بعدم مراعاته. "ومن أوجه الترخص مراعاة القافية في الشعر كقول امرؤ القيس:[2] **كَأَنَّ ثَبِيرًا فِي عَرَانِينِ وَبْلِهِ كَبِيُر أُنَاسٍ فِي بِجَادٍ مُزَمِّلِ**

فقد جرّ" مزمّل" إلى جوار بجاد، وإلا فالقياس يقتضي رفعه لأنه وظف لكبير أناس.[3] أو مراعاة المناسبة الصوتية بين أواخر كلمتين متجاورتين وهي التي تعرف باسم "إعراب الجوار"، كما في قراءة حمزة والكسائي ﴿ **عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ**﴾[4]. بجر لفظ "خضر" لمناسبة الجرّ في آخر "سندس". ومثل النّحاة في تفسيراتهم للعدول عن القياس النّحوي في ضوء التأثير الصوتي كالإتباع والحمل على الجوار. نحو قوله تعالى:﴿ **أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ**﴾[5].

ويقول **السيوطي** "**من قال أنه مجرور على الجوار، لا يجوز لأن الجر على الجوار في نفسه ضعيف شاذ لم يرد منه إلا أحرف يسيرة ، والصواب أنه معطوف على " رؤوسهم " على أن المراد به مسح الحق**".[6]

---

[1]-ينظر: البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج2، ص :97.

[2]- امرؤ القيس، الديوان، دار صادر، بيروت، د ت، ص :29.

[3]- ينظر: البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج2، ص: 97.

[4]- الإنسان: 21

[5]- المائدة: 06

[6]- الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، تح: محمد أبو الفضل، مطبعة أبو المشهد الحسيني، القاهرة، ط1، 1967، ج3، ص94.

ويلقانا صاحب كتاب "المحكم" **ابن سيده** "458هـ" الذي يقول عند تعرضه لقوله تعالى:﴿ **وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا**﴾[1] فقد جعل مراعاة رؤوس الآيات، "الفواصل" سبب من أسباب العدول، وهذا وارد عند كثير من القوم.[2]

وتخلص إلى القول أن العدول عند اللُّغويين والنّحويين هو **تحول أسلوبي أو انحراف عن الأصل المثالي، لا يتغير به جوهر المعنى؛ أي البنية العميقة له،" أو هو العدول بالكلام من نمط إلى نمط آخر من أنماط التوسع في المعنى، أو العدول عن مساق الكلام إلى مساق**

آخر.[3]ومنها رعاية الفاصلة هو: "**إتباع حركة أخرى في كلمتين متجاورين في الكلمة الواحدة**"[4]. وكذلك إشباع الفتحة في آخر ألفاظ المعرفة بالأداة[5]. كما في قوله تعالى:﴿ **وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا**﴾[6] فأشبعت الفتحة في كلمة "الظنونا" لأنها معرفة بالأداة (أل). ويظهر جليا ممّا سبق أن العربية قد تضحي ببعض قوانينها من أجل تحقيق المناسبة.

ومن الأسلوب العدولي إلحاق هاء السكت في آخر الكلّمات المنتهية بالياء المفتوحة ،كما في آيات سورة الحاقة من قوله تعالى:﴿ **فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ (19) إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ** ﴾ وقوله:﴿ **وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ**

[1]- الكهف: 51.

[2]- المحكم، ابن سيده، عبد الحميد هيناوي، دار الكتب العلمية،ط1هـ ،1424- 2001 م، ، ج1، ص241

[3]- أصول البلاغة، علم البيان دراسة فنية تاريخية في أصول البلاغة، بدوي طبانة، مكتبة الأنجو المصرية، ط2، 1967، ص83.

[4]- البرهان، الزركشي، ج3، ص377

[5]- ينظر:البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج2، ص:97.

[6]- الأحزاب: 10

كِتَابِيَهْ (25) وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ(26) يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ (27) مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ (28) هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ ﴾[1].

يقول **ابن قتيبة:** "**إنما يجوز في رؤوس الآي زيادة هاء السكت**"[2]، كقوله تعالى:﴿ **وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ** ﴾[3]. لتستوي رؤوس الآي على مذاهب العرب في الكلام.

ويرى أن الآيات تتحدث عمن يؤتي كتابه بشماله يوم القيامة وما يعتز به حينئذ من ندم وحسرة وهي وقفة مع نفسه تنبيء عن حسرة مديدة ولهجة بائسة وتنهيد وتهديج، والسياق يطيل هذه الوقفة، حتى ليخيل إلى السامع أنها لا تنتهي إلى نهاية... وهنا يراد طبع موقف الحسرة. أو

يجمعه ويكتنزه نحو قوله تعالى:﴿ **مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ (28) هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ** ﴾[4]

فجاء السكت على هذه الهاء في "ماليه" يصور لحظة النّدم على ما فعل به حب المال من الإعراض والتقصير، مصحوبًا بتلك الهاء الحلقية الساكنة. مع ما يتبعها من تفريغ التأوه الصادر من أعماق القلب ليؤدي رنّة حزينة حسيرة مديدة في نهاية الفاصلة الساكنة، ويزيد من ذلك الياء قبلها بعد المدّ بالألف في تحزن وتحسر، ولا شك أنّها بصورتها ترسم جزءً من ظلال الموقف الموحي بالحسرة. وهذا ما يكشف عنه زيادة إلحاق هاء السكت، وما يوحي به من ظلال المشهد، ولكن يوحي الوقف على "ماليه" رغم أنّها رأس آية الاتصال المعنى بما بعدها فقوله: "هلك عني يوحي تمام الكلام.[5] الوقف على "ماليه" رغم أنّها رأس آية الاتصال المعنى بما بعدها فقوله: "هلك عني سلطانيه". من تمام الكلام.[6]

---

[1]- الحاقة: 13-20

[2]- تفسير غريب القرآن، ابن قتيبة ، تح: السيد أحمد صقر، (دط)،(دت)، ص:440

[3]- القارعة: 10

[4]- الحاقة: 29.

[5]- البيان في روائع القرآن، تمام حسان،ج2، ص:97

[6]- ينظر : المصدر نفسه، ص:97

ونخلص من هذا أن السكت على "مالية" أفادت إفادتين:

الأولى: لفظية، وهي الرنّة الحزينة المديدة في نهاية الفاصلة الساكنة، لينسجم الأداء الصوتي مع باقي الفواصل السابقة واللاحقة "كتابيه، حسابيه، القاضية، ماليه، سلطانية".

الثانية: معنوية، وهي تجسد لحظة النّدم، وتجلية موقف الحسرة، وإيحاء الفجيعة وفداحة المصير.[1]

ويأتي الوقف على آخر الكلام أسلوبًا عدوليًا من الإعراب، له ما للأصل الإعرابي من تقعيد وما له من إطراد.[2]

3- العدول عن قرينة الربط: يعدل عن قرينة الربط بأساليب متعددة منها: الالتفات والتغليب والمراوحة وحذف الرّابط. ويعد الربط قرينة لفظية على إتصال أحد المترابطين بالآخر[3].

أ-الالتفات: الالتفات مأخوذ من الفعل "لفت" وهو يدل على اللّي وصرف الشيء عن جهته المستقيمة، ومنه لفت الشيء لويته، ولفت فلانًا عن رأيه صرفته. ولفت وجهه عن القوم صرفه، والتفت إلتفاتًا والتلفت أكثر منه، وتلفت إلى الشيء وإلتفت إليه: صرف وجهه إليه والتفت عنه أعرض".[4]

أمّا في المعنى الاصطلاحي فلقد تعددت التعاريف بالرجوع إلى خلفيات العلماء وجاء في القرآن الكريم ﴿ **وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ**﴾[5]. أمروا بترك الإلتفات بوجوههم لئلا يروا عظيم ما نزل بالكافرين من العذاب.

---

[1]-ينظر: البيان في روائع القرآن، تمام حسان،ج2، ص:98.

[2]- ينظر: المصدر نفسه، ص : 98.

[3]- ينظر: البيان في روائع القرآن تمام حسان ، ج1، ص:98

[4]- لسان العرب- ابن منظور-مادة لفت

[5]- هود: 81

تدور المادة اللّغوية أو المعجمية للالتفات تدور عمومًا حول محور دلالي واحد هو التحوّل أو الإنحراف عن المألوف من القيم أو الأوضاع أو أنماط السلوك.

يعد أسلوب الإلتفات أحد السبل التعبيرية أو الألوان البلاغية التي يشيع في استخدامها في القرآن الكريم، بل لعله أكثر هذه الألوان ترددًا، وأوسعها انتشارًا في البيان الخالد، مما جعل حصرها أمرًا فوق طاقة الباحثين، "**والواقع أن احتفاء القرآن بالالتفات قد جعل تناوله على جهة الاستقصاء أمرًا فوق طاقة هذا البحث**".[1]

ويرى آخرون أن أهم ما يميز الالتفات هو الحركة والمفاجأة فهو: "**فن بديع من فنون القول يشبهه تحريك آلات التصوير السينمائي بنقلها من مشهد إلى مشهد آخر في المختلفات والمتباعدات التي يراد عرض صور منها، ومفاجأة المشاهد بلقطات منها متباعدات، لكنّها تدخل في الإطار الكلي الذي يراد عرض طائفة من مشاهده تبدل على ما يقصد الإعلام به.**"[2]

ورغم تعدد تعريفات الالتفات إلا أنها ارتبطت بالانتقال بين المتكلّم، والخطاب والغاية منها: "**الالتفات هو التعبير عن معنى بطريق من الطرق الثلاثة بعد التعبير عنه بطريق آخرمنها**".[3]ويرى يرى البعض الآخر أن معنى الإلتفات هو "**نقل الكلام من أسلوب إلى أسلوب آخر، نظرية واستدرارًا للسامع، وتجديد نشاطه، وصيانة لخاطره من الملل والضجر بدوام الأسلوب الواحد على سمعه**".[4]

[1]- أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، حسن طبل، دار الفكر العربي، القاهرة،(د ط)، 1998، ص:55

[2]- البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، عبد الرحمان الميداني، ج1، ص480

[3]- الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، تح: محمد عبد المنعم خفاجي، ط3، 1413هـ - 1993 م، المكتبة الأزهرية للتراث، ص157.

[4]- الصناعتين، أبو هلال العسكري، ص438-439

وهو ما يبرره إيثاره في تسمية تلك الظاهرة التي بصددها والتي تتمثل في كلّ تحول أسلوبي أو إنحراف على نمط من أنماط اللّغة. ويبدو من المعنى اللّغوي للإلتفات له علاقة وثيقة بمعنى الإنصراف، ولعل هذا هو السبب في أن **ابن وهب** أطلق على هذه الظاهرة الأسلوبية "الصرف" **وابن منقذ وابن شيت القرشي** "الإنصراف".[1]

والالتفات في الاصطلاح هو "العدول من أسلوب في الكلام إلى أسلوب آخر مخالف للأوّل".[2] من المعروف أن الإلتفات كأسلوب بلاغي كان معروفًا عند العرب في الجاهلية، ولكنه لم يكن يعرف بهذا الإسم ولعل أول من أطلق عليه هذا الاسم هو "**الأصمعي**" أمّا الإلتفات عند **تمام** فهو إمّا نحوي خالص وإما دلالي خالص وإمّا نحوي دلالي"[3].يعد أسلوب الالتفات أحد السبل التعبيرية أو الألوان البلاغية التي يشيع استخدامها في القرآن الكريم. بل لعلّه أكثر هذه الألوان ترددًا وأوسعها انتشارًا في البيان الخالد، مما جعل حصرها أمرًا فوق طاقة الباحثين.

والالتفات عند **تمام** ينقسم إلى:

أ/الالتفات الدلالي الخالص: وهو أقل ورودًا، ومعنى أنه دلالي خالص: أن العنصر النّحوي الذي من شأنه أن يكون محل الإلتفات، يبقى على صورته لكن دلالته عند إيرادها، تختلف عن إيراده في المرّة الأولى[4]، ومن ذلك قوله تعالى:﴿ **فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآَتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آَتَاكُمْ** ﴾[5]. فالضمير في "آتوهم" لم يتحول عن صورته التي في "كاتبوهم" لأنه في الحالتين ضمير المخاطب، ولكن الأمر بالمكاتبة لمن يملكون رقاب هؤلاء الأرقاء. أمّا الأمر بالإيتاء فهو لعامّة الناس الذين طلب منهم أن يعيلوا هؤلاء الأرقاء على الوفاء بالمال الذي كوتبوا عليه،

[1]- أساليب بلاغية، أحمد مطلوب، وكالة المطبوعات، الكويت، 1980، ص174

[2]-ينظر: المرجع نفسه، ص :174.

[3]-ينظر: البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج2، ص:98

[4]- المصدر نفسه، ج2، ص:98

[5]- النور: 33

فدلالة الضمير في الحالة الثانية غير دلالته في الحالة الأولى مع أن الصورة النّحوية واحدة لم تختلف، وهنا يكون الإلتفات دلاليًا. وقوله عزّ من قائل:﴿ **أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ** ﴾[1]. فالضمير "الواو" على صورته مع اختلاف المخاطبين به، الأولى المؤمنون والثانية أهل الكتاب، ولذا فالإلتفات هو دلالي لا نحوي.

ب- الالتفات الدلالي النّحوي: نحو قوله تعالى:﴿ **كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنْذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ (2) اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ** ﴾[2]. فضمير الخطاب في "إليك" للرسول صلى الله عليه وسلم وفي "اتبعوا" لعامة المؤمنين، فاختلف الضميران بذلك دلاليًا ونحوي بالفرق بين الأفراد والجمع.

ج-الإلتفات النّحوي: ويكون الإلتفات نحويًا إذا بقي المدلول في بؤرة القصد وإن اختلفت صورة الضمير نحو قوله تعالى:﴿ **أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ** ﴾[3]. فالضمير في اللّفظين "قبلهم" و"لكم" وإن اختلف، فإن المقصود في الحالتين هو كفار مكة. ويبتكر **تمام حسان** تقسيمًا جديدًا على حدّ قوله: **"تقسيم ظاهرة الإلتفات على هذا النّحو من مبتكرات هذا البحث، فلست أعلم من سبقني إليه"**. وهذا يحسب له.[4]

ب-التغليب: وهو إعطاء الشيء حكم غيره، وقيل ترجيح أحد المغلوبين على الآخر، وإطلاق لفظة عليها إجراء المختلفين مجرى المتفقين وهو أنواع:

*تغليب المذكر.

*تغليب المتكلم على المخاطب، والمخاطب على الغائب.

*تغليب العاقل على غيره.

---

[1]- البقرة: 75

[2]- الأعراف: 2- 3

[3]- الأنعام: 6

[4]- البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج2، ص: 102

*تغليب الأكثر على الأقل.

*تغليب المتصف بالشيء على ما لم يتصف به.[1]

وهو عدول عن المطابقة وينقسم إلى قسمين:

أ- معجمي: ويكون التغليب ملحوظًا في الكلّمات المفردة " أدوات المعنى المفرد" هي في مقابل الكلّمات التركيبية ذوات المعنى الوظيفي الذي يتكفل ببيانه النّحو: كالأدوات والضمائر، ومن أمثلة ذلك لفظ "العمران" ويقصد "أب بكر الصّديق"و"عمر"- رضي الله عنهما –إذ غلب لفظ "عمر" على "أبي بكر" وكذا يقال في الحرمين. ومن القرآن الكريم قوله تعالى:﴿ **وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا** ﴾[2]. هنا تغليب الأمِّ على الأب لأن الولادة خاصة بها، فلمّا كان المقصود الدعوة إلى البّر بهما، ليدخل الأب بواسطته إلى هذه الوصية.

ب- تغليب نحوي: وغلب الرجل بتذكير لفظ "الوالدين" فغلبت الأنوثة معجميًا وغلب التذكير نحويًا، مما يدل على أن اللّغة تميل إلى الاختصار بحذف علامة التأنيث واللّجوء إلى التذكير بطلب الخفة. ومن ذلك قوله تعالى:﴿ **يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ**﴾[3] تغليب نحوي بواسطة الضمير" هما" لأن إخراج اللّؤلؤ والمرجان من البحر دون النّهر.

ج- المراوحة: والمقصود بها أن يختلف النظر إلى الكلّمة من حيث المطابقة من اعتبارها مفردة أو مثنى أو جمع وبين كونها مذكرًا أو مؤنثًا، نحو قوله تعالى:﴿ **غُلِبَتِ الرُّومُ**﴾[4]. جاءت الرّوم فاعلاً لفعل لحقته تاء التأنيث ولو قيل "غلب الروم". وقد يصدق ذلك على **"من"** التي هي في الأصل موصولة وتنقل إلى الشرط أداة الاستفهام. وتبقى على لفظها وعلى صلاحها أن تّدل على أن تّدل على عموم المعاني الوظيفية: كالإفراد والتثنية والجمع والتذكير أو التأنيث.

---

[1]- البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ص302-313.

[2]- الإسراء: 29

[3]- الرحمان: 22

[4]- الروم: 02

فمن أعاد الضمير عليها مفردًا مذكرًا، فقد راعى اللّفظ، ومن أعاده مثنى أو جمعًا أو مؤنثًا، فقد راعى المعنى. وهذه المراوحة بين لفظها ومعناها عدول عن استصحاب المطابقة للّفظ، أو هي أسلوب عدولي مقبول لقبول استصحاب المطابقة تمامًا، وهذا لا يعد من قبيل الترخص، لأن الترخص قرار فردي والعدول أسلوب اجتماعي معترف به من جميع مستعمل اللّغة. ومن ذلك:﴿ **وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا** ﴾[1] بإعادة الضّمير مذكرًا في من "يتخذ" إلى "الإعراب" مراعاة للّفظ، ومن مراعاة المعنى قوله تعالى:﴿ **وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا** ﴾[2] جاءت المراوحة بين اللّفظ والمعنى، من حيث التذكير والتأنيث كما يبدو في المقابلة.

د- حذف الرّابط: وفي أصول النّحو "لا حذف إلا بدليل" لأن وجود الدّليل على الحذف يأمن اللّبس مع وجود الحذف، ولذا فإنّ حذف الرّابط مع وجود الدليل أسلوبًا مقبولاً عدل به عن استصحاب الرّابط أو أن حذف الرّابط يعد أسلوبًا عدوليًا في إطار المطابقة.[3] وقد يكون الرّابط المحذوف ضمير غائب كما في قوله تعالى:﴿ **كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ** ﴾[4]، أي رزقناه أو رزقنا إيّاه.

وقد يكون الرّابط المحذوف ضمير غائب كما في قوله تعالى:﴿ **اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ** ﴾[5] أي أنعمتها.

وقد يقدر المحذوف مجرورًا بالحرف نحو:﴿ **وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا**﴾[4] أي: لا تجري فيه.

---

[1]- التوبة: 98

[2]- الأحزاب: 31

[3]- ينظر: البيان روائع القرآن، تمام حسان، ج2، ص :104-105

[4]- البقرة: 25

[5]- البقرة: 40- 47

[4]- البقرة: 48

وقد يكون الرّابط المحذوف ضمير إشارة نحو:﴿ **فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ**﴾[5] أي: لم تفعلوا ذلك.

وقد يكون الرّابط المحذوف حرف عطف نحو قوله تعالى:﴿ **قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ** ﴾[6] وقد يكون الرّابط.

4- العدول عن قرينة الرتبـة:

وهي قرنية نحوية ووسيلة أسلوبية، ويكون العدول عنها بعدم مراعاتها بتقديم ما رتبته التأخير أو العكس (التشويش)، وسمى الرتبة في هذه الحالة رتبة مشوشة. ويبدو أن التقديم والتأخير فوائد عديدة هو أوضح ما جذب انتباه البلاغيين عن الأساليب العدولية، وجعلوا له مبحثًا خاصًا وربطوا التقديم بالاهتمام بالمتقدم حتى قاربوا في المعنى بين التقديم والقصر في أكثر الحالات.

ويبدو أن الرتبة غير المحفوظة من أبواب النّحو تجري على النّحو التالي عند **تمام حسان** : ففي قوله تعالى:﴿ **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾[1] فالترتيب الأصلي لهذه الآية هو "نعبد إياك ونستعينك" وهذا التقديم إنما جاء لديك على أن العبادة والاستعانة لا تكونان إلاّ بالله وحده، وذلك يقرب المعنى من قوله (لا نعبد ولا نستعين إلاّ إيّاك) وتقريب المعنى على هذا النّحو وظيفة تقديم المفعول به على الفعل وفاعله، ويكون التقديم أسلوبًا عدوليًا عن أصل الرتبة، ومؤشرًا أسلوبيًا وهو يكون لغايات تتصل بالمعنى شأن الأسلوب العدولي مع جل القرائن.[2]

ومما يتصل بالعدول عن الرتبة لأغراض أسلوبية منها:

أ- اللّف والنشر المشوش

---

[5]- البقرة: 24

[6]- القصص: 63

[1]- الفاتحة: 5

[2]- البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج2، ص:107.

ب-عكس الترتيب الزمني أو المنطقي.

ج- تشويش رتبة الأشباه. [1]

5- العدول عن قرينة التّضام: من ظواهر الأساليب العدولية في إقليم التّضام الحذف والزيادة والاعتراض والفصل النّحوي وتجاهل الاختصاص النّحوي وتجاهل المناسبة المعجمية (المجاز). وفيما يلي تفصيل عن هذه الظواهر:[2]

أ- الحذف:

يعد الحذف ظاهرة لغوية متميزة تتوجه نحو توليد الإيحاء وتوسيع الدلالة. والحذف في كلام العرب أسلوب معهود ومسلك معروف، يعمد إليه العرب لتحقيق أغراض بلاغية، تفيد في تقوية الكلام، وإخراجه على الأسلوب الأمثل. وقد جاء القرآن على وفق منهج العرب في الكلام فاعتمد الحذف أسلوبًا من جملة أساليبه. والحذف كثير في كلام العرب كثير إن كان ما يدل عليه كقول **ابن جني**" **اعلم أنّ معظم ذلك إنّما هو الحذف، والزيادة، والتقديم والتأخير، والجمل على المعنى**".[3] أمّا الجرجاني فقد صرح به حينما حلّلّ التراكيب وعقد فصلاً عن قال فيه: "**هو باب دقيق المسلك لطيف المأخذ عجيب الأمر شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر أفصح إذا لم تنطق، وأتمَّ ما يكون بيانًا إذا لم تبنى**"[4].

والحذف من هذه الزاوية عطاء تعبيري تتعدد زواياه باختلاف القارئين وما يحملونه من تجارب متباينة ومرجعيات مختلفة، إذ تتضافر فاعلية الحذف بوصفه ظاهرة لغوية أسلوبية.

ومن خصائص العربية أن فيها أنماطًا متعددة من الحذف فهي لا تكتفي بالاستكثار من

[1]- ينظر: البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج2، ص :108.

[2]- ينظر: المصدر نفسه،ص: 108

[3]- الخصائص، ابن جني: ج2، ص360

[4]- دلائل الإعجاز ،الجرجاني، ، ص170

الحذف، ولكنّها تنوعه أيضًا حتى لو قال قائل: إن العربية هي لغة الحذف."[1]

والحذف بمنظوره العام يدور حول ثلاث محاور رئيسية وهي:

1- حذف أحد أطراف التركيب (حذف المفردة)

2- حذف التركيب (حذف الجملة)

3- حذف أكثر من تركيب [2]

وأما في مجال الدراسات اللّسانية الحديثة، فنجد علماءنا المعاصرين حاولوا تسليط الضوء على الظواهر الأسلوبية منها الحذف باعتباره تقنية أسلوبية تزخر بشحنة دلالية هائلة بخاصة وأنّ " **المعنى في اللّسانيات الحديثة يدرس من خلال التحليل الدقيق للطريقة التي تمكن من خلالها للكلّمات والجمل أن تستعمل في سياقات محددة.** "[3]

والحذف عند **حسان** ينسب إلى تركيب اللّغة لا إلى مضمون القرآن، وإذا حذف أحد عناصر الجملة، ثم اتضح المعنى لوجود الدليل على المحذوف، وعلّة ذلك من قبيل الحذف المفاجيء وقد يؤتى بالحذف للطّلب أو الإختصار أو الإقتصار، أو لتجنب الحشو، وكل عنصر من عناصر الجملة صالح لأن يحذف بشرط قيام الدّليل عليه، كحذف الحرف أو الضمير، أو الكلمة المفردة أو أحد أركان الجملة أو تكميلاتها، كما يحذف من الكلام ما يقتضيه المعنى.[4] ومن مظاهره ما يلي:

أ- حذف الحرف:

ومن مظاهر الحذف حذف الأدوات الداخلة على الجمل كحذف أداة الإستفهام في قوله تعالى:﴿ **قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ** ﴾[5] والدليل على السؤال في هذه الآية

---

[1]- الخصائص، ابن جني، ج2، ص 360.

[2]- اللغة العربية، تمام حسان، ص 10.

[3]- ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، طاهر سليمان حمودة، الدار الجامعية للطباعة والنشر، الاسكندرية، د ط، 1998، ص 230.

[4]- ينظر: البيان في روائع القرآن، تمام حسان،ج2، ص: 109.

[5]- البقرة: 124.

هو الجواب الذي بعده، وقد يطال الحذف اللام الموطئة للقسم، كما في قوله تعالى:﴿**وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ** ﴾ [1] ودليل الحذف على ما سبق قوله تعالى:﴿ **إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ** ﴾ [2]. أي أن البعض يضل بديل قوله تعالى بعد ذلك "بالمهتدين" والدليل الآخر هو التركيب وهو أن أفعال التفضيل لا تنصب مفعولاً به، ومن ثمَّ تلزم الياء في هذا الموضع. وقد يحذف فعل الشروع[3] نحو قوله تعالى:﴿**فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ** ﴾[4]. أي جعل يجادلنا أو أنشأ يجادلنا.

وقد يحذف ركن الجملة نحو قوله تعالى:﴿ **بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ** ﴾[5]. أي بلدتكم بلدة وربكم ربٌّ غفور.

كما قد تحذف الجملة بركنيها نحو قوله تعالى:﴿ **فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا** ﴾[6] أي: فضرب فانفجرت.

بين "يقنت" "تعمل" ف "من" مذكر، لعلّ مدلولها نساء النّبي عليه الصلاة والسلام، مؤنث، فعدل هنا عن استصحاب المطابقة والتي قد تعد قرينة على المعنى النّحوي. ويؤكد **تمام حسان** على إرتباط الأسلوب العدولي بالشّيوع والاستعمال والتوظيف والتداول الاجتماعي لظاهرة لغوية ما، والعدول أسلوب اجتماعي.[7]

ومن أنواع الحذف كذلك حذف جمل متعددة يقتضيها المعنى بقرينة السّياق نحو قوله تعالى: ﴿ **فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آَدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى (120)**

---

[1]- الحشر، 11.

[2]- الأنعام، 117.

[3]- البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ص 110.

[4]- هود، 74.

[5]- سبأ، 15.

[6]- البقرة، 60.

[7]-ينظر: البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج 2، ص :109.

فَأَكَلَا مِنْهَا ﴾[1] أي: فاستمع إليه وأطاع وسوسته فأكلا منها. ويعود تمام حسان مرة أخرى ليؤكد على أهمية السياق في دراسة الحذف وهو ما تدعو إليه اللّسانيات الحديثة " المعنى في اللّسانيات الحديثة يدرس من خلال التحليل الدقيق للطريقة التي يمكن من خلالها للكلمات والجمل أن تستعمل في سياقات محدودة"[2]. ولذا لا ينبغي أن تبقى دراسة ظاهرة الحذف وغيرها في بنى لسانية معزولة عن سياقها الخاص والعام، ذلك أن النّص بوصفه ملفوظات يشكل تعبيرات كامنة في اللّغة، ومن الضروري تحقيقها في قدرات تعبيرية ومن ثمة الوقوف على أسرارها اللّطيفة ومعانيها الدقيقة حسب مفهوم أهل اللّغة في تراثنا العربي.

ب– الزيادة:

إنّ المطلوب بالجملة ليس وظيفيًا فقط بل يسلك مسالك أسلوبية، ولا تحققها إلاّ العناصر الزائدة على مجرد النمط التركيبي للمعنى الوظيفي، فزيادة المبنى تدل على زيادة المعنى وهو ما اعترف به البلاغيون[3]، ومن شواهد ذلك في القرآن الكريم الكثير، نحو قوله تعالى: ﴿ **وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ** ﴾[4] والياء الزائدة هنا للتأكيد. ويقول الأندلسي: والغرض بزيادة هذه الحروف عند سيبويه "التأكيد"... إذ جاءت شيئًا لم يكن قبل أن تجيء من العمل وهو توكيد العمل".[5]

وقال **السيوطي**: " **قيل: إنّما سميت زائدة، لأنّها لا يتغير بها أصل المعنى، بل لا يزيد بسببها إلاّ تأكيد المعنى الثابت وتقويته، فكأنّها لم تفد شيئًا لما لم تغاير فائدته العارضة الفائدة الحاصلة قبلها** "[6].وقال أيضًا "**وأما الفائدة اللّفظية فهي تزيين اللّفظ، وكونه بزيادتها أفصح أو كون الكلّمة أو الكلام بسببها مهيئًا لإستقامة وزن الشعر أو حسن السجع أو غير**

---

[1]- طه: 120-121.

[2]-ينظر: ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، طاهر سليمان حمودة، ص: 230.

[3]- ينظر: البيان في روائع القرآن، تمام حسان،ج 2، ص:112-113 .

[4]- فصلت:46

[5]- الأشباه والنظائر في النّحو، السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 1984، ص 248.

[6]- المصدر نفسه، ص249.

ذلك من الفوائد اللّفظية، ولا يجوز ذلك في كلام الفصحاء، ولا سيما كلام الباري تعالى وأنبيائه عليهم الصلاة والسلام"[1].

ج- الإعتراض:

الأصل في الجملة أن تتصل أجزاؤها ويعدل عن هذا الأصل بواسطة إعتراض مجرى الكلام بجملة يتطلبها الموقف وذلك لأغراض أسلوبية.[2] والاعتراض وظيفة بلاغية، ونتمثل في المبادرة بإبلاغ السامع معنى لولا إبلاغه إيّاه في حينه لورد على الكلام بدونه مالا يرد عليه بوجوده، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ **هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ** ﴾[3]، هذا عطاؤنا بغير حساب ولك الاختيار في المنّ والإمساك، مثلما وضح الفرق ما بين الفصل النّحوي والفصل البلاغي[4].

د- الفصل النحوي:

الأصل في الكلام أن يكون متصلاً لأن العلاقات النّحوية والقرائن التي يتضح بها المعنى كالرتبة والتضام والتي تتجلى من خلال الإتصال. ولكنّ يمكن العدول عن هذا الأصل لأغراض أسلوبية، والفرق بين الفصل النّحوي والفصل البلاغي، ويكون الأخير بحذف حرف الرابط الذي يربط جملة بأخرى في حين يأتي الفصل النّحوي بوضع لفظ بين لفظين آخرين في الجملة ينتمي أحدهما إلى الآخر كان يكون متلازمين أو بينهما أيّ صورة من صور التضام. والفرق بين الفصل النّحوي والاعتراض أن الفصل يكون بالمفرد وإن افتقر إلى ما يكمله أو بجزء الجملة في حين يكون الإعتراض بالجملة الكاملة"[5]. ومن الشواهد القرآنية على الفصل النّحوي مع وضع الفاصل (بين

[1]- الأشباه والنظائر في النّحو، السيوطي ، ص250.

[2]- ينظر: البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج 2، ص :114 -115.

[3]- ص: 39

[4]- البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج 2،ص :117

[5]- ينظر: البيان في روائع القرآن ، تمام حسان ، ص117-118.

قوسين) نحو قوله تعالى: ﴿ **وَذَكِّرْ بِهِ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ (بِمَا كَسَبَتْ) لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ** ﴾[1]، فصل بين النّفس وصفتها بالجار والمجرور والصلة.

5 – تجاهل الاختصاص النّحوي:

ويكون العدول بدخول بعض الحرف على غير ما اختصت بالدخول عليه، وذلك لأسباب أسلوبية ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ **وَإِنَّ كُلًّا لَمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ** ﴾[2] وقوله تعالى: ﴿ **ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ** ﴾[3]، الأصل ها أنتم هؤلاء. ولكن تقدم الضّمير عن هاء التنبيه إتكالاً على صحة دخولها على "أولاء"... وغير ذلك من الحالات.

6– تجاهل المناسبة المعجمية: وهذا باب واسع لأنّه باب الإفادة من جهة والمجاز من جهة ثانية. أمّا الإفادة فواضحة (القبولية النّحوية) والشق الثاني المفارقة. يذكر بالعلاقة العادية في مبحث التّضام. والعدول يكون بخروج المتكلّم عن العلاقة العرفية "إجتماعيًا" لينشئ علاقة فنية: "تشبيهية (إستعارة) او "عقلية" (المجاز)، ومن ذلك في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ **الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى** ﴾[4] وقوله تعالى: ﴿ **لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ** ﴾[5] كناية عن الاعتراض. والقرآن الكريم حافل بمثل هذه الأساليب[6].

ويمكن أن نلخص الأسلوب العدولي من خلال المخطوطة الآتية :

الأسلوب العدولي

---

[1]– الأنعام: 70

[2]– هود: 111

[3]– البقرة: 85

[4]– البقرة: 16

[5]– المنافقون: 05

[6]– البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج2، ص:121–122

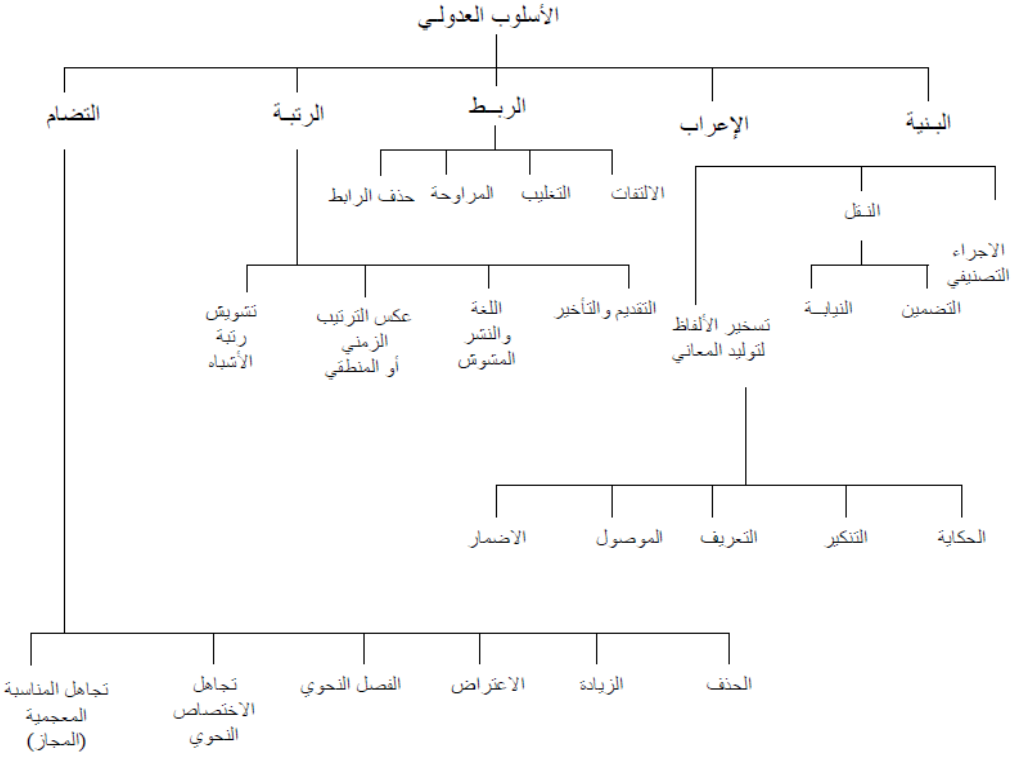
الأسلوب العدولي
البنية
الإعراب
الربط
الرتبة
التضام
الالتفات
التغليب
المراوحة
حذف الرابط
النقل
الاجراء التصنيفي
التضمين
النيابة
تسخير الألفاظ لتوليد المعاني
التقديم والتأخير
اللغة والنشر المشوش
عكس الترتيب الزمني أو المنطقي
تشويش رتبة الأشباه
الحكاية
التنكير
التعريف
الموصول
الاضمار
الحذف
الزيادة
الاعتراض
الفصل النحوي
تجاهل الاختصاص النحوي
تجاهل المناسبة المعجمية (المجاز)

المبحث الأول : المقاصد الأسلوبية: المؤشرات الأسلوبية في القرآن الكريم

تعد الأسلوبية فرعا من اللسانيات فهي الدراسة اللغوية التي تقوم على تحليل الأسلوب والأسلوب هو الطريقة التي يختارها صاحب النص للتعبير عن المعنى من خلال طريقة معينة للوصول إلى المعنى ومقصداً معينا يقصد إليه صاحب الأسلوب، ويجعل العنصر المختار مؤشرا أسلوبياً، ولذا تنطوي كل صورة من صور التعبير على مقصد معين أراد المتكلم أن يبلغه إلى السامع باستعمال لغة شركة بينهما . ولذا فاللّغة شركة بينهما في نطاق عرف مشترك بينهما أولا ثم في حدود ذوق عام ثانيا إذا تباينت الأذواق الفردية ردها الذوق العام إلى بساط مشترك تنكسر به حدة ذلك التباين، فيتحقق التفاهم المنشود.ولذا فالتواصل لا يتم إلا داخل الحيز الاجتماعي[1].

وهو ما أشار إليه ابن جني في حديثه عن ربط الصوت بالغرض باعتبار المقاصد الأسلوبية تنطلق من الغرض الذي يمكن أن يتحقق أثناء عملية التواصل .

ولذا أنكر **تمام** ما ذهب إليه أنصار البنيوية حين رفضوا فكرة المقصد (قصد المؤلف) وتعالت صيحات عديدة تدعو إلى **"موت المؤلف"** وتخليص النص من هيمنة الأب (أي المؤلف) وهي الصيحة التي أطلقها العالم الفرنسي **رولان بارت**."**وصوت المؤلف ليس فناءه ولا نهايته بل هو فحسب ترقيع للنص عن شروط الظرفية وقيودها، ومن ثم فتح المجال لنصوصية النص لكي يدخل الأخير في آفاق إنسانية عابرة للزمان والمكان، بحث يكون للنص أن يأخذ مداه مع القارئ ومع التاريخ، معناه الاستقلال عند سلطة المؤلف**"[2].

وذكر **بارت** في مقاله النقد والحقيقة الذي صدر عام 1966م، أن النقد الذي يؤكد العلاقة بين النص والمؤلف قد انتهى وهناك نوع جديد من التحليل، ووضع **بارت** مبررات لمقولة موت

[1]- البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج2، ص: 123.

[2]- معجم مصطلحات الأدب، مجدي وهبة، مكتبة لبنان، بيروت، (د ط)، 1974، ص 6.

المؤلف: "**إن نسبة النص إلى مؤلفه معناه إيقاف النص وحصره وإعطاؤه مدلولاً نهائيا، إنها إغلاق الكتابة**"[1].

لقد رفض بارت والبنيويون تقبل أي موضوع قبل الكتابة ولجئوا إلى العناية بكل ما يكون بعد الكتابة، ولذا ركزوا في تحليلاتهم على اللّغة باعتبارها هي التي تتكلم داخل العمل أدبيا كان أو غيره وليس المؤلف، فاللّغة عنده وحدها هي تعمل بمعنى تؤدي وليس "أنا" على حد تعبير رولان بارت: "**أن تكتب هو أن تصل إلى تلك النقطة حيث اللغة هي التي تفعل وتؤدي وليس أنا**"[2]. ويحيلنا هذا إلى انحسار سلطة المؤلف لتحل محلها اللغة.

لقد صرح بارت في مقاله رسميا بإعدام المؤلف، حيث يصوغ عبارات محددة من قبيل: "الكتابة تدمير لكل صوت ولكل نقطة بداية" "**إن وحدة النص لا توجد في منشئه بل في غايته**"، "**إن مولد القارئ يجب أن يعتمد على موت المؤلف**"[3].

والقراء إذن أحرار في توليد معاني النص باعتبارها منجما ولوداً مكتنزا بفائض قيمة المعنى. فاعتبر القراء منتجين لا مستهلكين للنص لأنهم يقومون بتفكيكه وبإعادة بنائه، ولملمة مكوناته وأجزائه من جديد، وتدشين حوارات صريحة أحيانا، وصامتة أحيانا أخرى لاستنطاق صمت المعاني الكامنة في تضاعيفه، ومن هذه الزاوية، اعتبر بارت النقد كتابة على كتابة، ونصاً يضاف إلى بعض، فلم يعد ثمة معنى معين، بل ليس هناك من معنى، حيث يتحول النص إلى "مجرة من الدلالات غير المتناهية.[4]

---

[1]- رولان بارت، درس السيميولوجيا، تر: عبد السلام بن عبد العالي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط2، 1986، ص: 86.

[2]- المرايا المقعرة من البنيوية إلى التفكيك، عبد العزيز حمودة، عالم المعرفة، الكويت، ع232، 1998، ص 340.

[3]- النظرية الأدبية المعاصرة، صولدان، ترجمة وتقديم: جابر عصفور، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، 1999، ص130.

[4]- إشكالية القارئ في النقد الألسني، إبراهيم السعافين، مجلة الفكر العربي المعاصر، ع60، 1989، ص: 130.

ورغم موت المؤلف فإن هذا لا يمنع من حضوره في النص بشكل أو بآخر، ولكن هذه المرة باعتباره ضعيفاً لا أقل ولا أكثر يقول بارت، ثم إن ظهوره لا يتمتع بأي امتياز لأن: "**أنا الذي كتب النص لم يعد في هذا الاستدعاء حسب بارت سوى "أنا من ورق" أنا قارئ رواية ما لا يستدعي مؤلفها على أساس أنه هو سيد الأثر، وإنما يستحضر كشخص من شخصيات الرواية، لا تعود حياة الكاتب مصدر حكايته وأصلها، وإنما حكاية تنافس أثره وعمله، إذ أن بروست وجنيت وأعمالهما هي التي تمكن من قراءة حياتهما كنص**"[1].

وتأسيسا على ما سبق فالعمل الأدبي يمتلك قطبين منشئ النص وقارئه الذي يلتزم "**بشروط عرفية الاستعمال**" وبحدود ذوق عام ولكنه مع ذلك يملك الحق في إلقاء ظل من الذوق الخاص من خلال تحميل أنماط التركيب عبء هذه المقاصد الأسلوبية الفردية[2]، ومن هنا يستطيع الناقد أن يولد نصا آخر انطلاقا من النص المفقود ويتراوح فهمه وقراءته للنص أو المشاركة في بناء معنى النص. ويرفض **تمام حسان** فكرة موت المؤلف ويرى أنه قد يقف القارئ مع منشئ النص في فهم فرد واحد ولكنه في كثير من الأحيان ينقاد بذوقه الخاص (الفردي) إلى غير ما قصده المنشئ وله كامل الحق في ذلك، لأنه منجم يستخرج منه ما شاء من السبائك، ومنها ما لم ترد على بال المنشئ نفسه ، ولذا يرى من الضرورة الرجوع الذوق العام .[3]

ولذا فالنص عند **تمام حسان** تركة من المؤلف لا يثبت لنفسه حق الاستمتاع بها إلا بعد إثبات الصلة بالموروث ، فالذوق العام دليل إثبات الصلة بين القارئ وصاحب النص ويبقى الذوق الفردي محل تصرف القارئ . والمغزى العام أن منشئ النص وقارئه يلتزمان بشرط عرفية الاستعمال وحدود الذوق العام ، وللقارئ الحق في إلقاء ظلال ذوقه الخاص وسيلة ذلك تحميل أنماط التركيب

[1]- درس السيميولوجيا رولان بارت، تر: عبد السلام عبد العالي، دار توبقال للنشر البيضاء، ط2، 1986، ص87.

[2]- ينظر: البيان في روائع القرآن، تمام حسان ، ج 2 ، ص: 123 -124

[3]- ينظر : المصدر نفسه، ص 124.

عبء المقاصد الأسلوبية ، ومن هنا يستطيع الناقد أن يولد نصا انطلاقا من النص المفقود ويتراوح فهمه وقراءته للنص ، أو المشاركة في بناء معنى النص.[1]

وهم ما نستشفه من قول أبو نواس: "**ألا فاسقني خمرا وقل هي الخمر**" فترك لنا أبو نواس استخراج المقصود من قوله "**قل لي هي الخمر**" فهل كان ذلك منه إعلاناً لتحدي تحريمها أو كان دعوة إلى إشراك سمعه مع بقية جوارحه في الاستماع بها أو كان طلباً لعدم قتلها بالماء أو ماذا؟ إذ على كل قارئ أن يشارك في بناء معنى النص ولو خالف ما أراده أبو نواس[2].

ويمكن التمثيل بقوله تعالى: ﴿**وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ**﴾[3]، فالآية الكريمة تحمل جملتين في كل منهما مبتدأ وخبر وظرفين جاء كل منهما بلفظ "يوم" وأما الظرف الأول "يوم يقول" فهو من الناحية التركيبية متعلق بالفعل "خلق" فيكون حامل المعنى أن خلقهن بالحق وكان خلقهن يوم يقول كن وهو صالح (من الناحية التركيبية أيضا) أن يتعلق بخير المبتدأ من جملة (قوله الحق)، وأما الظرف الثاني (يوم ينفخ) فإنه يصلح أن يتعلق بالخبر من جملة (قوله الحق) أو بالخبر من جملة (له الملك) هذا من الناحية التركيبية البحتة ولكن من الناحية الدينية وميلا إلى الذوق العام والفردي تحيل المحلل إلى تعليق الظرفين على النحو التالي:[4]

1 – يوم يقول كن فيكون قوله الحق، أي أنه إذا قال "كن" فإن قوله حق من حيث يصحبه مباشرة خلق ما أراد له أن يكون.

---

[1] – ينظر : البيان في روائع القرآن ، تمام حسان ، ج2، ص:124

[2]– ينظر: المصدر نفسه، ص .124

[3]– الأنعام : 73.

[4] – ينظر : البيان في روائع القرآن ، تمام حسان ، ج2، ص: 124

2 – وله الملك يوم ينفخ في الصدور، أي إذا اتصف الناس في الدنيا بصفة الملك فإن الملك يوم النفخ في الصدور لا يكون إلا لله.

وإذا جرى الناقد هذا النوع من التعليق فإنما يجريه بما تعود عليه من أمر التقديم والتأخير في اللغة وبما يحسه من علاقة سياقية بين بعض الكلمات وبما يحسه من مقاصد يشف عنها أسلوب النص وهو إحساس منشأه الذوق[1].

وينقلنا هذا الحديث للبحث عن ماهية المقاصد الأسلوبية وعن الوسائل المستعان بها للوصول إليها، وهو ما سنحاول الإجابة عنه فيما سيأتي:

أولا : التعميم:

ويوصل إلى مقصد التعميم بوسائل منها:

1. الموصول: نحو :﴿ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾.[2]

فلم تحدد الآية الكريمة شيئا معينا مما يجهله الملائكة فجعلت ما يعلمه الله ويجهله الملائكة أمرا عاما لا يمكن تحديده[*].

وقوله تعالى: ﴿ فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ .[3]، لم تحدد الآية ما كان فيه وإن كنا نعلم من مصدر آخر غير هذه الآية أنه الجنة ونعيمها، وهكذا جاء التعميم ليذهب الذهن في تصور هذا النعيم كل مذهب ولبيان عظمة هذا التعبير[4].

---

[1]– ينظر : البيان في روائع القرآن ، تمام حسان ، ج2، ص :125.

[2]– البقرة: 30.

[*]– وقد اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم مما اطلع عليه من إبليس، وإضماره المعصية لله وإخفاؤه الكبر، مما اطلع عليه تبارك وتعالى منه وخفي على ملائكته.

[3]– البقرة ، 36 .

[4]– ينظر: البيان في روائع القرآن، تمام حسان،ج2 ص :125

وقوله تعالى: ﴿ **فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ**﴾ [البقرة، الآية 79]، لو أراد التعيين لقال: ويل لفريق من بني إسرائيل ولو قال ذلك لخلا النص من ذكر الذي من أجله استحقوا الويل فجاء على وجه التعميم بالوصف القائم مقام علة الويل وحذف الموصوف للعلم به مما سبق من الآية[1].

وقوله تعالى: ﴿ **إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ**﴾[2]، الذين اتبعوا تمكن أن يكونوا من الشركاء أو من أصحاب الفتن أو المضللين أو المغريين أو من غيرهم، ولكن الآية لم تحدد واحدة أو أكثر من هذه الطوائف وإنما عممت بذكر الموصول ليشملها جميعا، دون ذكر واحدة منها[3].

2. التنكير:

وهو من وظائف التعميم كما يظهر في قوله تعالى:﴿ **فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ** ﴾[4]، فهناك فرق بين "ويل" و"الويل" ولو قالها بالألف واللام لخفف عنهم العذاب من تعيين ويل خاص أو جنس لا يتحقق إلا من خلال أفراده، أما مع حذفها (ال) فإن كل ويل من نوع صالح أن يكون مقصودا للآية، معناه أن (ال) تفيد التخصيص بعذاب معين محدد وأما التنكير فيقدم العموم ويجعل العقل يتخيل هذا العذاب دون الوصول إليه (تحديده).

وتكون إفادة النكرة للتعميم أشد وأشمل إذا وقعت في سياق النفي كما في قوله تعالى: ﴿ **لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ**

[1]- ينظر : البيان في روائع القرآن ، تمام حسان ، ج 2، ص :126 .

[2]- البقرة : 166 .

[3]- البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج 2ص :126.

[4]- البقرة : 79.

بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[1]، فليس في الدين من أنواع الإكراه جميعا شيء وليس للعروة الوثقى من أنواع الانفصام شيء، وما يجعل إفادة التعميم أشمل بالتنكير ما يفهمه اسم لا النافية للجنس من معنى العموم.

ويساوي ذلك في إفادة التعميم أن يقترن النفي بحرف الجر الزائد كما في قوله تعالى: ﴿ **مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ** ﴾[2].

إذا أضيف إلى وقوع النكرة بعد النفي ما يفيد توكيد هذا النفس وهو الحرف الزائد ، فالمعروف أن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى والذي جاء بالتوكيد هنا كون النكرة في سياق النفي وليس هو النفي فقط.

وقد لا يقترن النفي بالحرف الزائد ولكنه يفيد التعميم أيضا إذا كان المنفي لفظ **"أحد"** وما أشبهه مثل **ديار وشيء وفتيل ونفس** كما في قوله تعالى:

﴿ **قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا** ﴾.[3]

﴿ **وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا** ﴾[4].

﴿ **أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ** ﴾.[5]

﴿ **بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا** ﴾[6].

﴿ **فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ** ﴾[7].

---

[1]- البقرة : 256.

[2]- البقرة : 105.

[3]- الجن : 22 .

[4]- نوح : 26.

[5]- البقرة : 170.

[6]- النساء: 49.

[7]- السجدة : 108.

وقد يقع الحرف الزائد في حيز الشرط ويبقى على إفادته التعميم كما في قوله تعالى: ﴿ **مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا** ﴾[1].

3. الشرط:

والشرط مبني على معنى العموم إلا أن يكون بلفظ (إن أو بلفظ إذا) ذلك بأن أدواته في عدا "إن" و "إذا" منقولة من معان أخرى، فالأدوات الثلاث (من، ما، أي) منقولة عن الموصولية أما الأدوات الأخرى (إذما، حيثما، أينما ...الخ) منقولة عن الظرفية وقد ركبت مع "ما" المفيدة للشرط والمعروف أن العموم في هذه الحالة منصب على جملة الشرط أولاً قبل جملة الجواب ثم لا يلحق جملة الجواب إلا تبعا لجملة الشرط، ويظهر ذلك جليا من الشواهد القرآنية: قوله تعالى: ﴿ **بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (81) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾[2] أي كل مكسب. وقوله تعالى: ﴿ **وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ** ﴾[3].

أي كل من يتبدل.

ثانيا : التوكيد:

يصل القرآن الكريم إلى التوكيد بوسائل متعددة منها **التوكيد اللفظي والتوكيد المعنوي واستعمال الحرف الزائد والتقديم والقصر والتعميم والصيغ اللفظية الخاصة وأدوات النسخ وضمير الفصل وأدوات استفتاح** وغير ذلك من الوسائل[4].

---

[1]- البقرة : 106.

[2]- البقرة : 81.

[3]- البقرة : 108.

[4]- البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج 2، ص :129 .

1. **التوكيد اللفظي**: وهو إعادة اللفظ من دون تغيير في بنيته[1]وهذا التوكيد بصورته النحوية قليل نسبيا في القرآن الكريم نحو قوله تعالى: ﴿ **إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا**﴾[2] وقوله تعالى: ﴿ **كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا** ﴾[3] وقوله عز من قائل: ﴿ **وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا** ﴾[4]، والشاهد الأخير من باب تكرار الحال.

غير أن إعادة اللفظ (وهي التعريف الذي يساق للتأكيد اللفظي) أوسع مجالاً من ذلك وإن كان بعضها يقع من وجهة النظر النحوية في باب "**الربط بإعادة اللفظ**" ولا يعد من باب التوكيد اللفظي.

2. **التوكيد المعنوي**: يأتي التوكيد المعنوي لإفادة معنى (يأتي لإعادة المعنى) وهو وارد في الأسماء والأفعال بإفهام مختلفة ،فأما الفعل فإنه يؤكد بمصدره لاستبعاد إرادة المجاز فإذا قلت "ضرب ضربا" فالضرب هنا حقيقي لا مجازي ولذا لا يقال: ضرب الله مثلا ضرباً وحاصل ذلك أنك قصدت بالتوكيد بالمصدر أن يكون الضرب (هو لا غيره)[5].

وأما من الناحية النحوية إنما يقوم على صور الألفاظ وعلى القرائن اللفظية أولا ومن ثم لا يعد التوكيد بالمصدر من قبيل التوكيد المعنوي وإن اتفق معه في عموم المعنى.

ويرى البلاغيون في الأصول الاشتقاقية أن "**زيادة المبنى تدل على المعنى**" وترتب على ذلك في حدود الإفراد مثل تضعيف عين الثلاثي أو إضافة معنى جديد إلى مفهوم الحدث المجرد، ففي التضعيف توكيد، أما خارج نطاق الإفراد فأشهر تمثيل لهذا الأصل العام ما يستفاد من الحرف

---

[1]- ينظر : البيان في روائع القرآن ، تمام حسان ، ج 2، ص :129 .

[2]- الواقعة : 26.

[3]- الفجر : 21.

[4]- الفجر: 22.

[5]- ينظر : البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج2، ص :130 .

الزائد من معنى التأكيد، وفي القرآن الكريم صور زيادة الحرف ما يصعب إحصاؤه ومع هذا لا ينبغي في القرآن ولا في غيره من النصوص عد الزيادة لغواً أو إضافة إلى ما ينبغي أن يكون عليه النص[1].

والزيادة في النمط القرآني على أصل الجملة العربية لا على أصل الجملة القرآنية بمعنى أننا لو حذفنا الزيادة في الجملة العربية لما تأثرت صحة التأليف ومكوناته، وهذا خلاف ما نراه في النمط القرآني، لأن الزيادة فيه على أصل التركيب إنما هي دلالة على مقصديته[2]، وهذا ما عضده **تمام حسان** إذ يقول: "**القول بالزيادة ينسب إلى النحو ولا ينسب للقرآن ذلك أن الزائد إنما هو زائد على أصل النمط أي على أصل وضع الجملة، فللجملة أركانها وفضلاتها من المنصوبات والمجرورات، فإذا ورد فيها ذلك زائد على مطالب الصحة والإفادة وما دامت زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى، فإن في زيادة المبنى تأكيدا للمعنى**"[3].

ويوافق **تمام حسان** ما ذهب إليه البلاغيون في تفريقهم بين الجملة المشتملة على الحرف والخالية منه فيجعلون الأولى أوكد من الثانية بسبب اشتمالها على الحرف والذي اعتبره النحويون زائدا على النمط التركيبي لا المعنى[4].

ومن شواهد التأكيد بزيادة الحرف في القرآن الكريم:

قوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ**﴾[5] زيدت "من" من قبل الظرف.

---

[1]- ينظر : البيان في روائع القرآن ، تمام حسان ، ج 2، ص :131-132

[2]- أنماط التركيب القرآني(دراسة في سورة أل حم)، علي ميران جبار، رسالة ماجستير، جامعة الكوفة، 2009، ص 90.

[3]- ينظر : البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج2، ص : 132.

[4]- المصدر نفسه، ج2، ص 132.

[5]- البقرة : 04.

وقوله تعالى: ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آَمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ** ﴾[1] زيدت الباء قبل لفظ "**مؤمنين**".

قوله تعالى ﴿ **فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآَيَاتِ اللَّهِ** ﴾[2] زيد "**ما**" بعد باء السببية.

وأما في الأسماء فالأصل في التوكيد أن يكون بالضمير المنفصل غير أن الاستعمال اللغوي عدل عن ذلك الأصل لأن الضمير في الغالب يؤذن بالعطف ثم اختصرت صورة الضمير وجيء له بعنصر آخر يكثر من حروفه، فكانت الركائز التي يرتكز عليها ألفاظا تدل على الذات والعين والنفس* مما يفيد هو لا غيره.وقع ذلك للضمير أولا في خارج نطاق التوكيد المعنوي،[3] نحو قوله تعالى : ﴿ **لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ** ﴾[4]. بدلا من إياك أو إلاك.

ويرى **تمام حسان** أن البديل يؤدي إلى اللبس[5] كما في قوله تعالى: ﴿ **وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ نَفْسَهُ** ﴾[6]، وقوله تعالى ﴿ **إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ** ﴾[7]، (وإن خيف ليس يجتنب)[8].

والتوكيد المعنوي لا يكاد يرد بصورته النحوية في القرآن الكريم غلا ظلا خافتاً من معناه حيث يكون المعنى انعكاسيا بأن يكون الحدث واقعا من الفاعل عليه، كما في الآيات الآتية: ﴿

---

[1]- البقرة: 08.

[2]- النساء: 55.

*- التوكيد المعنوي إعادة المعنى بألفاظ خاصة حددها النحويين (نفس، عين، وكلاً، وكلتا، جميع، عامة)، وملحقاتها، ينظر: الأصول في النحو، ابن السراج، تحقيق عبد الحسين الفتيلي ، مؤسسة الرسالة ، ط 1 ، 1417 هـ – 1996، ج2، ص: 19-21.

[3]-البيان في روائع القرآن ، تمام حسان ، ج 2، ص : 133.

[4]- النساء، 84.

[5]- البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج2 ص: 131.

[6]- آل عمران، 28.

[7]- آل عمران، 93.

[8]- البيان في روائع القرآن، تمام حسان،ج 2، ص : 131.

وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ﴾[1] أي يراقبن أنفسهن بأنفسهن، ولقد استعمل لفظ "**عين**" للتوكيد على نمط غير نحوي لأنه جاء في صورة الإضافة في قوله تعالى: ﴿ **ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ** ﴾[2]، أي ثم لترونها رؤية اليقين عينه، ومن ثم لا أتفق مع من تمنع عبارة (فعلت نفس الشيء) ويصر على (فعلت الشيء نفسه).

3- التقديم:

يعد التقديم من المسائل الأساسية التي عني بها النحويون كجزء من اهتمامهم بالتركيب ومن جهة أخرى جعل البلاغيون المعنى محورا في حالات التقديم وكان تركيزهم على المعنى مما أدى إلى تفوقهم على النحويين، فأما في النحو أن سبب تقديم المبتدأ على الخبر أن المبتدأ معلوم للسامع والمتكلم باعتباره الموضع الذي يجرى عنه الكلام والمرء لا يتكلم إلا بما يعرف، أما الخبر فهو مجهول للسامع وإلا ما استحق أن يساق إليه، أما في عرف البلاغيين فالتقديم يكون سببا الاهتمام وهو بذلك من هذه الزاوية عند **تمام** "**كان ذلك اعتدادا منا بأن التقديم نوع من التأكيد**"[3]. وفيما يلي بعض الشواهد القرآنية على التأكيد بالتقديم: ﴿ **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ** ﴾[4] وأما **الطبري** **الطبري** فيرى أن التقديم يكون مفيدا وغير مفيد، يجد في نفسه شيئا تمنعه من التصريح بأن تقديم إحدى الجملتين على الأخرى كتأخيرها عنها كما في الآية السابقة.

"**الله يستهزئ بهم**" وفيه اختيار الجملة الاسمية دون الفعلية[5].

﴿ **لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ** ﴾.[1] لاحظ تأكيد رتبة المبتدأ باقترانه باللام.

---

[1]- البقرة: 228.

[2]- التكاثر: 07.

[3]- البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج2: ص :134.

[4]- الفاتحة:05.

[5]- مختصر تفسير الطبري ، تحقيق علي الصابوني وصالح أحمد رضا ، مكتبة رحاب ، ط 1، 1991 ، ج1، ص145.

﴿ **أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ** ﴾[2] .اختيار تقديم الجملة الاسمية على الجملة الفعلية.

4- القصر:

وهو تأكيد بنفي الغير وإثبات الحكم للموضوع، ويكون ذلك:

أ – صراحة: بحرف النفس **إلاَّ**.

ب – ضمنياً: بـ **"إنما"** وجاءت التأكيد بها من جهتين أولاهما أن **"إنّ"** في أصلها للتأكيد، وزيادة المبنى بواسطة "ما" دل على زيادة المعنى، والثانية أن "إن" بدون "ما" إشارة إلى تفرد الاسم بالاتصاف بالخبر أما "إنما" ففيها هذه الإشارة والتي نسميها القصر والمقصور، ومعنى القصر في الحالتين اختصاص أحد العنصرين دون غيره بالآخر ومن ثم تأكيد النسبة بينه وبين الآخر[3].

ويزخر القرآن الكريم بأسلوب التأكيد بالقصر كثرة يصعب معها الإحصاء وفيما يلي شواهد على ذلك:قال تعالى: ﴿ **اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ** ﴾[4]وقال تعالى: ﴿ **إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ** ﴾[5].

5- النسخ: والمقصود بالنسخ **"بأن"** و**"إن"** و**"لا"*** النافية للجنس وبعض الحالات الأخرى، أما إن المكسورة الهمزة فلا معنى لها إلا التأكيد، وأما **"أن"** المفتوحة الهمزة فإنها إلى جانب التأكيد تشي بمعنى المصدر، وفي القرآن الكريم شواهد كثيرة العدد على التأكيد بأن وأن، أما لا النافية

---

[1]- البقرة: 103.

[2]- البقرة: 174.

[3]- ينظر : البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج2، ص: 136

[4]- البقرة : 255.

[5]- البقرة : 102.

* – إن– أن–لا النافية وغيرها: تسمى الأدوات الحرفية وسميت نواسخ لأنها تنسخ المعنى والإعراب، وأما كونها حروفا وهو عائد إلى صيغتها وتركيبها البنائي، ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين ، لأبي البركات ابن الأنباري ، تح جودة مبروك محمد مبروك مراجعة ، رمضان عبد التواب ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط 1 ، 2002 . ج1، ص، 177

للجنس فيرجع لمح التأكيد في معناها إلى دخولها على اسم الجنس وهو مفيد للعموم وفي نفي العموم[1]. وفيما يلي شواهد من القرآن الكريم:

قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ** ﴾.[2]

فنلاحظ ما في لفظ "**شيء**" من معنى العموم، ولكن دخول الناسخ "**إن**" زاد الجملة إثباتاً وتأكيداً.

وقوله تعالى: ﴿ **إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ** ﴾.[3]

وقوله تعالى: ﴿ **لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ** ﴾[4].

6- التأكيد بالصيغة:

يرى **تمام حسان** أن أي تصرف في طريقة صياغة الكلمة حتى بالترخص لابد أن يضيف إلى المعنى عنصرا جديدا، وأن يؤكده مثل صيغ المبالغة والمطاوعة والمشاركة والاتحاد.....

أما المهم عنده أن نلتفت إلى معان تصل جرثومة التأكيد كمعنى قوة العيب أو التكثير... لنرى أن الاختيار الأسلوبي لصيغة من الصيغ الدالة على هذه المعاني وتفضيلها على استعمال صيغ أخرى غيرها يبرر استعمال مصطلح التأكيد، وقد يجري منشئ النص بعض التعديل في الصيغة[5]. كقوله تعالى: ﴿ **أَمَّنْ لَا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدَى**﴾[6] .فقد تحولت الصيغة المشهورة من يهتدي إلى يهدي.

---

[1]- البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج2، ص:138 .

[2]- آل عمران: 05.

[3]- آل عمران:13.

[4]- البقرة : 256.

[5]- ينظر: البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج2، ص: 140.

[6]- يوسف:35.

يهتدي إلى يهدي، وفي قوله تعالى: ﴿ **تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ**﴾[1] وقد عدلت صيغة الفعل يختصمون إلى يخصمون.

تعالى: ﴿ **تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ**﴾[2] وقد عدلت صيغة الفعل يختصمون إلى يخصمون.

أو قد يضاف إلى المشهور من صيغ زيادة غير مشهورة نحو قوله تعالى: ﴿ **وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا**﴾[3]، فقد أضيف إلى الصيغة المشهورة يصرخون فعل الصراخ + تاء الأفعال تحولت إلى طاء.

وقوله تعالى: ﴿ **إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ** ﴾[4] أي تحولت الصيغة من الكثير إلى الكوثر بإضافة الواو، وقال حسان بن تشبة العدوي:[5]

أبوا أن يبيحوا جارهم لعدوهم وقد ثار تقع الموت حتى تكوثرا

7- التأكيد بضمير المنفصل:

والضمير عند تمام حسان أوسع من مجرد ضمائر الأشخاص بل يشمل الحوصلات والإشارات، وكل ما في التركيب العربي مما يسميه النحاة ربطاً بالإشارة فهو صالح أن يكون من التأكيد بضمير الفصل الاشاري* [5]وله فائدتان:

---

[1]- يس: 49.

[2]- يس: 49.

[3]- فاطر: 37.

[4]- الكوثر: 01.

[5]-ينظر: البيان في روائع القرآن ، تمام حسان ،ج 2، ص :141 .

* - ضمير الفصل من أنواع الضمائر في العربية وهو ضمير منفصل يسميه أهل البصرة وأهل الكوفة عمادا، الغرض منه التوكيد والإشعار بتمام الذي قبله، وكماله، وأن الاسم الوارد بعده يكون خبرا.

[5] - ينظر : البيان في روائع القرآن ، تمام حسان ، ج 2، ص: 141-

أولا: دفع اللبس حين يعرض في بعض الحالات كما في قوله تعالى: ﴿ **وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ (10) أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ** ﴾[6].

والصور التركيبية الممكنة لهذه الجملة القرآنية كما يلي:

أ)- "السابقون أولئك السابقون المقربون" أي يصدق اسم السابقين على المقربين منهم فقط.

ب)- "والسابقون السابقون أولئك المقربون" أي السابقون هم حقا المقربون.

ج)- "والسابقون السابقون المقربون" يحتمل كل من المعنيين وإن اختلف معنى كل منهما عن الأخرى، في حين الصورة الثالثة فيها لبس من قبل لأنه لا يعلم إذا ما كان الخبر هو السابقون الثانية"أو المقربون، فلما جاء ضمير الإشارة للفصل حدد معنى كل منهما، وقوله تعالى: ﴿ **أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ** ﴾[1] فضمير الفصل "هم" فصل بين الخبر والمبتدأ لأمن اللبس، ولو حذف الضمير وصارت العبارة "أولئك الكفرة الفجرة" لدخل اللبس من خلال احتمال أحد المعنيين العبارة السابقة والثاني "أولئك الكفرة هم الفجرة"

ثانيا: والفائدة الثانية من الفصل بالضمير أن المعنى الحاصل من الفصل ذو رحم وقربى فمعنى القصر ذلك أن ما يفهم بالمؤكد (هو لا غيره) على نحو ما يتم في القصر، كقوله تعالى:﴿ **وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ** ﴾[2] فضمير الفصل "هم" قد ورد من أجل التأكيد وفيه دلالة على الاختصاص فإنك لو أسقطت الضمير هم والكافرون الظالمون" فستجد فرقاً بين التأكيد وعدمه، فإن ورد الضمير في الآية ليدل على أنهم لكفرهم اختصوا بمزيد من الظلم الفاحش، وقوله تعالى﴿

---

[6]- الواقعة : 10-11.

[1]- عبس: 42.

[2]- البقرة: 254.

أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴾[1] فيه دلالة على مزيد اختصاصهم بالإيمان لصفته من بين سائر الخلق فيؤخذ الاختصاص والتأكيد من هذا الضمير[2].

ويضمن **تمام حسان** " **الوصف بالنكرة بالاسم الموصول من قبيل الفصل بضمير موصول**"[3] نحو قوله تعالى: ﴿ **وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ (1) الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ** ﴾[4].

فالموصول يجعل الموصوف هو دون غيره بخلاف ما يكون عند حذفه من تعميم الموصوف.

8- التأكيد بالاستفتاح:

ويقول "يجري الاستفتاح في القرآن بوسائل متعددة اعترف النحاة بواحدة منها ولم يلحظوا غيرها، ومن بين هذه الأدوات التي اعترفوا بها "ألا" وكثيرا ما تتضافر معها وسيلة أخرى لإفادة التأكيد كاقترانها بانَّ[5] في قوله تعالى: ﴿ **أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ**﴾[6].

أو مقارنتها للتقديم نحو ﴿ **أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا**﴾[7]، فقد قدم "الظرف" في الفتنة على عامله "سقطوا" للدلالة على الحصر.

ويرى الشيخ **ابن عاشور** الإتيان بأداة الاستفتاح في جملة "ألا في الفتنة سقطوا" للتنبيه على ما بعدها من عجيب حالهم، إذ عاملهم الله بنقيض مقصودهم فهم احترزوا عن فتنة فوقعوا في الفتنة، فالتعريف في الفتنة ليس تعريف العهد إذ لا معهود هنا، ولكنه تعريف الجنس المؤذن بكمال

---

[1]- الأنفال: 04.

[2]- ينظر: الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحي بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي، المكتبة العنصرية بيروت، ط1، 1423هـ، ج2، ص: 77.

[3]- البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج2، ص: 142.

[4]- الهمزة : 01-02.

[5]- البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج2، ص: 143.

[6]- البقرة: 12.

[7]- التوبة: 49.

المعرف في جنسه، أي في الفتنة العظيمة سقطوا، فأي وجه فرض في المواد من الفتنة حيث قال قائلهم "لا تقتفي" كان ما وقع فيه أشد مما تقصى منه، فإن أراد فتنة الدين فهو واقع في أعظم الفتنة بالشرك والنفاق، وإن أراد فتنة سواء السمعة بالتخلف فقد وقع في أعظم منها بافتضاح أمر نفاقهم، وإن أراد فتنة النكد بفراق الأهل والمال فقد وقع في أعظم نكد بكونه ملعوناً مبغوضاً للناس[1].

وأما الاستفتاح بأم فدليله عدم صلاحها لمصاحبة الهمزة إذ لا يراد بها تسوية ولا تعيين وإنما يراد بها مجرد التأكيد، وتعاقبها "أن لا ..." وأحياناً "قد" أو "بل"[2]، ومن شواهد ذلك في القرآن الكريم :قال تعالى:﴿ **أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ** ﴾[3]. ﴾[3].

9- تأكيد الإنكار بالاستفهام:

ويكثر في ذلك استعمال فعل الرؤية ولكنه ليس بلازم[4]، وشواهد ذلك كثيرة في القرآن الكريم، وترد في موارد التعجب والتنديد بمواقف المشركين ومواقف التجاوز لأوامر الله ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ **أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ**﴾[5].

وجاء الاستفهام على جهة الإنكار لأن الناس يأمرون غيرهم بالبر مع نسيان أنفسهم والمفارقة تبدوا واضحة من استنكار الاختلاف بين أمر الناس بالبرِّ مع نسيان النفس. مع أنه من

[1]- التكوير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون، تونس، دط، مج6، ج10، ص: 221.

[2]- ينظر : البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج2، ص: 145.

[3]- البقرة: 214.

[4]- ينظر : البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج2، ص: 146.

[5]- البقرة :28.

فهذا أمر عجاب، وفي شدة الغرابة، وهذا ما أراد القرآن الكريم أن يوصله إلى ذهن المتلقي، لذا باب أولى أن يلزم المرء نفسه (الذات) بما يأمر به الناس (الغير)، أما لا يأتي المرء البرّ مع أمره غيره.

قال منصور الفقيه فأحسن:[1]

إنَّ قوماً يأمرونا بالذي لا يفعلونا

لمجانين وإن هم لم يكونوا يصرعونا

10- التأكيد بضمير الشأن: فقد أشار المستشرقون إلى أن وجود هذا الضمير في العربية فريدة من خصائصها واعتراف بهذه المزية سبقه إليها بعض النحاة والبلاغيين قد سبقوا المستشرق إلى

هذه- وإن لم يكن صراحة- فمن ذلك قول أين يعيش الذي رأى فيه: "**إنهم أرادوا ذكر جملة من الجمل الاسمية أو الفعلية فقد يقدمون قبلها ضميراً يكون كتابة عن تلك الجملة خبراً عن ذلك الضمير، وتفسيرا له**"[2]، ولا يختلف رأي النحويين عن البلاغيين إلا أن الآخرين كانوا أقرب إلى فهم هذا الضمير من الناحية المعنوية.

وضمير الشأن عند "**تمام حسان**" يشمل الضمير الشخصي والإشاري والموصول والشائع في الاستعمال هما ضميرا الشخص والإشارة وقد ورد مرارا كثيرة في القرآن الكريم يصعب معها المحافظة على شروط الإضمار للشأن إلا أن ضمير الإشارة للمفرد قد يجاوز مخاطبة المفرد إلى مخاطبة الجمع[3]، وفيما يلي شواهد من ضمير الشأن:قوله تعالى: ﴿ **لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي**﴾[4] فقد ذكر **الزمخشري** أن هو ضمير الشأن في تفسيره الآية : "..... أي : لكن أنا لا أقليك، وهو ضمير

---

[1]- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، دار الكتاب العربي، (د ط)، 1387، ج1، ص 366-367.

[2]- ضمير الشأن في القرآن الكريم دراسة نحوية بلاغية، عمار نعمة الزيادي، مجلة جامعة كربلاء العلمية، المجلد الرابع، العدد الثالث، أيلول 2006، ص: 241.

[3]- البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج2، ص: 147.

[4]- الكهف: 106.

الشأن، والشأن ربي، والجملة خبر أنا والراجع منها إليه ياء الضمير"[1].وقال **الطبرسي** أيضا: "وقوله هو .... ضمير الحديث والقصة .... وعاد الضمير على الضمير الذي دخلت عليه لكن على المعنى ولو عاد على اللفظ لكان" لكن هو الله ربنا" ودخلت مخففة على الضمير".[2]نحو وقوله تعالى: ﴿ **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ** ﴾[3]

وجاء في قول **الزمخشري** (... هو ضمير الشأن، والله أحد هو الشأن.. كما أنه قيل: الشأن هذا، وهو أن الله واحد لا ثاني له)[4].ويحمل ضمير الشأن معنى لا تأكيد في معنى الجملة كقوله تعالى: ﴿ **وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ*** ﴾[5].

وقوله تعالى: ﴿ **يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ** ﴾[6].

فالضمير في "إنها" ليس ضمير الفعلة، أي فعلة الإنسان من خير أو شر وهذا ما ذهب إليه بعضهم[7].

والدليل على صحة أن كل ما سبق تدل على الشأن أن ما بعدها يصلح جملة من مبتدأ وخبر دليل هذه الصلاحية أنك تستطيع وضع "أن" الناسخة المفتوحة الهمزة بين كل إشارة وما بعدها والناسخ كما هو معروف يدخل على المبتدأ والخبر[1].

---

[1]- الكشاف، ج2، ص: 122.

[2]- مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي، دار المرتضى ، بيروت ، لبنان ، (د ط) ، (د ت) ج6، ص345.

[3]- الإخلاص: 01.

[4]- الكشاف، الزمخشري، ج4، ص: 817.

*- ولعل أهمية هذه الآية جعلت بعض اللغويين المفسرين يختلفون في دلالة "هو" أضمير شأن هو أم لا.

[5]- البقرة: 85.

[6]- لقمان: 16.

[7]- ينظر: إعراب القرآن وبيانه ، محي الدين الدرويش ، دار ابن كثير ،ج3، ص: 284.

11- التأكيد بالحرف:

ويقصد **تمام حسان** بالحرف: اللام الموطئة للقسم أو لام الابتداء* ولام الجواب ولام الجحود ونون التوكيد ولن التي تأتي لتأكيد النفي وأمور أخرى[2] ولهذه اللام شواهد عظيمة العدد في القرآن الكريم منها ما يلي:

وقوله تعالى: ﴿ **وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا** ﴾[3].

وقوله تعالى: ﴿ **لَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ** ﴾[4]

وقد تزحلق اللام إذا دخلت على إن المكسورة الهمزة فلحق بخبرها نحو قوله تعالى: ﴿ **وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** ﴾[5].

أو تدخل على اسم إن المؤخر إذا كان خبرها ظرفا أو مجرورا نحو قوله تعالى:﴿**وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ** ﴾[6]

واللام في الآية للتأكيد دخلت على اسم إنّ فريقاً.

وأما لام الشرط فتأتي لتأكيد الشرط الامتناعي والقسم وهي اللام الموطئة وهي كثيرة في القرآن الكريم.

---

[1]- ينظر : البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج2، ص: 149.

*- اللام الموطئة ولاء الابتداء من قبيل واحد ولكن التسمية تختلف باختلاف ما تدخل عليه، فإذا دخلت على المبتدأ سميت لام الابتداء وإذا دخلت على الشرط أو المدح والذم ونحوهما سميت موطئة القسم.

[2]- ينظر : البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج2، ص :149 -150.

[3]- البقرة: 97.

[4]- البقرة: 221.

[5]- آل عمران: 62.

[6]- آل عمران:78.

وقوله تعالى: ﴿ **قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ** ﴾.[1] وتحمل الباء السببية أي بسبب إغوائك إيايَ والقسم أي بإغوائك لي.

وقد يجاب القسم بحروف أخرى غير اللام مثل ما وبل وإن المكسورة الهمزة ثقيلة أو مخففة أو يجاب بغير الحروف ويكثر التأكيد بلام الجحود أيضا في القرآن، وهذه اللام تحول المعنى من انقطاع النفي في الماضي إلى الاستمرار من الماضي إلى المستقبل، ومن شواهد هذا في القرآن الكريم: قوله تعالى: ﴿ **مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ** ﴾[2].

ويتضح التأكيد بهذه اللام عند النظر إلى تراكيب توضع فيها متقدمة على مرفوع كان وتوضع "أن" موضع اللام نحو: ﴿ **وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ** ﴾[3].

ويأتي التأكيد من القصر **بما وإلا** فقط.

وقوله تعالى: ﴿ **وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا** ﴾[4] فالفعل المضارع "تجد" تظهر صورة تأكيده بالنون من خلال اتصاله معها باللام.

12- تأكيد الإيجاب بسلب الضد وعكس ذلك:

ويكون ذلك بالإثبات ثم نفي الضد وبالنفي ثم إثبات الضد بالأمر، ثم النهي عن الضد وبالنهي ثم الأمر بالضد فيكون أثر ذلك في الفهم مثل التأكيد اللفظي تماما، ومن هنا يتفق تمام

---

[1]- الحجر: 39.

[2]- آل عمران: 179.

[3]- آل عمران: 145.

[4]- البقرة: 97.

حسان مع مفهوم البيان عند البلاغيين إذ الوصول إلى المعنى الواحد بطرق مختلفة ويربط **تمام حسان** ذلك دائما بالغرض والقصد[1].

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ **فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي** ﴾[2].فالأمر ثم النهي

وقوله تعالى: ﴿ **وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ** ﴾[3].

ومن السمات الفنية المعاصرة التي تبرز القيم الجمالية للنص الإبداعي وما يحمله من معاني، أسلوب المفارقة التصويرية وهي فكرة تقوم على استنكار الاختلاف والتفاوت بين أوضاع كان ينبغي أن تتفق وتتماثل[4].

وجاء التأكيد في معظم ذلك لإبراز التناقض بين ضدين كما يقول **تمام حسان** نحو قوله تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا**﴾[5] . فترى أن الذين أوتوا الكتاب يدعون أن المشركين أهدى من المسلمين وهم أهل كتاب مثلهم.

ولم تقتصر المفارقة التصويرية في النص القرآني على مجرد إبراز الجانب الجمالي فحسب عبر إبراز التناقض بين طرفين كان يفترض فيهما التوافق والائتلاف، لا التنافر والاختلاف، بل استخدمت المفارقة كأداة بلاغية ووسيلة بيانية تؤدي إلى وظيفة دلالية، من خلال إيضاح فكرة أو تأكيد معنى، مما يضفي على النص القرآني مزيداً من حيوية التعبير[6].

---

[1]- ينظر : الأسلوبية الوظيفية، بداش حفيظة، ص 216 .

[2]- البقرة : 150.

[3]- الأعراف :160 .

[4]- ينظر: عن بناء القصيدة العربية الحديثة، علي عشري زايد، دار الفصحى للطباعة والنشر، القاهرة، 1977، (د.ط)، ص: 137.

[5]- النساء :51.

[6]- المفارقة التصويرية، (مقال) هانئ اسماعيل محمد، شبكة النور.

ثالثا: التعليل:

لقد تنوعت تعبيرات النحويين القدماء منهم والمحدثون في تعريف العلة، وعرفها **الرّماني**: "**تغيير المعلول عما كان عليه**"[1]، ويرى **محمد خير الحلواني** أن: **الإيراد بالعلة النحوية تفسير الظاهرة اللغوية والنفوذ إلى ما ورائها وشرح الأسباب التي جعلتها على ما هي عليه**"[2].

وعرّف **خميس سعيد الملخ** التعليل النّحوي بأنه "**تفسير اقتراني يبين علّة الإعراب أو البناء على الإطلاق وعلى الخصوص وفق أصوله العامة، ويبدو من التعليل أنه نشاط ذهني للإنسان يصل به إلى تفسير الأحكام اللغوية وغيرها، ويتمثل في البحث عن الأسباب التي تكمن وراء الظواهر اللغوية والأحكام النحوية**"[3].

والتعليل عند **تمام حسان** "**بيان العلة أيا كانت صورة البيان سواء كان التعليل بواسطة المفعول لأجلها أو بالجر بحرف يفيد التعليل أو بنزع الخافض إذ يكون الخافض بالمعنى المذكور أو بواسطة لعلَ أو بأية وسيلة أخرى***"[4].

ويكون التعليل بصورة المفعول لأجله والمفعول فيه وفيها شواهد قرآنية على التعليل بالمفعول لأجله ، كما في قوله تعالى : ﴿**وَيَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ**﴾[3]اجتمع في هذه الآية المنصوبان الصريح وغيره " بحرف الجر".

---

[1]- النكت في إعجاز القرآن ، الرماني ، ص338 .

[2]- أسلوب التعليل في اللغة العربية ، أحمد خضير عباس علي ، دار الكتب ،بيروت، لبنان ، ط1 ،2007 ، ص31-

[3]- أسلوب التعليل في اللغة العربية ، أحمد خضير عباس علي ، ص 32 .

*- ويبين تمام أن الفرق بين العلة والسبب، فرق في التأثير فالحكم يدور مع العلّة وجوداً وعدماً، ولكنه لا يدور مع السبب.

[4]- البيان في روائع القرآن ، تمام حسان ، ج 2، ص: 161.

[3] - البقرة :19

ويكون التعليل بواسطة لعل ، كما في قوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمُ لَعَلَّكُمْ تَتَقُونَ** ﴾[4] فالأصل في لعل الترجي ولكن في قوله تعالى التحقيق .

ويكون التعليل من ، نحو قوله تعالى : ﴿**وَيَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ**﴾[5] أي يجعلون أصابعهم بسبب الصواعق. ويكون التعليل بالفاء السببية نحو قوله تعالى: ﴿ **أُوْلَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوْا الضَّلاَلَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ** ﴾[6]

ويكون التعليل بواسطة الإخبار بالذي والألف واللام ، مع الربط بالإشارة ليشرب التركيب معنى الشرط فيكون علة الجواب ، كما في قوله تعالى : ﴿**إِنَ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِمَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُوْلَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ**﴾[1] أي يلعنهم الله لأنهم يكتمون ، فالشرط (من : إن الكتاب) والجواب (أولئك يلعنهم الله).

التعليل من خلال الإنكار ، نحو قوله تعالى: ﴿ **كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ** ﴾[2] أي تكفرون به لأنه أحياكم .ويأتي التعليل مع الفصل وتقدير حرف التعليل ، كما في قوله تعالى: ﴿**وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُوْلَئِكَ يَدْعُونَ إِلَىَ النَّارِ**﴾ [3] أي الفصل بأولئك تقدير حرف التعليل (لأنهم يدعون إلى النار).

---

[4] - - البقرة :21

[5] - البقرة :19

[6] - البقرة :16

[1] - البقرة :159

[2] - البقرة :28

[3] -البقرة :211

والتعليل بواسطة" **أن**" نحو قوله تعالى : ﴿ **وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ** ﴾[4] فإذا هنا أفادت الإثبات بأخذ معنى لقد.

رابعا: الإحالة:

جاء في لسان العرب "**المحال من الكلام: ما عدل به عن وجهه، وحوله جعله محالاً، وأحال أتى بمحال، ورجل محوال، كثير محال الكلام... ويقال أحله الكلام أحيله إحالة إذا أفسدته، وروى ابن شميل عن الخليل بن أحمد أنه قال: المحال الكلام لغير شيء .... والحوال: كل شيء حال بين إثنين ..... حال الرجل يحول تحول من موضع إلى**

الجوهري: حال إلى مكان آخر أي تحوَّلَ ..."[1].

أما اصطلاحاً فهي مأخوذة من référence وهي من أهم أدوات الاتساق النصي ويقصد بها "**وجود عناصر لغوية لا تكتفي بذاتها من حيث التأويل وإنما تحيل إلى عنصر آخر، لذا تسمى عناصر محيلة مثل الضمائر، وأسماء الإشارة والأسماء الموصولة**"[2].

والإحالة هي علاقة بين عنصر لغوي وآخر لغوي أو خارجي بحيث يتوقف تفسير الأول على الثاني، ولذا فإن العناصر الاحالية التي يتضمنها نص ما يقتضي أن يبحث المخاطب في مكان آخر داخل النص أو خارجه.وتتحقق الإحالة في العربية بالضمائر بأنواعها وأسماء الإشارة والمقارنة والموصولات.والإحالة أو المرجعية عند تمام حسان "نوع من ظاهرة الربط (بوصفه قرينة) في اللغة ولكن الإحالة تقع خارج نطاق القرائن النحوية[3] وتتجه اتجاهين:

---

[4] - الأحقاف : 11

[1] - لسان العرب، ابن منظور، تح: عبد الله الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، مصر، ج9، ص .1055

[2] - ينظر: لسانيات من النص، محمد خطابي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2006، ص16-19.

[3] - ينظر : اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان ، ص:21

1) **إحالة على السابق (قبلية) anaphoric référence**: تعود إلى ما سبق التلفظ به والإحالة إليه تتم بضمير الإشارة "ذا" مع اختلاف ما يصاحبه من حروف الخطاب.

2) **إحالة على اللاحق بعدية: cataphoric référence**: وتعود على عنصر اشاري مذكور وبعدها والإحالة إليه تتم بإشارة وبغير الإشارة.

وهذا يحيلنا إلى موقف **ميرفي** (**Murphy**): "الإحالة تركيب لغوي يشير إلى جزء ما ذكر صراحة أو ضمناً في النص الذي سبقه أو الذي يليه"[4].

والإحالة القبلية: تتم بضمير الإشارة "**ذا**" مع اختلاف ما يصاحبه من حروف الخطاب والتنبيه، ويشير ضمير الإشارة في هذه الحالة إلى مضمون ما تقدم من قول أو حدث فيكون الضمير تلخيصا لهذا القول وذلك الحدث وتجنبا للإطناب بإعادة بسط العقول.

والإحالة شكل من إشكال البلاء والربط والانسجام لها صور عديدة منها ما ذكر في التعريف: الضمير والإشارة، وأداة التعريف (ال)، وإعادة اللفظ وإعادة المعنى، والجامع بين صور هذه العائدات، هو أن جميعها عود من وسيلة الإحالة إلى مرجع هذه الوسيلة في الكلام.

والمقصود بالإحالة نحوياً: بالإحالة "عود الضمير، وما يقوم مقامه من إشارة أو أداة تعريف أو إعادة لفظ أو معنى"[1]، لأن الضمائر تدل على دلالة وظيفية على مطلق الغائب أو الحاضر، فهي لا تدل على مسمى كما تدل الأسماء، فإذا أريدها أن تدل عليه، فتنقلب دلالتها من وظيفة إلى معجمية كان ذلك بواسطة المرجع، فدلالتها على المسمى لا تأتي إلا بهوية الاسم[2].

ب) **الإحالة البعدية:** والمقصود بالذي يلي هذا يمكن أن يكون مضمون الشأن كالذي

---

[4]- مهارات التعرف على الترابط في النص ،ريما سعد سعادة الجرف، ، مجلة رسالة الخليج العربي، العدد7، ص82.

[1]- مقالات في اللغة والأدب، تمام حسان، ص 46.

[2]- اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان ، ص21.

سبق من زعم النّحاة أن ضمير الشأن نحو:﴿**جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا**﴾[1]، وإما أن يكون الضمير إشارة إلى المنطوق والمضمون معا فمثله مثل عبارة "ما يلي" تماماً وذلك شأن الإشارة والموصول ونحوهما كما يلي: قوله تعالى: ﴿ ذَ**لِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ**﴾[2] والإشارة إلى ما يلي من الكلام من حمل مريم وميلاد المسيح.

وقوله تعالى: ﴿ **نَتْلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾[3]، أي تتلو ما يلي من نبأ موسى وفرعون.

وعد **تمام حسان** الموصولات من عناصر الإحالة مستشهداً بقوله تعالى: ﴿ **الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ** ﴾[4].

فالاسم الموصول (الذي) قد قوي المعنى وذلك بإحالته إلى سابقة إلى (الرسول النبي)، لكن المراد وصف الرسول بأنه مكتوب في التوراة، كما أحيل إليه بالعائد الضمير في (يجدونه)، وبذلك يكون الموصول إحالتان قبلية وبعدية[5].

ومن شواهد الإحالة القبلية في القرآن الكريم:

الإحالة إلى ما سبق يشير ضمير الشأن في هذه الحالة إلى مضمون ما تقدم من قول أو حدث فيكون الضمير تلخيصا لهذا القول وذلك الحدث تجنبا للإطناب بإعادة بسط القول ، كما في قوله تعالى: ﴿**ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ**

---

[1]- الكهف: 106.

[2]- آل عمران: 44.

[3]- القصص: 03.

[4]- الأعراف: 157.

[5]- البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج2،ص 31-32.

بَعِيدٍ﴾[1]. وفيه إشارة إحالة إلى كتمان البعض لما أنزل من الكتاب وشرائهم بهم ثمنا قليلاً وعدم تكليم الله إياهم.

وقوله تعالى: ﴿ **ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَى وَجْهِهَا** ﴾[2]

وفيه إشارة إلى قوله تعالى:﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ** ﴾[3]

وقوله تعالى: ﴿ **إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ** ﴾[4] إشارة إلى ما سبق من قوله:﴿**حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ** ﴾.

والإحالة بالضمير تتخذ ذات الأبعاد النحوية في دراسات لسانيات النص وتحليل الخطاب، إذ يتكلم ألان **روبرت دي بوجرند** (AR. debeaugrand) عن هذا النوع من الربط في إطار حديثه عن الإحالة بألفاظ كنائية (Pro-forme) وهو من حيث المحتوى في الاستعمال مأخوذة من العبارات التي تشرك معها في الإحالة، وتمنحها طرقا تنظيمياً إجرائياً معينة، من حيث أنها تملك صدى أوسع في الاستعمال، ومن الناحية النسبية خالية من أي محتوى ذاتي، من جهة ركونها تحتاج إلى شكل خارجي متميز، وأشهر نوع لهذه الإحالة الضمائر التي في استعمالها يشير إلى نفس المدلول وحينها فالرتبة الطبيعية تبدو ويتقدم ما هو أكثر تحديداً.[5]

فالإحالة: "شأن آخر في مجال الربط هو التذكير بعنصر آخر من عناصر الجملة، حتى

---

[1]- البقرة:176.

[2]- المائدة: 108.

[3]- المائدة: 106.

[4]- الأنبياء: 106

[5]- النص والخطاب والإجراء ، روبرت دي بوجرند ، ترجمة تمام حسان ، عالم الكتب ، القاهرة ، مصر ، ط 1 ، 1997 ، ص 320 - 321 .

تحدث الترابط بين الجملتين ومن ثم تتحقق لحمة النص ونسيجه".[1]

خامسا – النفي:

رأينا سابقا أن النفي الأسلوبي أوسع من النفي النحوي، فهو إما أن يكون صريحا أو ضمنيا – كما يراه" تمام"– والصريح منه إما أن يكون: نحويا أو معجميا، والصورة العامة من هذا التقسيم تبدو على المخطوطة الآتية :

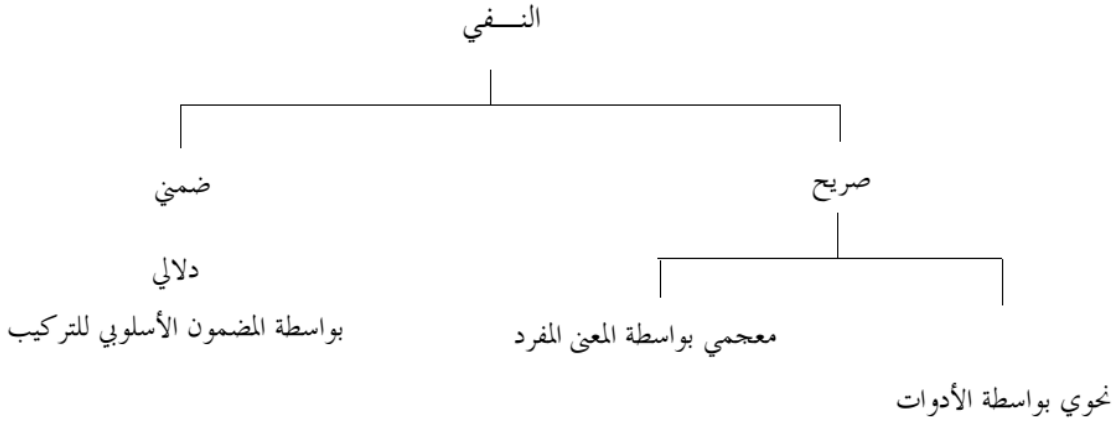

النفي وأنواعه: [2] ولكل واحد من هذه الأنواع مجال تطبيق في الأسلوب القرآني وبيان ذلك على النحو التالي:

أ– النفي النحوي: ويكون بواسطة أدوات النفي بعضها أصلي وآخر منقول:

1– ما الداخلة على ضمير: نحو قوله تعالى:﴿ **وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ** ﴾[3]

[1]– الخلاصة النحوية ، تمام حسان ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط 1، 1420 هـ – 2000 م ، ص89 -90 .

[2]– البيان في روائع القرآن، تمام حسان،ج2، ص 170-171.

[3]– البقرة: 96

2- "ما" الداخلة على الاسم الظاهر: كما في قوله تعالى: ﴿ **وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى** ﴾ [1]

3- "ما" الداخلة على الفعل:كما في قوله تعالى: ﴿ **فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ** ﴾ [2]

4- "لا" الداخلة على الاسم لنفي المفرد: قال تعالى ﴿ **لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ** ﴾[3]

5- "لا" النافية للجنس قال تعالى: ﴿ **جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا** ﴾[4]

6- "لا" الداخلة على الفعل المضارع قال تعالى: ﴿ **صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ**﴾[5]

7- "لا" الداخلة على الماضي قال تعالى: ﴿ **فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ** ﴾[6]

8- "لم" الداخلة على المضارع قال تعالى: ﴿ **أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ** ﴾[7]

9- "لن" تختص بالدخول على المضارع، قال تعالى: ﴿ **لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ**﴾[8]

---

[1]- النساء: 96

[2]- البقرة: 71

[3]- البقرة: 68

[4]- البقرة: 158

[5]- البقرة: 18

[6]- البقرة: 11

[7]- البقرة: 33

[8]- البقرة: 61

10-النفي بليس: تختص بالجملة الاسمية، قال تعالى: ﴿ **وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ** ﴾[1]

ب-**النفي المعجمي**: ويكون بواسطة المعنى المفرد، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ **فَقَلِيلًا مَا يُؤْمِنُونَ** ﴾[2]، أي ﴿ **فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا** ﴾[3]، لدينا في الآية الأولى ما زائدة لتأكيد القلة، وهنا وهنا نتذكر أصل الاستعمال والنقل والنقل إذ نقلت إلا من الاستثناء إلى النفي، وكذلك تقديم لفظ القلة، نفيا للكثرة بمقدار ما ينفيها حرف النفي في الآية الثانية أي (النساء) وهذا النوع من النفي صالح أن يستثنى منه[4]

ويلخص "تمام" جميع المعاني المتفرعة عن النفي (المعجمي) يبدو في صورة التخطيط التالي:

[1]- البقرة:113

[2]- البقرة: 88

[3]- النساء: 46

[4]- ينظر: البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج 2، ص :174

السلب	الإزالة	التحول	المنع والامتناع	الكف و الانحسار	القطع والانفصام
ضل	نزه	ذهب	أمسك	كف	نبذ
جع	سبح	فسد	وقى	ترك	بتر
نقص	أمن	ولى	كفر	خشي	قطع
جهل	أبطل	حرّف	منع	خاف	برئ
ضعف	أخذ	فتن	رفض	أبى	
صمّ		زل	عصى	كتم	
			حزم		

الظاهر أن هذا التصنيف للنفي، يعود إلى ظاهرة معجمية أطلق عليها اللّغويون مصطلح "**الحقول المعجمية**"، وأن تقسيم معجم لغة ما إلى حقول، وهذه الأخيرة مختلفة الطابع، فبعضها يعود إلى العقل، والبعض الآخر يعود إلى العرف والثقافة الشعبية، ويضيف "**تمام**" أن ما يعود إلى طبيعة التكوين العقلي ربما أعمق وأهم على حد تعبيره –ذلك أن محاولة تقسيم المفاهيم بين الإثبات والنفي، فلربما يؤدي إلى نتيجة وهي أن طوائف المعاني تتفرع عن النفي وإن جرى التعبير عنها بالفعل المثبت، على نحو ما مر في التخطيط السابق.[1]

ونلاحظ أن "**تمام**" تأثر في هذه النظرية، بالحقول المعجمية بالعرب والغرب.كما هو عند" **ابن سيده** و"**سوسير**" وغيرهم.

سادسا – التسوية:

[1]– الأسلوبية الوظيفية ، بداش حفيظة، 244-245

الأصل في ذكر أحد مشتقات مادة (س وي) إما بالإيجاب وأسلوب التعبير عن التسوية قد يتخذ صورا أخرى مع المحافظة على أحد محوري التقابل أو التباين ومن هذه الطرق:

1- الشرط: كما في قوله تعالى: ﴿ **فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ** ﴾[1]، أي سواء وليتم قبل المشرق أو المغرب.

2- "أو": وتختلف عن"أو" التي للتخيير، في أن طرفي التسوية بينهما اطراد التباين (التقابل) وليس ذلك الاطراد بين طرفي التخيير، نحو قوله تعالى: ﴿ **إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا** ﴾[2] أي هو أولى بهما سواء أكان غنيا أم فقيرا.

3- الواو التي بمعنى أو، ويشترط فيهما ما قيل في النوع السابق "أو" وذلك نحو قوله تعالى: ﴿ **الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ** ﴾[3] أي سواء كانوا قياما أم قعودا أم على جنوبهم.

و هناك عبارات أخرى تفيد التسوية نحو:

قوله تعالى: ﴿ **هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ** ﴾[4]، سواء على هذه الصورة أو تلك.قال تعالى: ﴿ **إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ** ﴾[5]

---

[1]- البقرة: 115

[2]- النساء: 135

[3]- آل عمران: 191

[4]- آل عمران: 06

[5]- النساء: 140

4- إما (الدلالة على التفضيل) لأن بين طرفي التفضيل علاقة عنادية –عادة- بخلاف طرفي التسوية، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ **مَدًّا حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا** ﴾[1]

ومعنى إما هذه صنو [2] لمعنى الشرط-الذي ذكر بعد قليل- وواضح أن علاقة التسوية غير العلاقة العنادية – والتي رأيناها في مبحث التضام –لأن الأولى إيجابية والثانية سلبية.

المبحث الثاني : ألفاظ وعبارات مختارة في القرآن الكريم

إرتبط مفهوم الإختيار بالأسلوبية واعتبر حدا فاصلا بين الجمالي (اللغة الفنية) وغير الجمالي (اللغة العادية)، وذلك لأن الكلام لا يمكن أن يكتسب صفة الأسلوبية إلا إذا تحققت فية جملة من الظواهر التعبيرية التي يؤثرها (يختارها) الشاعر أو الأديب دون غيرها ،لأنها في نظره وحدها هي التي يمكن أن تعبر عما يدور في خلده و جوهره اختيارا، ومن شأنه أن ينقل اللغة من حيادها إلى خطاب يتميز بنفسه [3].أو أن الأسلوب " **إنتقاء لسمات لغوية معينة بغرض التعبير عن موقف معين.ولذا فالإختيار (الإنتقاء) الأسلوبي الذي يقوم به المبدع يكون شاملا لمختلف النواحي المتعلقة باللغة " الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية"، لأن الإختيار سيكون أصدق مايمكن إذا حقق قصد المبدع من توظيفه.**[4]

---

[1]- مريم: 75

[2]- ينظر، البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج 2، ص:177-178

[3]- ينظر: الأسلوب والأسلوبية، المسدي، ص60.

[4]- الاتجاهات الاسلوبية في النقد العربي الحديث، ابراهيم عبد الجواد، الأقلام الهادفة للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 1996، ص41.

ولذا فالإختيار يجعل من الأسلوب عملا واعيا وقصديا، فكل علامة لغوية من لفظ أو تركيب أو عبارة أو غيرها مما هو ضمن الخطاب تقوم بوظيفتها التي حدده المبدع، الأمر الذي ينفي عن الأسلوب العفوية أو الإلهام التي تتذرع بها بعض التيارات الأدبية والنقدية.[1]

ويرى **سعد مصلوح** أنه يمكننا التمييز بين نوعين من الإختيار.[2]

-الأول: إختيار محكوم بسياق المقام ويراد إستعمال اللغة لتحقيق هدف عملي محدد، ولذا يوصف هذا الإختيار بأنه (نفعي) محكوم بسياق المقام.

-الثاني: إختيار نحوي (GRAMMATICAL SELECTION) ويراد به المفاضلة بين أساليب التراكيب المختلفة، وإنتخاب بعضها لأداء ما يريده المبدع. ولا يقتصر الأمر على (النحو) فقط، بل يراد بكلمة (النحو) هنا كل مستويات اللغة المختلة.

فالإختيار بهذا المفهوم أمر يفترض أن يقوم به المنشيء على كافة مستويات التواصل بدرجات متفاوتة، ومن ثم فهو ليس محض إختيار لغوي فحسب، بل هو محكوم من جهة بامكانات المقال، ومن ثم بمقتضيات المقام.وعندئذ تصبح هذه الإختيارات بأنواعها المختلفة متغيرات أسلوبية ، أي مجموعة من السمات اللغوية التي يعمل فيها المنشيء بالإختيار أوالإستبعاد أو الحذف، وبالكيفية التي يراها.

فإذا تحققت هذه (المتغيرات) في النص بالفعل انتلقت إلى مرحلة تصبح فيها خصيصة أسلوبية للمبدع يطلق عليها حينئذ الخصائص الأسلوبية.

وللإختيار صور متعددة، منها مايتم على مستوى اللفظ أو المعجم بتفضيل لفظة ما على غيرها من البدائل، ومنها ما ينم على مستوى التركيب (النحو)، بحيث يفضل نمط ما من التركيب على غيره يعادله في أداء أصل المعنى ويجد هذا الفهم للإختيار في نظرية تشومكي حول " البنية

[1]- الموجز في دراسة الأسلوب والأسلوبية، عدنان علي رضا محمد النحوي، دار النحوي للنشر والتوزيع، 2003، ص66.

[2]- ينظر : الأسلوبية والأسلوب، المسدي، ص59.

السطحية والبنية العميقة" مستندا، إذ يتحدد الأسلوب عند هؤلاء بوصفه " إختيارا أو إستثمارا وتوظيفا للطاقات الكامنة في اللغة، إذ أنه يمكن تحديد هذه الطاقات وكشف أبعادها عن طريق " قواعد التحويل "، وبذلك تكون "السمة الأسلوبية " هي الصورة المنتقاة من بين التحويلات الإختيارية المتعادلة معها دلاليا والتي تعد من هذه الزاوية بدائل لها.[1]

وهنا يظهر عما الأسلوبية التي تسعى إلى تقصي مظاهر الإختيار وملامحه في النص الإبداعي وصولا إلى الوظيفة التأثيرية والبلاغية والجمالية فيه.

وفي القرآن الكريم محاور أساسية يتم على أساسها إختيار اللفظ وهي:

1-**محور الأصل الإشتقاقي:** من حيث الجرس الموسيقي الذي يولد قبولا أو نفورا من إستعمال الصيغ يخضع لعلاقات المعاني للصيغ الصرفية والمعاني النحوية في السياق.

وفيه محاولة صريحة من تمام حسان لربط أهم عنصر تقوم عليه الأسلوبية "الإختيار " (الألفاظ) بالوظيفية والملائمة للسياق والبنية اللغوية على نحو يحمل فيه المبنى " الصيغة الصرفية "، مع عدم الفصل بين الصرف والنحو والصوت (الجرس) والسياق.[2]

وللألفاظ المفردة أصولها الاشتقاقية وطرق صياغتها من هذه الأصول على صور معينة ولها معانيها المفردة التي تنسب إليها في المعاجم ولها أجراسها التي تولد في النفوس قبولها أو نفورا منها وقد يكون للفظين قدر من الإتفاق في المعنى يصل إلى حد الترادف أو التداخل فإذا تداخل المعنى كان من المفيد رصد الفرق بين اللفظين وتخليص معنى كل منهما من معنى الآخر، والمتأمل لدور الأصول الإشتقاقية في وجود الألفاظ أو إيجادها يصطدم بمجموعة من العلاقات بين الأصول

[1]- علم الأسلوب واللغة والإبداع، صلاح فضل، ص99-101.

[2]- ينظر : البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج1، ص369.

ومعاني الصيغ الصرفية تأذن لبعض الصيغ أن تستعمل من مادة إشتقاقية بعينها وتحكم على صيغ أخرى أن تصل في حدود هذه الأصول في نطاق المهجور.[1]

ويقدم تمام مثالا عن ذلك أن الحدث من مادة إشتقاقية معينة إذا كان للمفعول قدرة على مقاومة ايقاعه صح أن يصاغ المطاوع من هذا الحدث وإن لم يكن له قدرة على رده أو مقاومة وقوعه امتنع أن يصاغ منه المطاوع وأصبحت صيغة المطاوع من هذه المادة من قبيل المهجور.

2-**الصيغ الصرفية (الأوزان)**: وهي الصور المعينة التي تصاغ بها المفردات من هذه الأصول.ويرى تمام أن هذه القوالب ذات معاني وظيفية وهذه المعاني من شأنها أن تتعد للصيغة الواحدة لأن المعاني الصرفية أكثر من هذه الصيغ ومن ثم لزم أن تتصرف الصيغة في تصرفا إقتصاديا يسمح لها بأقصى قدر من الإفادة من الوسائل المتاحة.وهكذا تصبح الصيغة غير صالحة بمفردها للدلالة على معنى معين نحو ما يوجد في صيغة " فعيل " فهي تصلح حال إفرادها أن تنسب للإسمية كما في سرير أو المصدرية كما في صهيل أو للوصفية كما في بخيل فلا يتعين لها واحد من هذه المعاني إلا بعد أن تصاغ الكلمة المفردة المشتقة على مثالها.هذا إذا لم يتعدد المعنى المعنى المعجمي لهذه الكلمة المفردة أيضا بعد صياغتها كما في " صريخ ".[2]

3-المعنى المفرد: لايفيد نسبة من أي نوع إسنادية كانت أم غير إسنادية وهو معنى متعدد ومحتمل يفتقر إلى قرينة السياق التي تحدده وقد تفتقر إلى قرينة أخرى غيرها إذا عرض له من جناس أو تورية أو غير ذلك مم يعرض للألفاظ كما في قوله تعالى:﴿ **وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ** ﴾.[3]

[1]- ينظر : البيان في روائع القرآن ، تمام حسان ، ج 2، ص369.

[2]- المصدر نفسه ، ج1، ص370.

[3]- الأعراف، 26.

وكذلك ﴿ **فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ** ﴾.[1]

وقوله: ﴿ **حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى** ﴾.[2]

وقوله:﴿ **لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ** ﴾.[3]

إذ تجد كلا من الألفاظ:" لباس" و" الوسطى " و"ربه " يحتاج لقرينة لبيان معناه المقصود واستبعاد معناه الآخر غير المقصود.فقد سبق إلى الفهم من اللفظ الأول مصدر الفعل لابس يلابس ومن الثاني معنى" ومن الحسنى " ومن الثالث معنى " سيده " أي العزيز الذي رباه.[4]

4-الجرس وعلاقة الألفاظ ببعضها البعض: تتفاوت الألفاظ من حيث الجرس وهو ما اعترف به الكثير من النقاد والشعراء وعليه تبنى الكثير من الأحكام التقييمية على شخصيات الأفراد كدراسة أسلوب كاتب ما إنطلاقا من الألفاظ إلى غير ذلك من الأحكام التي أقامت الصلة منذ الزمن الأول بين الجرس والمعنى بواسطة دعوى دلالة الصوت على المعنى . وقد اختصرها **تمام حسان** في " الحكاية " بدل " حكاية الصوت والمعنى ".[5]

ويعد الجرس والإيقاع في القرآن عنصر من عناصر البيان المنتج للمعنى القرآني في قلب المتلقي لايقل عن أي عنصر آخر أثرا وقيمة، بل هو أظهر عناصر ذلك البيان وأقربها إلى الإدراك إجمالا وإن كان إدراكه على التفصيل والتحليل والتفسير غير قريب، ولايسير في كثير من صوره مما يجعل المرء يحتاج في إدراكه إلى لقانية وحس مرهف وأذن واعية.[6]

---

[1]- النحل، 112.

[2]- البقرة، 238.

[3]- يوسف، 24

[4]- البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج1، ص370.

[5]- ينظر : المصدر نفسه ، ج1، ص371.

[6]- ينظر :العربي علي أنوار الذكر، معالم الطريق إلى فقه المعنى القرآني في سياق السورة، محمود توفيق محمد مسعد، المكتبة الشاملة، ج1، ص214.

وقد اتسم البيان القرآني النازل في العهد المكي بظهور القيم الصوتية من الجرس والإيقاع في تكوين وتشكيل صورة المعنى، لما يملكه الجرس والإيقاع من قدرة على النفوذ في خبايا القلوب، وذلك مرده إلى الميل الفطري للإنسان، فقد جبلت النفوس الناطقة على إدراكه والإرتياح والطرب بإدراكه.[1]

فإذا لم تكن الكلمة مكونة من حروف قوية الأسماع وحسن جرسها وإلا فلا، أضف إلى ذلك أن حسن الجرس يرتبط أيضا بالتأليف.[2] وهذا الجرس يمكن أن تلاحظه في بناء الكلمة إذ تصغي إليها ولذا حرصت العرب في بناء كلامها على أن توفر لها مزيدا من التناغم والتناسب، وأجلت خفة الأداء، فأحدثت ضروبا من التعبير والتحول في أصوات الحروف، وكثيرا من الاستغناء وهو علم بأصول صناعة الكلمة في لسان العربية.[3]

وفي المنهج التصريفي يلاحظ العلاقة بين الصورة الصوتية للكلمة والمعنى الذي تقوم الكلمة بحمله في سياقها الذي تدرج عليه، فهي لغة موسيقية موزونة في حروفها ومفرداتها وتراكيبها، فحروفها موزعة المخارج الصوتية توزيعا موسيقيا وافيا، فليس هناك مخرج صوتي واحد ناقص في الحروف العربية التي قسمت على حسن موقعها من أجهزة النطق المستخدمة أحسن إستخدام يهدي إليه الإفتتان في الإيقاع الموسيقي فإذا هي لغة شاعرة في حروفها قبل أن تتألف منها كلمات.[4]

---

[1]- ينظر : المنتزع البديع في تجنيس اساليب البديع، أبو محمد السجلماسي، تح: علال الغازي، مكتبة المعارف، ط-المغرب، ص502.

[2]- ينظر : موقف النقد العربي التراثي من دلالات ما وراء الصياغة اللغوية (قراءة جديدة لتراثنا النقدي)، تمام حسان، المجلد2، ص786.

[3]- ينظر : العرف على أنوار الذكر، محمود توفيق، ج1، ص217.

[4]- ينظر : المرجع نفسه ، ص217.

والوزن والإنسجام هما دعامة بناء الكلمة المفردة في العربية، فإذا التوازن بين العناصر الصوتية للكلمة وافر باهر من جهة وهو يبين صورة المبنى وما فيه من المعنى كذلك، وكثيرا ما يسترشد بالمبنى في نسقه الصوتي على فقه المعنى ولا نجد لغة كالعربية تناسقت منها أصوات كلماتها من جهة وتناسقت تلك الهيئة الصوتية المركبة في كلمة مع معناها.فاذا الأحداث بادية في الأصوات وإذا الأرواح تنم عنها الأجساد، أو يشي المظهر بالمخبر.[1]

5- علاقة الألفاظ ببعضها البعض (المشاركة): إن هذه المشاركة إذا كانت تامة فهناك إسراف في إستعمال الألفاظ، لذا يجب في اللغة الإقتصاد ويجب رصد منطقة الإختلاف في المعنى بين اللفظين وعلى أساسه يلغي الترادف في اللغة.[2]

وهذه هي المحاور التي يجري على أساسها إختيار اللفظ إذ يصرف القرآن الألفاظ بمراوحة الأهمية النسبية بين هذه المحاور إذ يجعل أهمها الإشتقاق حينا والصيغة حينا والجرس حينا ثالثا وهلم ما جرا.

أما **اختيار العبارة** فيقوم على محاور تختلف عما عن حل ما سبق وتتفق مع بعضه.والعبارة تختار للسبك تركيبها ووضوح معناها وإتجاهه إلى الصراحة أو التلميح ولمناسبتها للغرض منها إيجازا وإطنابا وحقيقة ومجازا ولحسن جرسها ثم لإنسجامها مع بيئتها من السياق وتفضيلها بعض المفردات على بعض.وهذه المعايير لاتخفى عن تراثنا البلاغي وهو ما نجده عند الجرجاني حينما يربط بين العبارة والتغييرات التي تطرأ عليها من تقديم وتأخير ووصل وفصل...وعلاقة ذلك بالمقام وكذا ما قدمه **الجاحظ** و**السكاكي** وغيرهم.[3]

1- الألفاظ:

[1]- ينظر : المرجع نفسه، ص218.

[2]- البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج1، ص371.

[3]- ينظر: البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج1، ص317.

ومن مظاهر جماليات القرآن الكريم التي استولت على قلوب العرب وعقولهم، تأنقه في إختيار اللفظ ومراعاة للفروق الدقيقة بين معاني الكلمات، فيضع كل نوع منها موضعه الأخص، الذي لو أبدل غيره لتبدل المعنى أو لذهب الرونق والإعجاز.فقد يشترك لفظان في معنى واحد لكن أحدهما أدق من الآخر في الدلالة على المعنى، وأقدر على التعبير عنه من اللفظ لأن كل لفظ منها خاصية يتميز بها عن صاحبتها في بعض معانيها، وإن كانا قد يشتركان في بعضها.[1]ولذا فقد أولى القرآن الكريم الكلمة القرآنية عناية خاصة، فاختارها بدقة متناهية لتدل على المعنى بدقة، فإنه كذلك أولى الإيقاع الصوتي والنغمة الصوتية عناية خاصة، فاختار لكل حالة مراده ألفاظها الخاصة التي لا يمكن أن تستبدل بغيرها . فجاء كل لفظ متناسبا مع مدلوله الصوتي من وجه، ومع صورته الذهنية من وجه آخر.فقد تعبر الكلمة بجرسها و ايقاعها عن المعنى قبل أن يوحي مدلولها اللغوي فاستقلالية كل كلمة بحروف معينة يكسبها صوتيا ذائقة سمعية منفردة لاتعطيه كلمة أخرى مقاربة لها في المعنى، مما يجعل كلمة دون كلمة لها إستقلاليتها الصوتية إما في الصدى المؤثر، وإما في البعد الصوتي الخاص، وإما بتكثيف المعنى وإما بإقبال العاطفة، وإما بزيادة التوقع.فهي حينا تصك السمع، وحينا تهيؤ النفس، وحينا تضفي صيغة التأثر فرعا من شيء أو توجها لشيء أو طمعا بإرادة المعنى بزيادة المبنى.[2]

للقرآن الكريم محاور أساسية يتم بموجبها إختيار العبارة، ولقد استطاع القرآن الكريم أن يبرز تأنقه في اختيار المفردات.و لذا عدت اللفظة القرآنية عالما متفردا، وهي شخصية متميزة ذات حضور باهر، إنها كما يقول الراغب الأصفهاني:" لب كلام العرب وزبدته ".[3] واللفظ القرآني كما

[1] – ينظر : المصدر نفسه ، ص 317

[2] – ينظر : البيان في روائع القرآن ، ج1، ص:376

[3]– مفردات القرآن، الراغب الأصفهاني، تح: صفوان داوردي، دار القلم، دمشق، ص55.

أشار الخطابي:" إذا أبدل مكانه غيره جاء منه إما تبدل المعنى الذي يكون منه فساد الكلام، وإما ذهاب الرونق الذي يكون معه سقوط البلاغة، وذلك أن في الكلام ألفاظا متقاربة في المعاني بحسب أكثر الناس أنها متساوية في إعادة بيان مراد الخطاب كالعلم والمعرفة، والحمد والشكر، والبخل والشح..." [1]

وفي القرآن الكريم دقة اختيار الألفاظ "**اعتبارا لحسنها** "، ومن ذلك ما مر بنا في دراسة القيم الصوتية واتضح أن جرس بعض الألفاظ التي لا وجود لمعظمها خارج النص القرآني مثل: ضيزى- غسلين-غساق- زقوم- المهل- سقر- سلسبيل..الخ. فهذه الألفاظ حكاية للمعنى بواسطة الجرس، ويمكن أن نلاحظ في قوله تعالى:﴿ **ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ (51) لَآكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ** ﴾. [2] لفظ زقوم ما يلي: [3]

أ- القاف والميم شركة بين لفظ الزقوم ولفظ اللقمة.

ب- الزاي رخوة احتكاكية والقاف شديدة انحباسية وتواليهما يوحي بتكلف إدخال اللقمة محتكة بالفم ففيها معنى الزق كما يزق الطائر فرخه.

ج- في الكلمة من حروف الحلقوم القاف ثم إن في الواو والميم من طول الأولى وإقفال الشفتين في الثانية ما يوحي بتوقف اللقمة عند الحلقوم لصعوبة ازدرادها.

د- أصول الكلمة هي أصل اشتقاق طائفة من الكلمات تتصل بالطعام فالطائر يزق فرخه وزقم: لقم وأزقمه = أبلعه وازد قمه – ابتلعه وأخيرا الزقمة = الطاعون.

هـ- في تشديد القاف اتصال الأعضاء في مخرجها مما يوحي ببقاء اللقمة محتبسة في الحلقوم لمدة طويلة قبل الاساغة وبخاصة إذا لحق بطول التشديد طول المد الذي في الواو من" الزقوم ".وفي

[1]- بيان إعجاز القرآن، الخطابي، ج1، ص353.

[2]- الواقعة، 51-52.

[3]- ينظر : البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج 1ص:377.

هذه المحاكاة للأصوات محاكاة من نوع آخر" لتمام" "لابن جني " فهذا النوع من التحليل هو ما أجراه ابن جني بتحليله للفظتي قضم وخضم.وهنا تظهر أهمية دور القيم الصوتية، من ذلك قوله تعالى:﴿ **كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ** ﴾.[1] فالطباق في اللفظ حال بينه وبين الإمتداد إلى المعنى عبارة " إلى عذاب السعير" فلما اختير لفظ يهديه دون لفظ يسوقه أو يدفعه أو غير ذلك من الألفاظ؟.

أ-إرادة السخرية كإرادتها في قوله تعالى:﴿ **فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ** ﴾ .[2]

ب-من شأن الدعوة أن تكون إلى الهدى لا إلى الضلال فتحقق له ذلك باللفظ وإن فاته بالمعنى وإنما جاءت السخرية من مقابلة للتحقق والفوات في لفظ واحد.[3]

2- **العبارات:** أنه قصد معنى الشرط عند الإخباربالمد والألف واللام واقترن الخبر بالفاء وإن لم يقصد معنى الشرط فلا يقترن معنى الخبر بها، كما في قوله تعالى:﴿ **وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ**﴾.[4] فمعنى الشرط غير وارد في الآية ومن ثم يمتنع إقتران الخبر بالفاء وإنما المقصود مجرد الإختيار.

1**-النداء:** كما في قوله تعالى:﴿ **يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ** ﴾،[5] حين ناداه أحد الفتيين رفيقي السجن إلى يوسف يدعوه إلى تأويل حلم الملك، وبهذا النداء يكون يوسف في نظر الفتى من الصديقين ولو أنه عكس النداء فقال:(أيها الصديق يوسف) لكان معنى ذلك أن لفظ الصديق

[1]- الحج، 4.

[2]- آل عمران، 21.

[3]-ينظر : البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج1، ص:375.

[4]- الشورى: 16.

[5]- يوسف: 46.

لقب عرف به يوسف بين خلطائه فلا يحمل النداء به من التقدير والإحترام ما يحمله النداء القرآني.[1]

2-**معنى التسوية:** يمكن أن يعبر عنه بطرق مختلفة منها:

-إستعمال لفظ التسوية كما في قوله تعالى:﴿ **وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ** ﴾[2]

-الأمر وقد عطف عليه النهي بأو كما في قوله تعالى:﴿ **سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ** ﴾.[3]

-العطف بأو كما في قوله تعالى:﴿ **قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَّلَ مِنْكُمْ**﴾.[4] فيتعدد المبنى الواحد للمبنى للمعنى الواحد وهو الوجهة البلاغية .

- يوجد في العبارة القرآنية ما يسمى بالتعارض بين المصدر الصريح في موضع المسؤول والعكس صحيح،كما في قوله تعالى:﴿ **لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ** ﴾[5] ﴾[5]

أي لا يحب الله أن يجهر إلا من ظلم.

- ويعبر القرآن عن المعاني الإنشائية للمصادر المنصوبة،والتضمين وإستعمال أم لمعادلة

الهمزة المتقدمة عليها إلى غير ذلك من أنواع وأسباب الإختيار.[6]

---

[1]- ينظر : البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج1، ص379.

[2]- يس: 10.

[3]- المنافقون: 06.

[4]- التوبة:35.

[5]- النساء: 148.

[6]- ينظر : البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج1، ص380-394.

ويخلص **تمام حسان** إلى أن عملية الإختيار سواء في الألفاظ أو العبارات مرهون بوظيفتها موقعا ومعنى ومبنى وفيها من الحرية التنفيس في اللغة، أو للكاتب كما يمنح النص الرشاقة داخل النص، وسهولة عملية التواصل والإبلاغ مادام عنصر الإختيار قائما.

والإختيار هو عملية الإنتقاء المدروس للطرائق اللغوية المناسبة من قلب النظام اللغوي،وذلك لتأدية المعنى والتعبير عنه، حيث يتم ذلك على أساس التعادل أو التشابه أو الاختلاف أي على أساس الترادف والتحالف.على أن الأسلوب يمكن اكتشافه والتنبؤ بمعالمه وخصائصه من خلال " **الإختيار الواعي لأدوات التعبير وتسمى عملية إختيار مفردات اللغة بمفاتيح النص.**" [1]

المبحث الثالث : البيان عند تمام حسان في القرآن الكريم:

يعد البيان في عرف الكلام أتم من كل من البلاغة والفصاحة ، لأن كل واحد منهما في مادته وداخل في حقيقة الاتصال ، وعلم البيان على حد تعبير البلاغيين هو العلم الذي يبحث في تأدية المعنى المراد بأساليب مختلفة في وضوح الدلالة على المعنى المراد ، علم المعاني علم المعاني هو علم الأساليب التي يستعملها الأدباء للإبانة عن معانيهم.[2]

وما دام علم البيان هو اللفظ العربي من حيث التفاوت والدلالة بعد رعاية مقتضى الحال ، وبذلك يكون المعنى البياني مفردا في طابعه لهذا السبب فقد عدل البيانيون عن فهمهم لتشبيه التمثيل والتشبيه الضمني والاستعارة التمثيلية من اعتبار الكلام المتصل المؤلف من عدد من الألفاظ ، إلى اعتبار صورة مفردة (حالة مفردة) حاصلة من التعبير على حد قول **تمام حسان** :" **تصور مفرد مهما تعددت أجزاؤه وألفاظه ، أما المجاز العقلي فإن المكان المناسب له علم المعاني وليس البيان** " رغم النقد الذي وجهه **تمام حسان** إلا أنه لم يخرج عن ما قدمه القدماء فيما

[1]- ينظر : الأسلوبية والأسلوب، المسدي، ص09.

[2]- علم البيان – دراسة تاريخية وفنية ، بدوي طبانة ، مكتبة الأنجلو مصرية ، ط2، 1967، ص:36

يخص البيان والمعاني والمجاز العقلي. ويعرض **تمام حسان** تصوره للعلاقة بين اللفظ والمعنى على النحو الآتي :

العلاقة البيانية

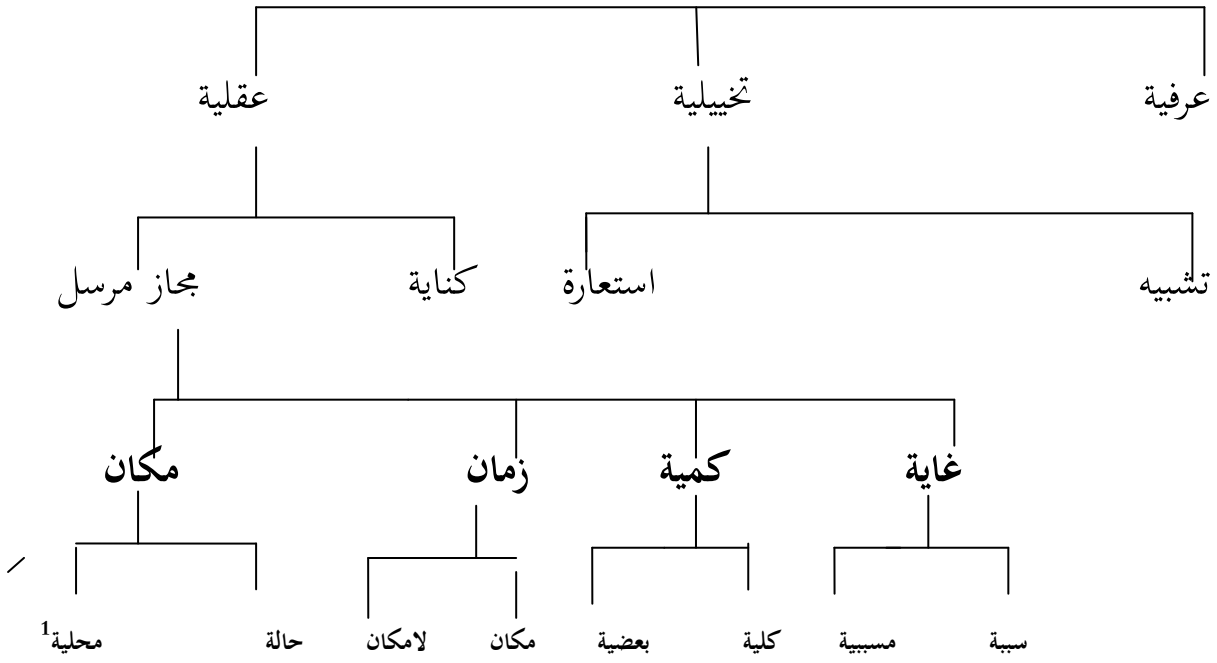

يعد البيان من الروابط العضوية بين عناصر النص عند **تمام حسان** وفيما يلي بيان لذلك :

1- الصورة عند تمام حسان في القرآن الكريم :

[1]- ينظر : الأصول ، تمام حسان ، ص 328

إنه الخيال الإبداعي ذو العلاقات الطبيعية، والحالات النفسية وانفعالاتها والجمال اللفظي،المتضامة، والتناسق الموسيقي إذ أن القرآن الكريم اكتسى بالبناءات المتعددة خلية، ونبع منه أثر بالغ الظهور بين ثناياه، فصورة البناءات فيه ساهمت دونما شك في ديمومة نصه، وحيويته، ونشاطه، وانتشاره، وشيوعه، وحفظه في العقول، وتذوقه في النفوس مع استذاب وتلطف، حتى لو لم يكن قارئه فاهما لمضمونه، عندئذ يستطيع التنبؤ بالفكرة إذا ما انتبه لبناء القصة مثلا. لذلك فإن الصورة هي الوسيلة الفنية لنقل التجربة، وهي الأداة المفضلة في أسلوب القرآن، وهي أداة تقوم على التصوير باللون والحركة والإيقاع، وكثيرا من يشترك كل ذلك مع الحوار، وجرس الكلمات، ونغم العبارات، وموسيقى السياق وفي إبراز صورة من الصور، وهذا التناسق يجعل الصورة بالغة التأثير والحيوية"[1].

يعد التصوير الفني في القرآن الكريم خاصية أسلوبية بالغة الأهمية، وبين سيد قطب أن التصوير هو الأداة المفضلة في أسلوب القرآن الكرمي، فهو تعبير بالصورة المحسة عن المعنى الذهني، والحالة النفسية، وعن الحادث المحسوس والمشهد المنظور، وعن النموذج الإنساني والذهني، هيأة أو حركة، وإذا الحالة النفسية لوحة أو مشهد، وإذا النموذج الإنساني في شاخص حي، وإذا الطبيعة البشرية مجسمة مرئية، فأما الحوادث والمناظر والقصص فيردها حاضرة، فيها الحياة، وفيها الحركة، فإذا أضاف إليها الحوار، فقد استوت لها كل عناصر التخييل حتى يحيل المستمعين نظارة، حيث تتوالى المناظر وتتجدد الحركات، وينسى المستمع أن هذا الكلام يتلى، ومثل يضرب، ويتخيل أنه منظر يعرض، وحادث يقع ... فإذا ما ذكرنا أن الأداة التي تصور المعنى الذهني والحالة النفسية، وتشخص النموذج الإنساني أو الحادث المروي، إنما هي ألفاظ جامدة، لا ألوان تصور، ولا شخوص تعبّر، أدركنا بعض أسرار الإعجاز في هذا اللون من ألوان التعبير"[2].

[1]- التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، ص 29.

[2]- المرجع نفسه، ص 36-37.

وجمع "**سيد قطب**" كل جزيئيات التصوير الفني من التخييل والتشخيص واللوحة...". ولذا فإن التصوير في القرآن الكريم ليس تصويرا شكليا بل هو تصوير شامل، فهو تصوير باللون، وتصوير بالحركة وتصوير بالتخييل، كما أنه تصوير بالنغمة تقوم مقام اللون في التمثيل، وكثيرا ما يشترك الوصف والحوار، وجرس الكلمات، ونغم العبارات وموسيقى السياق في إبراز صورة من الصور"[1].

تحدث العلماء قديما وحديثا عن الصورة في العمل الأدبي، وتباينت أراؤهم، واختلفت في تحديد بيانها، وتحديد المراد بها، فكان لكل نظرته الخاصة وفهمه المعين لها[2].

أما فيما يتعلق بالقرآن الكريم فإن له طبيعته الخاصة به في مجال التصوير البياني في عرض المشاهد المختلفة، والموضوعات المتعددة، فهو لا يعتمد على إثارة الفكر وحده ليقتنع، بل يتجه بكل طاقات اللفظ، ويستخدم جميع السبل والطرق كي يثير وجدان القارئ أو السامع إثارة روحية، رفيعة المستوى، فتتأثر التأثر التام من القرآن[3].

واللغة التصويرية في القرآن الكريم تبلغ قمة الأداء الفني، وتأخذ أبعاداً لا نهائية في الدلالة تناسب دوما الأجيال المتعاقبة في الزمان والمكان، مما يعني أن التصوير الفني في القرآن الكريم وجه من وجوه الإعجاز البياني[4].

وقد بيّن سيد قطب خاصية القرآن في استخدامه لهذه الصورة وويزيد لهذا التصوير مبينا أنه ليس حلية أسلوبية يزين بها الأسلوب، كما أنها لا تأتي في القرآن كيفما اتفق، كلا: "وإنما هو

---

[1]- التصوير الفني ، سيد قطب ، ص 36.

[2]- الصورة الفنية في المثل القرآني، محمد حسين علي الصغير، دار الرشيد للنشر، بغداد، (د ط)، 1981، ص21.

[3]- النبأ العظيم، محمد عبد الله دراز، دار الثقافة، الدوحة، قطر، 1405 هـ – 1985 م، ص 21.

[4]- البعد التصويري في القرآن الكريم، سورة يوسف أنموذجا، مريم سعود، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2005-2006، ص 443.

مذهب مقرر، وخطة موحدة، وخصيصة شاملة، وطريقة معينة، يفنن في استخدامها بطرائق شتى، وفي أوضاع مختلفة، ولكنها ترجع في النهاية إلى هذه القاعدة الكبيرة: قاعدة التصوير[1].

فالتصوير الفني في القرآن خطاب لحاسة الوجدان الدينية بلغة الجمال الفنية، مما يحقق الراحة النفسية والمتعة الفنية معاً، إذ يضفي الحياة والحدة على الصورة المعروضة، ويؤدي وظيفة التأثير بأسلوب فني راقٍ، "فالفن في القرآن جمال في التنسيق، وإبداع في العرض، وقوة في الأداء"[2].

والصورة عند **تمام حسان** قد تكون لغوية تأتي من علاقة تخييلية تحل محل علاقة عرفية ، ويضيف أن الصورة تكون مركبة من عناصر لا صلة لها بطرفي التشبيه ، وإنما هي موقف خيالي يختلف كثيرا عن وظيفة الصامت ، فهي تدور حول الصورة لاستكمال تكوينها ، باعتبار أن اللغة تقوم مقام آلة التصوير من الأحداث .وربط **تمام حسان** الجمالية في القرآن الكريم من خلال التصوير من خلال المجاز أو عن طريق التخييل.

1). المجاز:

يعد المجاز عند **السكاكي** "الكلمة المستعملة في غير ما هي موضوعة له بالتحقيق استمالاً في الغير بالنسبة إلى نوع حقيقتها مع قرينة مانعة عن إرادة معناه في ذلك النوع"[3].

والمجاز نقل المعنى عن أصل دلالته والتجاوز إلى دلالة أخرى لعلاقة بين الأصل والفرع، وإذا كان المجاز إستعارة كان بحاجة إلى قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي، وهو ما يحيلنا إلى تعريف المجاز عن البلاغيين: **هو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له أصلاً لعلاقة غير المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي**[4].

---

[1]- التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، ص 37.

[2]- المرجع نفسه ، ص 251.

[3]- السكاكي، مفتاح العلوم، ضبطه نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1983، ص 170.

[4]- البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج2، ص446 .

وإذا كانت الأسلوبية البحث عن التفرد فلذا عدّ **تمام حسان** المجاز مظهراً أسلوبيا باعتباره استعمالاً فردياً يخرج عن المعنى العرفي الأصلي، فالمجاز استعمال فردي ومؤشر أسلوبي.[1]

ويأتي المجاز بغية الإيجاز والإختصار والمبالغة وتصوير المعنى تصويراً دقيقا، ويمكن التعبير عن المعنى الواحد بصور مختلفة، ويشترط فيه المهارة في تخير العلاقة بين المعنى الأصلي والمعنى المجازي، ومن الناحية التواصلية لا تختلف عن بقية ألوان البيان الأخرى.[2]

وينظر **تمام حسان** إلى الجهة الأخرى ومدى ارتباط المجاز بالجمال الأسلوبي، لأن الجمال يأتي من جعل اللغة وسيلة من وسائل التصوير من خلال علاقة المشابهة (وهي فنية) أو العلاقات العقلية كما في المجاز المرسل أو لازم المعنى كما في الكناية والتورية، فعلاقة المشابهة تحمل من الأصل إلى صورة أكثر تعبيرا عن وجه الشبه، والعلاقة العقلية تقفز بنا في عكس الإتجاه من الصورة إلى الأصل ولازم المعنى في كل ذلك مزيج من المفاجأة والإنطباع والاستجابة الوجدانية لها وقد تختزن الإستجابة ثم تستدعي بالمناسبة.[3]

والمجاز عند تمام حسان نقل المعنى عن أصل دلالته والمتجاوز به إلى دلالة أخرى لعلاقة الأصل والفرع فإذا كان المجاز استعارة كان بحاجة إلى قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي .أما مع الكتابة فلا تحتاج إلى قرينة ومعنى المجاز ظاهرة أسلوبية ، ويرى تمام أنه إذا كان المعنى الأصلي عرفيا فإن المعنى المجازي فردي فالناس جميعا يتفقون على المعنى الأصلي للفظ ، وهذا معنى أنه عرفي أما إذا كان المعنى الأصلي ينتمي إلى خطاب طائفة معينة فهو عرف خاص.ولذا عد تمام المجاز استعمالا فرديا ومن ثم مؤشرا أسلوبيا.[1]

---

[1] – البيان في روائع القرآن ،تمام حسان ،ج2، ص 447 .

[2] – المصدر نفسه، ص447

[3] – المصدر نفسه، ص 450 .

[1] –ينظر: مقالات في اللغة والأدب ، تمام حسان،ج2، 372

والسؤال الآن عن طبيعة ارتباط العلاقة بين المجاز للجمال الأسلوبي، أي لماذا كان المجاز في الأسلوب ظاهرة جمالية ؟

ويلقانا **تمام حسان** ليجيب أن الجمال يأتي من جعل اللغة وسيلة من وسائل التصوير من خلال من خلال المشابهة أو العلاقات العقلية كما في المجاز المرسل أو لازم المعنى التورية والكناية.[2]

وليكشف لنا **تمام حسان** عن جوانب الجمال في المجازات القرآنية يسوق بعض الشواهد من النص القرآني فيما يلي:

وتنشأ الصورة بواسطة المجاز أو بواسطة التخييل فهو شائع في النص القرآني وبخاصة السور المكية المتجهة إلى الدعوة وما فيها من ترغيب وترهيب وضرب مثل وصف لمصارع العصاة ومشاهد الحساب في الآخرة، أما السور المدنية فقد أضافت إلى ذلك اهتماما بالتشريع للمجتمع الإسلامي الذي بدت معالم صورته الكفران والشكران وجهاً لوجه كما يصورها مثل الرّجلين اللذين جعل الله لأحدهما جنتين فكفر بنعمة الله على صاحبه الذي أظهر الثقة بربه والشكر لنعمته.[3]

وقد ضرب الله هذا المثل لمشركي مكة الذين أنعم الله عليهم بالثروة ورواج التجارة في البلاد المجاورة وفي رحلة الشتاء ورحلة الصيف حتى كانت الرحلتان جنتين ذواتي ثمرات، وأما المسلمون فهم الفقراء الشاكرون ذوو الثقة بالله والتوكل عليه والأمل أن يؤتيهم الله خيراً من جنة المشركين وكان أمرا مفعولاً.

ويلاحظ في كلام صاحب الجنتين أنه هو ما يقوله مشركو مكة فلم يكن يظن الساعة قائمة وكان يرى أن الأصنام تقربه إلى الله، فإذا ردّ إلى ربه وجد من فضله ما يفوق نعمة الجنتين، وفي

[2] – ينظر: المصدر نفسه، ص 372

[3] – البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج2،ص 450

كلام الشاكر لربه إخلاص الإيمان بالله وعدم الشرك والتذكير للغافلين من أمثال صاحب الجنتين وتبدو النهاية حكاية لما ينتظر من المشركين من احابط أعمالهم وندمهم لما فرط منهم[1]: ﴿ **وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا** ﴾[2].

ومن قبيل المجاز المرسل وعلاقته الجزئية كما في قوله تعالى ﴿ **وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا** ﴾[3].

ويستعمل هنا الجزء لدلالة الكل، فالمقصود هنا أصحاب الأيدي نفسها، ولكنه لم يذكر أصحابها لأن الأيدي وسيلة للبطش وحاملة السلاح والممسكة بالأسرى وجامعة للأسلوب، ومن ثم اتصلت الصورة بالأيدي لتكون العبارة من قبيل المجاز المرسل الذي علاقته جزئية وبها يدور الوهم والإنطباع حول الأيدي بالنيابة عن أصحابها.[4]

وقوله تعالى: ﴿ **وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا**﴾[5]، فقد كان للرجل جنتان فعلا بهما على صاحبه حتى بلغ مرحلة الكفر بالذي خلقه الله وتواضع صاحبه وأظهر التوكل على الله وساق إليه التحضيض أنه كان ينبغي له أن يقول عند دخول جنته: **"ما شاء الله لا قوة إلا بالله"** ثم رجا الله خيراً من جنته صاحبه ويفسدها بآفة تنزل عليها من السماء، وقد حدث هذا فلم يكن أمام صاحب الجنة إلا الندم، غير أن الآية لم تقل فأصبح نادماً وإنما قالت: "فأصبح يقلب كفيه" وتلك مألوفة من النادمين وبخاصة حين يكون

---

[1]- البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ص 450.

[2]- الكهف: 42.

[3]- الفتح: 24.

[4] البيان في روائع القرآن، تمام حسان،ج2، ص 451 .

[5]- الكهف: 42.

الندم بسبب خسارة مادية وشاعت هذه الحركة من النادمين حتى أصبحت بذاتها دالة على الندم عن طريق الكناية، فالمعنى القريب تقليب اليدين والمعنى البعيد المراد هو الندم وهو لازم المعنى البعيد[1].

ومن الجهة البلاغية فإن الندم شعور نفسي يصعغب التعبير عنه، غير أنه يكون أثرا، وأسرع إدراكا، إذا نقل إلى صورة حسية يتدفق فيها ماء الحياة، فإذا رأيت إنساناً يقلب كفيه في اضطراب وحيرة .... أدركت مدى ما يعانيه من الندم والحسرة، مكتفياً بذلك عن كل بيانٍ.

وهكذا يحيط العذاب من كل حدب وصوب بتلك الثمار التي كانت مصدر غرور واستكبار هذا الإنسان الضعيف النفس، ويشعر إلحاق ضمير الملكية "الهاء" بـ "الثمر" ونسبة هذا الثمر إلى صاحب الجنتين أن الله تعالى أراد من وراء ذلك رسم صورة ساخرة مستهزئة من هذا الإنسان.

وقوله تعالى: ﴿ **وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ**﴾[2].

فالمعنى البعيد لهذه النظرة بخصوصها التساؤل عمّا إذا كان أحد يراهم عند الإنصراف، أما الندم وتقليب اليدين فعلاقة اللزوم بينهما واضحة يلزم عن التقليب الإحساس بالندم، وتوصف العلاقة بين الجملتين بعلاقة التفسير وليس علاقة اللزوم أي أن التساؤل يفسر النظرة[3].

وقوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ** ﴾[4].

---

[1]- البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج1، ص 449.

[2]- التوبة: 127.

[3]- البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج1، ص 450.

[4]- سورة البقرة، الآية 264.

وهنا صورتان متقابلتان لنوعين من أصحاب الإنفاق، النوع الأول ينفق ليقول الناس فيه أنه رجل ليروا الإحسان ثم لا يهتم بعد ذلك برضوان الله ولا بثواب الاخرة، فشأنه شأن مرتفع صخري تغطيه تربة صالحة للزراعة وإنتاج الخيرات ولكنها تتعرض لمطر غزير يغسلها فيتعرى المرتفع الذي كانت عليه التربة ويصبح غير صالح للزراعة، فالتربة هي الثروة وتآكلها هو الإنفاق في غير طائل والتعرية مجيء المنفق في الآخرة وليس له حسنات ينتفع بها، وفي مقابل ذلك صورة أخرى لمن ينفقون ابتغاء مرضاة الله وتصديقا لوعده بالجزائر، فهؤلاء كحديقة بربوة لا ترفع عن الأرض إلا بمقدار ما تحول ارتفاعها دون تجمع الماء بها، فلما نزل عليها المطر الغزير لم يعرها من خصوبتها فكان المطر سقياً ونماءاً لها فآتت ثمارها بمقدار ضعفي ما جرت عليه من قبل، ثم إن إنتاجها مأمول دائما لأنها إن لم ينزل عليها المطر نزل عليها مطراً خفيفا أو ندى يتسرب في عروق أشجارها فتزدهر الجنة وتؤتي أكلها ضعفين[1].

وقوله تعالى: ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ** ﴾[2].

ونجد في هذه المعادلة التمثيلية المنافقين واليهود من بني قريظة أولا في كفة وفي الكفة الأخرى المشركون في بدر وهم الذين ذاقوا وبال أمرهم من قبلهم بقليل، ثم نجد الولين في كفة والشيطان والإنسان المخدوع في كفة ثانية، فلقد وعد المنافقون بني قريظة أنهم إذا أخرجهم المسلمون من مساكنهم سيخرجون معهم وإذا قاتل المسلمون بني قريظة فسوف ينصرونهم على المسلمين غير عابئين بما يقال.

[1]- البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج1، ص 451.

[2]- سورة الحشر، الآية 11-17.

ويشهد الله تعالى على كذبهم فيما يدعون فلن يخرجوا مع المخرجين، ولن يقاتلوا ولو حاولوا ذلك لما استطاعوا الصمود ولولوا الأدبار هرباً من بأس المسلمين لأنهم يخافون المسلمين أكثر مما يخافون الله,[1]

ولو اجتمعت الفئتان لقتال المسلمين ما وقع منهم القتال إلا أن يكونوا وراء ستار من حصن أو جدار يحتمون به وكلا الفريقين لا يحرص أحدهم على مساعدة الآخر لما بينهم من الحقد الدفين فلو راقبتهم لحسبتهم متناصرين ولكنهم في الواقع متفرقون، فالمنافقون كالشيطان وبنو قريظة كالإنسان الذي ينخدع بوعد الشيطان ثم يتبين في اللّحظة الأخيرة هول العاقبة[2].

قد اعتمد القرآن على ضرب الأمثال وجعله قاعدة أساسية في التعبير عن المعاني، ومن أساليب ضرب الأمثال المتبعة في القرآن الكريم:[3]

أ. إخراج المعاني الذهنية في صورة حسية ترسم في المخيلة حية متحركة وهذا المعنى الذهني المتحرك هو أن الكفار محرومون من دخول الجنة وتأمل كيف عرضه اللع في القرآن الكريم:﴿ **وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ** ﴾[4] هكذا في صورة حسية ترسم في الخيال صورة تفتح أبواب السماء وصورة ولوج الجمل في سم الخياط، وسواء أكان الجمل هو الحيوان المعروف أم الحبل الغليظ[5]، فقد استقر في مخيلة السامع استحالة دخول الكافرين الجنة[6].

ومن أمثلة ذلك أيضا لو أنك أن تعرض لمعنى النفور الشديد من دعوة الإيمان بصورته التجريدية تقول: إن القوم ينفرون أشد النفرة من دعوة الإيمان، أما القرآن فقد عرض فيه الأمر

[1]- البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ص 451 .

[2]- المصدر نفسه، ج1، ص 452.

[3]- التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، ص 39.

[4]- الأعراف: 04.

[5]- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، دار الكتاب العربي، 1387، ج7، ص 207.

[6]- التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، ص 34.

بأسلوب تصويري حسي فقال تعالى: ﴿ **فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ (49) كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ** ﴾[1]

فاشترك مع الذهن حاسة البصر وملكة الخيال وانفعال السخرية من هؤلاء الذين ينفرون من الحق كما نفر الحمار الوحشي من الأسد[2].

وينتقل تمام من صور الأمثال القرآنية إلى صور المشاهد في الدار الآخرة، سواء في يوم الحشر أم في الجنة أم في النار، وستبدو كل صورة من هذه الصور عظيمة الترغيب أو شديدة الترهيب، وهي على رغم تناول وصفها بمفردات لغوية مألوفة تبدو غير معهودة في التجربة الإنسانية في الحياة الدنيا، وهذا البون بين تجارب الإنسان في الدنيا وهذه الصور الأخروية هو مبعث المفاجأة ومادة الإنطباع ومثابة الإستجابة الوجدانية المؤدية إلى الاستجابة العملية بمخافة العذاب ورجاء الثواب[3]. ومثال هذا في قوله تعالى: ﴿ **يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ** ﴾[4]، والضمير في تروها تروها لزلزلة الساعة، وإذا كان الناس في الحياة الدنيا يذهلون عن سبل السلامة من الزلزال فيقذفون بانفسهم من أعالي المباني ظانين ذلك مهرباً فيفرون من ذلك من موت إلى موت، فما بالك بزلزلة لحملها وذهول الرجال عن أنفسهم وتعطل قدرتهم على الحكم السليم ويكون ذلك كله خوفا من الساعة التي تعمل عملها في النفوس حتى يكون ذهول المرضعة عن رضيعها وإسقاط الحامل واقع رهيب هو جزء العذاب[5].

---

[1]- المدثر: 49-50.

[2]- التصوير الفني في القرآن الكريم، سيد قطب، ص 195.

[3]- البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج1، ص 451.

[4]- الحج: 02.

[5]- البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج1، ص 451.

فجاءت طريقة الرد القرآني آية في الإعجاز النفسي، فقد استخدم الخوف من المجهول أساسا يقيم عليه الفكرة في نفوس الناس، ثم أخذ يثبتها بالإيحار المتكرر ليحصل في نفوس ذلك اليقين بوقوعها[1].

وطريقة التصوير التي يتبعها القرآن الكريم في التعبير لها فائدة عظيمة في وصول المعاني إلى النفس بشتى الوسائل لأن المعاني إذا عرضت في صورتها على التجريدية خاطبة الذهن فقط، فأما إذا عرضت بالأسلوب التصويري فإنها تخاطب الذهن والحس والوجدان وتصل إلى النفس من منافذ شتى، من الحواس بالتخييل، من الحس عن طريق الحواس، ومن الوجدان المنفعل بالأصداء والأضواء، ويكون الذهن منفذاً واحدا من منافذها الكثيرة إلى النفس لا منفذها المفرد الوحيد"[2].

ولفت تمام الإنتباه إلى استعمال الحوار في الوصف بين ما يدور بين أهل الجنة وأهل النار وهو ما يراه شكري عياد بآيات عديدة من أهوال يوم القيامة، ويرى فيه فنا بذاته له طريقة في الأداء غير طريقة الوصف، فقد تمزج بالوصف كما قد يمتزج به القصص، ويكون عندئذ أداة قوية لعرض الفكرة، وقد ياتي في ثنايا الوصف جزءا منه فيعبر بمعناه أو أسلوبه أو نبرته عن حالة المتكلم[3]. ويصور **تمام حسان** أهوال يوم الحساب والزلزلة التي لا تقل شأنا عن سابقتها في قوله تعالى: (عبس 34-39)، و(ق 44) و(طه 2-1) النمل (89-90) وص(85) والزمر (73) وغافر (47-50).

وجاءت هذه المعاني في الآيات لتصوير حساب اليوم الآخر ونظمت المثل القديمة ببيان أنها لا تغني في حساب الله من شيء فالكافرون لا يستطيعون النصرة بالكفر ولا الأموال، ولا الأفراد

[1]- الدراسات الأدبية لأسلوب القرآن الكريم، ص 97.

[2]- التصوير الفني، سيد قطب، ص 194.

[3]- ص 95.

ينصرونهم من دون الله. وجعل الله حساب يوم القيامة قريبا تتحقق فيه العدالة الكاملة بين الناس[1].

ونخلص إلى القول "يظهر أن يوم القيامة استعمل في القرآن للدلالة على زمان يمتد إلى أن يفصل بين العباد فيدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، ويظهر كذلك أن لمجيئ يوم القيامة ظرفاً ناسي الإثبات معه بمعان حسية ومعنوية في الحشر وفي الحساب، والحكم بين الخلق وبمجازاتهم بما عملوا وفي رفعتهم أو إخزائهم"[2].

ويرى تمام أن عرض صور أهل الجنة واهل النار هو منبع إستجابة وجدانية من قبل الذي يعجب بنعم الجنة ويغبط أهلها وينفر من عذاب النار ويأسى لأهلها ومع الغبطة والأسى يختار لنفسه أي السبيلين يسلك[3].

2- البناء القصصي في القرآن الكريم: 1- مفهوم القصة القرآنية :

وردت مادة القصة في القرآن الكريم في عدة مواضع، ولها عدة معان، وتكاد تتفق كتب التفسير القديمة والحديثة منها على المدلول اللغوي لكلمة القص الواردة في القرآن الكريم، جاءت بمعنى تتبع الأثر[4]، نحو قوله تعالى ﴿**قَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ**﴾[5]، ويلتقي المعنى اللغوي مع المفهوم الذي يحتوي عليه أصل التسمية للقصص القرآني.

---

[1]- ينظر :الدراسات الأدبية لأسلوب القرآن الكريم، أحمد الأشقر ،ص 98.

[2]- المرجع نفسه، ص 32.

[3]- البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج1، ص 457.

[4]- الحبك المكاني في السياق القرآني القصصي- سورة يوسف أنموذجا- آمنة عساب، رسالة ماجستير، 2006-2007، جامعة الشلف، ص 17.

[5]- سورة القصص، الآية 11.

حيث بالرغم من أن لفظة "القصص" بفتقح القاف، والذي يغلب عليه طابع الرواية الشفوية "وأطلق لفظ القصص في القرآن الكريم على كل ما ورد فيه من أنباء القرون الغابرة، والقصة عموما صاحبت الإنسان منذ العصور الموغلة في فجر التاريخ[1].

على الرغم من كثرة الدراسات حول القصة القرآنية وإقرار العديد من النقاد بوجودها إلا أن هناك بوناً شاسعاً بين القصة الأدبية والقصة القرآنية، ذلك أن "القصة في القرآن ليست عملا فنياً مستقلا في موضوعه وطريقة عرضه، وإدارة حوادثه كما هو الشأن في القصة الفنية الحرة التي ترمي إلى أداء فني طليق، غنما هي وسيلة من وسائل القرآن الكثيرة إلى أغراضه الدينية"[2].

ومرد الإختلاف يعود بالدرجة الأولى أنه ليس كتاب فن وإنما هو كتاب دعوة دينية قبل كل شيء على حد تعبير شيخ أمين في القصة القرآنية: "ليست عملا فنياً مستقلاً في موضوعه وطريقة عرضه وسير حوادثه، كما الحال في القصص الفني، إنما القصة فيه وسيلة من الوسائل الكثيرة التي استخدمها لغرض الأصيل وهو التشريع وبناء الفرد والمجتمع، وإن القصة التي ترد فيه لا تختلف في غايتها عن المثل الذي يضربه الله للناس"[3].

فالقصة القرآنية سيقت لتحقيق أغراض دينية وهي في ذلك تؤهل النفس البشرية من خلال عوامل الإثارة والتشويق لتلقي رسالة ربها في حين أن القصص الأدبي لا يحسن إلا إذا امتزجت فيه الحقيقة بالخيال، ولا تحلو إلا بالإغراق، ولا يهذب إلا بالمبالغة والغلو"[4]، فإذا كانت القصة الأدبية تقوم على الخيال بيد أن القصص القرآني يقوم على الواقع المطلق، والحقيقة الخالصة من أي تشويه يمسها في نفس الوقت هي تقوم على ما ألفه الناس، وهنا يظهر التحدي الإلهي فقصصه واقعية

[1]- الحبك المكاني في السياق القصصي القرني، آمنة شهاب، ص 19.

[2]- التصوير الفني، سيد قطب، ص 143.

[3]- التعبير الفني في القرآن الكريم، فاضل السمرائي، ص 217.

[4]- الحبك المكاني في السياق القصصي القرآني، آمنة شهاب، ص 21.

ومع ذلك فهي مفعمة بعوامل الإثارة والتشويق، وهذا يرجع إلى سحر القرآن الذي يكمن في صميم النسق القرآني ذاته[1]، ولذا تسمو القصة القرآنية فوق كل ما يمكن ان ينسب إليها من الإختراع والتلفيق، لأنها قامت على أسس الحقيقة المطلقة التي لا يعترض جمالها عارض من وهم أو خيال، وهي إلى جانب ذلك (قصة) بتصريح من القرآن[2]، إذ جاء في قوله تعالى: ﴿ **لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ** ﴾ [3].

ولذا نستطيع القول ان القصة القرآنية تخرج عن الحدود التي رسمها النقاط للقصة الفنرة وتتمرد عليها، ولا تندرج تحت لوائها، "فهي ليست لونا من ألوان الأقصوصة أو القصة أو الرواية أو الحكاية بالمعنى المتواضع عليه، كذلك فهي لا تحمل من العناصر الفنية ما حمّلها نقاد العصر الحديث، قد تتفق بعض القصص ولذا وقع إختيار "تمام حسان" على صورة يوسف باعتبارها النموذج الأمثل للقصص القرآني، وركز تمام على الجوانب التالية في دراسة القصة القرآنية وأجملها في الزمان والمكان والأشخاص والبناء والسرد والحبكة وختمها بدلالات النص.

2- عناصر القصة القرآنية عند تمام حسان :

1). الزمان: إن "القص هو أكثر الأنواع الأدبية التصاقا بالزمن"[4]. فالزمن ضابط الفعل، وبه يتم، وعلى نبضاته يسجل الحدث وقائعه، ونحن وإن كنا لا نستطيع أن نفصل بين الحدث والزمن

---

[1]- الحبك المكاني في السياق القصصي القرآني، آمنة شهاب ، ص 21.

[2]- الصورة الفنية في القصة القرآنية –قصة يوسف انموذجا- بلحسين نصيرة، رسالة ماجستير، جامعة تلمسان، 2005-2006، ص 97

[3]- سورة يوسف، الآية 111.

[4]- الزمن في القصة القرآنية –قصة موسى أنموذجا- أ.م.د نبهان حسون السعدون، مجلة كلية العلوم الإسلامية، المجلد 8، العدد 1/15، 1435-2014، ص 03.

إلا أننا نتبين أثر الزمن عاملاً فعالاً في كثير من القصص الطويلة والروايات، وزمن القص هو زمن خارجي موضوعي مرتبط بالزمان الخارجي، وبالأحداث الخارجية، ويعمل على التأثير فيها، إذ تتحرك داخله الكائنات، وتقع في فضائه الوقائع، ويلتزم التتابع المنطقي للأحداث.والقصص القرآني في تعامله مع الزمن يجعله الآلة المحركة للأحداث والحاملة لها، وهذا يشتمل كل القصص القرآني[1].

يبدو أن عهد "الهكسوس" وهم غزاة استولوا على مصر حوالي 5 قبل الميلاد، بين الدولتين المتوسطة والحديثة، وقد جاؤوا من الشرق الأدنى "الصحراء السورية" وهم في الأغلب ساميون، وفي إطار ذلك يفصهم تمام وفادة إبراهيم عليه إلى مصر، كما يفهم نشاط القوافل التجارية منها القافلة الحاملة ليوسف عليه السلام[2].

في جملتها، أو في بعض أجزائها وما قرره العلماء، ولكن ذلك لا يعني أن هذه القصة أو هذا هو القسم الناجح، وما عداه يقع دونه مرتبة وفنية"[3].

ويرى تمام حسان انه ينبغي أن يكون النظر إلى القصة القرآنية مختلفاً عن النظر إلى القصة الأدبية فهي ليست للمتعة ولا للتذوق الأدبي المجرد ولا لفرض منهج نقدي عليها أيا كان هذا المنهج لأن القصة القرآنية فردية في طابعها وغايتها وتكوينها[4].

ولما كانت القصة تستهوي النفوس البشرية لما بها من عناصر التشويق وأساليب الاستمالة اعتمدها المنهج القرآني "فالتقى الغرض الديني بالغرض الفني لأن القصة صورة من صور البيان العربي، ووسيلة من وسائل نشر الدعوة، فضلاً أن لكل شخصية مميزة وروحا متفردة يعيش معها

[1]- البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج2، ص 552.

[2]- القصص القرآني في منطوقه ومفهومه.عبد الكريم الخطيب، مطبعة السنة المحمدية، ط1، 1384 هـ -1968 م، ص94

[3]- الحبك المكاني في السياق القصصي القرآني، آمنة شهاب، ص 21.

[4]- البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ص 551.

المتلقي كما لو كان يعيش عصرها ويشارك الأحداث والحوار والصراع ... ففي القصة القرآنية ثروة من الحقائق والمعارف، وثروة من التصورات والتوجيهات والعلوم"[1].

والقرآن مدرسة لفن البيان والتعبير البلاغي ومدرسة في فن بناء القصة الفنية، وأعطانا نموذجا فريداً في القصة الفنية، وقصة سيدنا يوسف عليه السلام المنهج الأمثل لها[2].

ولذا لم يستدل تمام حسان بما هو موجود في دائرة المعارف البريطانية "Egypt" على الرغم مما أوردته إلا أنه "يتجه إلى القرائن الكامنة في النص القرآني ذاته من خلال سياق الآية"[3].

فالقرآن يشير إلى ملك مصر في عهد موسى –عليه السلام– بلقب فرعون (ملك مصري أصيل) بينما في عهد يوسف لم تكن الإشارة إلى فرعون، إنما كانت إلى الملك، ومن الدلائل أيضا أن تمكين يوسف في الأرض لم يكن في عهد "الهكسوس" لأن يوسف عليه السلام مشرقي من طينتهم لأن ذلك ما كان ليحصل في عهد من الفراعنة الأصليين، والأدهى أنه غريب وصاحب رسالة، لا يعترف بالآلهة المحلية، ولم تحصر الدعوى في السجن فقط على فتيين[4]، والدليل قوله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا** ﴾[5]، فلو كان عهد الفراعنة لم نقرأ عن تنصيبه أميناً بل عن تعذيبه.

يعد النص قصة، والصورة القرآنية قصة، وأن هذه الأخيرة من الأجناس الأدبية الحاملة لسياق الموقف داخل النص نفسه، فاستغل "تمام" هذه النقطة ليكشف عن الزمان داخل النص ذاته من

---

[1]– الصورة الفنية في القصة القرآنية، قصة يوسف انموذجا، بلحسين نصيرة، ص 98.

[2]– المرجع نفسه، ص 95.

[3]– البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج2، ص 552.

[4]– البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ص 552–553.

[5]– سورة يوسف، الآية 21.

خلال القرائن اللغوية، فوظيفته تجاوزت الكشف عن المعنى داخل البنى من خلال العلاقات المختلفة إلى إستنباط الزمان[1]. ليقول: إن الدلالة القرآنية أولى بأن يعتمد عليها في هذا المقام"[2].

للزمن مكانة هامة في عرض الأحداث وإخراجها في صورة تقرب المشهد وتجليه وتكشف مراميه فهو يعطي للحدث صبغة خاصة تشير للحين الذي وقع فيه، وتضفي على الجو العام له ظلالاً توحي بأبعاد دلالية تسمح بها حدود التأويل[3].

2). المكان:

وكما أن للزمن دوراً في سير أحداث القصة كذلك يسهم المكان في بنائها فهو بالنسبة للأحداث "أشبه بالوعاء الحامل لها على حين يكون الزمن هو اليد الحاملة لهذا الوعاء"[4].

وحدد المكان بعاصمة ملك الهكسوس "بوسبطة" في إقليم الشرقية، اقرب أقاليم مصر إلى سيناء، وهو قريب إلى منشئهم الجغرافي، ولو لم تكن العاصمة قريبة لكان الغلام يوسف عليه السلام من إمتلاك أحد الأثرياء دون الملك، ولا يرقى حينها إلى المشاركة في تصريف الدولة وهذا بحكمة أرادها سبحانه وتعالى[5]، حيث قال تعالى: ﴿ **وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ** ﴾[6].

ويأتي ذكر المكان في القصة القرآنية بهدف إلقاء المسحة النفسية والروحية على الحدث التي ما كانت لتتواجد لولا اقترانه بالمكان. إن لذكر المكان هنا سيكون له أثر في إدارة الأحداث، فقد كانت مصر مسرحاً لها، من حدث المراودة وحلم فرعون، وغيرها[7].

---

[1]- الأسلوبية الوظيفية، بداش حفيظة، ص 261.

[2]- البيان في ورائع القرآن، تمام حسان، ج2، ص 552.

[3]- البنية السردية في القصص القرآني، ص طول محمد، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر (د ط)، 1991، ص34.

[4]- القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، عبد الكريم الخطيب، ص 91.

[5]- البيان في روائع القرآن، تمام حسان، تمام حسان،ج2، ص 552-553.

[6]- سورة يوسف، الآية 21.

[7]- القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، عبد الكريم الخطيب، ص 94.

وقد يكون المكان إرهاصاً لما تحمله أحداث القصة من مفاجآت، مما يزيد في تثبيت العظة وتقويمها في النفوس.

3). الشخصيات:

والشخصيات القرآنية على اختلافها، وتنوعها، شخصيات حقيقية واقعية، لا يتسلل إلى وصفها أي طرف من الخيال، فهي واقعية بحركتها، وكلامها، وأفعالها، ومجريات الأحداث التي تقع منها ومعها[1]، وهي تعرض لنا شخصية ما في موقف ما في القرآن الكريم ليس كتاباً في القصة يستمع به الناس أو يتسلون بما ورد فيه من قصص، وإنما هو كتاب دعوة دينية في المقام الأول ... وقد وعت القصة القرآنية هذا المفهوم وعيا تاماً، فجاءت الشخصيات طبيعية تدل أفعالها وأقوالها على حقيقتها بلا إختلاف أو توليف ولذا فإن تصرفات الشخصية الواحدة لا تتناقض مع الحقيقة المترسبة في أعماقها[2].

ويظهر هذا المعنى جليا في قصة يوسف عليه السلام:

1 – يوسف عليه السلام شخصية مركزية، التي استحوذت بحضورها على معظم مشاهد القصة، وكانت متطورة ونامية، ولد لأبيه وهو شيخ كبير، ما أثار في نفسه حباً كبيراً له ولخيه الأصغر وهو ما أثار غيرة إخوته الكبار.

2 – يعقوب: بني محب لأبنائه الصغار.

3 – الإخوة: (الكبار لأبيه) وعددهم إحدى عشر لأبيه وواحد من أمه، وكان لهم حضور كبير في القصة امتد من أولها حتى بخرها، كما لحق التطور شخصيتهم، فقد كاد الإخوة ليوسف بدافع الحقد والغيرة المتولدين من جراء الحياة الإجتماعية المتمثلة في الأخوة من الأب وأسباب أخرى، وليوسف أخ أقل تأثيرا بالبغضاء واستدل "**تمام**" له من خلال سياق الصورة، كما جاء في قوله

[1] – البناءات الجمالية في النص القرآني، رائد مصباح الداية، ص 238.

[2] – القصة في القرآن، محمد قطب، مقاصد الدين وقيم الفن، دار قباء للطباعة للنشر والتوزيع، القاهرة، د.ت، ص48.

تعالى: ﴿ **قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ** ﴾[1]، وهي ميزة البناء القصصي في القرآن" وضع الشخصية في مواقف متجددة بحيث يتجدد المسار القصصي ويندفع إلى النمو وهذا التوجيه البنائي يدفع بالشخصية إلى الحركة الدائمة. ما يجعلها تتخذ مسلكاً ما، يمليه عليها الموقف أحياناً، وأحيانا أخرى يكون هذا الإتجاه نابعاً من ذاتيتها هي وما تلتزم به في نفسه أساساً من قيم، واتجاهات ومبادئ وأصولاً راسخة"[2].

ومن سياق الصورة يستخلص تمام أيضا ان أخوة يوسف لم يكونوا قتلة محترفين، وإنما كانوا يريدون التخلص من يوسف أولاً واخيراً، ولم يكن قتل يوسف خياراً وحيداً وإنما كان: ﴿**اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ**﴾[3]، فالعبارة الأخيرة "وتكونوا من بعده صالحين" إعلان للتوبة قبل الوقوع في الذنب، وهو دليل أن الوقوع في الذنب ليس من طبعهم وإنما دفعتهم الظروف المحيطة بهم.

ويشير تمام حسان إلى التحليل النفسي للطبيعة المركبة في كل انسان (الغيرة + رقة الأب ...)[4].

ولذا فقد غاص التصوير في أعماق النفوس، وخبايا الأمور فسجل وقائع الأمم الغابرة وبعثها من جديد، ورسم شخصياتها وما انطوت عليه نفسياتها ورصد ميولها وصراعاتها[5].

لقد كانت لدور شخصية الإخوة أهمية في إيجاد العقدة، وتأزيم الصراع، وحل العقدة، وهذا هو الذي زاد الأحداث تلاحماً.

---

[1]- يوسف: 10.

[2]- القصة في القرآن، محمد قطب، ص 48.

[3]- يوسف:9 .

[4]- البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج2، ص 555.

[5]- الصورة الفنية في القصة القرآنية، قصة يوسف انموذجا، بلحسين نصيرة، ص 124.

4- **الأخص الأصغر**: الشقيق

5- **أفراد القافلة (السّيَارة)**: "**ولاشك ان لفظة السّيَارة إضافة إلى دلالتها على القافلة كانت بمثابة الأمر في تحرك دائرة الضوء على يوسف وفي تحريك القضية العادلة وفي كسر هذا الصمت الرهيب الذي ران على المنطقة بأسرها**"[1].

وأفراد القافلة خرجوا طلباً للتجارة والربح والدليل علتى أنهم لم يسافروا للعمل الصالح بدليل صياح الوارد يَا بُشْرَى هَذَا غُلاَمٌ فلم يرجعوه إلى أهله ولذا باعوه وانتفعوا بربحه.

والواقع أن حدث السّيّارة، وإن كان صغيرا إلا أنه أسهم في تهيئة الأسباب لتوليد حدث ضخم وهو حدث المراودة[2].

6- **العزيز**: هو الذي اشتراه: كهل ليس له ولد.

7- **امرأته**: شابة معجبة بيوسف –عليه السلام–

8- **نسوة المدينة**: وفي وصفهم تحدث تمام عن فراغ المرأة الدائم والتزاور والغيبة.

9 - **الملك**: يعتمد في تصرفاته على الرؤية، رجل غير طاغية، عادل كريم.

10 – **الفتيان**: رفقاء السجن.

وقول تمام "**منطقية عضوية**" يقصد به عناصر النصية الإلتحام والترابط والوحدة العضوية "**السبك**" وهذا يحيل إلى تماسكه بالنصية[3].

3- سرد الأحداث:

سرد القصص في القرآن الكريم منهج خاص تميزه:

---

[1]- في التذوق الجمالي لسورة يوسف، محمد علي أبو حمدة، دار الهدى، (د ط)، (د ت)، ص 71.

[2]- الصورة الفنية في القصة القرآنية، قصة يوسف انموذجا، بلحسين نصيرة، ص 135.

[3]- الأسلوبية الوظيفية، بداش حفيظة، ص 263.

4-1 الترتيب الزمني: سارت القصة في سورة يوسف وفق نظام تتابعي في الغالب، بدأت من طفولة يوسف –عليه السلام- إلى بلوغ أشده، كما أن الأحداث تتدرج منطقيا مع نموه، ويعد الترتيب الطبيعي للإحداث سمة من سمات السرد القصصي، فأحداث القصة مترابطة يأخذ بعضها برقاب بعض، وتشكل إذن الحركة الأولى (بداية السرد) يؤرة رؤيوية إنفعالية، تستمر عبر القصة حتى ظهور اللحظة الجديدة، وهو ما يمكن تسميته بانفراج وجمع الشمل[1].

4-2 عدم ذكر غير الضروري من الأحداث (الحذف):

اعتمدت قصة يوسف على انتقاء الأحداث بحذف ما ليس له علاقة، وإيجاز ما يلزم قليلا، والإنتقال إلى ماله علاقة، ولذا تقترب السورة من تقنيات السينما أكثر من المسرح[2] لأنها تستطيع حذف الحداث لأنها لا تعتمد علىالعرض المباشر، وإنما تعتمد على إستعمال العرض المعد مسبقاً الذي ينتظمه شريط يسهل عمليات الإنتقال والوجز، ويبهر المتلقي فيها بشكل أكبر، أما في المسرح فالأمر صعب بالإنتقال من مشهد إلى مشهد خاطف، لأن المسرح ديكور ومعدات وآلات عرض[3]، والسورة القرآنية (يوسف) حافلة بالحذف مما يقتضيه السياق النصي كالحركان العضوية، النفسية[4].

ويلعب الحذف إلى جانب الخلاصة، دوراً حاسماً في إقتصاد السرد، وتسريع وتيرته[5]، ويسمى الثغرة، أو الإسقاط، أو الإضمار، أو القطع، ويقصد به المرور على فترات زمنية ممتدة أو قصيرة،

---

[1]- بناء السرد القصصي في سورة يوسف، د. كمال أحمد غنيم، مجلة جامعة الأقصى، المجلد 15، العدد الثاني، يناير 2011، ص 51.

[2]- البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج2، ص 558-559.

[3]- بناء السرد القصصي في سورة يوسف، كمال أحمد غنيم، ص 51.

[4]- البيان في ورائع القرآن، ج2، ص 558-**559**.

[5]- بنية الشكل الروائي، حسن بحراوي، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، 1990، ص 156.

دون سرد ما وقع فيها من أحداث[1]، واما تودوروف فيسميه الإخفاء والأمر عنده يتعلق بعدم وجود وحدة من زمن القصة تقابلها وحدة من زمن الكتابة، بمعنى أن جزءاً من القصة يكون مسكوتاً عنه في السرد كلية مشاراً إليه بعبارة زمنية تدل على موضوع الفراغ الحكائي.[2]

4 – 3 الاقتصار على الضروري من وصف المناظر:

ولا يوجد في سورة يوسف هذا النوع إلا عبارات قصيرة، مثل قوله تعالى: ﴿**فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ** ﴾[3].

4–4 ربط الأحداث المفردة بالغايات والآيات:

ويلاحظ ذلك بدء من افتتاح القصة، إذ يقول الله تعالى: ﴿ **وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ** ﴾[4]، إذ ربط هذا الحدث "الإختيار" وتعليمه تأويل الأحاديث، ألا وهي التمكين في الأرض.

وقوله تعالى: ﴿ **لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ** ﴾[5]، وهذا الحدث في الآية عبرة لكل سائل، أراد ان ينتفع ويعتبر بالآيات، ولذا يحافظ النص القرآني على ربط الأحداث بإرادة الله، ان تمكن ليوسف من لحظة الإختيار والتعليم، وإلى الولاية ويضيف إليهم من عوامل الربط ويجعلها بنية قصصية محكمة.

---

[1]– بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، حميد الحمداني، المركز الثقافي العربي، بيروت، د.ط، ص 156.

[2]– بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، حميد الحمداني ، ص 156 .

[3]– يوسف: 31.

[4]– يوسف : 06.

[5]– يوسف: 07.

إن القفز المسكوت عنه في سرد الكلية دون الإشارة إلى زمن أو مدة معينة .... يمكن أن يكون ناتجا عن استخدام تقنية السينما .... ويتضح ذلك عندما يقوم السرد بتقطيع وتكسير الزمن إذ تتداخل مجموعة من الفقرات ...."[1]، ويحدث هذا في القصة القرآنية بترك فجوات بين مشهد وآخر يملأها خيال المتلقي ويستمتع بإقامة القنطرة بين مشهد سابق ولاحق[2]، وشواهد ذلك في سورة يوسف حافلة بالحضف، نحو قوله تعالى: ﴿ **قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ** (فأمنّهم على أخيه وأرسله معهم) (**14**) **فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ** ﴾[3].

4-5 – الحبكة:

تحدد الحبكة بأنها "سلسلة الحوادث التي تجري فيها مرتبطة عادة برابط السببية"[4]، فكل حكاية تقوم علىالحبكة والترابط، فالحبكة "هي فن ترتيب الحوادث وسردها وتطويرها"[5]، إذ تكون الوقائع متصلة ببعضها البعض، وكأن كلاً منها علة لما سيليها، بحيث أن سابقها مستدرج لإلحاقها في سياق الحكي.

ويعد الحبك من أبرز معايير النصية التي تجهل النص كلاً موحداً متماسكاً دالاً، لا محض سلسلة من الكلمات والجمل غير المترابطة[6].

---

[1]- بنية الشكل الروائي، حسن بحراوي، ص 156.

[2]- الأسلوبية الوظيفية، بداش حفيظة، ص 253 .

[3]- سورة يوسف، 14-15.

[4]- تيار الوعي في الرواية العربية الحديثة، دراسة أسلوبية، محمد غنايم، دار الجيل، بيروت، دار الهدى، القاهرة، ط2، 1993-1414هـ، ص 388.

[5]- التقنيات الفنية والجمالية المتطورة في القصة القصيرة، حسن غريب أحمد، منتدى القصة العربية، ص 56 .

[6]- حبك النص منظورات من التراث العربي، محمد العبد، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ع59، ص55.

وتعد الحبكة الفنية دعامة رئيسية في القصة لتحيا في عالم السرد، وتمثل سر الجاذبية الذي يشد المتلقي، ويثير انتباهه وتجلبه لمتابعة أحداثها بشغف دون ملل أو فتور، إذ ليس سير الأحداث لمجرد القصص فأحداثها ليست بمعزل عن بعصها، إنما تدور الأحداث حول الرؤيا وتفسيرها، وحول الشهرة والعقوبة والبراءة، وكذا إنصاف الضعيف والتمكين لهم حتى ينتصروا ويثبتوا حتى النهاية.[1]

فكل هذه الأحداث ورد ذكرها في قصة يوسف، سنحاول الوقوف على التحليل اللغوي للوصول إلى الغرض المقصود.

وقد بنيت القصة القرآنية على شخصية مركزية تدور حولها الأحداث وشخصيات ثانوية تساهم في تحريك أحداث القصة ونموها وتطورها، فالشخصيات التي ذكرها القرآن الكريم مفيدة وليست زائدة للذكر فقط، ولها دور في تطور الأحداث لتصبح قصة مترابطة وهذا الترابط هو نظام الحبكة التي تعني "تاليف أو تركيب بين الأحداث والعوارض التي هي متعددة، وبين القصة الواحدة المكتملة: ما يستدعي أن تُكوّن مجموع الأحداث قصة واحدة[2].

والحبكة تركيب حدثي ينتج عن التفاعل المحكم لجينات السرد لتشكيل بناء كلي شمولي لا أثر فيه للخلل[3]. ففي قصة يوسف نجد الأحداث متلاحكة مشدودة لبعضها البعض فهي تسير وفق مبدأ سبب ونتيجة (فأول القصة خطيئة وبخرها مغفرة) وهذا ما يجعل التلاحم بينها شديداً، بحيث يتولد حدث من حدث في انسياب القصة وتسلسلها، كما نجد بين هذه الأحداث عددا من المقابلات "الرق والسيادة"، "الخمول بالتفوق) "والفشل بالنجاح"، "واليأس بالفرح" و"المرض بالشفاء"، وهذه المقابلات بين هذه الأقطاب إضافة منطقية عضوية إلى النسيج العام للقصة، وكل

[1]- البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ص 227 – 228 .

[2]- الحبك المكاني في السياق القصصي القرآني، آمنة شهاب، ص 96.

[3]- المرجع نفسه، ص 96.

زوج تقابلي مما سبق له دور حيوي هام في بناء القصة فافتتاح القصة بقوله تعالى: ﴿ **وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ**﴾[1] إلى غاية قوله تعالى: ﴿ **رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ** ﴾[2]، وقد حافظ النص على ربط الأحداث بإرادة الله ان يمكن ليوسف إذ يجتبيه ويعلمه ويتولاه حتى يضيف إلى ما بينها من عوامل الربط ويجعلها بنية قصصية محكمة.

قال تعالى: ﴿ **عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا** ﴾[3] وهذا يذكرنا بموقف السيار إذ ﴿**وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ** ﴾[4]، فلم يكن النفع في نظر العزيز أمراً واقعاً وإنما كان موجها للمستقبل.

قوله تعالى: ﴿ **وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ** ﴾[5] وهنا جاء دور الفضيلة في خلق يوسف عليه السلام، ﴿ **قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ** ﴾[6].

سجن يوسف قال تعالى: ﴿ **ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ** ﴾[7].

وذلك لسر الفضيحة حرصا على شرف العزيز وزوجته[8].

---

[1]- يوسف: 06.

[2]- يوسف: 101.

[3]- يوسف: 09.

[4]- يوسف: 20.

[5]- يوسف: 23.

[6]- يوسف: 23.

[7]- يوسف: 35.

[8]- ينظر : البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج2، ص 227-228.

ويأتي حدث السرقة (إدعاء السرقة)، قال تعالى: ﴿ **قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ (74) قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ** ﴾[1]. فالعرف الذي نشأ في ظله أبناء يعقوب أن السارق يصبح رقيقاً في ملك صاحب الشيء المسروق ،وفيما يبدو إن العقاب في مصر أشد، وهنا ألهم الله يوسف –عليه السلام– أن يستخرج على ألسنة إخوته فيكون أعدل واكثر بأخيه، وهكذا يصبح المر بيد يوسف عليه السلام يفعل ما يشار، وقول الإخوة: ﴿ **إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ** ﴾[2]، وفي هذا القول "إثبات السرقة، توثيق الشهادة بالعلم بالواقعة– الإعتذار بأنهم ما كانوا يعلمون الغيب، وهي دلالات مستفادة من سياق الآية"[3].

ويظهر في النهاية خضوع القصة القرآنية للغرض الديني الذي سيقت لأجله ويستعمل الجوانب الفنية ليتفق مع الختام نحو قوله تعالى: ﴿ **لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾[4].

ونخلص في الأخير إلى أن المبنى في الأنساق القصصية التي وقفنا عليها في سورة يوسف، أنساق قائمة على إتحاد المتن الحكائي للأحداث بالمبنى الحكائي المنظم لحركتها، والمتحكم في طبيعة ظهورها في بنية القص، والموجه لسيرورة شخوصها، وتحديد الهامشي والمركزي منها بما يؤدي إلى حبك الأحداث وتناميها نحو الذروة التي يبلغ فيها الحكي قمة الصراع الدائر بين شخص القصة، ثم إنفراج الأحداث نحو الحل وصياغة ذلك بأسلوب سردي يحقق مقاصد النص"[5].

---

[1]– سورة يوسف، 75.

[2]– سورة يوسف، 81.

[3]– البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج2، ص 566-573.

[4]– سورة يوسف، 111.

[5]– الأنساق الأسلوبية المهيمنة على السورة، دراسة تطبيقية على السور المكية، خالد توفيق مزعل الحسناوي، رسالة دكتوراه فلسفة في اللغة العربية وآدابها، السعودية، 1433-2012.

4-6- دلالات النص:

أورد تمام حسان بعض دلالات النص منها الصريح والضمني إلى ما يلي:

1). يعقوب عليه السلام كان يحسن تعبير الرؤيا لذا أمر ابنه بعدم قص رؤياه على إخوته.

2) معرفة يعقوب عليه السلام بكيد أبنائه قبل رؤيا يوسف –عليه السلام-.

3) أما يعقوب – عليه السلام- فكان يؤمن بعودة يوسف عليه السلام وهو يستمتع بنعمة الله عليه: ﴿**وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ**﴾[1].

4) إحساس إخوة يوسف برابطة الأخوة بينهم إحساساً قوياً (عصبة)، قوة إحساسهم ﴿ **قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ** ﴾[2].

5) تمكين الله ليوسف في الأرض بدأ ببيعته رقاً واستمر باستخلاص الملك له وبلوغ يوسف عليه السلام غايته بقدوم أهله.

6) يعود تمام حسان ليوظف السياق في استخلاص دلالة عصمة يوسف عليه السلام من الوقوع في الفحشائ لا عن التفكير فيها: ﴿ **وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ** ﴾[3].

7) يرى تمام حسان ان الشاهد يحسن تقدير الأمور منطقياً، وأغلب الظن أنّ الزوج أراد كتمان الفضيحة فقضى فيها بنفسه، وادان امرأته وقال ليوسف "يوسف أعرض عن هذا" أي لا تذع في الناس شيئاً مما وقع.

---

[1]- سورة يوسف، 06.

[2]- سورة يوسف، 14.

[3]- سورة يوسف، 24.

8) تسرب الخبر على ألسنة العامة فرأى الزوج ليظهر براءة زوجته ووضع يوسف في السجن ليرى الناس أنه المعتدي ﴿ **ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ**﴾[1].

9) يرى تمام حسان أن لفظ ربّ في السورة يأخذ معنيين:

– الله –سبحانه وتعالى– ويستدل بذلك على قرائن نصّية، قال تعالى: ﴿ **ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي** ﴾[2].

– السبب الذي تجب له الطاعة والخدمة والدليل حسب تمام ﴿ **إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ** ﴾[3].

وعلى هذا ذهب "تمام" بعيداً بسياق النّص، واعتماده عليه في توضيح الدلالة، واستغلاله لنظام قرائن النّص، فسياق النص يدل على أن إسترقاق السارق كان عرفاً في بيئة أبناء يعقوب عليه السلام، كما أن إرتباط أحداث القصة بقميص يوسف في كل مراحلها (أصبح قميصه من عناصره).

10– تحقير النّص القرآني امرأة العزيز من وجهين:

1) قال تعالى: ﴿**رَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ**﴾[4]، ومل يقل سيدته إكراماً له وتحقيراً لها.

2) قال تعالى: ﴿ **وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ** ﴾[5]، ولم يقل زوجها او بعلها، ويقول تحتمل أن تكون ملك يمين ووصفت نفسها فقط من أهله.

تنتهي القصة بتعزية النبي صلى الله عليه وسلم عن عناد الكافرين بعّدة أمور:

---

[1]– يوسف: 35.

[2]– يوسف: 37.

[3]– يوسف: 23.

[4]– يوسف: 23.

[5]– يوسف: 25.

أن العناد طبع في اكثر الناس، وان كلّ من سبقك من الرسل كانوا بشراً يوحى إليهم دعوة الناس فلم يستجيبوا لهم.

ونخلص في النهاية إلى أن تمام حسان:

1) لم يكن تمام يهدف إلى دراسة الجوانب الفنية للقصة القرآنية وإنما سيرها لخدمة الجانب الديني، واهتم في تحليله بالسّياق والموضوع.

2) عدم لجوء "تمام حسان" في تحليله للأسلوب على الجداول والإحصائات وما إلى ذلك من البنى الشكلية وإنما يتجه دائماً إلى العمق، من خلال علاقات الجمل فيها والوحدة العضوية بينها والآيات، وسخر البناء والهيكل العام لخدمة قصد قصد وغرض معين من بداية الصورة إلى نهايتها.[1]

ركز تمام حسان في تحليله للسّياق النّصي من عناصر مهمة:[2]

السياق النحوي، (الملك- يا بشرى) والسياق المعجمي، والإطار التركيبي بداية السورة ونهايتها.

سياق الموقف: ويقول عنه: "الإعتماد في تحليل المعنى على سياق الموقف، ثمرة من ثمرات الدراسة اللغوية الحديثة، والنظرة إلى المعنى من خلال الموقف، تتجه إلى عدد من المساوقات مثل "المتكلم والقول والسامع أو السامعين والظروف الإجتماعية، وتشمل الزمان والمكان، والمأثورات والأشياء والعرف والنتيجة حيث يكون لأي واحدٍ من مساوقات الموقف هذه أثر في فهم المعنى – عرف المصريين"[3].

ويذكرنا هذا التحليل بحكم اطلقه تمام هو (أن المنهج التراثي يتناول النص من خلال شرح المفردات مع عدم الإنتباه إلى العلاقات العضوية بين أجزاء النص ولم يسلم من هذا النقد الشراح

[1]- الأسلوبية الوظيفية، بداش حفيظة، ص 267-268.

[2]- المرجع نفسه، ص 267.

[3]- الأسلوبية الوظيفية، بداش حفيظة، ص 267.

والمفسرون)، بل يجب النظر إلى مجمل النص لإلتماس فهمه، ودلالته المختلفة، لكن في تحليله للفظة "سرق" انطلق من الإيحاءات والدلالات التي تضمنتها داخل البنية اللغوية وكذا الحال بالنسبة للفظة "يا بشرى".

واتخذ تمام مدخلاً وظيفياً في معاينة الأسلوب، ذلك أن الأسلوبية الوظيفية تنظر إلى الأسلوب بوصفه واقعة وهذه الأخيرة هي عنصر لغوي ينظر إليه من حيث استخدامه من حيث أغراض أدبية في عمل معين، لكن تمام يوسع هذه الدائرة ليحتوي التواصل بانواعه (الفني والأداء) أما علاقة التفسير جعلها إحدى العلاقات الملحوظة في النص القرآني، ويقول عنها: "علامة العلاقة التفسيرية أن يصبح تأويله بعبارة (أي أن المقصود كذا) فإن التقدير كان ذلك دليلاً على أن الجملة الثانية تفسير لمضمون الأولى"[1].

لقد اعتمد تمام حسان في تفسير دلالة النص بالإعتماد على القرائن اللفظية الواردة في النص، فالتفسير لا يتنافى والقيمة الموضوعية للدراسة لأنه بإزاء نص لغوي فني، وليس أمام ظواهر فيزيائية.

[1]- الأسلوبية الوظيفية، بداش حفيظة، ص 267.

خاتمة:

في ختام هذا البحث يجب أن أؤكد أن موضوع أسلوبية النص القرآني –قراءة في أعمال تمام حسان – موضوع متشعب وطويل يحتاج كثيرا من الوقت والجهد للإحاطة بجميع جوانبه ، وآمل أن أكون قد وضعت لبنة في صرح تمام حسان من خلال هذه الدراسة التي كان ميدانها القرآن الكريم ، والتي خرجت منها بجملة من النتائج أهمها :

1- لم يخرج تمام في دراسته الأسلوبية عن مباحث البلاغة القديمة.

2- مزج تمام بين التحليل الأسلوبي والنحو المعياري، وكثرة اعتماده على نحو المتأخرين الممزوج بالمنطق العقلي لا بالمنطق اللغوي خاصة في حديثه عن التضام.

3- استشهاده بشواهد قرآنية للظاهرة اللغوية والأسلوبية التي يذكرها بحسب ما يرى بعض المفسرين لمعنى الشاهد القرآني أو ما يراه هو، والمعروف أن المعنى القرآني متحرك وله خصوصية أسلوبية مغايرة عن الأساليب الأخرى بحيث تسمح للمفسرين أن يحملوه على وجوه بعض في بعض وشواهده. وبعضها الآخر من المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله على خلاف في ذلك.

4- نجاح تمام حسان في اختياره للنص القرآني باعتباره النموذج الأمثل فالقرآن رسالة هدفها التبليغ وهي قمة الخروج عن الاستعمال العادي للغة وتسخيرها لأغراض بلاغية.

5- ربط تمام حسان النص القرآني بالموقف والسياق وكان تمام أقرب إلى المقام منه إلى المقال.

6- التقاء الدراسة الأسلوبية التي وضعها تمام مع أسلوبية في البحث عن العلاقة بين التعبير والمؤلف مع الكشف عن ملامح لغوية تشكل ظاهرة أسلوبية. تتجاوز أسلوبية الكاتب لتهتم بالأنظمة التعبيرية التي يضيفها الكاتب إلى نفسه.

7- دراسة تمام حسان لم تخرج في أغلبها عن المزاوجة بين الدرس القرآني واللغوي والبلاغي.

8- تؤكد دراسة تمام أنه توجد ملامح أسلوبية في الدراسات العربية القديمة خاصة مؤلفات إعجاز القرآن والبلاغة والنقد التي ارتكز البحث على مجملها.

9- إعادة قراءة التراث بنفس جديد.

10-اعتماد تمام حسان في تحليله للنص القرآني على ثلاث مستويات: المستوى الصوتي والمستوى التركيبي الصرفي والمستوى البلاغي (الدلالي) وهي مستويات التحليل الأسلوبي القائم على اللغة.

11-مزج تمام حسان بين الدراسات اللغوية والأسلوبية.

12- نزوع تمام إلى التطبيق أكثر من التنظير.

13-اعتماد تمام حسان على المصطلحات القديمة مثل الرتبة والعدول وغيرهما.

14-اعتماد تمام حسان في تحليله على نظريات متعددة فمزج بين الدراسات الأسلوبية وعلم النص وعلم اللغة والنحو وعد منهجه متكاملا.

15-يعد تمام حسان أهم من طبق المناهج الغربية الحديثة مثل علم النص. إذ مزج بينها وبين الموروث البلاغي والنحوي التي خبرها أسلوبا وعرضا.

16- طبق تمام حسان في كتابه البيان أرائه اللغوية ونظرياته التي ذكرها في كتبه السابقة ومنها: نظرية تضافر القرائن التي فسر في ضوئها الرخصة والعدول الأسلوبي.

17-اتسام المدونة " **البيان في روائع القرآن** " بكثرة الشواهد القرآنية لكل ظاهرة أسلوبية.و وهو ما لمسناه في كتابه الآخر " **اللغة العربية – معناها ومبناها** –" الذي جعل غايته إلقاء ضوء جديد كاشف على التراث اللغوي العربي كله منبعثا من المنهج الوصفي في دراسة اللغة. فقد اهتم فيه بالمعنى وكيفية ارتباطه بأشكال التعبير المختلفة وقد تأثر بسياق الحال لدى فيرث فأطلق عليه المقام وجعل السياق اللغوي موازيا له وأطلق عليه المقام، فتأثره بنظرية فيرث جعل منهجه وصفيا وظيفيا على الرغم من أنه صرح بأنه يعتمد على المنهج الوصفي.

18- تطرق تمام حسان إلى بعض الأفكار التي جاءت في النحو التوليدي فاستبعد بذلك فكرة قصور النحو العربي واعتماده قانون التوزيع.

19- نوه تمام حسان أنه بإمكان قيام النحو العربي على تضافر القرائن، وبين أنه يجوز الاستغناء عن إحداها، ولذلك دعا إلى إلغاء نظرية العامل ورفض الإعراب التقديري والمحلي وبفكرة الشذوذ.

20- لقد تراجع تمام عن العديد من أرائه اللغوية في التعامل مع النص القرآني أي أنه كيف النهج الغربي حسب خصوصية النص القرآني.

21- يعد تمام حسان تراثيا أكثر منه حداثيا في كتابه البيان في روائع القرآن.

22- ربط تمام حسان في دراسته الصوتية بين الأصوات والعبارات والجانب الجمالي للنص.

قائمة المصادر والمراجع :

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

المصادر والمراجع باللغة العربية:

1- الاتجاه الأسلوبي في النقد، شفيع السيد، دار الفكر العربي، (د. ط) (د. ت).

2- الاتجاه العقلي في التفسير، نصر حامد أبو زيد، دار التنوير، بيروت، ط1.(دت).

3- الاتجاهات الأسلوبية في النقد العربي الحديث، إبراهيم عبد الجواد، الأقلام الهادفة للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 1996.

4- الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل، مطبعة المشهد الحسيني، القاهرة، ط1، 1967، ج 2.

5- أساليب بلاغية، أحمد مطلوب، وكالة المطبوعات، الكويت، (د ط)، 1980.

6- أسرار البلاغة، الجرجاني، تحقيق: محمود شاكر أبو فهر، مكتبة الخانجي، ط1، 1991.

7- الأسس الجمالية في النقد العربي (عرض وتفسير ومقارنة)، إسماعيل عز الدين، دار الفكر العربي، ط3، 1984.

8- أسس علم اللغة، ماريو باي، ترجمة: مختار أحمد عمر، عالم الكتب، بيروت، ط 3، 1983.

9- الأسلوب (دراسة بلاغية تحقيق:ليلية لأصول الأساليب الإنشائية)، أحمد الشايب، مكتبة النهضة المصرية، ط6، 1966.

10- أسلوب الالتفات في البلاغة العربية، حسن طبل، دار الفكر العربي، القاهرة، (دط)، 1988.

11- الأسلوبية (مفاهيمها وتجلياتها)، موسى سامح ربابعة، دار الكندي، الأردن، ط1، 2003.

12- الأسلوبية (الرؤية والتطبيق)، يوسف أبو العدوس، دار المسيرة، ط1، عمان،2007.

13- الأسلوبية- منهجًا نقديًا، محمد عزام، دار الأفاق- بيروت، لبنان، ط1، 1989

14- الأسلوبية والأسلوب، عبد السلام المسدي، دار الكتاب الجديد، بنغازي، ليبيا، ط5، 2005.

15- الأسلوبية والبيان العربي، عبد العزيز شرف، الدار المصرية اللبنانية، مصر، ط1، 1992

16- الأسلوبية والبيان العربي، عبد المنعم الخفاجي، محمد السعدي فرهود، عبد العزيز شرف، الدار المصرية اللبنانية، ط 1، 1993.

17- الأسلوبية ونظرية النص، إبراهيم خليل، المؤسسة العربية للنشر والدراسات، بيروت، ط1، 1997.

18- الأسلوبية (مدخل نظري) ، تحقيق: الله أحمد سليمان، الدار الفنية للنشر والتوزيع، القاهرة ط1، 1993.

19- الأشباه والنظائر في النحو، الجرجاني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1984، ج 1.

20- أصوات اللغة العربية، هلال عبد الغفار حامد، مكتبة وهبة، القاهرة، ط3، 1997.

21- أصوات اللغة، عبد الرحمان أيوب، مطبعة دار التأليف، القاهرة، ط1، 1963.

22- الأصوات اللغوية، سلسلة الدراسات اللغوية، عبد القادر عبد الجليل، دار صفا للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 1997.

23- الأصوات ،كمال بشر، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ،1975م.

24- الأصول – دراسة ابستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب (نحو فقه اللغة بلاغة)، تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط2000.

25- الأصول في النحو، ابن السراج، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، ط 3، 1417 هـ- 1996 م.

26- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، مكتبة رحاب، الجزائر، (د ط)، (د ت).

27- إعجاز القرآن، أبو بكر الباقلاني، تحقيق: أحمد صقر، دار المعارف، مصر، ط5، 1997.

28- إعراب القرآن الكريم وبيانه، محي الدين الدرويش، اليمامة للنشر والتوزيع – دار ابن كثير، ج 3.

29- الألسنية العربية، ريمون طحان، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1982.

30- الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية، أحمد محمد ويس دار مجد، بيروت، ط1، 2005.

31- الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين، لأبي البركات ابن الأنباري، تحقيق: جودة مبروك محمد مبروك، مراجعة، رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 1. 2002.

32- الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، المكتبة الأزهرية للتراث، ط 3، 1413هـ– 1993 م.

33- البحث الأسلوبي (معاصرة وتراث)، رجاء عيد، دار المعارف، مصر،(د ط)، 1993.

34- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، أحمد عبد الموجود – محمد عوض –زكريا عبد المجيد النوتي – أحمد النجولي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1428 هـ -2007 م. ج 10.

35- بديع القرآن، ابن أبي الإصبع، حفني محمد شرف، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، (د ط)، (د ت).

36- البرهان في علوم القرآن، الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، ج 1.

37- بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، تحقيق: عبد المتعال الصعيدي، مكتبة الآداب، القاهرة، ط 1999، ج 4.

38- البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، عبد الرحمن حسن حَبَّكة الميداني، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، سوريا، دمشق،ط1، 1996،ج1.

39- البلاغة في ضوء الأسلوبية ونظرية السياق، أبو علي محمد بركات حمدي، دار وائل، عمان، (د ط)،2003.

40- البلاغة والأسلوبية، محمد عبد المطلب، لونجمان، القاهرة، (د ط)،1994.

41- بناء الجملة العربية، محمد حماسة عبد اللطيف، دار غريب، القاهرة، ط 2003.

42- البنى الأسلوبية، حسن ناظم، المركز الثقافي، ط1، المغرب، 2002.

43- البنية الإيقاعية في الشعر العربي الحديث، كمال أبو ديب، دار العلم، بيروت، 1970.

44- البنية السردية في القرآن الكريم، طول محمد، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د ط)، 1991.

45- بنية الشكل الروائي، حسن بحراوي، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، (د ط)، 1990.

46- بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، حميد الحمداني، المركز الثقافي العربي، بيروت، (د ط)، (د ت).

47- بيان إعجاز القرآن- ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، الخطابي، تحقيق: محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، (د ط)، (د. ت).

48- البيان في روائع القرآن – دراسة لغوية أسلوبية في النص القرآني ،تمام حسان، عالم الكتب، ط3، 2009 ،ج1،ج2.

49- تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعي، مكتبة الإيمان، ط1، 1997. ج2.

50- تاريخ علوم البلاغة العربية، أحمد مصطفى المراغي، مصطفى البلبي الحلبي، ط1، 1950

51- تأويل مشكل القرآن ابن قتيبة، تحقيق: أحمد صقر، دار التراث القاهرة، ط2، 1973.

52- التحليل السيميائي في الخطاب الشعري، عبد المالك مرتاض، دار الكتاب العربي، الجزائر، (د ط)، 2001.

53- تحليل الخطاب الشعري (البنية الصوتية في الشعر)، محمد العمري، الدار العالمية للكتاب، الدار البيضاء، المغرب ط1990،1.

54- التركيب اللغوي للأدب (فلسفة اللغة والأستطيقا)، لطفي عبد البديع، مكتبة النهضة المصرية، ط1، 1970.

55- التصوير الفني في القرآن الكريم، سيد قطب، دار الشروق، لبنان، (دط)،(د.ت).

56- التضمين في العربية، أحمد حسن حامد، الدار العربية للعلوم، بيروت، لبنان، ط1، 2001.

57- التعبير الفني في القرآني، فاضل السامرائي، دار عمان، الأردن، ط2، 2002.

58- التفسير البياني للقرآن الكريم، عائشة بنت الشاطيء، ج1، دار المعارف، (دط)، 1962.

59- تفسير القرآن، ابن كثير،دار الفكر، بيروت (د ط)، 1401 هـ، ج 4.

60- تفسير الكشاف، الزمخشري، تحقيق: محمد مرسي عامر، دار المصحف مطبعة عبد الرحمان حمد، ط2، 1977، ج 1. ج 4.

61- تفسير غريب القرآن، ابن قتيبة، السيد أحمد صقر، دط، دت.

62- التفكير الأسلوبي، رؤية معاصرة في التراث النقدي والبلاغي، في ضوء علم الأسلوب الحديث، سامي محمد عبابنة، علم الكتب الحديث، ط1، 2007

63- التكوير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون، تونس، (دط)، ج 10.

64- التلاؤم الصوتي وأثره في القرآن الكريم، مجلة الجامعة الإسلامية، العدد السادس عشر.

65- التنغيم في القرآن الكريم، دراسة صوتية، سناء حميد البياتي، مركز إحياء التراث العلمي العربي، جامعة بغداد، العراق، 2007.

66- تيار الوعي في الرواية العربية الحديثة – دراسة أسلوبية – محمد غنايم، دار الجيل، بيروت، دار الهدى، القاهرة، ط 2، 1993.

67- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، دار الكتاب العربي، (د ط)، ج7، 1387.

68- الجملة العربية والمعنى، فاضل السامرائي، دار الفكر، عمان، الأردن، ط1، 1428هـ– 2007 م.

69- الحيوان، الجاحظ، تحقيق: محمد عبد السلام هارون، ط2، 1384 هـ – 1965م.

70- الخصائص، ابن جني، تحقيق: عبد الكريم بن محمد، المكتبة التوقيفية، (دت)، ج3.

71- الخلاصة النحوية، تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2000.

72- الدراسات الأدبية لأسلوب القرآن الكريم في العصر الحديث، محمد أحمد الأشقر، دار وائل للنشر والتوزيع ط1، عمان الأردن، 2003.

73- دراسات في علم اللغة، كمال بشر، دار المعارف، مصر، ط2، 1971.

74- دراسة الصوت اللغوي، عمر أحمد مختار، عالم الكتب، القاهرة، (د ط)، 1976.

75- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تعليق: محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط1، 1994.

76- دلالة السياق في القصص القرآني، محمد عبد الله سيف العبيدي، وزارة الثقافة والصناعة، صنعاء، اليمن، 2004.

77- دور الكلمة في اللغة، كمال بشر، مكتبة الشباب، القاهرة، (د ط)، 1987.

78- روح المعاني، الألوسي، علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1415هـ.

79- سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي، دار الكتب العلمية، ط1، 1402هـ– 1982م.

80- شرح المفصل، ابن يعيش، تحقيق: عبد اللطيف محمد الخطيب، جامعة الكويت، الكويت، 1999. ج 9.

81- شرح شافية ابن الحاجب، رضي الدين الأستراباذي، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، محمد نور الحسن، محمد الزفزاف، دار الكتب العلمية، 1402هـ- 1982م.

82- الصناعتين، الكتابة والشعر، أبو هلال العسكري، تحقيق: مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1981.

83- الصورة الفنية في المثل القرآني، محمد حسين علي الصغير بغداد، دار الرشيد للنشر، (د ط)، 1981.

84- الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحي بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي، المكتبة العنصرية، بيروت، ط 1، 1423 هـ، ج 2.

85- الظاهرة القرآنية، مالك بن النبي، ترجمة: عبد الصبور شاهين، تقديم: محمد عبد الله دراز ومحمود شاكر، دار الفكر، دمشق، ط4، 1987.

86- العرف على أنوار الذكر، معالم الطريق إلى فقه المعنى القرآني في سياق السورة، محمود توفيق محمد مسعد، المكتبة الشاملة، ج1.

87- العلامة الإعرابية، محمد حماسة عبد اللطيف، دار الفكر، القاهرة، (دط)، 1983.

88- علم الأسلوب، مبادئه وإجراءاته، صلاح فضل، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1988.

89- علم البيان دراسة فنية تاريخية في أصول البلاغة، بدوي طبانة، مكتبة الأنجلو مصرية، ط2، 1967.

90- علم الدلالة العربي، فايز الدالة، دار الفكر، دمشق، ط1، (د. ت).

91- علم الدلالة، أحمد مختار عمر، معالم الكتب، القاهرة، ط3، 1988.

92- علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق " دراسة تطبيقية على السور المكية "، صبحي إبراهيم الفقي، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط 1، 2000. ج 1.

93- علم اللغة بين التراث والمعاصرة، عاطف مدكور، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، (د ط)، 1987.

94- علم اللغة، مقدمة لعلم القارئ، محمود السعران، دار الفكر العربي، القاهرة، ط2، 1997.

95- عن بناء القصيدة العربية الحديثة، علي عشري زايد، دار الفصحى للطباعة والنشر، القاهرة، (د ط)، 1977.

96- الفاصلة القرآنية، عبد الفتاح لاشين، دار المريخ، الرياض، (د ط)، 1982.

97- الفاصلة القرآنية، محمد الحسناوي، المكتبة الإسلامية، بيروت، ط2، 1986.

98- الفصيح، ثعلب أبو العباس، صبحي التميمي، دار الشهاب، الجزائر (د. ط)، 1985.

99- الفهرست- ابن النديم، مكتبة خياط، بيروت،(د ط)، (د ت).

100- في التذوق الجمالي لسورة يوسف، محمد علي أبو حمدة، دار الهدى، (دط)، (دت).

101- في نحو اللغة وتراكيبها، خليل أحمد عمايرة، دار عالم المعرفة، جدة، ط1، 1984.

102- قرينة العلامة الإعرابية في الجملة بين النحاة القدماء والدارسين المحدثين، محمد حماسة عبد اللطيف، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، (د ط)، 1979.

103- القصة في القرآن - مقاصد الدين وقيم الفن - محمد قطب، دار قباء للطباعة للنشر والتوزيع، القاهرة،(د ط) (د ت).

104- القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، عبد الكريم الخطيب، مطبعة السنة المحمدية، ط 1، 1384هـ- 1968 م.

105- قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني، محمد عبد المطلب، لونجمان، ط1، 1995.

106- الكتاب، سيبويه، تحقيق: عبد السلام هارون، دار القلم، القاهرة، ط1، 1991، ج 2.

107- الكشاف، الزمخشري، مطبعة دار الإستعانة، مج1، ط1، 1365 هـ - 1946 م.

108- اللباب في النحو، عبد الوهاب الصابوني، دار مكتبة الشرق، بيروت، (د ط)، 1973، ج 2.

109- لحن العامة والتطور اللغوي، رمضان عبد التواب، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1967.

110- لسان العرب، ابن منظور، دار صادر بيروت، لبنان، (د ط)، (د ت)، مج2.

111- اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، حافظ إسماعيل علوي، دار الكتاب الجديد (دت)، بيروت، ط1، 2008.

112- لسانيات من النص، محمد الخطابي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2006.

113- اللسانيات والدلالة، منذر عياشي، مركز النماء الحضاري، ط 1، 1996.

114- اللغة العربية (معناها مبناها)، تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط6، 2009.

115- لغة القرآن الكريم، عبد الجليل عبد الرحيم، مكتبة الرسالة الحديثة، عمان، الأردن، ط1، 1981.

116- اللغة المعيارية والوصفية، عالم الكتب، القاهرة، ط 4، 2001.

117- اللغة والإبداع : محمد العيد، دار الفكر، القاهرة، ط 1، 1989.

118- اللغة والأسلوب، (دراسة)،عدنان بن ذريل، دار مجدلاوي، ط2، 2006.

119- اللغة، فيلي أندريس، تع عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، (د ط)، 1950.

120- اللمع في العربية، ابن جني، تحقيق: فائز فارس، دار الكتب الثقافية، الكويت، (دط)، 1972.

121- مبادئ اللسانيات، أحمد محمد قدور، دار الفكر، دمشق، سوريا، (د ط)، 1996.

122- مجاز القرآن، أبو عبيدة:، تحقيق: محمد فؤاد سزكين، مؤسسة الرسالة، ط(2) بيروت، 1981.

123- مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبري، دار المرتضى، بيروت، لبنان، ج 6.

124- محاضرات في الأسلوبية، محمد بن يحي، مطبعة مزوار، الوادي، الجزائر، ط1،2010.

125- المحكم والمحيط الألماني، ابن سيده، تحقيق: عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، ط1، 1421 هـ- 2000 م.

126- مختصر تفسير الطبري، الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، اختصار وتحقيق محمد علي الصابوني وصالح أحمد رضا، مكتبة رحاب، ط 1991، ج 1.

127- مدخل إلى علم الأسلوب- شكري محمد عياد، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، ط1، 1982.

128- مع القرآن في بلاغة وإعجازه، عبد القادر حسين، مطبعة الأمانة، القاهرة، 1975.

129- معاني النحو، فاضل السامرائي، شركة العاتك لصناعة الكتب، القاهرة، مصر، ط 2، 2003. ج 3.

130- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، عبد الوهاب السيد عوض الله، مطابع الأغست، شركة الإعلانات، (د ط)، 1985.

131- معجم مصطلحات الأدب، مجدي وهبة، مكتبة لبنان، بيروت، (د ط)،1974.

132- مفتاح العلوم، السكاكي، ضبطه وكتب هوامشه نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1983.

133- مفردات القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان داوردي، دار القلم، دمشق.

134- مفهوم الشعر، جابر أحمد عصفور، مطبوعات فرح، قبرص، ط4، 1990.

135- مقالات في الأسلوبية، منذر عياشي، منشورات الكتاب العرب، (دط)، 1990

136- مقالات في اللغة والأدب، تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط1، ج1، ج2، 2006.

137- مقدمة الأسلوبية، رابح ابن خوية، مطبعة نير، سكيكدة، الجزائر، ط1، 2013.

138- المقدمة الجزولية في النحو، تحقيق: شعبان عبد الوهاب، طبعة أم القرى، 1988.

139- المقررات الصوتية في البرامج الوزارية للجامعة الجزائرية، دراسة تحقيق:ليلية تطبيقية، مكي درار، سعاد بسناسي ، دار الأديب، وهران، الجزائر، 2007.

140- من أسرار اللغة، إبراهيم أنيس، المكتبة الأنجلو مصرية، ط 7.

141- مناهج البحث في اللغة، تمام حسان، دار الثقافة، مصر، ط 1986.

142- المنتزع البديع في تجنيس أساليب البديع، أبو محمد السجلماسي، تحقيق: علال الغازي، مكتبة المعارف، المغرب، (د ط).

143- منهاج الأدباء وسراج البلغاء، القرطاجني، تحقيق: محمد الحبيب بن خوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط 3، 1986.

144- منهج الزمخشري في تفسير القرآن وبيان إعجازه، مصطفى الصاوي الجويني، دار المعارف، مصر، ط 2،1968.

145- الموجز في دراسة الأسلوب والأسلوبية، عدنان علي رضا محمد النحوي، دار النحوي للنشر والتوزيع، 2003.

146- موسيقى الشعر، إبراهيم أنيس، دار القلم، بيروت، ط2، 1972.

147- النبأ العظيم، محمد عبد الله دراز، دار الثقافة، الدوحة، قطر، 1405 هـ – 1985م.

148- نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، مصطفى حميدة، الشركة المصرية العالمية للنشر، مصر، ط1، 1997.

149- نقد النقد وتنظير النقد المعاصر، محمد الدغمومي، مطبعة النجاح الجديدة، ط1، الدار البيضاء، 1999.

150- النكت في إعجاز القرآن، الرماني دار المعارف، مصر، (د ط)،(د ت)

المراجع المترجمة:

151- الأسلوب والأسلوبية، بيير جيرو، ترجمة: منذر عياشي، دار الحاسوب، حلب، ط2، (دت).

152- البلاغة والأسلوبية (نحو نموذج لساني سيميائي لتحقيق:ليل النص)، هنريش بليث، ترجمة: محمد العمري، إفريقيا الشرق، بيروت، لبنان، (د ط)،1999.

153- البلاغة والأسلوبية- هنريش بليث- ترجمة العمري- منشورات مجلة الدار البيضاء، ط1، 1989، ص36.

154- بناء لغة الشعر، جون كوهين، ترجمة: أحمد درويش، دار المعارف، مصر، (دط)، 1993.

155- التطور النحوي للغة العربية، برجشتراسر، إخراج وتصحيح: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، الرياض، (د ط)، (د ت).

156- درس السيميولوجيا، رولان بارت، ترجمة: عبد السلام بن عبد العالي، تقديم عبد الفتاح كليطو، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط2، 1986.

157- العربية الفصحى نحو بناء لغوي جديد، فليش هنري، ترجمة: عبد الصابور شاهين، منشورات دار المشرق، بيروت، لبنان، (د ط)، (د ت).

158- علم الدلالة - إطار جديد- ف. بالمر، ترجمة: صبري إبراهيم السيد، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية 1992.

159- اللغة والمعنى والسياق، جون لاينز، ترجمة: صادق عبد الوهاب، مراجعة يوئيل عزيز، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 1987.

160- اللغة، فندريس، ترجمة: محمد القصاص عبد الحميد الدواخلي، مكتبة الأنجلو مصرية 1950.

161- مناهج النقد الأدبي، ازيك أندرسون أميرت، ترجمة: الطاهر أحمد مكي، مكتبة الأدب، القاهرة 1991.

162- النظرية الأدبية المعاصرة، صولدان، ترجمة: جابر أحمد عصفور، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، ط 1، 1999.

163- النقد الأدبي، ازيك أندرسون أميرت، ترجمة: الطاهر أحمد مكي، مكتبة الأدب، القاهرة 1991.

الرسائل والمذكرات:

164- اتجاهات البحث في قضية الإعراب عند اللغويين العرب المحدثين، خالد بن صالح الحجيلان، رسالة ماجستير، جامعة الملك سعود، السعودية، 1421هـ.

165- أثر القرائن في توجيه المعنى في تفسير البحر المحيط، أحمد خضير عباس علي، رسالة دكتوراه في فلسفة اللغة العربية، جامعة الكوفة، 1431هـ- 2010 م.

166- الأسلوبية الوظيفية وموقعها من كتاب البيان في روائع القرآن لتمام حسان، رسالة ماجستير بداش حنيفة، جامعة منتوري، قسنطينة، 2008.

167- الأنساق الأسلوبية المهيمنة على السورة – دراسة تطبيقية على السور المكية، خالد توفيق مزعل الحسناوي، رسالة دكتوراه في اللغة العربية، السعودية 1433هـ-2012 م.

168- أنماط التركيب القرآني – دراسة في سور آل حم – رسالة ماجستير في اللغة العربية، جامعة الكوفة، العراق، 2009.

169- البعد التصويري في القرآن الكريم - سورة يوسف نموذجا، مريم سعود، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2005 – 2006.

170- البناءات الجمالية في النص القرآني، رائد مصباح الداي، رسالة ماجستير، غزة، فلسطين، 1432 هـ – 2011.

171- البنيات الأسلوبية في الشعر الخطابي عند أبي ماضي، قرفي السعيد، مذكرة ماجستير، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، 2009 – 2010.

172- البنيات الأسلوبية في مرثية بلقيس لتزار قباني، رشيدة بديدة، رسالة ماجستير، باتنة،2010.

173- جملة الخاتمة في الآيات الكونية والإنسانية (دراسة أسلوبية)، نور هاني محمد سمحان، رسالة ماجستير، نابلس، فلسطين، 2009.

174- الحبك المكاني في السياق القرآني القصصي – سورة يوسف أنموذجا – آمنة شهاب، رسالة ماجستير، جامعة الشلف، 2006 – 2007.

175- شرح الجمل في النحو، تحقيق:قيق ودراسة خديجة محمد حسين باكستاني، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، 1407 هـ.

176- الصورة الفنية في القصة القرآنية – قصة يوسف أنموذجا – بلحسين نصيرة، جامعة تلمسان، 2005 – 2006.

177- العدول في صيغ المشتقات في القرآن الكريم دراسة دلالية – جلال عبد الله محمد سيف الحمادي، رسالة ماجستير 1428هـ- 2007.

178- القرائن العلائقية وأثرها في الاتساق " سورة الأنعام أنموذجا "، دراسة وصفية إحصائية تحقيق:ليلية، سليمان بوراس رسالة ماجستير في لسانيات اللغة العربية، جامعة الحاج لخضر باتنة، الجزائر، 2008 – 2009.

179- المبحث التركيبي في الدراسة اللسانية الحديثة " بين كتاب القواعد للسنة الرابعة أساسي وكتاب اللغة العربية للسنة السنة الأولى من التعليم المتوسط "، رسالة ماجستير في اللسانيات، قدادرة عبد السلام، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 2004 -2005.

180- النظام المقطعي ودلالته في سورة البقرة، (دراسة صوتية وصفية تحقيق:ليلية)، عادل عبد الرحمان عبد الله إبراهيم، رسالة ماجستير، جامعة غزة، 2006.

181- النظم القرآني في سورة هود، دراسة أسلوبية، مجدي عايش عودة أبو ليحة، رسالة ماجستير، غزة، فلسطين، 1430 -2009.

المجلات والدوريات:

182- الاتجاه الوظيفي ودوره في تحقيق:ليل اللغة" الألسنية "، يحي أحمد، مجلة عالم الفكر، المجلد 20، العدد 3، حكومة الكويت، أكتوبر – نوفمبر – ديسمبر 1989.

183- أثر التنغيم في توجيه الأغراض البلاغية لعلم المعاني، - الاستفهام أنموذجا – مزاحم مطر حسين، مجلة القادسية، مج 6، عد 34،2007.

184- الأسلوب والأسلوبية والنص الحديث، محمد أحمد قضاة، مجلة الدراسات العلوم الإنسانية، مج25، ع2، 1988.

185- الأسلوبية الحديثة- معادلة تعريف-محمود عياد، مجلة فصول، مج 1، ع 2، يناير 1981.

186- الأسلوبية، الهادي الطرابلسي، مجلة فصول، مج 6، ع 1، أكتوبر – نوفمبر 1984.

187- الأسلوبية، سعد مصلوح، ضمن مهرجان شوقي وحافظ، مجلة فصول: مج5، ع1، أكتوبر 1984.

188- الأسلوبية، كمال أبو ديب، مجلة فصول، مج، ع1، أكتوبر، نوفمبر 1984

189- إشكالية القارئ في النقد الألسني، إبراهيم السعافين، مجلة الفكر العربي المعاصر، العدد 60، 1989.

190- أنتروبولوجيا الإيقاع في العربية، ليلى الشربيني وسعد البحراوي، مجلة فصول، القاهرة، مج 15، عد 4،1997.

191- بناء السرد القصصي في سورة يوسف، كمال أحمد غنيم، مجلة جامعة الأقصى، المجلد 15، العدد 2، يناير 2011.

192- البنى الأسلوبية في شعر النابغة الجعدي، ياسر أحمد فياض، مجلة الأنبار للعلوم الإسلامية، المجلد 1، العدد 4، 2009.

193- بين التراث البلاغي العربي والأسلوبية الحديثة، محمد بلوحي، مجلة التراث العربي، ع 95،أيلول 2004.

194- التركيب بين القدامى والمحدثين، إيمان فاطمة الزهراء بلقاسم، مجلة الأثر، العدد التاسع، ماي، 2010.

195- التشكيل اللغوي وأثره في بناء النص، دراسة تطبيقية، زيد خليل القرالة، مجلة الجامعة الإسلامية، مج 17، عد 01، جانفي 2009.

196– التفكير المورفولوجي عند تمام حسان، حيدر محمد جبر، مجلة كلية الآداب، العدد 102.

197– التنغيم وأثره في اختلاف المعنى ودلالة السياق، أسهل ليلى، مجلة كلية الأدب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة خيضر بسكرة، عد 7، جوان 2010.

198– الجرس والإيقاع في الفواصل القرآنية، أنسام خضير خليل، مجلة كليات الآداب، العدد 97.

199– حبك النص – منظورات من التراث العربي – محمد العبد، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، العدد 59.

200– حول الأسلوبية الإحصائية، محمد عبد العزيز الوافي، مجلة علامات، ج42/مج11، ديسمبر 2001.

201– دراسة أسلوبية في صورة " ص "، نصر الله شاملي، مجلة آفاق الحضارة الإسلامية، العدد1، 1432.

202– الزمن في القصة القرآنية، – قصة موسى أنموذجا – نبهان حسون السعود، مجلة كلية العلوم الإسلامية، المجلد 8، العدد 15، 1435هـ– 2014.

203– الصوت والدلالة في ضوء التراث وعلم اللغة الحديث، محمد بوعمامة، مجلة التراث العربي، دمشق.

204– ضمير الشأن في القرآن الكريم – دراسة نحوية بلاغية – عمار نعمة الزيادي، مجلة جامعة كربلاء العلمية، المجلد الرابع، العدد الثالث، أيلول 2006.

205– ظاهرة التقديم والتأخير في اللغة العربية، فضل الله النور علي، مجلة العلوم والثقافة، المجلد 12، جامعة السودان، 2011.

206– العلاقة بين الأسلوبية والبلاغة بين القديم والحديث، دراسة وصفية تطبيقية، آفرين زارع، مجلة الدراسات اللغوية والأدبية، ع 2، إيران، ديسمبر 2012.

207– القرائن النحوية و اطراح العامل والإعرابي والتقديري والمحلي، تمام حسان، بحث منشور في مجلة اللسان العربي، مج 11، ج 1، الرباط، المملكة المغربية.

208– اللغة العربية والحداثة، تمام حسان (بحث)، مجلة فصول، المجلد الرابع، العدد الثالث، القاهرة، 1984.

209– مجاز القرآن وعلوم البلاغة– حسن عباس نصر الله، مجلة الفكر العربي–عدد خاص "بالبلاغة العربية والبلاغيين"، العدد46، يونيو1987.

210– المرايا المقعرة من البنية إلى التفكيك، عبد العزيز حمودة، عالم المعرفة، الكويت، العدد 232، 1998.

211– مهارات التعرف على الترابط في النص، ريما سعد سعادة الجرف، مجلة رسالة الخليج، العدد 7.

212– نظرية التحليل الأسلوبي للنص الشعري، مفاتيح ومداخل أساسية، أسامية راجع، مجلة الأثر، العدد13، مارس2012، جامعة بسكرة الجزائر.

213– النيابة وما يضارعها من المصطلحات، مجيد نوط عبيد الشمري، مجلة الفتح ، جامعة ديالي تحقيق كلية التربية، العدد 27، 2007.

المقالات:

214– الأداء التصويري وإيقاع الفواصل في القرآن الكريم، محمد قطب عبد العال، مقال منشور.

215– الأسلوبية في التفكير العربي، نعيمة سعدية (مقال) جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر.

216– البلاغة والأسلوبية –الاتفاق والاختلاف– عماد علي أحمد الخطيب، رسالة ماجستير السعودية (ملخص).

217– البلاغة والأسلوبية، محمد عبد المطلب، عماد علي أحمد الخطيب، رسالة ماجستير. السعودية "ملخص".

218– التقنيات الفنية والجمالية المتطورة في القصة القصيرة، حسن غريب أحمد منتدى القصة العربية.

219– رتبة التقديم في القرآن، عبد الجواد عبد الحسن علي، جامعة أهل البيت، (بحث منشور).

220– الفاصلة في السياق القرآني، سورة مريم أنموذجا، محمد حسين النقيب، بحث منشور على الأنترنيت.

221– قرينة الرتبة في اللغة العربية، م م أمل باقر جبارة، 1432هـ– 2011،(ملخص).

222– مفهوم الرتبة عند سيبويه، محمد بويض، موقع الأساتذة المبرزين والباحثين في اللغة، 2009.(مقال).

223– نظرات أسلوب في القرآن، حسن منديل حسن العقيلي، مقال منشور.

تمام حسان

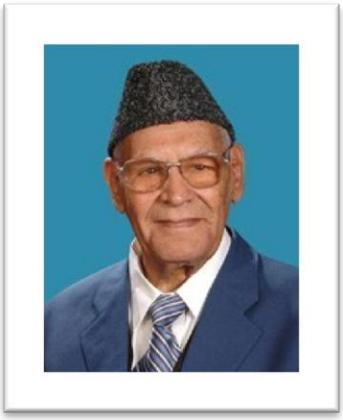

تمام حسان عالم نحوي عربي، صاحب كتاب اللغة العربية معناها ومبناها الذي وضع فيه نظرية خالفت أفكار النحوي الكبير سيبويه. يعد تمام أول من استنبط موازين التنغيم وقواعد النبر في اللغة العربية، وقد أنجز ذلك في أثناء عمله في الماجستير (عن لهجة الكرنك) والدكتوراه (عن اللهجة العدنية) وشرحه في كتابه "مناهج البحث في اللغة" عام 1955. عميد كلية دار العلوم الأسبق وأستاذ علم اللغة الحائز على جائزة الملك فيصل العالمية في اللغة العربية والآداب العام 1426 هـ- 2006م.

حياته :

ولد بقرية الكرنك بمحافظة قنا بصعيد مصر، أتمَّ حفظ القرآن الكريم سنة 1929م، ثم غادر قريته ليلتحق بمعهد القاهرة الأزهري عام 1930م، ليحصل على الثانوية الأزهرية عام 1935م.

وبعدها التحق بكلية دار العلوم عام 1939م وحصل على دبلوم دار العلوم عام 1943م ثم إجازة التدريس عام 1945م، ولم يكد يبدأ الدكتور تمام حسان حياته العلمية معلمًا للغة العربية بمدرسة النقراشي النموذجية عام 1945م، حتى حصل على بعثة علمية إلى جامعة لندن عام 1946م، لينال درجة الماجستير في لهجة الكرنك من صعيد مصر، ثم يحصل على الدكتوراة في لهجة عدن.

وعقب عودة الدكتور تمام من رحلته العلمية عُين مدرسًا بكلية دار العلوم كما انتدب مستشارًا ثقافيًّا للجمهورية العربية المتحدة في العاصمة النيجيرية لاجوس عام 1961م. وحين عاد إلى مصر عام 1965م، شغل منصبي رئيس القسم ووكيل الكلية قبل أن يتولى عمادتها عام 1972م.

وأسس د. تمام حسان الجمعية اللغوية المصرية عام 1972م، وكان أول رئيس لها وأنشأ أول قسم للدراسات اللغوية بجامعة الخرطوم في السودان، كما أسس بجامعة أم القرى قسم التخصص

اللغوي والتربوي وتولى أمانة اللجنة العلمية الدائمة للغة العربية بالمجلس الأعلى للجامعات المصرية وانتخب عضوًا بمجمع اللغة العربية عام 1980م. أشرف الدكتور تمام على العديد من الرسالات الجامعية في مصر والدول العربية.

إنجازاته:

حين يذكر تمام حسان فلا بد من الإشارة إلى أوليّات اقترنت باسمه.

-أول من استنبط موازين التنغيم وقواعد النبر في اللغة العربية؛ حيث لم تكن مدروسة قبله وكانت تدرس فقط في اللغات الأجنبية الرئيسية، وقد أنجز ذلك في أثناء عمله في الماجستير والدكتوراه وشرحه في كتابه "مناهج البحث في اللغة" عام 1955.

-أول عالم لغوي في العالم يدرس "المعجم" باعتباره نظاما لغويا متكاملا تربطه علاقات محددة وليس مجموعة مفردات أو كلمات كما كان المستقر عالميا؛ فهو الذي نبه إلى فكرة النظام اللغوي للمعجم، وأن هناك كلمات تفرض الكلمات التي تستعمل معها؛ فهناك أفعال لا بد لها من فاعل وأخرى لا بد أن يكون فاعلها عاقلا.

-أول عالم لغوي عربي يخالف البصريين والكوفيين في دراسة الاشتقاق حين اقترح "فاء الكلمة وعينها ولامها"، كأصل للاشتقاق في حين كان أصل الاشتقاق عند البصرة "المصدر"، وأصله عند الكوفة "الفعل الماضي".

-أول من أعاد تقسيم الكلام العربي على أساس المبنى والمعنى رافضا التقسيم الثلاثي (اسم، فعل، حرف)، وجعل التقسيم سباعيا (اسم، فعل، صفة، ظرف، ضمير، خالفة، حرف) بحسب السلوك النحوي الخاص بكل قسم.

-أول من فرّق بين الزمن النحوي والزمن الصرفي، فقال بالزمن الصرفي الذي هو وظيفة الصيغة المفردة من دون جملة (ماض، مضارع، أمر) والزمن النحوي الذي يختلف عنه وقد يخالفه، مثلما هو الحال في قوله تعالى {لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب...} فهو زمن مضارع صرفيا لكنه ماض نحويا.

-كما كان تمام حسان من أكثر علماء العربية الذي سعوا إلى التضييق على فكرة الشذوذ والندرة وعدم القياس التي اعتادها النحويون، والتي تهدر ميراثا لغويا وتؤدي إلى جمود اللغة؛ فقال بالترخص في القرائن المبنية على تضافر القرائن في إيضاح المعنى وزيادة بعضها عن الحاجة إلى الإفادة، كما كشف عن نوع من الاستعمال يخالف القواعد ولكنه يقاس عليه، وأطلق عليه اسم الأسلوب العدولي. .

مؤلفاته:

على مدى هذه السنوات الطويلة لم ينقطع عطاؤه العلمي من تأليفٍ وترجمةٍ إضافةً إلى عشرات المقالات والبحوث التي نشرت في الدوريات العربية. وهنا قائمة بالكتب التي ألّفها وترجمها:

- اللغة العربية معناها ومبناها.
- الأصول.
- مناهج البحث في اللغة.
- اللغة بين المعيارية والوصفية.
- الخلاصة النحوية.
- البيان في روائع القرآن – جزئين.
- التمهيد لاكتساب اللغة العربية لغير الناطقين بها.
- مقالات في اللغة والأدب – جزئين.
- مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب (مترجم).
- الفكر العربي ومكانته في التاريخ (مترجم).
- اللغة في المجتمع (مترجم).
- أثر العلم في المجتمع (مترجم).
- النص والخطاب والإجراء (مترجم).
- خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم (2006).

- اجتهادات لغوية (2007).
- مفاهيم ومواقف في اللغة والقرآن (2010).
- الفكر اللغوي الجديد (2011).
- حصاد السنين- من حقول العربية (2011).

جوائز:

رغم كثرة أوليات تمام حسان، فإن محصوله من التكريم والشهرة قليل بما لا يوازي ما ناله تلامذته. من أهم الجوائز التي حصل عليها:

- جائزة آل بصير بالمملكة العربية السعودية عام 1984.
- جائزة صدام عام 1987.
- جائزة الملك فيصل العالمية 2006.
- تكريم في المؤتمر الدولي للغة العربية والتنمية البشرية بوجدة، المغرب، 2008

الدكتور تمام حسان (أبو هانئ) تشرف به الجوائز قبل أن يشرف بها، وهي سعت إليه ولم يسع إليها بل ظل عاكفا في محراب علمه مستصغرا ما دونه، ويكفي مصداقا لذلك أنه لا يكاد يظهر في الحياة العامة إلا نادرا ولا تكاد تعرف كاميرات التليفزيون طريقها إليه.

وفاته:

توفى إلى رحمة الله في صباح يوم الثلاثاء 2011/10/11 بعد مرض قصير وعملية جراحية بالمخ رحم الله الفقيد وتغمده برحمته وأدخله جناته.

فهرس الموضوعات

إهـداء	
شكـر و عرفـان	
مقدمة	أ
الفصل التمهيدي : الدراسة الأسلوبية و النص القرآني بين القديم و الحديث	
1-ماهية الأسلوب و الأسلوبية	**07**
2- نشأة الأسلوبية	**09**
3- مناهج التحليل الأسلوبي	**12**
أ- المنهج الوصفي	**12**
ب-الكلمات المفاتيح	**13**
ج- المنهج الإحصائي	**14**
د- الدائرة الفيلولوجية	**15**
4- اتجاهات الأسلوبية	**15**
1- الأسلوبية التعبيرية	**15**
2- الأسلوبية التكوينية	**16**
3- الأسلوبية البنيوية	**17**
4- الأسلوبية الإحصائية	**18**
5- الأسلوبية وتعالقاتها	
1- علاقة الأسلوبية باللسانيات	**18**
2- العلاقة بين الأسلوبية وعلم البلاغة	**22**
3- العلاقة بين الأسلوبية والنقد الأدبي	**25**
6- الدراسة الأسلوبية العربية للقرآن الكريم بين القديم والحديث	
1- الملامح الأسلوبية في الدراسة العربية القديمة	**28**
2- الدراسة الأسلوبية الحديثة في القرآن الكريم	**43**
الفصل الأول : القيم الصوتية في النص القرآني عند تمام حسان	
تمهيد	**47**
المبحث الأول : الإيقاع في النص القرآني	**49**
1- الإيقاع الكمي	**53**

2- الإيقاع المعتمد على التنغيم في النص القرآني	**61**
3- الإيقاع القائم على النبر	**73**
المبحث الثاني: الفاصلة القرآنية	**85**
1- ماهية الفاصلة	**85**
2- الفرق بين الفاصلة والقافية عند تمام حسان	**87**
3- علاقة الفواصل بالآيات	**91**
4- جمالية الفاصلة القرآنية	**97**
المبحث الثالث: الحكاية الصوتية	**99**
تمهيد	**99**
1- التناسب بين صفات الصوت ومعنى الكلمة	**102**
2-التناسب بين إيحاء الصوت ومعنى الكلمة	**107**
المبحث الرابع: المناسبة الصوتية	**109**
تمهيد	**109**
1-إعراب الجوار	**112**
2- الإتباع على اللفظ	**112**
3- مظاهر المناسبة الصوتية	**113**
المبحث الخامس : حسن التأليف	**116**
تمهيد	**116**
أ-الالتزام ببنية الصيغة الصرفية	**122**
ب-الالتزام بخصوص الزوائد في الكلمة	**122**
ج- الالتزام بخصوص اللواصق	**123**
د-الالتزام عند مفصل الكلمتين بتكوين كل منهما	**123**
هـ-الالتزام بالضمير المتصل	**124**
الفصل الثاني : البعد التركيبي قي النص القرآني عند تمام حسان	
تمهيد	**127**
المبحث الأول : أنماط التركيب القرآني في النص القرآني	
1-النمط الخبري المثبث	**134**
2-النمط الخبري المنفي	**135**

3- النمط الخبري الشرطي	**136**
4-نمط النداء	**137**
5-نمط الأمر	**138**
6-نمط النهي	**139**
7-نمط الاستفهام	**139**
8-نمط العرض	**141**
9-نمط التحضيض	**141**
10-نمط الرجاء	**142**
11-نمط التمني	**142**
12-نمط التعجب	**143**
المبحث الثاني : نظرية تضافر القرائن وأثرها في المعنى	
تمهيد	**145**
1- قرينة البنية في التركيب القرآني	**147**
-تعدد المعنى الوظيفي للمبنى الواحد	**150**
-تعدد المعاني الوظيفية بحسب النقل	**165**
2-قرينة الرتبة في التركيب القرآني	**173**
أ-الرتبة المحفوظة	**175**
ب-الرتبة غير المحفوظة	**177**
ج- الرتب المستحدثة عند تمام حسان	
1-الرتبة الزمنية	**180**
2-تقديم الحدث الأظهر	**181**
3-التقديم للشهرة والاشتهار	**182**
4-تشويش اللف والنشر	**182**
5-الترخص	**183**
6-التقديم بقصد مراعاة الفاصلة	**183**
7- التقديم بهدف كسر الرتابة	**184**
8- التقديم بحسب مبدأ الطول والقصر	**184**
3-قرينة الربط في التركيب القرآني	

1-الربط بإعادة اللفظ	**189**
2-الربط بإعادة المعنى	**190**
3-الربط بتكرار المقطع	**191**
4-التكرار لأمن اللبس	**191**
4-قرينة التضام في التركيب القرآني	
1-الافتقار	**211**
2-الاختصاص	**212**
3-التنافي	**212**
4-التوارد والتنافي	**213**
5-الحذف	**214**
6-الزيادة	**215**
7- الفصل	**216**
8-الاعتراض	**218**
9-إدخال اللفظ على مدخوله	**218**
5-قرينة الإعراب في التركيب القرآني	
1-الافتخار	**225**
2-الرتبة	**225**
3-الاختصاص	**225**
4-التقدير	**225**
5-قرينة السياق	**227**
6- قرينة السياق في التركيب القرآني	
1-القرينة البنيوية	**230**
2-القرينة النحوية	**231**
3-اعتماد قرينة السياق على المعجم	**231**
4-اعتماد قرينة السياق على اللغة	**231**
المبحث الثالث : الأسلوب العدولي في القرآن الكريم	
1- العدول عن البنية	**236**
أ-الإجراء التصريفي	**236**

ب-النقل	**237**
2-العدول عن قرينة الإعراب	**246**
3-العدول عن قرينة الربط	**250**
أ-الالتفات	**250**
ب-التغليب	**254**
ج-المراوحة	**255**
د-حذف الرابط	**255**
4-العدول عن قرينة الرتبة	**256**
5- العدول عن قرينة التضام	
أ-الحذف	**257**
ب-الزيادة	**261**
ج-الاعتراض	**262**
د- الفصل النحوي	**262**
6-تجاهل الاختصاص النحوي	**263**
الفصل الثالث :المستوى البلاغي والدلالي في النص القرآني عند تمام حسان	
المبحث الأول : المقاصد الأسلوبية في القرآن الكريم	
تمهيد	**266**
أولا : التعميم	**270**
ثانيا: التوكيد	**273**
ثالثا : التعليل	**288**
رابعا : الإحالة	**290**
خامسا: النفي	**293**
سادسا:التسوية	**298**
المبحث الثاني : ألفاظ وعبارات مختارة من القرآن الكريم	
محاور اختيار اللفظ في القرآن الكريم	**301**
1-الألفاظ	**305**
2-العبارات	**308**
المبحث الثالث : البيان عند تمام حسان في القرآن الكريم	

1-الصورة عند تمام حسان	**311**
2-البناء القصصي في القرآن الكريم	**322**
1- مفهوم القصة	**322**
2- عناصر القصة القرآنية عند تمام حسان	**324**
خاتمة	**342**
قائمة المصادر والمراجع	**346**
ملحق	**365**
فهرس الموضوعات	**370**